الفــرائـد

تأليف

حضرة العلاّمة أبو الفضل كلبيكاني

1315هـ/1898م



ترجمة

الأستاذ عبد العزيز صبور

مقدّمة الكتاب

"يَا بَصَرِي عَلَيْكَ بَهَائِي وَبَحْرُ عِنَايَتِي وَشَمْسُ فَضْلِي وَسَمَاءُ رَحْمَتِي،
نَسْأَلُ اللهَ أنْ يُنَوِّرَ العَالَمَ بِعِلْمِكَ وَحِكْمَتِكَ
وَيُقَدِّرَ لَكَ مَا يَفْرَحُ بِهِ قَلْبُكَ وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ".

[1][أفتتحُ الكلامَ بالثناءِ على الربِّ المجيدِ البرِّ الرّؤوفِ العزيزِ الحميدِ الظاهرِ باسمه العليِّ الأعلى والمتجلّي بجماله الأقدس البهيّ الأبهي، كاشفِ الحجابِ عن الحقائقِ المودَعَةِ في الكتاب ومبيّن دقائقِ التأويلِ من القرآنِ والتوراةِ والإنجيلِ، جزيلِ العطاءِ جميلِ الثناءِ كثيرِ الآلاءِ رافعِ الضّعفاءِ إلى الأوجِ الأعلى وخافضِ أربابِ الكبرياءِ إلى الدّركاتِ السّفلى، ذي القُدْرَةِ القاهِرةِ والسَطْوَةِ الظاهِرَةِ والآياتِ العظيمةِ الباهِرَةِ، مبدِّدِ شملِ كلِّ عاتٍ عنودٍ ومعانِدٍ حَقودٍ ومُتَّبِعي سُبُلِ عادٍ وثَمودٍ وأصحابِ الحُجرِ واليهودِ، مُمُنْزِلِ الصُحُفِ والأسْفارِ المسْفِرَةِ عن أنباءِ البَرَرَةِ الأخيار وقِصَصِ الجبابرةِ الفُجّار، وجَسيمِ رحمتِهِ على أوليائِهِ وعظيمِ نَقْمَتِهِ على أعدائِهِ تَذْكِرَة للمخلصين وتبصرة للمتّقين وذكرى وموعظة للعالمين. فسبحانه سبحانه تاهتِ العقولُ في إدراكِ ذاته وذَهُلَتِ الألبابُ من عَظَمَةِ آياتِهِ وَبُهِرَتِ الأبصارُ عند تجلّي جمالِهِ بأعظمِ أسمائِهِ وصفاتِهِ، وعَجِزَتِ الصّفوفُ عن مقاومة أمرِهِ وفَلَتِ الألوفُ عن منعِ نشرِ إسمِهِ وذكْرِهِ، له الحمدُ والثناءُ وله العظمةُ والكبرياءُ لا إله إلاّ هو في الآخرة والأولى. وأصلّلّي وأسلّلّم على شمسِ الهدى والنورِ الساطعِ من أفقِ العُلى والسّدرةِ المباركةِ المغروسةِ في قطبِ جنَّةِ المأوى ألفرعِ الكريمِ المنشعبِ مِنَ الأصْلِ القديمِ والسرِّ القويمِ المنْبَعِثِ مِنْ إرادةِ ربِّهِ الرحمنِ الرحيمِ غصنِ اللهِ الأعظمِ وسرِّ اللهِ الأكرمِ وحُجَّتِهِ القائِمَةِ بين العالمِ جَعَلَ الله قلوبَنا

[1] كل ما جاء في هذا الكتاب بين القوسين [ ] فهو عربي بالنص.

كنائِزَ لآلِئِ وَلائِهِ وألسِنَتَنا هاتِفَةً بذكره وثنائِهِ، وأُتْحِفُ أفضلَ التحِيَّةِ والثناءِ وأطْيَبَ التسليمِ والبهاءِ على الشموسِ البازِغَةِ والدراري المنيرةِ والحقائقِ المقدَّسَةِ والنَّفَحاتِ الإلهيّة والنفوسِ الطَيِّبَةِ القائِمَةِ بأعْباءِ الرسالةِ بين البَرَيَّة، سِيَّما مَنْ انفجرت بِهِ فَجْرُ الهِدايَةِ من أُفُقِ البَطْحاءِ وإبْتَسَمَ بظهورِهِ ثَغْرُ الصباحِ وَوَلَّتْ ظُلْمَةُ الليلَةِ الليلى، قَاهِرِ عَبَدَةِ الشيطانِ ومُبيدِ عِبادَةِ الأوثانِ ورافعِ أعلامِ التوحيدِ بين مِلَلِ الشِرْكِ والطُغيانِ سَيِّدِ المرسَلين وإمامِ المتَّقين وخَاتَمِ النبيّين والمنادي باقْتِرابِ الساعَةِ بين العالمين، صَلَواتُ الله وسلامُهُ عليه وعلى آله الطيّبين الطاهرين وأصحابِهِ المنْتَخبين الرّاشِدين].

بعد الحمد والصّلاة يعرض أقلّ العباد، أبو الفضل محمّد بن محمّد رضا الجرقادقاني [**وفقه الله لخدمة العالم وإزالة الضغائن الكامنة في صدور الأمم**]، أنّه لاحظ في السنة الماضية رسالة كتبها السيّد عبد السلام شيخ الإسلام في تفليس وسائر بلاد القفقاس ألبسه الله رداء العزّة الأبديّة وزيّن به وسادة المشيخة الإسلاميّة في الردّ على كتاب الإيقان الشريف ضمّنها عدّة انتقادات بإسلوب أسئلة، وحيث قد نزلت من القلم الأعلى أجوبة أسئلة الأمم بأفصح عبارة وأبلغ بيان ونزلت ردوده المباركة على اعتراضات الأمم على هذا الأمر الأعظم كما قام كبار الأحباب في البرهنة على أحقيّة هذا الظهور الأقدس في رسائلهم الاستدلاليّة العديدة بحيث لم يدعوا مجالاً لاحتجاج نفسٍ، ونظراً لحدوث الحوادث الخطيرة في المملكة واشتغال هذا العبد بتأليف رسائل ومقالات علميّة لذا لم يجد مجالاً للإجابة على انتقادات جناب الشيخ تمييزاً للوهم من اليقين وللضلالة من الهداية.

إلى أن إتّضح في هذه السنة أنّ أحد أفراد الأحباب، الّذي هو من حيث الإيمان في الرعيل الأوّل ولكنّه من حيث الوصف في عداد أهل الحرف يشتغل بعمل الحلويات، قد كتب جواباً وفق مذاقه على الرسالة المذكورة ودعا جناب الشيخ بحكم الآية الكريمة: "فارْجع البَصَرَ هلْ ترى مِنْ فُتور"[2] إلى إعادة النّظر في كتاب الإيقان الشريف بل تجاسر جسارة أكبر وارتكب عصياناً أعظم حينما عطف عنان قلمه أحياناً بالنصيحة لئلا يغفل عن مطالعة الآية الكريمة: "وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ "[3] فلا يعتبر بعبرة السابقين، وحذّر الشيخ، وفق الفطرة السليمة الّتي فُطِر عليها أهلُ البهاء، من معارضة الآيات الإلهيّة وأنذره من السلوك في هذا المسلك المهلك وفق الآية الكريمة: "فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا

---

[2] تقصيراً وضعفاً. المنجد ص 597 فترَ عن العمل فتوراً قصّر فيه تقصيراً والفتور الضعف

[3] البقرة: 206

يَصْدِفُونَ "[4] ونهاه عن الدخول في هذا الطريق الوعر بصريح الآية المباركة: "وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ "[5].

ولكنّ جناب الشيخ غضب من نصائح ذلك المؤمن حسن النيّة وظنّ أنّ معارف عباد هذا الظهور الأعظم مقتصرة على محتويات رسالة ذلك المؤمن فاغتنم الفرصة وظنّ مجال الاعتراض واسعاً فسيحاً وتصوّر أنّ الإجابة على أسئلة جنابه أمر في غاية الصعوبة بل ممتنع ومُحالٌ ، فقام براحة بال واطمئنان خاطر بتأليف رسالة ثانية وطبعها ونشرها غافلاً عن أنّ في كنانة فرسان هذا الميدان سهاماً ثاقبة ونصالاً نافذة مزقوا بها بقوّة الاسم الأعظم الحجب الغليظة من أوهام الأمم وشطبوا بقوّة البنان والبيان شكوك المشكّكين وأبطلوا بقدرة القلم واللسان أوهام المنتحلين.

نعم لو فاز إنسان برشح من بحار المعاني الّتي أودعها الحقّ جلّ جلاله في الآية المختصرة "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ"[6] وفهم معنى الحديث الشريف "يَظْهَرُ القائِمُ بآثار كُلّ الأنبياء" لَشهِدَ بأنّ هذا الأمر الأقدس الأعظم مظهرُ جميع الحوادث الجسيمة الماضية ومصداقُ جميع وقائع الأيّام الخالية، فهو طوفانُ نوح يُهلكُ عالَمَ المعارضة بموجةٍ واحدةٍ، وهو جنّةُ إبراهيم تجعلُ نارَ المعاندة برداً وسلاماً على أهل الإيمان، وهو عصا موسى تتلقّف حبالَ أوهام أهل الضلال وهو اليدُ البيضاء الّتي تخطفُ أبصارَ أرباب المكابرة والإنكار، وهو ألنَّفَسُ المسيحيّ الّذي يُحيي القلوبَ الميّتة، وهو الجمالُ العيسويّ الّذي يطهِّر المستعدّين بنبرةٍ واحدةٍ من بَرَصِ الجهل والغباوة، وهو حقيقةُ خاتَم النبيّين الّتي تَفِتكُّ خَتْمَ الرحيق المختوم، وهو رجعة أئمّة الهدى الّتي تتجلّى بها القدرة الإلهيّة في رداء المظلوميّة.

وخلاصة القول لما نظرَ هذا العبد في صفحات رسالة جناب شيخ الإسلام لاحظ أنّه بالرغم من تمسّكه في الاعتراض على هذا الظهور الأعظم بشُبهات سائر الأمم في الردّ على مظاهر أمر الله وسيْرِهِ في طريق المكذّبين السّالفين فإنّه خرجَ عن سلوك الاعتدال غالباً في طيّ عباراته وأفلت زمام القلم وبَرَعَ في بذيء القول وخُشن الكلام بما ينافي مقام العلماء الأعلام.

ولو أنّ سَيْلَ أمر الله لا تمنعُ سُرعَةَ جَرَيانِهِ أشواكُ رسائِلِ الاعتراض، ولا يَمْنَعُ نُفوذَ كلمته نقدُ العباد، بل لطالما كان النَقْدُ سَبَباً لبصيرة أربابِ الاستعداد ولطالما كان هبوبُ أرياحِ المعارَضَةِ سبباً

[4] الأنعام: 157
[5] يونس: 95
[6] الاعراف: 29

لمزيد اشتعال نارِ الهداية، كما ستجري الإشارةُ ضِمْنَ هذا المقال إلى مُصَنَّفاتِ السابقين في الرَّدِّ على الأنبياء والمرسَلين وسَتَظْهَرُ للمنصفين نتائجُ تلك المصَنَّفات. ونظراً لهذا لا حاجة للتعرّض بالجواب على أمثال هذه الرّسائل وصرف العمر الثّمين في رَفْعِ الشّبهات الّتي نادى بها أرباب الجُحود والإنكار والتّكذيب والاستكبار آلافاً من السنين، ولكن حيث أنّ فَتْحَ بابِ المناظرةِ يؤدّي إلى انتباه القلوبِ المسْتَعِدَّةِ وإيقاظِ النّفوس الراقِدة، وأنّ الانتباه لن يَحْصَلَ بغير تَدْقيقِ النَّظَرِ وأنّ الوصولَ يستحيلُ بغير السَّعْيِ والاجتهاد، لهذا يَعْرِضُ هذا العبد حَسَبَ الأمر المبارك جواباً على أسئلة جنابِ الشيخ في مَبْحَثَيْن وخاتمة، ويُخَصِّصُ (المبحث الأوّل) لبيان أصْلِ ادّعاء أهلِ البهاءِ وبَراهينِهِمْ على ذلك ويُخَصِّصُ (المبحث الثاني) للجوابِ على اعتراضات الشيخِ واحداً بعد واحدٍ ويُخَصِّصُ (الخاتمة) للكَشْفِ عن بعضِ مطالِبِ جَنابِهِ غيرِ المرْتَبِطَةِ بالدليلِ والبرهان.

[وهنا نشرع في الجواب ونرجو من الله تعالى في فاتحة الكتاب أنْ يَحْفَظَنا من سفاسِفِ القولِ وزخارف الكلام وبَذاءَةِ الخِطابِ وهَذْوِ البيانِ ويؤيِّدَنا بفضله على الاعتدال في المَقالِ والإتْقانِ في الاستدلال ويُنَوِّرَ قُلوبَنا بروحٍ مِنْهُ ويَشْرَحَ صدورَنا بِنَفْحَةٍ مِنْ لَدُنْه إنّه هو وليُّ عِبادِهِ الصّالحين وناصِرُ أرِقّائِهِ المُخْلِصين].

"المؤلّف"

مقدّمة الطبعة الأولى

هو الأقدس الأعظم البهيّ الأبهي

ـــــــــــــــــــ

لا يَخفي على أولي الألباب أنّه لما انتهى بعون الله تعالى تأليف كتاب الفرائد في جواب شبهات جناب شيخ الإسلام، طلبت جماعة من أرباب العلم والفضل طبعَ هذا الكتاب حتى يَسْهلَ انتشاره ويسهل نواله على كلّ إنسان، لأنّ الشُبُهات الواردة في رسالتيْ جناب الشّيخ إنّما هي في الغالب شبهات عامّة بسببها يتوقّف كلّ إنسان في تصديق صاحب الأمر الإلهي وتكون سبب زلّة في صراط أمر الله. فمثلاً نفسُ هذه الشّبهة الّتي ضمّنها جناب الشيخ في رسالته الأولى بأسلوب السّؤال: "هل إنّ مقام جناب الباب هو نبوّة أم مقام إمامة؟" قد سَمِعَها هذا العبد من ألفِ إنسان لأنّهم يعتبرون النبوّة والإمامة متباينتين وفقاً لعقيدة جماعة الشيعة الإثني عشريّة، ويظنّون بخيالهم الواهي الضّعيف أنّ إلقاء هذا السّؤال أعظم وسيلة لإفحام أهل الإيمان. لذا تراهم وفي أوّل مناظرة مع أهل البهاء يستفسرون بهذه العبارة "ما هو مقام الباب؟ أهو مقام نبوّة أم مقام إمامة؟" ظنّاً منهم بأنّ أهل الإيمان لو أجابوا: "مقام النبوّة" فإنّهم يعترضون بأنّ هذا الادّعاء واضح البطلان بصريح الآية "خاتم النبيّين" وبالحديث "لا نبيّ بعدي". ولو أجابوا:"مقام الإمامة" فإنّهم يعترضون بأنّ مقام الإمامة محصور بالأئمّة الإثني عشر وعلاوة على ذلك فإنّ الإمام لا يستطيع تشريع شريعة جديدة وإنّ الشريعة الإسلاميّة لا تُنسَخ أبداً. وقد غفلوا عن أنّ مقام القائم الموعود هو الربوبيّة المنصوص عليه في القرآن بحكم الآية الكريمة:" يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ "[7] والآية المباركة "وَجَاءَ رَبُّكَ والمِلكُ صَفّاً صَفّاً"[8] وكثير من أمثالهما، وأنّ يوم ظهوره المبارك هو يوم الرّب وهو موعود في كلّ الأديان وأنّ مقام الربوبيّة هو مقام الأصالة لا مقام النّيابة ومرتبة الشارعيّة لا التبعيّة.

ومن النوادر المضحكة إنّني شاهدت ذات يوم في طهران، في منزل الملازم الأوّل محمّد إبراهيم بك، واحداً من أفاضل أهل المنابر يسأل رجلاً أجنبيّاً "مَنْ هوَ إمامُكم الأوّل؟" فدُهش الأجنبيّ وتحيّرَ ما هي الإمامة؟ وما هو الإمام الأوّل؟ ولقد ظنّ الفاضل الواعظ المسكين أنّ جميع الملل وفقاً للشيعة

---

[7] الأنعام: 158

[8] الفجر: 22

الإثني عشريّة مُجبَرون على الاعتقاد بإثني عشر إماماً ويعتبرون تعداد أسمائهم من الفرائض الدّينيّة والفضائل العلميّة. والخلاصة فإنّه من أجل دفع شبهات أرباب الارتياب طلب جناب الحاج عبد الكريم الطهراني وجناب الميرزا علي محمّد الشيرازي، أيّدهما الله على نشر نفحات أمره ووفقهما على إعلاء كلمته، طلباً من المحضر الأقدس- مِمّنْ إليه المآب ولا زالت عتبته العليّة قُبلة الأحباب ومقصد أولي الألباب – الإذن بطبع هذا الكتاب وتسهيل اقتنائه على كلّ طالب مستفيد. ولقد تمّ بحمد الله طبع هذا الكتاب بهمّة وإقدام هذين الوجودين الهمّامين، وبذلا كلّ سعي في إتقان الطبع وحسن الورق وجمال الحروف على قدر المستطاع. ولكنّ الكتاب لم ينج من الأغلاط المطبعيّة رغم كلّ الاهتمام بالتصحيح لأنّ عمّال المطابع في هذه البلاد لا يعرفون اللغة الفارسية حتى أنّهم يعجزون عن فهم اللغة العربيّة القديمة، ويتكلّمون كلّهم باللغة الدارجة الّتي تخالف قواعد اللغة العربيّة القديمة. ولهذا لم يمكن تلافي حدوث الأغلاط المطبعيّة في الحركات والحروف وحتى الكلمات، ولم ينج من السهو والخطأ الّذين هما من لوازم البشريّة. ويعرف أصحاب الجرائد الفارسيّة الّتي تطبع في مصر صعوبة مسألة تصحيح المطبوعات، وغالباً ما يعتذرون لقرّائهم عن الأغلاط المطبعيّة. ولهذا فقد أضفنا تداركاً لما فات تصحيحه صحيفة الخطأ والصواب في آخر الكتاب حتى يرجع كلّ قارئ ويصحّح نسخته بموجبها. وكذلك أضفنا فهرستاً ليسهل فهم الموضوعات على كلّ طالب مستفيد ولا تملّ قراءته الطباع اللطيفة. والرجاء أن يقبل أهل الفضل هذا القدر الواضح بكرامة فطرتهم وينظروا إلى الخطأ بنظر العفو والصفح لأنّ العصمة من الخطأ يختصّ بمظاهر أمر حضرة ربّ الأرباب وقبول القدر من شيم أولي الألباب. نسأل الله تعالى في خاتمة القول أن يؤيّدنا جميعاً على ما يحبّ ويرضى، إنّه هو ربّ العرش والثرى ووليّ عباده في الآخرة والأولى.

"المؤلّف" سنة 1315 هجريّة / 1898 ميلاديّة – القاهرة

(طُبع بنفقة الحاج عبد الكريم الطهراني والميرزا علي محمّد الشيرازي)

(طُبع بالمطبعة الهنديّة بشارع المهدي بالأزبكيّة في القاهرة)

****

فهرست الكتاب

الصفحة

في الجواب على الشبهة الثانية من شبهات شيخ الإسلام ويقع في (13) موضوعاً:

****

المبحث الأوّل

ويشمل الباب الأوّل

في بيان مقصود أهل البهاء والأدلّة المثبِتة لدعواهم

1. في بيان عقيدة أهل البهاء حول مقام النقطة الأولى والجمال الأقدس الأبهي :

[**إعلم أيها المناظر الجليل أيّدك الله بروح منه**] إنّ عقيدة أهل البهاء هي أن جميع الصحف الإلهيّة والكتب السماويّة الموجودة في العالم ناطقة بهذه البشارات العظيمة ومتّفقة عليها وهي أنّ العالم يصل إلى درجة البلوغ بسبب طلوع نيّريّريّرين أعظمين في سماء أمر الله في آخر الزمان وتنطوي دورة الأوهام والخرافات وتزول من عالم الوجود ظلمة الاختلافات الدينيّة والمذهبيّة ويستقرّرّ العالم على كلمة واحدة ودين واحد وتُمحى الضّغائن الكامنة في الصّدور وتتبدّل العداوة والتنافر بين الأمم بالمحبّة والأخوّة وينهدم بنيان الحرب والقتال بل تتبدّل آلات الحرب بأدوات الزراعة والصناعة وتظهرُ الحقائقُ المودَعَة في الكتب وتتقدّم المعارف والعلوم وتتنوّر جميع الأقطار بأنوار التمدّدّ ن الحقيقي الّذي يسمّى "بالدّين" بلُغة الأنبياء ويهبّ نسيم الرّحمة ويظلّلّل غمام العدل وتهطل أمطار الفضل ويركد غبار الظلم والجور في جميع أقطار العالم. وخلاصة القول تنطوي سموات الأديان المختلفة ويتزيّن العالم بزينة جديدة وتحيا عظام الدين الرميمة بحياة جديدة ونشأة جديدة ويتجلّى معنى الآية: "يَوْمَ

تَبَدَّلُ الأرْضُ غَيْرُ الأرْضِ"[9] وتنكشف حقيقة "وَأَشْرَقَتِ الأرْضُ بِنورِ رَبِّهَا"[10] ويظهر تفسير "والأمْرُ يَوْمَئِذٍ لله"[11].

وقد عبّرت التوراة المقدّسة عن هذا اليوم العظيم والقرن الفخيم بعبارة "يوم الربّ" و "يوم الله" وعَبّرت عن هذين الظهورين الكريمين بعبارة "نزول إيليّا" أي إلياس و "ظهور الله". وعبّر الإنجيل الجليل عن هذا اليوم العظيم بعبارة "يوم الربّ" و"يوم الملكوت" وعبّر عن الظهورين بعبارة "رجعة يحيي" و "النزول الثاني لحضرة روح الله من السماء".

وعبّر القرآن المجيد عن هذا اليوم العظيم بعبارة "يوم الله" و "يوم الجزاء" و "يوم الحسرة" و "يوم التلاق" و "القيامة" و "السّاعة" وأمثالها. وعبّرت الأحاديث النبويّة المبيّنة للقرآن عن الظهور الأوّل بظهور "المهدي" وعبّرت عن الظهور الثاني بقيام "روح الله" وعبّرت أحاديث أئمّة الهدى عن الظهور الأوّل بظهور "القائم" وعن الظهور الثاني بظهور"الحسين".

ومقصودهم جميعاً كما سنشرحه ونبرهنه يومان عظيمان وظهوران كريمان كما قيل ["**عباراتنا شتّى وحُسنك واحد**"]. ومع أنّنا نستطيع أنْ نفهم من الشواهد الكثيرة أنّ رجال الله في طول هذا الليل الحالك مجهول الإبتداء قد بشّروا طلاب الهدى وطمأنوهم وبرهنوا لهم بلوغ العالم رتبة الكمال المبين إلاّ أنّ العقل المنير يشهد كذلك بصدق هذه الوعود وبلزوم تحقّق ظهور الموعود لأنّ العالم إنْ لم يصل إلى رتبة البلوغ فإنّ كتاب تكوين الوجود يبقى ناقصاً وتصبح شجرة الخلق عديمة الثمر.

2. في بيان تحقق الوعود بظهور النقطة الأولى والجمال الأقدس الأبهي :

هذا وإنّ إتّفاق الملل على الحشر الأعظم وعلى زوال الاختلافات الدّينيّة من عالم الوجود شاهدٌ أمين على هذه المسألة وبرهان متين عليها وأوّل شخص زيّن صفحات الألواح بهذه البشارات وأكّد ورود "يوم الله" كان السيّد العظيم موسى الكليم وبعده أنبياء بني إسرائيل الّذين بشّروا قومهم خلال ألف وخمسمائة سنة بالبشارات المذكورة وقوّوا قلوبهم بحتميّة زوال الظلمة من العالم إلى أنْ لَمَعَ بَرْقُ روح القدس من الأراضي المقدّسة وطلعت شمس جمال عيسى من أفق بيت المقدس وارتفع نداء "تُوبُوا فَقَدْ إقْتَرَبَ مَلَكُوتُ الله" الّذي زيّن العالم وطمأن قلوب الموحّدين بقرب انقضاء هذه الليلة

[9] ابراهيم: 48
[10] الزمر: 69
[11] الانفطار: 19

الدّهماء وبطلوع شمس الهدى. ودارت أرض المعارف حول هذا المحور مدّة ستّمائة واثنين وعشرين عاماً إلى أن ظهر نور الصّبح من جهة يثرب وقام خاتم الأنبياء الّذي هو أوّل أشراط يوم الجزاء: سيّد الأصفياء عليه وآله أفضل التحيّة والثناء وأحاط نداءُ "أَتَى أَمْرُ الله فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ"[12] بجميع الآفاق وأحاطت العالم صيحة "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونْ"[13] وطمأن الحديث الشريف "أَنَا عَلَى نَسَمِ السَّاعَةِ"[14] قلوبَ طلاب الهدى بقرب ورود السّاعة وانقضاء دور أرباب الظلم والجور والشرور وامتلأت الكتب والألواح ببشارات وعلامات " يوم الله" وإستقرّت القلوب على هذا الأمل المنشود مدّة ألف ومائتين وستّين عاماً إلى أنْ طلع ذلكم النّجم الدّري الإلهي من أفق فارس واشتعلت شعلة نار الحقيقة النورانيّة من شيراز وظهرت تباشير الصبح الصادق وارتفعت من جميع البلاد صيحة ظهور القائم الموعود وأحاط الآفاق نداءٌ محيي للأرواح بأنْ ["**بُشْرى بُشْرى صُبْحُ الهُدى تَنَفَّسْ**"[15]] وفي مدّة دعوته الّتي دامت سبع سنين وهي مدّة تطابق أصحّ الأحاديث وأكثرها قام بالرّغم من ابتلائه بالنّفي والحبس وتحمّلَ الأهوالَ الشديدة والمصائبَ الكثيرة بنشر ألواح مقدّسة بشّر بها العالم وطمأنه بقرب ظهور الموعود باسم "مَنْ يُظْهِرُهُ الله" وخصوصاً في الباب الثالث من الواحد السادس من كتاب البيان الشريف حيث نصّ وصرّح بظهور "مَنْ يُظْهِرُهُ الله" في مدّة "واحدٍ واحدٍ" بمعنى تسعة عشر عاماً وبعد انقطاع السّنوات السّبع من أيّام قيامه نال رتبة الشهادة في مدينة تبريز وفقاً للحديث المشهور "لا بُدَّ لَنَا مِنْ آذَرْبِيجَانْ" وصعد إلى الرّفيق الأعلى.

وأخيراً بعد شهادة حضرته حلّ الميعاد واقترب "يومُ الله" و "يومُ الملكوت" وطلعت شمس الحقيقة وأشرق النيّر الأعظم وقام بأمر الله الجمال الأقدس الأبهي جلّ اسمه الأعلى وتحقّقت بقيامه المقدّس وعودُ جميع الأنبياء والمرسلين وبشارات الأولياء والمقرّبين وبعد أن حلّت به مصائبُ عديدة وحدثت له حوادث خطيرة موكول تفصيلها إلى الكتب التاريخيّة لا إلى الرسائل الاستدلاليّة انتهى نفي ذلكم الوجود الأقدس بحكم أولياء الأمور في الدولتين العليّتين العثمانيّة والإيرانيّة إلى مدينة عكّاء المنوّرة فكملت بهذا النّفي بشارات الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام الخاصّة بالأراضي المقدّسة وتمّت النّبوّات وتحقّقت جميع الأحاديث والأخبار وعاش في هذه المدينة المنوّرة أربعة وعشرين عاماً ومع إحاطته بعواصف المصائب وهيجان زوابع الشدائد أبلغ النّداء الإلهي عن طريق ألواحه المقدّسة إلى

---

[12] النحل: 1

[13] الأنبياء: 1

[14] المنجد صفحة 876: النسم 1. نفَس الريح إذا كان ضعيفاً أو أول الريح حين تُقبل بلين قبل ان تشتد. جمعها أنسام. نسم الساعة أول الساعة حين تُقبل قبل ان تشتد ومحمد جزء منها لان حضرة الأعلى من أولاده ولهذا هو" خاتم الأنبياء وأول أشراط يوم الجزاء" كما يقول أبو الفضائل.

[15] الصبح تبلّج. تنفّس النهار= انتصف

ملوك الأرض ورؤساء الملل وبلغت صيحة ["**قَدْ ظَهَرَ الموْعود وَتَمَّ الوَعْدُ**"] مسامعَ الصغير والكبير والجليل والحقير وجرى زلال الحقائق من قلمه المبارك وانسابت أنهار المعارف من بيانه المقدّس وإمتدّت المائدة السماويّة الّتي تجلس حولها جميع الملل وشرّع الشريعة المقدّسة الّتي لا يمكن بدونها تصوّر إصلاح العالم وتمدّن الأمم ونزل من قلمه الأعلى الكتاب الأقدس الّذي هو الدرياق الأكبر لدفع أمراض العالم والمغناطيس الأعظم لجذب قلوب الأمم وظهور السبيل المقدّس الّذي وعد به النّبيون. وشُرِّعت في هذه الشريعة المقدّسة جميع لوازم الدّيانة وآدابها من عبادات ومعاملات من طهارة ونظافة وصوم وصلاة وآداب زواج وحقوق متبادلة بين الأزواج والزوجات والمواريث وغيرها بأتقن وضعٍ وأحسن وجهٍ وأمَرَ الكلّ بإطاعة الدّولة وإتّباع القوانين في كلّ مملكة وبالانقياد للأنظمة الدّولية وعدم المداخلة في الأمور السّياسية وأمَرَ الجميع باحترام الملوك والأمراء وحفْظِ مقام أرباب الفضل والعلماء ونهاهم نهياً أكيداً عن الحرب والقتال والمبارزة والنزال وحتى عن حمل السلاح بدون إذن الحكومة، وأوصى الكلّ باكتمال محامد الصّفات ومكارم الأخلاق من قبيل الصّدق والصّفاء والمحبّة والوفاء والعفّة والعصمة والأمانة والتقوى ونهاهم عن قبائح الأفعال ومخازي الخصال كالكذب والافتراء والغيبة والنميمة والسرقة والخيانة والزنا، وأمَرَ أهل البهاء بمحبّة أهل العالم ومودّة جميع الأمم على حدّ سواء وأبطل ومحا كلّ موجبات التباعد والتنافر والمجانبة، فمثلاً قد أمَرَ أنْ لا يُزعج إنسان أنساناً بقولٍ خشنٍ وأنْ لا تجري على لسانه كلمة طعنٍ أو لعنٍ أو ما يتكدّر به الإنسان وأنْ لا يجعل الاختلافات الدّينيّة والمذهبيّة سبباً للمنافرة والمجانبة وأن يرى الكلّ أوراق شجرة الإنسانيّة وأنْ يعتبر الجميع أزهارَ غصن البشريّة وأنْ يتّخذ جميع الملل إخواناً له وأن لا يفتخر على إنسان وأنْ يقوم على خدمة العالم وأنْ يعتبر إزالة الضغائن الدّينيّة والمذهبيّة الّتي هي ولا شكّ مؤدّية إلى خراب العالم وهلاك الأمم وشقائها من أهمّ واجباته وأكّد على توسيع دائرة المعارف والعلوم وإتقان المهن والفنون تأكيداً لا شبيه له في الشرائع الماضية، فمثلاً قد فرض على كلّ امرئٍ تربية أبنائه من الذكور والإناث بالعلم والخط والآداب الرفيعة حتى لا يبقى إنسان عامّي غير مهذّب وتحيط العالم أنوار العلم والتمدّن وأشعّة الكمال والتقدّم وتتحقّق بشارة الآية المباركة "لِكُلِّ امْرِئٍ يَوْمَئِذٍ شَأنٌ يُغْنِيهِ"[16] وإذا أهمل إنسان تربية أبنائه أو تهاون في ذلك فعلى الحكومة أن تربّي أبنائه بالآداب المذكورة وأن تأخذ مصروف ذلك من والدهم وإذا كان فقيراً وجب على الحكومة إحتسابَ هذه المصروفات من حقوق الله. ومجمل القول أنّه أوضح جميع لوازم السعادة وموجبات تقدّم النوع البشري وردّ الأحكام والعبادات والمسائل المنصوصة إلى الكتاب الأقدس كما ردّ المسائل غير

[16] عبس: 37

المنصوصة والسياسيّيّة إلى بيوت العدل. وفي آخر حياته المباركة رَقَمَ بخطه كتاب عهده ونصّ وخصّص وأكّد وأثبت مركز عهده وميثاقه وسَطرَ مرّة ثانية في هذا الكتاب الجليل جميع لوازم نجاح الأمم وفلاحها. وفي اليوم الثاني من شهر ذي القعدة سنة (1309) هجرية الموافق للثامن والعشرين من مايس سنة (1892) ميلاديّة إنطوى سجلّ اللقاء وصعد إلى الأفق الأعلى والمقصد الاسمى.

وقد إتّضح مما كتبناه إلى أنّ معتقد أهل البهاء هو إنّ ظهور حضرة الباب الأعظم النقطة الأولى وظهور الجمال الأقدس الأبهي جلّ ذكرهما وعزّ إسمهما ظهوران بشّرت بهما جميع الأنبياء عليهم ألاف التحيّة والثناء، وأثبتوا وقائعهما وعلاماتهما بكمال الوضوح والصّراحة في الكتب السّماوية، وحيث أن إصلاح العالم ووفاق الأمم منوط بهذين الظهورين الأعظمين فقد أخذ الله على الأمم عهد ذلك من حيث الزّمان والمكان بصورة مؤرّخة ومعيّنة في جميع الكتب الإلهيّة ووفقاً لمصطلحات الإسلام الّذين نوجّه الخطاب إليهم سُمّي الظهور الأوّل بظهور القائم الموعود وسُمّي الظهور الثاني بالظهور الحسيني لدى الشيعة وباسم "المهدي" و "روح الله" لدى أهل السنّة والجماعة.

فلمّا إتّضح وجهُ الدّعوى وتبيّن مَدْعى أهل البهاء فإنّنا نعطف زمام القلم نحو ذِكْر الأدلّة والبراهين على ذلك ونسأل الحقّ جلّ جلاله التأييد إنّه خير موفّق ومعين، ونعرض على سبيل المقدّمة وقبل كلّ شيئ أنّه ولو أنّ أدلّة الظهور في أوان ظهور المظاهر الإلهيّة وطلوع شموس الحقيقة كثيرة جدّاً وأنّ الشواهد على الطلوع لا تحصى بل إنّ الذرات بإعتقاد أهل الفؤاد تدلّ على ظهورهم والأحجار والحصى تشهد بحقيقتهم لكن حيث أنّ الكثيرين بسبب تمسّكهم بالأوهام الواهية ورسوخهم في العقائد الباطلة عاجزون عن مشاهدة أدلّة حقيقة أنبياء الله وقاصرون عن إدراك عظمة أمْر الله كما يدلّ على هذا بقاء أهالي الأديان القديمة على معتقداتهم الفاسدة وإصرارهم على تكذيب الأنبياء والمرسلين بعد مرور ألفين أو ثلاثة آلاف سنة لهذا فإنّنّا نقتصر في إثبات هذا الأمر الأعظم على الاستدلال بالبراهين الأربعة الّتي هي أقوى وأظهر البراهين وهي: آيات الكتاب والبشارات السابقة ودليل التقرير والمعجزات، ونبيّن كيفيّة الاستدلال بها في غضون أربعة فصول.

3. في بيان كيفيّة الاستدلال والاحتجاج بآيات القرآن الكريم:

إعلم أيها الشهم الفاضل أيّيّدكم الله وإيّانا باتّباع الحقّ ومجانبة الباطل أنّ أعظم الأدلّة وأقوى البراهين الّتي بقيت من لدنّ الأنبياء والّتي بها تحدّوا كلّ المعاندين وإحتجّوا على كلّ المكابرين هو الكلام

الرّبّاني والوحي السماوي، وفي القرآن المجيد دعا الله هذا الدّليل دليلاً كافياً وحجّةً بالغةً وآياتاً إلهيّةً وبيّنةَ الصّحفِ السّماويةِ وخصَّصَ به نفوذَ كلمةِ الله وأوْكَلَ غلبةَ أمرِ الله بهذه الحجّة وحدها ووَعَدَ المكابرين والمكذّبين بها بعذاب أليم وسخط عظيم "يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكافِرِينْ"[17]. وهذا الدليل هو عبارة عن المعاني والحقائق الّتي نزلت بواسطة الروح الأمين على قلبه المقدّس وتجلّيت على هيئة كلمات وظهرت في قوالب ألفاظ على لسانه المبارك ونتيجة لظهورها وصدورها ونزولها وانتشارها اكتسب العالم الهرم قوّة الشباب وحلّ الرّبيعُ الروحاني وتجدّدت الشرائع والطقوس والسّنن والآداب وتجلّت حقيقة الأمطار السماويّة الّتي تَنْزل من غمام الهياكل الطيّبة وتهب الحقائق الإنسانيّة، الّتي هي أشجار إلهيّة، نُضرةً ورونقاً وبهاءً وتشرق على العالم بطلوع النيّر الأعظم أشعةُ شمس الظهور بحكم "اللهُ نُورُ السَّمَواتِ والأَرْضِ" فتزيل ظلمة الأوهام والخرافات من قلوب النفوس المستعدّة.

وموجز القول إنّ الكلام الإلهي هو أعظم حجّة استدلّ بها الحقّ على حقّية رسالة خاتم الأنبياء وصرّح بكفاءتها دون سائر المعجزات ويشهد العقل المنير على عظمة هذه الحجّة من عدّة وجوه ويرجّح دلالتها فوق دلالة سائر المعجزات. (فالوجه الأوّل) هو إنّ الكتاب أثر باقٍ دائم بينما سائر المعجزات آثار زائلة غير باقية لأنّ الحاضرين الموجودين في زمان الظهور والغائبين وغير الموجودين يستطيعون في كلّ قرن وزمان أنْ يتناولوا الكتاب الإلهي بأيديهم ويتوصّلوا عن طريق الأثر إلى المؤثّر وينتفعوا به لكنّ إحياء الميّت والصّعود إلى السماء وإنطاقُ الحجر والشجر وأمثالها أمورٌ لا تبقى ولا تتوصّل إليها كلّ يد وليس من الممكن وصولها إلى بلاد نائية وأقطار شاسعة ولهذا سُمّي القرآن بالحجّة البالغة والمعجزة الباقية وأعتُبِر أعظمَ الآيات وأكبرَ المعجزات، (والوجه الثاني) هو إنّ العلم والكتاب أشرف جميع الأشياء الّتي يمكن أن تكون حجّة لأشرف المخلوقات وبرهاناً لسيّد الموجودات وهو الإنسان ولو رجع المنصف إلى عقله لَشهد أنّه لا شيء من أشياء العالم يملك شرافة العلم والكتاب ولا شيء يساويه في العلوّ وليس في العالم شيء مثمر ومفيد مثل العلم والكتاب، (والوجه الثالث) هو أنّه يمكن أن تُدوّن في الكتاب شرائع وآداب ومواعظ وإنذارات تؤدّي إلى حصول الترقيات الرّوحانية والمدنيّة ويمكن بها تأديب أهل العالم وتمدينهم ولكن أيّة فائدة تحصل من إحياء الميّت ومحادثة العنب ونمو النّخل على ظهور الجمال؟ وأية ثمرة تترتّب على ذلك لأهل العالم؟ (والوجه الرابع) هو أنّ آيات الكتاب تؤدّي إلى الحياة والهداية والتذكرة والرّحمة بخلاف الآيات المقترَحة أي المعجزات الّتي يطلبها القوم من نبيّهم ويوقّفون إيمانهم على ظهور تلك المعجزات كما

[17] الأنفال: 7

سنثبته بالآيات تفصيلاً إنْ شاء الله في فصل المعجزات حيث يصرّح تعالى إنّ آيات الكتاب تؤدّي إلى الاطمئنان والهداية بينما تؤدّي الآيات المقترحة إلى زيادة الشكوك والغضب الإلهي والهلاك.

ومجمل القول إنّ فيما عرضناه كفاية لكلّ منصف في إثبات أنّ الآيات أشرف وأعظم دليل. ولنتأمّل الآن قليلاً في القرآن الكريم الّذي هو الدليل المتين والسراج المنير والفارق بين الحقّ والباطل ولننظر كيف يستدّل به الرّسول الأكرم وخاتم النبيّين عليه آلاف التحيّة والثناء في إثبات رسالته، وأيّة حجّة عُظمى يستند إليها؟ وعندما يمعن الإنسان البصير نظره في جميع الآيات القرآنيّة من البداية إلى النهاية يشاهد أنّ الله جلّ جلاله لم يستدّل في إثبات حقيّة رسوله الأكرم بغير القرآن المجيد ولم يتّخذ حجّة وبرهاناً أبداً غير آيات الكتاب وصرّح بوضوح أنّ الأنس والجنّ عاجزون عن إتيان سورة من مثله وجميع أهل الأرض قاصرون دون الإتيان بشبهه، فالباطل لا يستطيع الوقوف تجاهه والقدرة الإلهيّة لا تمهل كلّ مختلق ومفتر على الله يختلق شَـِشَبَبَه آيات الله، فمن ذلك ما ورد في سورة العنكبوت قوله تعالى: " وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إنّما الآيات عِنْدَ اللهِ وإنَّمَا أنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ. أوَلَمْ يَكْفِهِمْ إنَّا أنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلى إنَّ في ذَلِكَ لَرَحْمَةًَ وَذِكْرى لِقَوْمٍ يؤْمِنُونْ"[18].

ويُستفاد من هذه الآيات فائدتان: (أوّلهما) إنّ حضرة الرّسول لم يستدلّ بالمعجزات أي لم يأتِ بمعجزة بحيث أنّ الكفّار صرخوا قائلين إنْ كان محمّد نبيّاً فلماذا لا يؤْتِهِ الله معجزة؟ و(ثانيهما) إنّ الكتاب دليل كافٍ وبرهان وافٍ وفيه قد سُترت هداية العباد الّتي هي المقصود الوحيد من إرسال الرّسل وبه أُنيط تذكّر الأمم وانتباهها وهذه الآية المباركة وحدها تكفي العالم لو يكون للإنسان قلب مدرك وصدر منشرح ولكن ما العمل والناس يكتفون بتلاوة القرآن دون فهمه ويتمسّكون بأوهامهم الباطلة مثل الأمم الماضية.

وكذلك قال تعالى في سورة طه "وَقَالُوا لَوْلا يَأتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أوَلَمْ تَأتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا في الصُّحُفِ الأولى"[19]. ومضمون هذه الآية الكريمة هي أن كفّار مكّة قالوا لماذا لا يأتهم الرّسول بمعجزة من ربّه؟ فنزل في جواب سؤالهم ألم نُنزل لهم بيان الصّحف الأولى أي القرآن الّذي هو بيان التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماويّة؟ ويستفاد من الآية المباركة أنّ حضرة الرسول بالرغم من إستدلاله على حقيّته بالقرآن الكريم فإنّه لم يجب ما سأله القوم من إظهار إحدى المعجزات.

[18] العنكبوت: 50

[19] طه: 133

وكذلك قال تعالى في سورة البقرة: "وَإنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلى عَبْدِنا فأتوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَدَائكُمْ مِنْ دُونِ الله إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينْ فَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الّتي وُقُودَهَا النَّاسُ والحِجَارَةِ أُعِدَّتْ لِلْكافِرين".

وكذلك قال تعالى في سورة يونس: "وَمَا كَانَ هَذا القُرْآنُ أنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الّذي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِين أمْ تَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأتوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ الله إنْ كُنْتُمْ صَادِقِين"[20].

وأمثال هذه الآيات الكريمة كثير وقد اقتصر المؤلّف على هذا القليل رعاية للاختصار وكلّها يصرّح بأنّ المنكرين إنْ كانوا في شكٍّ من الكلام الإلهي في القرآن وظنّوا في أنفسهم أنّ الرّسول تكلّم به من نفسه ونسبه إلى الله بهتاناً فليتّفقوا جميعاً وليستعينوا بعلمائهم وفصحائهم وعظمائهم وليأتوا بسورة مثله والواقع أنّهم لن يأتوا بمثله ولن يستطيعوا ذلك بل إنّه تعالى قال في سورة بني إسرائيل "قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الأنْسُ والجِنُّ عَلَى أنْ يَأتُوا بِمِثْلِ هَذا القُرْآنِ لا يَأتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً"[21].

فيُفهم من هذا كلّه أنّ الله جلّ جلاله اتّخذ آيات الكتاب أعظمَ حجّةٍ وبرهان ولم يأتِ أحد في الدنيا مثلها بالباطل بل جاء في الصحف الإلهيّة إنّ إنساناً لو قال من نفسه كلاماً ونسبه إلى الله إفتراءً فإنّ الله جلّ جلاله يأخذه بيمين قدرته ويهلكه ولا يمهله ويبيده هو وكلامه فقال تعالى في سورة الحاقّة "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقَاوِيلِ لأخَذْنَا مِنْهُ باليَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينْ وإنَّهُ لَتَذْكَرَةٌ لِلْمُتَّقِينْ"[22]. وهذه الآية صريحة بأنّ الله لا يمهل إنساناً ينسب كلاماً له كذباً أو يسمّي كتاباً يصنفه بنفسه ويطلق عليه اسم الوحي والآيات الإلهيّة [تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.]

فلمّا تمّ الإطّلاع على عظمة آيات الكتاب وعلوّ مقام كلام ربّ الأرباب وأذعنت القلوب المنيرة إلى عظمة هذا البرهان القويم والدليل المتين والحجّة الباقية والوسيلة الوحيدة أعرضُ أنّ من الواضح لدى الصغير والكبير والأمير والحقير إنّ حضرة الأعلى في مدّة سبع سنين وإنّ الجمال الأقدس الأبهى في

---

[20] يونس: 37

[21] الإسراء: 88

[22] الحاقة: 44-48. الوتين بناط القلب وهو عرق متصل به إذا انقطع مات صاحبه.

مدّة تقارب الأربعين سنة قد تمسّكا بهذا البرهان نفسه وقاما بإعلان أمر الله وفقاً لهذا الدليل نفسه وبصورة خاصّية صرّح حضرة بهاء الله من يوم خروجه من دار السلام بغداد حتى يوم صعوده في ألواحه الكثيرة الّتي أحصاها المؤرّخون بأكثر من ألف لوح أنّ هذه الكلمات الواردة فيها كلمات إلهيّة وأنّ هذه الصحف آيات سماويّة وإنّه لا يقولها من نفسه ولا يتكلّم بغير ما أذن الله له. فمن الألواح لوح السلطان المغفور له والمدرج في سورة الهيكل نزل قوله: "كُنْتُ نائِماً عَلى مَضْجَعي مَرَّتْ عَلَيَّ نَفَحاتُ رَبِّيَ الرَّحْمنِ وَأيْقَظَتْني مِنَ النَّومِ وَأمَرَني بِالنِّداءِ بَيْنَ الأرْضِ والسَّماء لَيْسَ هَذا مِنْ عِنْدي بَلْ مِنْ عِنْدِهِ وَيَشْهَدُ بِذلِكَ سُكّانُ جَبَروتِهِ وَمَلَكوتِهِ وَأهْلُ مَدائِنِ عِزِّهِ، فَوَنَفْسِهِ الحَقُّ لا أجْزَعُ مِنَ البَلايا في سَبيلِهِ وَلا عَنِ الرَّزايا في حُبِّهِ وَرِضائِهِ وَقَدْ جَعَلَ الله البَلاءَ غادِيَةً لِهَذِهِ الدَّسْكَرَةِ الخَضْراءِ وَذِبالَةً لِمِصْباحِهِ الّذي بِهِ أشْرَقَتِ الأرْضُ وَالسَّماء".

ومنها ديباجة لوح إمبراطور ممالك روسيا الأعظم الّتي تزينت بهذه الآية المباركة: "يا مَلِكَ الرّوسْ إسْمَعْ نِداءَ اللهِ المِلِكِ القُدّوس ثُمَّ أقْبِلْ إلى الفِرْدَوْسِ المَقَرِّ الّذي فيهِ اسْتَقَرَّ مَنْ سُمِّيَ بِالاسماءِ الحُسْنَى بَيْنَ مَلأ الأعْلى وَفي مَلَكوتِ الإنْشاءِ باسم الله البَهِيِّ الأبهي . إيَّاكَ أنْ يَحْجِبُكَ هَوَاكَ عَنْ التَّوَجُّهِ إلى وَجْهِ رَبِّكَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ ".

وهكذا صرّح في أكثر الألواح المقدّسة الّتي هي أشبه بدرر منيرة لمعت واشتهرت في كلّ الأقطار وأشبه بزهور معطّرة انتشرت وتناثرت في كافة البلاد بأنّها ألواح إلهيّة نسبها إلى الله وسلب نسبتها لنفسه وقد سمعت الملل كلمته المباركة: "تالله إنَّ البَهَاءَ ما يَنْطُقُ عَنِ الهَوَى" ووصل إلى كلّ قطر من أقطار الدنيا هذا النداء الأحلى: "هَذا يَوْمٌ بَشَّرَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسولَ الله وَمِنْ قَبْلِهِ الرّوحُ وَمِنْ قَبْلِهِ الكَليمُ" حتى أن جناب الشيخ نفسه أيضاً مع عدم إطّلاعه الكافي بألواح هذا الظهور الأعظم وآثاره قد كتب في رسالته أن البابيّة تعتبر كتاب الإيقان مثل القرآن أي تذعن إلى كونه وحياً سماويّاً، ففي هذه الحال الّتي يعرف الإنسان فيها أن الله جلّت قدرته وجلّت عظمته قاهر وقادر ومحيط بالأشياء وحاضر ويعرف الآيات الإلهيّة الّتي وردت في القرآن المجيد بخصوص إزهاق الباطل وإعدام المفتري على الله ويعرف ذلك وعداً من الله وكلام الله فإنّه لا مفرّ له إلاّ بأن يعترف بحقّية هذه الآيات ويطأطئ الرأس تجاه عظمتها ولا يعارض حجّة الله ولا يغالب قضاءه ولا يحسد نعمته ولا يعرّض نفسه لغضب الله وسخطه مثل الأمم الطاغية [وكذلك كانت حجّة الله على خلقه في جميع الأزمنة والقرون] "فَبِأيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ الله وَآيَاتِهِ يُؤمِنُونْ"[23].

[23] الجاثية: 6

ولو نظر إنسان إلى آثار الأنبياء السابقين ثم أمعن النظر في آثار هذين الظهورين العظيمين وقارن بينهما بصورة دقيقة لشهد بعظمة آثار هذا الظهور ولرأى آيات السّابقين إذا ما قُورنت بآيات هذين الظهورين تبدو كالقطرة تجاه البحر.

فمثلاً القرآن الكريم الّذي هو في الواقع إذا ما قورن بسائر آثار الأنبياء يبدو متلئلاً ومشرقاً كالشمس بين النّجوم فمع أنّ الرّسول الأكرم وخاتم النبيّين قد بُعث بالرسالة في الأربعين من عمره وفي أعرق القبائل في الفصاحة والعروبة ومع ذلك فإنّ القرآن الكريم نزل منجماً على حضرته في أجزاء متفرّقة في حين أن حضرة الباب النقطة الأولى عزّ اسمه الأعلى مع أنّه شاب فارسيّيّ اللسان لم يتعلّم أبداً في المدارس كما نسب إليه ألدّ أعدائه الجهل بكتبهم التاريخيّة ونفوا عن ذلك الوجود الأقدس معرفة تصريف (قالَلَ يقولُلُ) الّتي يعرفها أطفال المدارس قد قام بأمر الله في السّن الخامسة والعشرين وخلال السنين السبع الّتي قضاها كلّها في النفي والحبس قد ترك للعالم أضعاف القرآن من تفاسير الآيات الكريمة وحلّ غوامض العقائد الدينيّة وجواب الأسئلة العلميّة وغيرها من خُطَبٍ ومناجاة وشؤون علميّة وآيات وآثار مباركة ونشرها في جميع الأقطار بالرغم من منع المعارضين الشديد والمقاومة القويّة للمعاندين حتى أنّ ذلك الوجود المبارك كتب الكثير من تلك الألواح في محضر الأمراء والعلماء بناءً على طلبهم وبدون تأمّل أو تفكّر أو توقّف في جريان قلمه الأعلى في الجواب على أسئلتهم العلميّة فأدهش العالم بإظهار هذه الآية الكبرى وأفحمه.

وكذلكم الجمال الأقدس الأبهى جلّ اسمه الأعلى مع أن وجوده المبارك كان محاطاً في كلّ الأحيان بأمواج البلايا الشديدة ومبتلياً بمصائب كبيرة من النفي والسجن الّذي لا يفهم معنى صعوبتها أولئك المتنعّمون والجالسون على وسادة العزّة والمناصب الرفيعة فإنّه نوّر العالم بآثار قلمه الأعلى شرقاً وغرباً وأظهر مصداق وعده تعالى: "سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُون"[24]، فنجد من آثاره المباركة المدوَّنة ما يعادل جميع الكتب السماويّة لكافّة الملل وقد انتشرت مجلّدات كبيرة من آياته الكريمة إلى جميع الأقطار والبلاد [**فلينصف المنصفون ولينتبه الراقدون ولينتبه الغافلون وليعلموا أنّهم سوف يُسألون عما هم يقترفون**].

[24] الأنبياء: **37**

4. في بيان كيفيّة الاستدلال والاحتجاج بالأحاديث والبشارات:

[إعلم أيها الحبر النبيل والسيّد الكبير وفقك الله لحسن النظر في هذا الأمر الخطير] أن الأحاديث كثيرة والأخبار متظافرة في البشارة بظهور "المهدي" الموعود ونزول "روح الله" في كتب الحديث لدى أهل السنّة وأهل الشيعة قد دُوّنت فيها علامات قبل الظهور ووقائع بعد الظهور بصورة مفصّلة لكنّ كثرة اختلافات الأحاديث وتناقض الرواة بلغ إلى حدّدّ يصعب فيه التوفيق بينها كما صرّح به حضرة الشيخ الأمجد الأكبر الشيخ أحمد الإحسائي في كتابه (شرح الزيارة) وكما صرّح العلامة المجلسي في مجلّد الغيبة من كتابه (بحار الأنوار) ولهذا السبب جمعا في كتبهما الأحاديث المذكورة على اختلافها وتناقضها. وهذا العبد حينما كنت في سمرقند ألّفتُ كتاب (فصل الخطاب) إجابة لسؤال أحد أفاضل آذربيجان وشرحت بصورة مفصّلة في فصل الاستدلال بالأحاديث والأخبار وطرق جمعها وتطبيقها وقلت إنّ الأحاديث الصحيحة يمكن تمييزها وتشخيصها عند مطابقتها للآيات القرآنيّة ولهذا فإنني سوف أكتفي في هذا الموجز بإيراد بعض الأحاديث الصحيحة المتّفق عليها بين أهل السنّة وأهل التشيّع والمنطبقة على القرآن المجيد وإذا أراد إنسان تفصيلاً أكثر فليرجع إلى ذلك الكتاب.

5. في بيان الأحاديث والآيات الواردة في تعيين زمان ظهور الموعود:

فمن الأحاديث الدالّة على ميعاد الظهور الحديث المشهور لأبي لبيد المخزومي الّذي ذكره المرحوم فيض في تفسير الصافي في تفسير بداية سورة البقرة وكذلك ذكره المجلسي عليه الرحمة في مجلّد الغيبة من كتاب (بحار الأنوار) وهو:

ومن الحديث ما رواه العيّاشي عن أبي لبيد المخزومي قال قال أبو جعفر عليه السلام "يَا أَبَا لَبِيدْ إنَّهُ يَمْلِكُ مِنْ وَلَدِ العَبَّاسِ إثْنَيْ عَشَرَ يُقْتَلُ بَعْدَ الثَّامِنِ مِنْهُمْ أرْبَعَةٌ تُصِيبُ أحَدُهُمْ الذَّبْحَةُ فَتَذْبَحُهُ هُمْ فِئَةٌ قَصِيرَةٌ أعْمَارَهُمْ خَبِيثَةٌ سُرَّتُهُمْ مِنْهُمْ الفُوَيْسِقُ المَلَقَّبِ بِالْهَادِي وَالنَّاطِقِ والغَاوِي. يَا أبَا لَبِيدْ إنَّ لِي فِي حُرُوفِ القُرْآنِ الْمُقَطَّعَةِ لَعِلْماً جَمّاً: إنَّ الله تعالى أنْزَلَ (ألم ذَلِكَ الكِتَابُ)[25] فَقَامَ مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ حَتَّى ظَهَرَ نُورُهُ وَثَبَتَتْ كَلِمَتُهُ وَوُلِدَ يَوْمَ وُلِدَ وَقَدْ مَضَى مِنَ الألْفِ السَّابِعِ مِئَةُ سَنَةٍ وَثَلاث سِنِينَ" ثم قال "وَتِبْيَانُهُ فِي كِتَابِ الله فِي الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ إذَا عَدَدْتَهَا مِنْ غَيْرِ تِكْرَارٍ وَلَيْسَ مِنْ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ حَرْفٌ تَنْقَضِي أيَّامُهُ إلَّا وَقَائِمٌ مِنْ بَنِي هَاشِمَ عِنْدَ إنْقِضَائِهِ" ثمّ قال "الألِفْ وَاحِدٌ واللامُ ثَلاثُونَ وَالْمِيمُ أرْبَعُونَ وَالصَّادُ تِسْعُونَ فَذَلِكَ مَائَةٌ وَوَاحِدٌ وَسِتُّونَ ثُمَّ كَانَ بِدْءُ خُرُوجِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامْ (ألم الله لا إله)[26] فَلَمَّا بَلَغَتْ مُدَّتُهُ قَامَ قَائِمُ وَلَدِ العَبَّاسِ عِنْدَ ال (مص) وَيَقُومُ قَائِمُنَا عِنْدَ إنْقِضَائِهَا ب (ألمر) فَافْهَمْ ذَلِكَ وَعُدَّ وَاكْتِمْهُ".

ووفقاً لهذا الحديث الشريف عندما انقضت إحدى وسبعون سنة على قيام حضرة الرسول خاتم الأنبياء بأمر الله قام سيّد الشهداء عليه التحيّة والبهاء وفاز برتبة الشهادة ولما انقضت مائة واثنتان وأربعون سنة على قيام سيّد الرسل قام قائم آل العباس عبد الله السفّاح بأمر الخلافة الهاشميّة وبقيامه زالت الخلافة الأمويّة وانقرضت وعندما تحسب الحروف المقطّعة في أوائل السور من (ألم، ذَلِكَ الكِتَابُ) إلى (ألمر)[27] وفقاً لأمر أبي جعفر عليهما السلام يكون مجموعها ألفاً ومائتين وسبعاً وسبعين، وهذا العدد يطابق يوم طلوع النيّر الأعظم من أفق فارس ولا يخفي أن التواريخ المذكورة في هذا الحديث تبدأ من يوم قيام رسول الله بإعلان دعوته وكما جاء في جميع كتب السيرة النبويّة أنّ ذلك الإعلان كان في السابعة قبل الهجرة بدعوة قريش علانيّة وكان عليه السلام قبل قيامه بالإعلان

---

[25] البقرة: 1

[26] آل عمران: 1

[27] الرعد: 1

يخفي أمر بعثته وبأخذ هذه الزيادة بنظر الاعتبار يكون العدد مطابقاً لسنة 1260 هجريّة الّتي هي سنة ظهور النقطة الأولى عزّ اسمه الأعلى.

وهذا هو بالذات المقصود كذلك في حديث المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام أنّه قال في ميعاد ظهور "المهدي" الموعود: "وَفِي سَنَةِ السِسِتّينِ يَظْهَرُ أَمْرُهُ وَيَعْلُو ذِكْرُهُ".

وجاء في كتاب (اليواقيت والجواهر) الّذي ألفه السيّد عبد الوهاب الشعراني من أئمّة علماء أهل السنّة والجماعة في المبحث الخامس والستّين من هذا الكتاب:
"المبحث الخامس والستّون في بيان أنّ جميع أشراط الساعة حقّ لا بدّ أن تقع كلّها قبل قيام الساعة وذلك بخروج الدجّال ثم نزول عيسى وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن وفتح سدّ يأجوج ومأجوج[28] حتى لو لم يبق من الدنيا إلاّ مقدار يوم واحد لوقع ذلك كلّه. قال الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور في عقيدته: "وكلّ هذه الآيات تقع في المائة الأخيرة من اليوم الّذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم امّته بقوله: "إنْ صَلُحَتْ أمَّتِي فَلَهَا يَوْمٌ وَإنْ فَسُدَتْ فَلَهَا نِصْفَ يَوْمٌ" يعني من أيّام الربّ المشار إليها بقوله تعالى "وَإنَّ يَوْمٌ عِنْدَ رَبُّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّون"[29].

وهذا الحديث النبوي يعني إن تكن أمّتي صالحة فإنّها تملك يوماً واحداً وإن تفسد فإنّها تملك نصف يوم وكلّ يوم عند الله ألف سنة من السنين الّتي تحسبون بها الزمن.

والحديث "إنْ صَلُحَتْ أمَّتِي فَلَهَا يَوْمٌ" ذكره المجلسي عليه الرحمة أيضاً في مجلّد الغيبة من كتاب (بحار الأنوار) وقد قاله الرسول الأكرم بعد نزول الآية الكريمة: "لِكُلِّ أمَّةٍ أجَلٌ فَإذَا جَاءَ أجَلُهُمْ لا يَسْتَأخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُون"[30] وحيث أنّ هذه الآية تدلّ على أنّه قد قُدّر لبقاء كلّ أمّة في العالم أجل محدود ومدّة معيّنة بحيث لا يزيد ولا ينقص ساعة واحدة ولا يتقدّم ولا يتأخّر لذلك استفسر الصحابة من الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلّم ما هو أجل أمّة الإسلام وبقاء عزّة

---

[28] سد يأجوج ومأجوج: سد جبار زعم الاقدمون انه في المدينة ونسبوا بناءه إلى الاسكندر لحماية شعب استنجد به اسمه يأجوج ومأجوج والأصح ان هذا السدّ هو حائط الصين الأكبر

[29] الحج: 47

[30] الأعراف: 34

هذا الدين في العالم فتفضّل: "إنْ صَلُحَتْ أمَّتي فَلهَا يَوْمٌ وإنْ فَسُدَتْ فَلَها نِصْفُ يَوْمٍ وَإنَّ يَوْمٌ عِنْدَ رَبُّكَ كَألْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّون"[31].

ومصدر هذه الأحاديث المبيّنة لميعاد ظهور الموعود ومنبعها آيتان كريمتان في القرآن المجيد الّذي احتوى "تبياناً لكلّ شيء"[32] ونزلت فيه جميع الحقائق الدينيّة "ما فَرَّطْنَا في الكِتَابِ مِنْ شيء"[33] ولم يترك فيه بيان أشراط هذا اليوم العظيم وعلاماته وحوادثه ووقائعه ولهذا ورد عن أئمّة الهدى عليهم السلام قولهم "كُلَّما بَلَغَكُمْ عَنّا مِنْ حَدِيثٍ اعْرِضُوهُ عَلَى القُرْآن الشَّرِيفِ فَإنْ وَجَدْتُمْ لَهُ مَأخَذاً مِنَ القُرْآن فَاقْبَلُوه وَإلاّ فَرِدّوه" (فالآية الأولى) الّتي تبيّن ميعاد الظهور هذه الآية الكريمة في سورة السجدة حيث قال تعالى: "يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّماءِ إلى الأرْضِ ثُمَّ يَعْرِجُ إلَيْهِ في يَوْمٍ كَانَ مِقْدارُهُ ألْفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّون"[34] وهذه الآية تعني أنّ الله جلّ جلاله ينزل أمر الدين المبين أوّلاً من السماء إلى الأرض وبعد إكمال النزول والتدبير تزول أنوار الدين في مدّة ألف سنة شيئاً فشيئاً خلال هذه المدّة وتصعد إلى السماء مرّة أخرى.

ومن المعلوم أنّ نزول أنوار الدين من السماء إلى الأرض لا يُعقل ولا يُتصور إلاّ بالوحي النازل على سيّد المرسلين وبالإلهامات النازلة على الأئمّة الطاهرين، وهذه الأنوار نزلت من السماء إلى الأرض تماماً خلال مئتين وستّين سنة من هجرة خاتم الأنبياء إلى انقطاع أيّام أئمّة الهدى وأنزلت المائدة السماويّة للأمة الإسلاميّة تماماً بنزول القرآن وببيانات أئمّة الدين الّذين هم المبيّنون والمفسّرون الشرعيّيّون للكتاب عليهم السلام ولما توفّي الحسن بن علي العسكري عليهما السلام سنة مائتين وستّين هجريّة وحلّت أيّام الغيبة وتحوّل أمر الدين إلى آراء العلماء وأنيط بأنظار الفقهاء ظهرت شيئاً فشيئاً اختلافات الآراء وتشتّت الأهواء في أقوال وأفعال رؤساء الملّة البيضاء وازداد أفق أمر الله ظلاماً يوماً فيوماً حتى لم يبق من الإسلام إلاّ إسمه وتبدّلت عزّته ونصره بذلّة ومغلوبيّة، وبعد إنقضاء ألف سنة تماماً من الغيبة طلعت شمس الحقّ سنة (1260) هجريّة من أفق فارس وتحقّقت بالتمام بشارة القرآن والحديث كلّها. (والآية الثانية) جاءت في سورة الحجّ: "وَيَسْتَعْجِلونَكَ بالعَذابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَألْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّون"[35] وهذه الآية تعني أنّ الله تعالى وعد

---

[31] الحج: 47
[32] النحل: 89
[33] الأنعام: 38
[34] السجدة: 5
[35] الحج: 47

بنزول العذاب في يوم القيامة وأنّ هناك ألف سنة حتى يأتي اليوم الموعود وقد قدّر إعدام أهل الطغيان وانقراض أرباب الشرك والكفر بورود هذا اليوم العظيم المهيب. وقد نزلت هذه الآية الكريمة حينما كان الكفّار بسبب تمسّكهم الشديد بعقائدهم الوثنيّة يعتبرون أمر الرسول الأعظم والعياذ بالله واهياً وباطلاً وموهوناً واعتمدوا على دينهم وقالوا جرأة: "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذا هُوَ الحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذابٍ أَلِيمْ"[36] ولهذا نزلت الآية الكريمة في الجواب على طلبهم وإتّضح منها لأهل الفؤاد ميعاد بقاء دين الإسلام وظهور القائم وورود يوم الله، وورد ذلك الوعد أيضاً في سورة سبأ قوله تعالى: "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينْ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً ولا تَسْتَقْدِمُون"[37].

وخلاصة القول، يكفي هذا المقدار من الآيات والأحاديث الّتي عُرضت في إثبات أنّ وقت ظهور الموعود قد حلّ وأن الوعود الإلهيّة قد تحقّقت، إنْ لم يكن الإنسان من أهل المكابرة يسعى في هلاك نفسه وهلاك قومه مثل المكابرين السالفين.

وحينما كان المؤلّف سنة (1305) هجريّة مقيماً في بلاد أراك إيران ذكر بصورة مفصلة – في رسالة ألفها باسم (شرح الآيات المؤرّخة) بناء على طلب أحد الأمراء الإيرانيّين– الآيات الواردة في التوراة والإنجيل والقرآن وصحف الديانة الفارسيّة، وهذه الرسالة موجودة في أكثر البلاد حتى في القفقاس ولمن أراد مزيد الإيضاح والبيان أن يرجع إلى تلك الرسالة.

6 في بيان الأحاديث الدالّة على حداثة سنّ القائم الموعود وشبابه حين ظهوره:

ومن الأحاديث الدالّة على حداثة عمره المبارك وظهور تلك الحضرة في سنّ الشباب وحداثة العمر ما ذكره المجلسي عليه الرحمة في مجلّد الغيبة من كتاب (بحار الأنوار) في باب كيفيّة ظهور القائم عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: "إِنَّهُ لَوْ خَرَجَ القَائِمُ لَقَدْ أَنْكَرَهُ النَّاسُ: يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ شَاباًّ مُوَفَّقاً فَلا يَلْبَثُ عَلَيْهِ إلاّ كُلُّ مُؤْمِنٍ أَخَذَ الله مِيثَاقَهُ في الذَّرِّ الأَوَّلِ" وقال أيضاً عليه السلام "وَمِنْ أَعْظَمِ البَلِيَّةِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُهُمْ شَاباًّ وَهُمْ يَحْسَبُونَهُ شَيْخاً كَبِيراً".

وكما جاء في هذا الحديث الشريف، لما ظهر حضرة النقطة الأولى عزّ إسمه في بداية الشباب وفي غضاضة غصنه قام أولو القلوب المريضة في الحال على تكذيبه لأنّهم ظنّوا القائم رجلاً معمّراً عمره

---

[36] الأنفال: 32

[37] سبأ: 28–29

ألف سنة لا شابّاً عمره خمس وعشرون سنة، ولهذا لما إرتفع نداء قائميّته إرتفع صخب الجهّال الّذين بيدهم زمام أمور الناس قائلين وادنياه واشريعتاه! إن الحجّة عليه السلام صار له ألف سنة في مدينة جابلقا المستورة وهذا الشاب الشيرازي الّذي ولد في هذا القرن أنظروا ماذا يقول! وكيف يسمّي نفسه القائم الموعود!

وكذلك ورد في (كتاب الكافي)، الّذي هو أوثق كتاب لدى الفرقة الإثني عشريّة، الحديث الشريف الّذي ذكره محمّد بن يعقوب الكليني عليه الرحمة بإسناده عن الحكم بن أبي نعيم أنّه قال: أتيت أبا جعفر[38] عليه السلام وهو بالمدينة فقلت له "نِذْرٌ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ إنْ أنَا لَقِيتُكَ أنْ لا أخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى أعْلَمَ أنَّكَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدْ أمْ لا". فلم يجبني بشيئ فأقمتُ ثلاثين يوماً ثم إستقبلني في طريقٍ فقال "يَا حَكَمْ وَإنَّكَ لَهُهُنَا بَعْدُ؟" فقلت "إنِّي أخْبَرْتُكَ بِمَا جَعَلْتُ لله عَلَيَّ فَلَمْ تَأمُرُنِي وَلَمْ تَنْهَنِي عَنْ شَيْئٍ وَلَمْ تُجِبْنِي بِشَيْئٍ" فقال: "بَكِّرْ عَلَيَّ غُدْوَةَ المَنْزِلِ" فَغَدَوْتُ عليه فقال عليه السلام: "سَلْ عَنْ حَاجَتِكَ" فقلت "إنِّي جَعَلْتُ للهِ عَلَيَّ نِذْراً وَصِيَاماً وَصَدَقَةً بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ إنْ أنَا لَقِيتُكَ أنْ لا أخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى أعْلَمَ أنَّكَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدْ أمْ لا فَإنْ كُنْتَ أنْتَ رَابَطْتُكَ وَإنْ لَمْ تِكُنْ أنْتَ سِرْتُ فِي الأرْضِ وَطَلَبْتُ المِعَاشَ" فقال "يَا حَكَمْ كُلّنَا قَائِمٌ بِأمْرِ الله" قلت "فَأنْتَ الْمَهْدِيّ؟" قَالَ كُلّنَا مَهْدِيٌّ إلى الله" قُلْتُ "فَأنْتَ صَاحِبُ السَّيْفِ؟" قال "كُلّنَا صَاحِبُ السَّيْفِ وَوَارِثُ السَّيْفِ" قُلْتُ فَأنْتَ الّذي يَقْتِلُ أعْدَاءَ اللهِ وَيُعَزُّ بِكَ أوْلِياءُ اللهِ وَيَظْهَرُ بِكَ دِينُ الله؟" فقال "يا حَكَمْ كَيْفَ أكُونُ أنَا وَقَدْ بَلَغْتُ خَمْساً وأرْبَعِينَ وَإنَّ صَاحِبَ هَذَا الأمْرَ أقْرَبُ عَهْداً بِاللّبَنِ مِنّي وَأخَفُّ عَلَى ظَهْرِ الدّابَةِ".

فتأمّلوا قليلاً في هذا الحديث الشريف الّذي فيه يصرّح أبو جعفر عليه السلام بأنّ القائم عندما يقوم يكون عمره المبارك أقلّ من خمس وأربعين سنة ويكون في ريعان الشباب وعنفوان العمر قريب عهدٍ بالرضاعة، ولهذا السبب يُسمّى حضرته في كثير من الأحاديث باسم "الصبيّ" أو باسم "الغلام" أو باسم "الشاب".

وكذلك روى المجلسي عليه الرحمة في كتاب بحار الأنوار في باب كيفيّة خروج القائم: عن الأزدي عندما وفد مع أبي بصير وعلي بن عبد العزيز على أبي عبد الله عليه السلام وتشرّفوا بحضوره أنّه قال: "قُلْتُ لَهُ أنْتَ صَاحِبُنَا؟" فقال "إنّي لَصَاحِبُكُمْ؟" ثم أخذ جلدة عضده ومدّها فقال "إنّي شَيْخٌ كَبِيرٌ وَصَاحِبُكُمْ شَابٌّ حَدَثٌ".

[38] محمد الباقر عليه السلام

وكذلك روي في هذا الكتاب عن أبي بصير أنّ أبا عبد الله عليه السلام قال: "لَيْسَ صَاحِبَ هَذَا الأمْرِ مَنْ جَاوَزَ الأرْبَعِينَ".

وكذلك روى المجلسي عليه الرحمة في هذا الكتاب في باب صفات القائم عن يحيى بن سالم أنّ أبا جعفر عليه السلام قال: "إنَّ صَاحِبَ هَذَا الأمْرِ أصْغَرُنَا سِنّاً وَأجْمَلُنَا شَخْصاً" قلت "متى يكون؟" قال "إذَا سَارَتِ الرُّكْبَانُ بِبيْعَةِ الغُلامِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَرْفَعُ كُلُّ ذِي صَيْصَئَةٍ لِوَاءً"[39].

وكذلك روى المجلسي عليه الرحمة في هذا البحار في باب ما روي عن الباقر عليه السلام عن أمّ هاني الثقفيّة أنّها قالت: "غَدَوْتُ عَلَى سَيِّدِي مُحَمَّدْ بِنْ عَلِيّ البَاقِرْ عَلَيْهِ السَّلام فَقُلْتُ لَهُ يَا سَيِّدِي آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَرَضَتْ بِقَلْبِي أقْلَقَتْنِي وَأسْهَرَتْنِي" قال "فَاسْألِي يَا أمَّ هَانِي" قُلْتُ "قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ "[40] قَالَ: "نِعْمَتِ الْمِسْألَةِ سَألْتِنِي يَا أمَّ هَانِي هَذَا مَوْلُودٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ هُوَ الْمَهْدِيُّ مِنْ هَذِهِ العِتْرَةِ تَكُونُ لَهُ حَيْرَةٌ وَغَيْبَةٌ يَضِلُّ فِيهَا أقْوَامٌ وَيَهْتَدِي فِيهَا أقْوَامٌ فَيَا طُوبَى لَكِ إنْ أدْرَكْتِهِ وَيَا طُوبَى لِمَنْ أدْرَكَهُ".

ويكفي أولي الألباب اليقظة هذا المقدار من الأحاديث الّتي عرضناها ولو أراد المؤلّف أن يذكر الأحاديث الأخرى الصريحة في قضيّة أنّ حداثة سنّ القائم تكون سبباً لامتحان القوم وإعراضهم فإنّنه يجب أن يفرد لذلك كتاباً كبيراً.

ومن العجيب كيف لا ينتبه الأشخاص الّذين يعشقون مدنية المتمدّنين الأوروبيّين إلى أن جهود هؤلاء المتمدّنين أنفسهم في الجغرافيا قد أنارت مذهب أهل الشيعة وأوضحت عدم وجود مدينة (جابلقا)، الّتي اعتبرها العلماء الأعلام محل غيبة القائم عليه السلام، وضوحاً بيّناً كالشمس في رابعة النهار، ومع ذلك فلا زال الكثير من كتب كبار علماء الشيعة يذكر بأسانيد طويلة عريضة أخباراً عن أنّ فلاناً الصالح الصادق القول قد دخل مدينة (جابلقا) وتشرّف فلان الثقة صحيح الخبر في مدينة (جابلقا) بحضور الإمام وخدمته. وقد دوّنوا هذه الأخبار الكاذبة بكلّ جسارة وجرأة في كتبهم وقيّدوا قومهم المساكين مدّة ألف سنة بقيود الأباطيل حتى أشرقت شمس العلوم الحديثة فأزالت هذه

---

39 الصيصئة هو الحصن واللواء هي الراية: يعني يرفع كل قويّ راية المعارضة

40 التكوير: 14–15

الظلمة وهدم سيل المعارف الجارف بنيان الخرافات، ومع كلّ هذا فالقوم لا يزالون مرتبطين بحبال العقائد الخرافيّة الواضحة في الاستحالة وينتظرون ظهور شاب عمره ألف سنة!

7. في بيان الأحاديث والآيات الدالّة على مكان ظهور الموعود:

وأمّا الأحاديث الدالّة بصورة صريحة على أنّ مطلع هذين النيّرين الأعظمين هو بلاد الشرق وأنّ مكان ارتفاع نداء القائم هو مكّة المكرّمة ومحل قيام وارتفاع نداء الظهور الثاني هو مدينة عكّاء المنوّرة والأراضي المقدّسة فهي أحاديث كثيرة. فمنها الحديث الّذي رواه المجلسي عليه الرحمة في مجلّد الغيبة من كتاب بحار الأنوار من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: "وَلَوْ ذَابَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ لَقَدْ دَنَى التَّمْحِيصُ لِلْجَزَاءِ وَكَشْفِ الغِطَاءُ وَانْقَضَيتِ الْمُدَّةُ وَأَزِفَ الوَعْدُ وَبَدَا لَكُمْ النَّجْمُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَأَشْرَقَ لَكُمْ قَمَرُكُمْ كَامِلاً كَلَيْلَةِ تَمَّ. فَإِذَا إِسْتَبَانَ ذَلِكَ فَرَاجِعُوا التَّوْبَةَ وَخَالِفُوا الْحَوْبَةَ وَإِعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ أَطَعْتُمْ طَالِعَ الْمَشْرِقِ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ فَتَدَاوَيْتُمْ مِنَ الصَّمَمِ وَإِسْتَشْفَيْتُمْ مِنَ البَكْمِ وَنَبَذْتُمْ الثِّقْلَ الفَادِحَ عَنِ الأَعْنَاقِ فَلا يُبْعِدُ اللّهُ إِلاّ مَنْ أَبَى الرَّحْمَةَ وَفَارَقَ العِصْمَةَ وَسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أيّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُون"[41].

وهذه الخطبة تتطرّق إلى أنّ الخلافة من بعده عليه السلام تنتقل إلى بني أميّة، ثمّ تتطرّق إلى زمان ذوبان الدين في أيديهم وعند ذلك يحلّ موعد امتحان العباد وتمحيصهم، ثمّ تتطرّق إلى أنّهم لو أطاعوا النجم الّذي يشرق من بلاد الشرق فإنّه يسلك بهم على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فعند ذلك يشفون من صممهم وبكمهم وينتزعون الحمل الثقيل الملقى على كواهلهم ولا يحرمنّ الله إلاّ الّذين يبتعدون عن الرحمة والعصمة والعفّة. وهذه الخطبة الفصيحة صريحة بأن نيّر السعادة، وهو موعود الأمّة، سيظهر من جهة المشرق ويقوم وفق منهج رسول الله بتشريع شرع جديد، وليس المقصود بهذا أنّ المهدي عليه السلام سوف يعمل بالشريعة الإسلاميّة لأنّ جميع أئمّة الهدى كانوا يعملون بشريعة خاتم النبيّين ولم يتجاوزوا قيد شعرة عن ظاهر الشرع الإسلامي ولهذا فإنّ هذا التخصيص بنهجه منهاج رسول الله (صلعم) يعني قيامه بدعوة جديدة وتشريعه شريعة جديدة كما سيتّضح لكم من الأحاديث فيما بعد.

[41] الشعراء: 227

وممّا يؤيّد تلك الخطبة المباركة ما رواه المجلسي عليه الرحمة في مجلّد الغيبة من كتابه بحار الأنوار في باب العلامات عن الحارث الهمداني من مشاهير أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أنّه عليه السلام قال: "المَهْدِيّ أقْبَلٌ جَعِدَ الشَّعْرِ بِخَدِّهِ خَالٌ يَكُونُ مَبْدَؤهُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ".

وقد إستخرج السيّد عبد الوهاب الشعراني في كتابه (اليواقيت والجواهر) في أوصاف هذا الظهور من الأحاديث الصحيحة النبويّة شرحاً ورد تفصيله في كتاب (الفتوحات المكية) للشيخ إبن العربي قدّس الله سرّه منها أنّه عليه الصّلاة والسلام قال: "هُوَ أجْلَى الْجَبْهَةِ أقْنَى الأنْفِ أسْعَدُ النَّاسِ بِهِ أهْلُ الكُوفَةِ يَقْسِمُ الْمَالَ بِالسَّوِيَّةِ وَيَعْدِلُ فِي الرَّعِيَّةِ يَأتِيهِ الرَّجُلَ وَيَقُولُ يَا مَهْدِيّ أعْطِنِي وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمَالُ فَيُحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أنْ يَحْمِلَهُ. يَخْرُجُ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الدِّينِ يَزَعُ اللهُ بِهِ مَا لا يَزَعُ بِالقُرْآنِ. يُمْسِي الرَّجُلُ جَاهِلاً وَجَبَاناً فَيُصْبِحُ عَالِماً شُجَاعاً كَرِيماً" إلى أن قال عليه الصّلاة والسلام: "يَشْهَدُ الْمَلْحَمَةَ العُظْمَى مَأدُبَةَ اللهِ بِمَرْجِ عَكَّاءَ. يُبِيدُ الظُّلْمَ وَأهْلَهُ. يُقِيمُ الدِّينَ وَيَنْفُخُ الرّوحَ فِي الإسْلامِ. يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإسْلامَ بَعْدَ ذِلَّتِهِ وَيُحْيِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ" ثم قال عليه الصّلاة والسلام عن أصحاب المهدي: "شُهَدَاؤهُ خَيْرُ الشُّهَدَاءِ وَأمَنَاؤهُ أفْضَلُ الأمَنَاءِ" قال الشيخ: "وَقَدْ اسْتَوْزَرَ اللهُ تعالى لَهُ طَائِفَةً خَبَّأهُمْ اللهُ تعالى لَهُ فِي مَكْنُونِ غَيْبِهِ أطْلَعَهُمْ كَشْفَاً وَشُهُوداً عَلَى الحَقَائِقِ وَمَا هُوَ أمْرُ اللهِ عَلَيْهِ فِي عِبَادِهِ وَهُمْ عَلَى أقْدَامِ رِجالٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ وَهُمْ مِنَ الأعَاجِمِ لَيْسَ فِيهِمْ عَرَبِيٌّ لَكِنْ لا يَتَكَلَّمُونَ إلاّ بِالعَرَبِيَّةِ لَهُمْ حَافِظٌ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِمْ مَا عَصَى اللهَ قَطّ وَهُوَ أخَصُّ الوُزَرَاءِ" إلى أن قال الشيخ "وَيُقْتَلُونَ كُلَّهُمْ إلاّ وَاحِداً مِنْهُمْ يَنْزِلُ فِي مَرْجِ عَكَّاءَ فِي الْمَأدُبَةِ الإلَهِيَّةِ الّتِي جَعَلَهَا اللهُ مَائِدَةً لِلسِّبَاعِ وَالطُّيُورِ وَالْهَوَامِ".

وما أبدع ما انطبق هذا الحديث مع الآية الكريمة في سورة الفرقان "فَأولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتَهُمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً"[42]. ويدلّ الحديث على أنّنّ أصحاب القائم يدركون الحقائق الدينيّة من دون أن يتعلّموا في المدارس ويفقهون الأوامر الإلهيّة بمجرّد إيمانهم كما تدلّ على ذلك عبارته عليه الصّلاة والسلام "يُمْسِي الرَّجُلُ جَاهِلاً وَجَبَاناً فَيُصْبِحُ عَالِماً شُجَاعاً كَرِيماً".

[42] الفرقان: 71

وهـذا الحـديث الشـريف الّـذي وقعـت في هـذا الظهـور الأعظـم جميـع البشـارات الـواردة فيـه يكفـي الإنسـان المنصـف البصـير ومما لا شـكّ فيـه أنّنّ آلاف الآيـات والبشـارات لا تنفـع مـع أولي القلـوب المختومة "وإنْ يَرُوا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤمِنُوا بِهَا"[43].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث صعصعة بن صوحان حين سأل عن ميعاد خروج الدجّال تفضّل حضرته بعد ذكر العلامات والحوادث "خَيْرُ المسَاكِنِ يَوْمَئِذٍ ألبَيْتُ الْمُقَدَّسِ لَيَأتِيَنَّ زَمَانٌ عَلَى النَّاسِ يَتَمَنَّى أحَدُهُمْ أنَّهُ مِنْ سُكّانِهِ".

وهذا الحديث الّذي هو من أشهر الأحاديث رواه المجلسي في هذا الكتاب عن يوم الظهور عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: "تَوَقَّعوا الصَّوْتَ يَأتِيكُمْ بَغْتَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فِيهِ لَكُمْ فَرَجٌ عَظِيمٌ".

ومن الأحاديث المشهورة الّتي صُرّح فيها بمحل الظهور الحديث المروي عن علي بن مهزمار، وهذا الحديث رواه السيّد الجليل السيّد هاشم البحريني في كتابه (مدينة المعاجز) في الحديث العشرين بعد المائة من أحاديث ظهور المهدي وذكره كذلك المجلسي عليه الرحمة في مجلّد الغيبة من كتابه، وهو حـديث مفصّـل عـن الحسـن بـن علـي عليهمـا السـلام في أوصـاف المـؤمنين بالمهـدي الموعـود وفيـه يتفضّل: "تَلُوذُ بِفَنَائِكَ مِنْ مَلأٍ بَرَّأَهُمْ اللهُ بِطَهَارَةِ الوِلادَةِ وَنَفَاسَةِ التُّرْبَةِ مُقَدَّسَةٌ قُلُوبُهُمْ مِنْ دَنَسِ النِّفَاقِ مُهَذَّبَةٌ أفْئِدَتُهُمْ مِنْ رَجْسِ الشِّقَاقِ لَيِّنَةٌ عَرَائِكُهُمْ لِلدّينِ خَشِنَةٌ ضَرَائِبُهُمْ فِي العِدْوَانِ وَاضِحَةٌ بِالقَبُولِ أوْجُهُهُمْ نَضِرَةٌ بِالحَقِّ عِيدَانُهُمْ يَدِينُونَ بِدِينِ الحَقِّ وَأهْلِهِ فَإذَا إشْتَدَّتْ أرْكَانُهُمْ وَتَقَوَّمَتْ أعْمَادُهُمْ بِمُكَاثَفَتِهِمْ طَبَقَاتِ الأمَمِ إذْ تَبِعَتْكَ فِي ظِلالِ شَجَرَةٍ بَسَقَتْ أفْنَانُ غُصُونَهَا عَلَى حَافَاتِ بُحَيْرَةِ الطَبَرِيَّةِ فَعِنْدَهَا يَتَلَئْلأُ صُبْحُ الْحَقِّ وَيَنْجَلِي ظَلَامُ البَاطِلِ وَيَقْصِمُ اللهُ بِكَ ظَهْرَ الطُغْيَانِ وَيُعِيدُ مَعَالِمَ الإيمَانِ. يَوَدُّ الطِفْلُ لَوْ إسْتَطَاعَ إلَيْكَ نُهُوضاً وَنَوَاشِطُ الوَحْشِ لَوْ تَجِدُ نَحْوَكَ مَجَازاً. تَهْتَزُّ بِكَ أطْرَافُ الدُنْيَا بَهْجَةً وَتُهَزُّ بِكَ أغْصَانُ العِزِّ نَضِرَةً وَتَسْتَقِرُّ بَوَانِي العِزِّ فِي قَرَارِهَا وَتَؤُوبُ شَوَارِدُ الدِّينِ إلَى أوْكَارِهَا. يَتَهَاطَلُ عَلَيْكَ سَحَائِبُ الظَّفَرِ فَتَخْنُقُ كُلَّ عَدُوٍّ وَتَنْصُرُ كُلَّ وَلِيٍّ فَلا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأرْضِ جَبَّارٌ قَاسِطٌ وَلا جَاحِدٌ غَامِطٌ وَلا شَانٍ مُبْغِضٌ وَلا مُعَانِدٌ كَاشِحٌ. "وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إنَّ اللهَ بالِغُ أمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَراً"[44].

---

[43] الأنعام: 25

[44] الطلاق: 2–3

(وطبريّة) المذكورفي هذا الحديث تقع بالقرب من (عكّاء) وهي معروفة ببحيرة طبريّة، وقد ورد ذكرها كثيراً في أسفار التوراة والإنجيل ويخرج نهر الأردن منها، وهذه المدينة سمّاها المؤرّخ المعروف هيرودس، الّذي وُلد حضرة المسيح عليه السلام في زمانه، باسم القيصر طيباريوس، ويحيط بهذه المدينة مزارع وبساتين تعتبر من أحد منتزهات سوريّة والأراضي المقدّسة واليوم تعود بعض أراضيها إلى غصن السدرة المباركة [لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا].

ومرجح جميع هذه الأحاديث الدالّة على مكان ارتفاع النداء الإلهي هذه الآية المباركة في سورة ق قوله تعالى: "وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ"[45].

وقد اتفق جميع المفسّرين من أهل السنّة وأهل الشيعة في تفسير هذه الآية على أنّ النداء الإلهي يرتفع من صخرة بيت المقدس أي من جبل الكرمل الّذي سُمّي في التوراة بالجبل المقدّس وبجبل بيت الله.

وخلاصة القول، لو كان الإنسان طالباً للهداية ولا يريد المجادلة بالباطل ويمعن النظر في الأحاديث المرويّة وفي آيات الكتب المقدّسة السماويّة فإنّه يجد بوضوح أنّها كلّها تبشّر بأنّه بعد ألف سنة من غيبة شمس الحقيقة يطلع نجم السعادة ذاك مرّة ثانية من بلاد الشرق ويرتفع من مكّة المكرّمة نداء المهدي الموعود ويرتفع بعده نداء الظهور الثاني من الأراضي المقدّسة من صخرة بيت المقدّس، وكما جاء في البشارات فقد كانت ولادة هذين الظهورين الأعظمين في إيران وكان ارتفاع نداء النقطة الأولى عزّ اسمه الأعلى من مكّة المكرّمة وحيث كان مقرّ الجمال الأقدس الأبهى في مدينة عكّاء النوراء سمع أهل العالم نداء الظهور الثاني من الأراضي المقدّسة. وقد جاءت الإشارة إلى هذا في حديث أبان إبن تغلب الّذي رواه المجلسي عليه الرحمة في باب العلامات من مجلّد الغيبة "قال قال أبو عبد الله عليه السلام إنّ أوَّلَ مَنْ يُبايِعُ القَائِمَ عليه السلام جِبرائيلُ يَنْزِلُ في صُورَةِ طَيْرٍ أبْيَضٍ فَيُبَايِعَهُ ثم يَضَعُ رِجْلاً على بَيْتِ اللهِ الحَرامِ وَرِجْلاً على بَيْتِ المَقْدِسِ ثم يُنَادِي بِصَوْتٍ طَلِقٍ ذَلِقٍ تَسْمَعَهُ الخَلائِقُ: "أتَى أمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ"[46]".

وهذا الحديث صريح الدلالة على أن مكان ارتفاع هذا النداء هو هذين المقامين المقدّسين وأنّ النداء السماوي تسمعه الخلائق من هذين البيتين الرفيعين وبهذا تتحقّق جميع البشارات والعلامات.

---

[45] ق: 41

[46] النحل: 1

نعم لا بدّ أن يتمسّك كثير من الجهّال كما تمسّكت الأمم الماضية بالظواهر غير المعقولة ويقوموا على المعارضة بحكم الحديث المقبول لدى أهل السنّة وأهل التشيّع المروي عن خاتم الأنبياء عليه أفضل التحيّة والبهاء والّذي خاطب به الأمّة الإسلاميّة بقوله عليه الصّلاة والسلام "لَتَسْلُكُنَّ سنَنَ مَنْ قَبْلُكُمْ شِبْراً فَشِبْرٍ وَذِرَاعاً فَذِرَاع"، فيعترضون قائلين متى ظهر جبرائيل بصورة طير أبيض؟ ومتى تلا هذا الطير العجيب الخلقة هذه الآية المباركة؟ كما احتج اليهود بعلامات ظهور المسيح الموعود واعترضوا على عيسى عليه السلام وعلى أمّته وتمسّكوا بالظواهر غير المعقولة وجادلوا قائلين إنّ من علامات ظهور المسيح كما جاء بصريح التوراة أن يلعب الطفل بالأفعى فلا تضرّه ويعيش الأسد مع البقرة والذئب مع الحمل وتظلم الشمس والقمر وتكون سلطنة الأرض بيد اليهود، فأين وقعت هذه العلامات في أيّام عيسى عليه السلام؟ ومتى تحقّقت هذه البشارات؟ وهم يرددون هذه الكلمات إلى يومنا هذا وباقون على دينهم ومتمسّكون بمنتهى الإطمئنان بعقائدهم الباطلة.

وحيث أن حديثنا الآن موجّه نحو أهل العلم لذا نكتفي في باب البشارات بهذا القدر من الشرح والإيضاح وسنبحث موضوع الاستعارات الواردة في بيانات الأنبياء وأئمّة الهدى بصورة مفصّلة بعون الله تبارك وتعالى ونلتمس من الحقّ جلّ جلاله التوفيق [إنّه خير موفّق ومعين].

8. في كيفيّة الاستدلال بدليل التقرير:

[إعلم أيها السيّد المجيد أيّدك الله وإيّانا بالبصيرة الكاشفة والرأي السديد] أنّ دليل التقرير أكبر الأدلّة الّتي تمسّك بها العلماء الأعلام في التفريق بين الحقّ والباطل واستدلوا بها بكلّ تفصيل وإسهاب.

ومنطوق هذا الدليل هو أنّه لو ادعى إنسان مقام الشارعيّة وشرّع شريعة ونسبها إلى الله تبارك وتعالى ونفذت شريعته وبقيت في عالم الوجود فإنّ نفس بقائها ونفوذها دليل على حقيقتها وعلى العكس من ذلك يكون زوالها وعدم نفوذها دليل على بطلان دعوتها الزائلة.

ومع أنّ نفوذ كلمة الحقّ وبقائها، كما جرت عليه سنّة الله في إرسال الرسل وتشريع الشرائع، لا يكون عن طريق العلوم والمعارف الإكتسابيّة ولا بالعصبيّة والمساعدة القوميّة ولا بالمال والثروة الظاهريّة ولا بالسيطرة والسلطة الدنيويّة فإنّ الحجّة تكون بالغة على الفلاسفة الّذين يتتبّعون تسلسل العلل فيعود نفوذ تلك الشريعة وبقاؤها في علّته إلى الإرادة الغيبيّة الإلهيّة لأنّه لا يُتصوّر وجود معلول بدون العلّة. هذا وقد احتجّ الحقّ جلّ جلاله بهذا البرهان العظيم في جميع الكتب المقدّسة السماويّة وإعتبر بقاء الحقّ وزوال الباطل الآية الكبرى والدليل الأعظم وقد نزلت هذه المسألة في القرآن المجيد في مواضع متعدّدة تصريحاً وتشبّهاً كما جاء في سورة الشورى قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ"[47].

وسورة الشورى من السور المكيّة الّتي نزلت حينما كان أصحاب رسول الله قلّة ومع ذلك فإنّ الله سبحانه وتعالى قال فيها أنّه إن أجاب الدعوة جمعٌ فإنّ الله قد أبطل بهذا حجّة المجادلين ويكون احتجاجهم سبب نزول الغضب الإلهي عليهم. والسبب في ذلك، لو أمعن العاقل المتفرّس النظر، هو أنّ ما عدا الله سبحانه وتعالى لا يستطيع أحد إنفاذ شريعة أو إبقاءها وأن قهّاريّة الله وقدرته تمنعان شريعة باطلة كاذبة وفي نفس هذه السورة المباركة يتفضّل أيضاً: "أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[48].

---

[47] الشورى: 16

[48] الشورى: 21

وتعني هذه الآية أنّه هل حتى الوقت الحاضر أن شرّع أحد شريعة بدون إذنه تبارك وتعالى حتى يعتبره الظالمون قياساً ويعتبرون بموجبه شريعة الله باطلة؟

بلى يا سيّدي الجليل لقد تصوّر هؤلاء أنّه سبحانه وتعالى والعياذ بالله عاجز وغافل أو قد اعترفوا بالله اعترافاً إسميّاً وتقليديّاً لا حقيقيّاً وتحقيقيّاً وإلاّ كيف يمكن أن نتصوّر أنّه تعالى "وَهُوَ القَادِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ"[49] يمهل كاذباً ليؤسّس شريعة بدون إذنه ويبقى ذلك الشرع الكاذب الباطل في عالم الوجود ثابتاً؟

ولعمر الله لو لم يكن في القرآن المجيد غير الآية الكريمة: "إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً"[50] فإنّ الحجّة تتمّ على الأمّة الإسلاميّة ويعرفون أنّ الحقّ لا يُغلب أبداً والباطل لا يبقى أبداً.

ومن المعلوم أنّ المقصود من الغلبة الواردة في الآية الكريمة ليس الغلبة الحربيّة أو الإنتصارات الدنيويّة لأن الكثيرين من الأنبياء عليهم السلام قد قُتلوا في منتهى الذلّة ولطالما كان المقرّبون والمخلصون لهم مبتلون بظلم الظالمين وبإهانات المستكبرين بل المقصود كما أوضحه كتاب الإيقان الشريف بأفصح بيان هو الغلبة الروحانيّة ونفوذ الشريعة الربّانيّة وبقاؤها.

لاحظوا مثلاً في ظهور عيسى عليه آلاف التحيّة والثناء كيف كان المؤمنون به منذ زمان دعوته حتى زمان إيمان قسطنطين في بلاء واضطهاد على أيدي اليهود والرومان وكيف أُحرقوا وقتلوا وسجنوا في أنحاء الأمبراطوريّة الرومانيّية الواسعة الأرجاء وإتُّهموا بتهمة الفساد واختراع دين جديد بين عموم الخلق حتى أنّ القيصر الظالم نيرون بعد أن أحرق مدينة روما العظيمة ليلاً في حالة سكره وعربدته إتّهم المسيحيّين صباحاً بهذا العمل الشنيع حينما صحا من سكرته وسفك دم جماعة من المظلومين الأبرياء وشاع القتل والحرق في تلك الفئة المظلومة مدّة مديدة من الزمن حتى اضطروا إلى الهرب تحت ستار الرهبانيّة وإلى الانزواء في الكهوف والجبال وإلى الاكتفاء بشَظَف العيش ولكنّ كلمة الله بالرغم من جميع هذا الظلم غلبت يوماً فيوماً وازداد عدد أهل الإيمان حتى أحاطت العالم أنوار المسيحيّة وانعدم اليهود والرومان.
ولو أمعن الإنسان النظر في تسمية خاتم الأنبياء الظهور الثاني بعد القائم بظهور روح الله لأدرك سرّ مظلومية أهل البهاء ولشاهد أسرار البدء في الرجوع فقد قال عليه الصّلاة والسلام "فَوَالّذِي بَعَثَنِي

---
[49] الأنعام: 18
[50] الإسراء: 82

بِالْحَقِّ نَبِيّاً لِوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُنْيَا إلاّ يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ اليَوْمَ حَتىَّ يَخْرُجَ فِيهِ وَلَدِي الْمَهْدِي ثُمَّ يَنْزِلُ رُوحُ اللهِ وَيُصَلّي خَلْفَهُ وَيَبْلُغُ سُلْطَانَهُ الْمَشْرِقَ وَالمغْرِبَ".

ومن الآيات الشريفة المميّزة بين الحقّ والباطل والمثبتة لبقاء الكلمة الإلهيّة وفناء وزوال الكلمة البشريّة الكاذبة هذه الآية الكريمة: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ"[51].

وفي زمان خاتم الأنبياء في بداية انتشار الإسلام قامت بعض النفوس المغرورة الّتي ظنّيت تشريع الشرائع أمراً سهلاً وادّعت الرسالة مثل مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وأمثالهما وقد أضلّوا قوماً واجتمع الناس حولهم أيّاماً قليلة ففُتح باب انتقاد المكابرين ووجدوا الفرصة سانحة للنقد والاعتراض ونحوا باللائمة على أهل الإيمان قائلين أنظروا فلاناً وفلاناً إدّعيا النبوّة وإعتبرا نفسيهما مرسلين من الله لهذا نزلت هذه الآيات الكريمة في القرآن حتى يفهم أرباب القلوب الصافية الفارق بين الحقّ والباطل ويميّزوا الكلمة الطيّبة عن الكلمة الخبيثة ويطمئنّوا إلى بقاء الدعوة الصادقة وزوال الدعوة الكاذبة وفنائها وليعلموا يقيناً أنّ الحقّ جلّ جلاله غير غافل عن خلقه والعياذ بالله ولا تأخذه سِنة ولا نوم ومن المستحيل أن يترك القاهر الجبار–الّذي أهلك قبائل عاد وثمود القويّة بصيحة واحدة وأفنى بإرادة واحدة من إرادته جبابرة الفرس والرومان– أن يترك دعوة كاذبة تنفذ في العالم أو يشرّع مفترٍ كاذب شريعة بدون إذنه ويسبّب ضلال العالم وهلاكه بل على العكس من ذلك كانت ولا تزال إرادة الحقّ هي الغالبة والباطل مغلوباً وزائلاً: "سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً"[52].

نعم إنّ بعض الناس الّذين لا خبر لهم عن حقائق أمر الله وعن كيفيّة تشريع الشرائع أو الّذين يقصدون المغالطة والمجادلة بالباطل ينتقدون دليل التقرير متمسّكين بوجود بعض المذاهب الّتي يعتبرونها بزعمهم باطلة أو بوجود بعض الشرائع الّتي يعتبرونها بزعمهم الباطل ليست من عند الله سبحانه وتعالى فيقولون مثلاً لو أنّ الباطل لا يبقى فكيف بقيت في العالم إلى مدّة من الزمان

[51] إبراهيم: 24–26

[52] الفتح: 23

مذاهب باطلة أمثال الإسماعيلية والصبّاحيّة وغيرها؟ أو كيف بقيت شرائع البرهميّة والصينيّة والزردشتيّة مدّة آلاف من السنين؟ وكذلك أهل السنّة الّذين يعتبرون مذهب الشيعة باطلاً ينتقدون دليل التقرير متمسّكين ببقاء التشيّع والعكس بالعكس انتقاد أهل الشيعة دليل التقرير حين يرون بقاء مذهب أهل السنّة الّذي يعتبرونه باطلاً وجوابنا على هذا النقد واضح وهو أنّ وجود المذاهب المختلفة للشريعة الإلهية أمر خارج عن موضوع دليل التقرير لأنّنّ موضوع دليل التقرير هو ادّعاء مقام النبوّة والرسالة وتشريع شريعة جديدة ومن الواضح أن رؤساء المذاهب الإسلاميّة الموجودة لا يدّعي أي واحد منهم الوحي السماوي ولا يعتبر أحدهم نفسه مشرّعاً لشريعة جديدة بل كلّهم يدّعون تبعيّة سيّد الأنام وخاتم الأنبياء ويثبتون شريعة الإسلام. أما اختلاف نظرهم فيما بينهم فيعود إلى اختلاف أفهامهم في المسائل الاجتهادية ولا يعارض أبداً الشريعة الإسلاميّة.

وأمّا وجود الشرائع البرهميّة والبوذيّة والزردشتيّة فجوابنا عليه ما تحكم به الآية الكريمة: "إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ"[53] والآية الكريمة: "لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً"[54] ولهذا فأصول هذه الشرائع قد شُرّعت من جانب الله تبارك وتعالى،ولكنّنّ العادات الباطلة والبدع الفاسدة دخلت هذه الشرائع بسبب طول الزمن كما دخلت أمثال هذه البدع في الشريعة النصرانيّة والشريعة الإسلاميّة أيضاً وصارت سبباً في تشتّت الأمّة وفي ضعف الدين. ولا يخفي على العاقل اللبيب أنّنّ الله جلّ جلاله لم يهمل أمّة من الأمم بل بعث في كلّ أمّة رسولاً وجعل الحجّة بالغة على أهل الشرق والغرب "لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ"[55].

وعندما تمسّك علماء البروتستانيّة بهذه الشبهة وبهذا النقد ردّوا على استدلال علماء الإسلام بدليل التقرير متمسّكين ببقاء الديانات الوثنيّة وصاروا في كلّ يوم يؤلّفون كتاباً في الردّ على الدين الإسلامي الحنيف ويطبعونه وينشرونه في جميع الممالك فقد ألّف النمساوي (فاندر) كتاب "ميزان الحقّ" وصرّح بالتفصيل بهذا النقد قائلاً بإنّ علماء الإسلام لا يستطيعون أن يستدلّوا على حقيّة دينهم ببقائه وبنفوذه لأنّنّ الديانات الوثنيّة مع ثبوت بطلانها لا تزال موجودة في العالم ولهذا فإنّنّ هذا العبد سيقوم بدفع شبهته في مبحث قادم أكثر تفصيلاً وإيضاحاً ويقوم بالتدليل على كمال هذا الدليل بطريقة واضحة يستطيع كلّ امرئ فهمها لعلّ يكون ذلك بعون الله تعالى سبباً لانتباه أولي الاستعداد وتعود فائدته وثمرته على العموم.

---

[53] فاطر: 24
[54] الحج: 34
[55] الأنفال: 42

9 في بيان أنّنّ الأديان الموجودة في العالم قبل ظهور الباب الأعظم سبع أديان شُرّعت كلّها بإذن الله:

من الواضح لدى الفضلاء في علم التاريخ والعلماء في الملل والنحل أنّنّ أصول الأديان والشرائع الّتي كانت سائدة في العالم قبل ظهور الباب الأعظم تنحصر في سبعة أديان عظيمة، ويعبد أهل العالم ربّهم في ظلّ هذه السبع الطباق ويسيرون في طريق التقدّم والفلاح في شعاب هذه الطرق السبعة وليست المذاهب المختلفة إلاّ دروب وشوارع انشعبت من هذه الطرق السبعة وخلجان انشعبت من هذه البحار السبعة:

وأوّلها: الديانة البوذيّة: وهذا الدين أعظم الأديان من حيث العدد وهو دين أهل الصين واليابان وبعض بلاد الشرق الأقصى المجاورة وعدد أهالي هذه الديانة يقارب (500) مليون. ويعتقد البوذيّون أنّنّ أوّل إنسان وُجد على الأرض هو"بوذا" وهو الّذي عمّر العالم ونشر النسل البشري وليس لديهم ذِكر عن آدم وحوّاء وطوفان نوح وأمثال ذلك. وآخر مشرّع ظهر في هذه الديانة كان المشرّع الصيني "كنفوشيوس" وهو معاصر لعزرا الكاهن العبري ومعاصر لكورش الملك الإيراني العظيم، وقد تُرْجمت شرائعه الأدبيّة إلى اللغات الفرنسيّة والإنكليزيّة ومجّدها فلاسفة أوروبّا حتى أنّنّ المؤلّف الفرنسي (ملطيرون) كتب بعض شرائعه في مؤلّفه الجغرافي الكبير ورجّحها على شريعة حضرة المسيح. وتضع الأمّة البوذيّة صور وتماثيل عظماء دينها في المعابد وتحترمها.

وثانيها: الديانة البرهميّة: وهي ديانة أهل الهند الأصليّين وعددها على اختلاف المؤرّخين (160) مليون نسمة. ويعتقد البراهمة أنّ أوّل إنسان ظهر غلى الأرض كان "براهما" وهو العقل السماوي الّذي تجسّد بصورة إنسان وقد عمّر العالم ونشر النسل البشري، وكتابهم السماوي هو (الفيدا) وليس لدى أهالي هذا الدين كذلك ذِكر لآدم وحواء ونوح وهم أيضاً يضعون صور وتماثيل عظماء دينهم في المعابد ويعبدونها.

وثالثها: الديانة الفتشيّة. وهي الدين الوثني في أفريقيا وأتباعه على الغالب في حالة توحّش وبداوة. ولصعوبة إختراق الصحاري الأفريقيّة لم يعيّن بالتحقيق عددهم، ويبلغ عددهم بصورة تخمينيّة (100) مليون نسمة ويظهر من تسمية معابدهم بالشمس وبالقمر وسائر الكواكب أنّهم بقايا

الصابئة الّذين قال الله تعالى في حقّهم في سورة المائدة: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"[56].

وهذه الأديان الثلاثة الّتي ذكرناها يسمّيها المؤرّخون والمؤلّفون بالأمم الوثنيّة كما نراهم يسمّون بقيّة الأديان الأخرى بالأمم غير الوثنيّة. وأوثان الأمم الوثنيّة وتماثيلها إنما هي على الغالب صور وتماثيل لرؤساء أديانها وكانت قد وضعتها في المعابد من أجل ذكراهم ثم انتهى بهم الأمر شيئاً فشيئاً إلى عبادتها. وهم يعتبرون الأوثان وسائط للتقرّب إلى الله ويرون إحترامها يورث الأجر والثواب لا أنّهم يعتبرونها ذات الله وواجب الوجود كما قال تعالى في سورة يونس: "وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ"[57] وقال تعالى في سورة الزمر: "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى"[58].

ورابعها: الديانة الزردشتيّة. وهي دين الإيرانيّين الأقدمين. وشارع هذا الدين كان إبراهيم زردشت، والكتاب السماوي لهؤلاء القوم عبارة عن إحدى وعشرين صحيفة يسمّونها (آفستاوزند). ولا تضع هذه الطائفة في معابدها صور وتماثيل ولا تجيز عبادة الأوثان. وليس في كتب هذه الطائفة أيضاً ذكر لآدم وحواء ونوح والطوفان. ولا يعرف المؤرّخون على وجه التحقيق عدد هذه الطائفة. ويسكن القليل منهم الآن في إيران وقد هاجرت أكثريتهم في بداية الفتوحات الإسلاميّة إلى الهند وإستوطنت هناك إلى يومنا هذا.

وخامسها: الديانة اليهوديّة. وشارع هذا الدين موسى عليه السلام. وقد تشتّتت هذه الطائفة في جميع الممالك بعد إنتصار القيصر الروماني طيطوس وهدمه مدينة القدس الشريفة. ولا تجيز هذه الطائفة أبداً وضع التماثيل في معابدها. وعدد نفوسها خمسة ملايين تقريباً.

وسادسها: الديانة النصرانيّة. وشارعها عيسى عليه السلام. وعدد هذه الطائفة (370) مليون نسمة. وجميع النصارى ما عدا البروتستانت يجيزون وضع صور وتماثيل عيسى عليه السلام ومريم العذراء والرسل والقدّيسين في معابدهم وكنائسهم ويسمّونها "أيقونات" وقد جعلوا لكلّ أيقون صلاة وعبادة خاصّة.

[56] المائدة: 69
[57] يونس: 18
[58] الزمر: 3

وسابعها: الديانة الإسلاميّة. وشارع هذه الشريعة الغرّاء والملّة البيضاء محمّد خاتم الأنبياء عليه وعلى آله آلاف التحيّة والثناء. وجميع الفرق الإسلاميّة بدون إستثناء لا تجيز وضع الصور والتماثيل في مساجدها ومعابدها. وعدد المسلمين على اختلاف المؤرّخين (300) مليون نسمة.

إنّنّ هذه الأديان السبعة قد تشعّبت إلى مذاهب متعدّدة. فالديانة الإسلاميّة مثلاً قد تشعّبت إلى مذاهب السنّة والشيعة والخوارج والغلاة والوهابيّة وغيرها. وكلّ واحد من هذه المذاهب إنشعب إلى فرق مختلفة. والمسيحيّة كذلك انشعبت إلى كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت وغيرها. والديانة اليهوديّة كذلك انشعبت إلى مذاهب مختلفة. والديانة الهنديّة كذلك انشعبت إلى مذاهب مختلفة. وقد ورد تفصيل هذه المذاهب مشروحاً في الكتب التاريخيّة للأديان والملل والنحل. وكلّ واحد من هذه الأديان له شرائعه وقوانينه المفصّلة والمبيّنة في كتابه السماوي ما عدا الديانة الفتشيّة فإنّها لا تملك كتاباً بسبب قدم تشريعها وبسبب إبقائها في التوحّش والجهل وتركها المعارف فلم يعد فيها نداء ولا صوت. ولا شكّ أن في كلّ واحدة من هذه الملل الجاهل والعالم والعاصي والمطيع والمتعبّد. وتعتبر كلّ واحدة منها أنبياءها وشارعيها بل أولياءها ومقدّسيها أصحاب معجزات وكرامات وخوارق عادات. وكلّ واحدة منها تعتبر دينها الوسيلة الوحيدة للنجاة والفلاح والسبب في الخلاص والنجاح. ولا يخفي على أولي العلم أيضاً أنّ الزردشتيّة والهنود والبوذيّة لا يعتبرون شرائع اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام شرائع حقّة بل يعتبرون والعياذ بالله موسى وعيسى ومحمّد عليهم الصّلاة والسلام كاذبين في إدّعائهم النبوّة والرسالة كما لا يصدّق اليهود عيسى عليه السلام ولا يصدّق النصارى محمّد رسول الله في رسالته وكذلك لا يصدّق المسلمون حضرة الباب الأعظم في ادعائه المهدويّة كما يعتبر جميع اليهود والنصارى وأكثر المسلمين حضرة زردشت ومشرّعي الديانة البوذيّة والبرهميّة أنبياء كاذبين.

والآن بعد أن إتّضحت هذه المقدّمات المعروفة لدى أهل العلم يسأل هذا العبد من جميع فضلاء ورؤساء الأديان المذكورة سؤالاً واحداً ويطلب منهم الإجابة عليه حتى تتّضح وتتجلّى حقيقة دليل التقرير. والسؤال هو:

لو فرضنا أنّ شخصاً إدّعى رسالة كاذبة سواء أكان هذا الشخص زردشت كما يعتقده اليهود والنصارى والمسلمون أو كان موسى أو عيسى أو محمّد رسول الله كما يعتقده الزردشتيّون ثم قال

كلاماً من نفسه ونسبه إلى الله تبارك وتعالى وشرّع من نفسه شريعة ونسبها إلى الله جلّ جلاله ثم بقي كلامه هذا ونفذ وصار سبباً في خلق أمّة إمتدّ وجودها في العالم فكيف يستطيع الشخص المجاهد والحالة هذه أن يميّز بين الشارع الصادق والشارع الكاذب؟ وكيف يستطيع أن يعرف الشريعة الباطلة من الشريعة الحقّة؟

10.في بيان أنّه لو إستُغني عن دليل التقرير لصعب بل لإستحال إثبات حقيقة أيّيّ دين من الأديان:

لو تأمّملنا قليلاً لعرفنا أننا لو إستغنينا عن دليل التقرير لما أمكن أبداً التفريق بين الحقّ والباطل لأنّه لو كانت المعجزات هي الفارق المميّز فإننا نجدها مذكورة في جميع الأديان. ولو كان الفارق والمميز هو الكتاب فإننا نجد كتاباً مسطوراً لدى كلّ أمّة من الأمم. ولو كان الفارق والمميز وجود الصالح والطالح والعالم والجاهل فإنّ ذلك موجود لدى كلّ أمّة من الأمم. فلا سبيل بعد هذا للإنسان إلاّ أن يغضّ النظر والعياذ بالله عن جميع الأديان وعن الحقّ الواضح وينكر نعمة الديانة الّتي هي أفضل جميع النعم الإلهيّة ويصبح لا دينياً علمانيّاً وينكر وجود الله أو يتّخذ من دون تمييزٍ أو دليل أحد الأديان ديناً له ويعتبره حقّاً من دون برهان ويعتبر الشرائع الأخرى باطلة من دون برهان ويكتفي بالتقليد المهلك كما جاء في الآية الكريمة: "إنّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أمَّةٍ وإنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُون"[59] ولا سبيل له إلاّ أن يتمسّك بدليل التقرير ويعتبر الله تعالى حاضراً ناظراً قادراً قاهراً ويعتبر نفوذ الشريعة الحقّة وبقاءها الدليل الوحيد على حقيّتها وفقاً للآية الكريمة: "أنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونْ"[60] ووفقاً للآية الكريمة: "إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً"[61] ويرى فناء الشريعة الكاذبة والدعوات الباطلة أمثال المانويّة والمزدكيّة ومسيلمة الكذاب وطيلحة الأسدي وسجاح وأمثالهم الّذين زالوا وبادوا وطوت يد الله جلّ جلاله بساطهم الممدود في وقت قصير. وسنعود إن شاء الله إلى هذه المسألة مرّة ثانية في غضون أجوبتنا على أسئلة حضرة شيخ الإسلام ونوفّيها حقّها ببيانٍ أوفي وأكمل والآن نودع مزيد البيان في هذا المقام بقوله تعالى: "لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ"[62].

[59] الزخرف: 23
[60] الصافات: 173
[61] الإسراء: 81
[62] الرعد: 14

11. في كيفيّة الاستدلال بالمعجزات:

[إعلم يا حضرة الشيخ وفقنا الله وإياكم على ما يحب ويرضى] إنّ عقيدة أهل البهاء هي أنّ الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله أجمعين هم مظاهر القدرة الإلهيّة بل مطالع جميع صفات الحضرة الأحديّة وأسمائه وهم قادرون على كلّ شيئ بإذن الله ومسيطرون على عوالم التكوين بإرادة الله. وإنّنّ جميع أفعالهم وأطوارهم تفوق الطاقة البشريّة وجميع حركاتهم وسكناتهم مظاهر للقدرة والسلطنة والحكمة الإلهيّة ولكن حيث أنّنّ دليل المعجزات وخوارق العادات من الأدلّة الثانويّة المؤيّدة الّتي لا تدلّ بحدّ ذاتها على صدق المدّعي بخلاف الكتاب السماوي الّذي يرتبط دليله على صدق الادّعاء إرتباطاً وثيقاً بالأدلّة الأصليّة الأوّليّة لهذا فإنّ الله جلّ جلاله إعتبر آيات الكتاب حجّة بالغة أودع فيها هداية عباده وبهذا البرهان المحكم جعل الحجّة بالغة كاملة على أهل العالم.

وأعرض لمزيد الإيضاح إنّه من الثابت لدى أولي العلم أنّ ارتباط الدليل بالدعوى إرتباطاً صحيحاً هو الشرط الأوّل لصحّة الإستنتاج ليتمّ بذلك إثبات المطلوب ولو لم يكن هناك إرتباط بين الدليل والدعوى فإنّ ذلك الدليل لن يثبت المطلوب أبداً مهما كان ذلك الدليل مدهشاً محيّراً. مثلاً لو قال إنسان إني طبيب ودليلي على ذلك أنني أستطيع الطيران في الهواء أو أستطيع إنطاق الحجر فإنّ دليله هذا لدى أولي العلم لا ينطبق على صدق دعواه لأنّنّ شفاء الأمراض وإبراء المرضى هو الدليل على صدق دعوى الطبّبّ لا الطيران إلى السماء أو إنطاق الصخرة الصمّاء. إذ ليس هناك إرتباط بين الدليل والدعوى. فقد قال الأستاذ الشهير في الجزء الثامن من (كتاب النقش في الحجر): "وبما أنّ الإنسان معرّض للخطأ في الأمور العقليّة يوافقه أن يستعين بآلة قانونيّة تعصمه من الخطأ وترشده إلى الصحيح حتى لا يحسب علّةً ما ليس بعلّة ولا نتيجة ما ليس بنتيجة ولا يبني على أساس فاسد ولا يعدّ برهاناً ما ليس ببرهان —قال الإمام الغزالي: "لو قال قائلٌ أربعة أكثر من عشرة وأنا أبرهن ذلك بإحالة هذه العصا حيّة ثم فعل وتحوّلت العصاء حيّةً لكنتُ أندهش من حيلة العامل ولكنّي كنت أبقى على يقيني بأنّنّ أربعة أقل من عشرة ... إلى آخر قوله" معناه لا تَعَلّق بين البرهان والأمر المبرهن وإذ ذاك فلا يعد برهاناً".

فلمّا تمّ الإطّلاع على هذه المقدمة أعرض إنّنّ الإنسان البصير يفهم بتأملٍ قليل أنّه لا إرتباط أبداً بين ادّعاء الرسالة وبين قدرة الرسول على الأمور الخارقة للعادة لأنّنّ الرسول يقول إنني جئت لكم

من الله برسالة فكيف يستوجب هذا الادّعاء أن يكون المدّعي قادراً على إحياء الموتى وإنطاق الأحجار وفلق البحار وغيرها. والواقعّ طلب خوارق العادات من مدّعي الرسالة يشبه طلب أمور من رسول الملِك تتعلّق بالملِك نفسه. فمثلاً لو يقول إنسان إنني رسول من جانب الملِك وقد جئت اليكم برسالة من الملِك فكم يكون الجواب عليه جواباً سخيفاً لو يقال له "إن كنت رسول الملِك فاعمل لنا أموراً يعملها الملِك لنصدّق رسالتك عنه كأن تقود جيشاً جرّاراً وتفتح به الممالك وتقتل خلقاً من الناس" في حين أنّ ادّعاء ه بأنّه رسول الملِك لا يستوجب هذه القوّة على إظهار كلّ هذه الأمور المذكورة. أو مثلاً لو عيّن الأمبراطور والياً على تفليس وسألنا هذا الوالي: "ما هو دليل صدق إدّعائك الولاية لنخضع لك ولنطيع أوامرك؟" فمن البديهي أن يتمسّك بفرمان الأمبراطور الّذي هوالكتاب المحكم من الدولة وبه يستدلّ. فلو يُقال له في الجواب: "إننا لا نكتفي بمثل هذا الكتاب الّذي يستطيع كلّ إنسان أن يكتب مثله ولا نصدّق ادّعاء ك بأنك نائب عن الأمبراطور تقوم مقامه إلاّ بعد أن تُظهر لنا أموراً تخصّ الأمبراطور مثل تجهيز الجيوش وفتح البلاد وقتل النفوس وهدم الحصون وعمران البلاد ليدلّ ذلك على صدق دعواك ويثبت إمارتك وولايتك" فمن الواضح أنّه سوف لا يعتني أبداً بهذه الإقتراحات ولا يتمسّك أبداً بغير الفرمان الّذي يحمله ولا يظهر أيّ أمر من الأمور الّتي يقترحها عليه القوم ولو أنّه يستطيع إظهارها "وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلاّ العَالِمونْ"[63].

وخلاصة القول فإنّه بناءً على عدم وجود رابطة بين ادّعاء الرسالة وبين القدرة على الأمور الخارقة للعادة فقد أصدر سيّد الأنام الخطاب التالي في سورة الإنعام: "قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ"[64].

ومضمون هذه الآية يُعلّم الدليل العقلي على عدم الإرتباط بين ادّعاء النبوّة وبين القدرة على إظهار المعجزات وخوارق العادات. إذ من الواضح لدى كلّ عالم أنّ خاتم الأنبياء عليه آلاف التحيّة والبهاء كان مظهر العلم ومخزن القدرة الإلهيّة وكان قادراً على كلّ شيئ بإذن الله وعالماً بجميع ما كان وما يكون بوحي الله. إذاً فليس المقصود بهذه الآية نفي العلم والقدرة عن حضرته بل المقصود إظهار

---

[63] العنكبوت: 42

[64] الأنعام: 50

عدم إرتباط دعوى الرسالة بالقدرة على الأمور الخارقة للعادات وعدم دلالة المعجزات والمقترحات على صدق ادّعاء النبوّة.

وقد قال القاضي العلامة محمّد بن أحمد بن رشد الأندلسي وهو أعظم علماء القرن السادس الهجري بل يعتبره جميع فلاسفة أوروبّا أعظم فيلسوف ظهر في الإسلام ويعتبرون مؤلّفاته نفيسة جدّاً- قال في كتابه (الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّة) المطبوع في مصر في المبحث السادس بعد كلام مفصّل في عدم دلالة المعجزات وحدها على صحّة النبوّة: "ولما كان هذا كلّه غنما فُضّل فيه صلى الله عليه وآله وسلّم لأنّه فَضَلَهم في الوحي الّذي به إستحقّ النبيّ إسم النبوّة قال عليه السلام منبّهاً على هذا المعنى الّذي خصّه الله به: "مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الأنْبِيَاءِ إلاّ وَقَدْ أوتِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا عَلَى مِثْلِهِ أمِنَ جَمِيعُ البَشَرِ وَإنَّمَا كَانَ الّذِي أوتِيتُهُ وَحْياً وَإنِّي لأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرُهُمْ تَبَعاً يَوْمَ القِيَامَةِ". وإذا كان هذا كلّه كما وصفنا فقد تبيّن أن دلالة القرآن على نبوته صلى الله عليه وسلّم ليست هي مثل دلالة انقلاب العصا حيّة على نبوّة موسى علية السلام ولا إحياء الموتى على نبوّة عيسى وإبراء الأكمه والأبرص. فإنّ تلك وإن كانت أفعالاً لا تظهر إلاّ على أيدي الأنبياء وهي مقنعة عند الجمهور فليست تدلّ دلالة قطعية إذا إنفردت لأنّها ليست من أفعال الصفة الّتي بها سُمّي النبيّ نبيّاً. وأمّا القرآن فدلالته على هذه الصفة مثل دلالة الإبراء على الطبّ ... إلى آخر قوله".

ولو تصفّح الإنسان جميع القرآن الكريم لما وجد آية إستدلّ بها رسول الله عليه الصّلاة والسلام بدليل المعجزات وخوارق العادات بل على العكس من ذلك رفض الاستدلال بالمعجزات في عدّة مواضع حين طُلبت المعجزات من حضرته وكلّما قالوا: "لَوْلا يَأتينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ"[65] فإنّه عليه السلام كان يسكتهم بالأكتفاء بالكتاب لعدم كفاءة المعجزات وبأن خوارق العادات موجبة للهلاك. وإنا نتلو عليك من آيات القرآن الكريم وإنباء الرحمن ما فيه مزدجر للخائفين وكفاية للمتبصّرين وذكرى وموعظة للمتّقين:

منها في سورة بني إسرائيل: "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيات إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيات إِلَّا تَخْوِيفًا"[66]، ومراده تعالى من هذه الآية هو أننا لا نرسل معجزة ولا نجعلها برهاناً لك إلاّ لأن الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهما قد كذّبوا معجزات الأنبياء

[65] طه: 133
[66] الإسراء: 59

وحملوا الآيات الإلهيّة محمل السحر وإنّا قد أهلكنا تلك الأقوام الطاغية ومحوناهم بإنزال السخط والغضب عليهم لأننا لا نرسل المعجزات إلاّ للإرهاب والإنذار بنزول العذاب والهلاك وحيث أنّ وجود محمّد خاتم النبيّين كان رحمة للعالمين وإن إرادة الله أرادت بقاء نسل قريش وانقراض نسل اليهود وسائر الأحزاب المعادية لحضرته وظهور أهل الإيمان من نسل قريش والقبائل المؤمنة، لهذا أبى الله إظهار المعجزات والآيات القهريّة ولم يرض هلاكهم وحصر الحجّة بالكتاب الّذي أودع فيه رحمته وهدايته والّذي لن يستطيع أحد الإتيان بمثله.

ومنها في سورة الأنعام: " قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ. قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ"[67] وقد نزلت هذه الآية الكريمة في وقت كان فيه الكفّار من أهل الكتاب ومن غيرهم يطلبون في كلّ يوم معجزة وينادون دائماً بكلمة: "لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ"[68] لهذا نزل في هذه الآية أن قل لهم إنني جئتكم بالبيّنة الإلهيّة وهو القرآن وأنتم كذّبتم به وليس لديّ ما تستعجلون به من العذاب أي المعجزات والمقترحات لأنّ المعجزات لو ظهرت فلن ينتج عنها غير هلاككم ويتحتّم بعدها الحكم عليكم بالهلاك والانقراض مثل ما حُكم على قبائل عاد وثمود.

ومنها في سورة الأنعام: " وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيات عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ. وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ. وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ"[69].

وإني لا أعلم هل هناك من قلب مدرك فيفكّر في مضمون هذه الآيات الكريمة! فإنّ الله جلّ جلاله قد صرّح فيها بأنّ المعجزات لن تكون سبب الإيمان ولو ظهرت لهم معجزة فإنّ الله تعالى يقلّب قلوبهم وأبصارهم ويتركهم في حال من الشكّ والارتياب وكذلك يتفضّل بأنّه لو ظهرت في الظاهر آيات عظيمة مثل نزول الملائكة وتكلّم الموتى وحشر الأشياء فإنّها لن تكون سبباً في إيمان إنسان إلاّ إذا أرادت الإرادة الإلهيّة إيمانه وكانت مشيئة الله جلّ جلاله سبباً في هدايته ففي هذه الحال ما فائدة

---

[67] الأنعام: 57–58

[68] طه: 133

[69] الأنعام: 109–111

طلب المعجزة وما أهمّيّة خوارق العادات في الدليل والبرهان. نعم إنّ الله جلّ جلاله قد أودع هداية عباده في الكتاب وقرّر شفاء القلوب في الوحي السماوي ولكنّ الخلق الجهلاء يلتمسون الهداية من مواطن الضلالة ويرجون الشفاء من موجبات الهلاك والفرق بين اليوم والأمس هو أنّنّ الناس بالأمس كانوا يتشرّفون في حضور خاتم النبيّين عليه الصّلاة والسلام ويسمعون أمثال هذه الأجوبة عند طلبهم المعجزات أما الناس اليوم فهم جالسون في بيوتهم وفي بلادهم البعيدة ويتوقّعون من صاحب الأمر أن يرسل إليهم المعجزات الّتي عرفتم آثارها وفهمتم فوائدها ويوفّر عليهم مشاقّ السفر ونفقات الطريق.

ومنها ما نزل في سورة الأنعام أيضاً: قوله جل ذكره وتعالت عظمته: "قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ. وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ. وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ"[70] وسبب نزول هذه الآية الكريمة هو أنّ رسول الله وخاتم النبيّين عليه وعلى آله آلاف التحيّة والثناء قد أحاطت به الأحزان الشديدة من كثرة إقتراحات أهل الهوى وشدّة إعراض الأعداء لأنّهم كانوا يعتبرون القرآن المجيد شعراً وإفتراءً وكانوا يشيحون بأوجههم عن قبول أعظم دليل إلهي ويجرحون قلبه المبارك بالكلمات الجارحة أمثال قولهم "أئِنّا لَتارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ"[71] وكانوا في كلّ يوم يقترحون آية ويطلبون معجزة بحيث ظهرت آثار الأحزان على وجهه المبارك وتضوّعت روائح الألم من وجنات حاله فنزلت في الحال ورقاء الروح الأمين من غصون سدرة العليّين وتغنّت بهذا اللحن القدسي وبهذه النغمة الملكوتيّة وأمرت حضرته بالصبر والجلد والتحمّل والإستقرار وهذه الآيات النازلة تعني أنّنّ الله لا يريد هدايتهم بسبب كبريائهم ونخوتهم وظلمهم وشرورهم ولا يريد أن يزيّن رؤوسهم بالعزّة الأبديّة بسبب الإيمان لأنّ السنّة الألهيّة في الظهورات الكلّية قد جرت على أن الله جلّ جلاله يحرم المتكبّرين والمغرورين من نعمة الهداية جزاء أعمالهم ويزيّن رؤوس المتواضعين وأنقياء القلوب بتاج الإيمان وشرف الإذعان. وهذه سنّة الله ولن تجد لها تبديلاً. ولو يفكّر أولو البصائر قليلاً في هذه الآيات الكريمة وفي مقدار التهديد والتوبيخ الّذي أودعه الله جلّ جلاله فيها فإنّهم يطّلعون على مراتب إبتعاد الخلق عن الحقائق لأنّ الآيات العظيمة الّتي قدّر الله في ظهور واحد منها إهلاكاً وإفناءً للقبائل ووبّخ وهدّد

[70] الأنعام: 33–35
[71] الصافات: 36

طالبيها قد صار الجهلاء من الناس نتيجة سوء تربية العلماء والرؤساء ينسبون صدورها إلى كلّ شيخ حشّاش ويتوقّعون ظهورها من قدرة كلّ قذرٍ من الأوباش ولكن ما الفائدة وقد إعتاد الناس على قراءة القرآن الكريم دون فهمه والبهجة بأوهامهم وأباطيلهم؟ وهذه الحال نفسها علامة من علامات يوم الظهور وإمارة من إمارات يوم النشور.

ومنها في سورة البقرة: "وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيات لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ"[72] وقول الكفّار في هذه الآية يرتبط بما ورد في الباب (19) و (20) من سفر الخروج من أسفار التوراة المقدّسة والّتي جاء فيها أنّ الله تعالى كلّم بني إسرائيل في برّية سيناء وأظهر لهم آيات باهرة ومعجزات ظاهرة ولهذا كان اليهود يقولون: "لو كان محمّد نبيّاً فلماذا لا يكلّمنا الله أو يظهر لنا معجزة لنفهم حقيقته ولنؤمن به؟ فيتفضّل في الجواب عليهم بأنّ الكفّار في السابق قد قالوا مثل هذا القول وبسبب هذه الأوهام لم يؤمنوا بالأنبياء وقد تشابهت قلوبهم وتماثلت اعتراضات هم. والواقع إنّ الإنسان لو نظر بدقّة فإنّه يشاهد بأنّ المعارضين لمظاهر أمر الله يتشبّثون دائماً بنوع واحد من الشبهات فيقول آخرهم نفس ما قال أوّلهم ويسير متأخرهم على الدرب الّذي سار فيه متقدّمهم كما سنبيّن ذلك بصورة مفصّلة إن شاء الله في غضون الأبحاث القادمة.

ومنها في سورة آل عمران: "الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ"[73] وسبب نزول هذه الآية المباركة هو أنّ قوماً من اليهود تشرّفوا بحضور رسول الله وخاتم النبيّين عليه وآله أطيب التحيّة والثناء وعرضوا أنّ الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول إلاّ أن يأتينا بقربان تنزل عليه نار من السماء فتحرقه وتكون هذه المعجزة بنزول النار دليلاً على قبول القربان وعلى صدق النبوّة وكان إقتراح اليهود هذا مبنيّاً على حكاية قربان هابيل إبن آدم عليه السلام وعلى حادثة محاكمة إيليّا النبيّ (إلياس) مع الأنبياء الوثنيّين. فقد جاء في الفصل (18) من كتاب الملوك الأوّل من كتب التوراة أنّ إيليّا عليه السلام قد تعاهد مع أنبياء بعل أحد أوثان مدينة السامرة أن يذبح كلّ منهما ذبيحة يضعها على مذبح الله ويسألونه تعالى أن ينزل ناراً من السماء على ذبيحة الصادق ويحرق قربانه وأخيراً وفقاً لما

---

[72] البقرة: 118

[73] آل عمران: 183

هو المسطور قَبِلَ الله قربان إيليّا النبيّ ورفض قربان أنبياء بعل وأظهر كذبهم فلمّا طلب اليهود هذه المعجزة من رسول الله عليه السلام قال الله تعالى في الجواب عليهم قل لقد جاءتكم البينات مني سابقاً وجاءتكم هذه المعجزة فلو كنتم صادقين في إيمانكم بمجرّد ظهور تلك المعجزة فلماذا قتلتموهم؟ وإني لا أعلم ماذا كان يقول جناب شيخ الإسلام لو شاهد هذا الجواب في كتاب الإيقان الشريف؟ وكم كان غضبه شديداً بحيث لن يرغب أبداً في النظر إلى كتاب الإيقان؟ لأن هذا الجواب لليهود مثل جواب حضرة الباب الأعظم لشخص مسلم يخاطبه قائلاً "لو كنتَ أنت المهدي الموعود لشققت لنا القمر كما هو مأثور عن رسول الله" فيجيبه حضرة الباب الأعظم قائلاً "لقد سبق أن جاءتك رسل من قبلي بمثل هذه المعجزة فلماذا قتلتهم إن كنت صادقاً؟" ولا شكّ أنّ ذلك الشخص يتحيّر لدى سماع هذا الجواب ويقول "لا أنا كنت في زمن الأنبياء السابقين ولا أنا أنكرت رسالتهم حتى أستحقّ هذا اللوم ولا الرسول عليه السلام الّذي نُسبت إليه معجزة إنشقاق القمر كان قد قُتل حتى تصحّ تهمة القتل بحقّي فكيف ينطبق هذا الجواب على سؤالي؟ وبأيّ دليل أُدان بذنبٍ عمله غيري قبل ألف ومائتي سنة؟" وكذلك يطابق هذا المثال جواب رسول الله عليه الصّلاة والسلام لليهود: لأنّه قد مضى أكثر من ألف وخمسمائة سنة بين زمان إلياس النبيّ عليه السلام وبين رسول الله وخاتم النبيّين عليه الصّلاة والسلام ولم يدوَّن في أي تاريخ أنّ إلياس النبيّ عليه السلام قد إستشهد بل إنّنّ اليهود والنصارى والمسلمين متّفقون على أنّه حيّ باقٍ إلى يومنا هذا ويعتبر اليهود جميعهم إلياس نبيّاً صادقاً ونبيّ حقّ من جانب الله سبحانه وتعالى ولهذا لما نزل الجواب لليهود على هذه الصورة الّتي لاحظتموها أطلق الجميع ألسنة الاعتراض وقالوا بصراحة "يا للعجب إننا ما كنّنّا في زمان إيليّا النبيّ حتى يُنسب إلينا تكذيب حضرته وردّه. ولا هو بمقتول حتى تصحّ تهمة القتل ولا كنّنّا في زمان سائر الأنبياء الّذين إستشهدوا حتى نؤاخَذ بهذه الجرائم ولا نحن بمنكرين أيّ نبيّ من الأنبياء السلف حتى ينطبق علينا أيّ إنتقاد مماثل وكلّ ما نريده الآن هو معجزة تميّز النبيّ الصادق عن الكاذب نراها فنؤمن. فبأيّ دليل نؤاخذ بذنوب الأقدمين ونكلّف بالإيمان بدون مشاهدة معجزة؟" وأخيراً لا مفرّ لحضرة شيخ الإسلام إلاّ أن يحمل ألفاظ الموت والحياة والبعث والرجع والسماء والنجوم وغيرها محمل المعاني النازلة في كتاب الإيقان الشريف حتى يطّلع على المعاني البديعة في آيات القرآن المجيد والكتاب الحميد. وحتى يستطيع دفع اعتراضات اليهود وسائر الملل الأخرى وبعكس ذلك يجد نفسه عاجزاً عن الإجابة على اعتراضات الأجانب "وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ"[74] ولعلّ حضرة شيخ الإسلام قد سمع أنّنّ جماعة كبيرة من بني إسرائيل قد دخلت اليوم

---

[74] فاطر: 14

شريعة الله المقدّسة وبسبب إذعانها لهذا الأمر الأقدس إعترفت بحقيّة رسالة عيسى عليه السلام ورسالة رسول الله وخاتم النبيّين عليه الصّلاة والسلام. أفليس السبب في ذلك غير إدراكهم معاني الألفاظ المختومة بواسطة كتاب الإيقان الشريف وسائر الألواح المقدّسة؟ فإمتلكوا القدرة على حلّ غوامض الكلمات الإلهيّة وتوصّلوا إلى البرهان الحقيقي للأنبياء والرسل حتى صارت الصدور الّتي كانت مظلمة ومكدّرة ومملوءة ببغض عيسى عليه السلام ومحمّد خاتم النبيّين وأئمّة الهدى عليهم أطيب التحيّة والثناء عامرة اليوم بحب هذه الأنوار المقدّسة ومنوّرة بالولاء إليها وصارت الألسنة الّتي كانت ناطقة بالإنكار والاعتراض على هذه المظاهر الإلهيّة مترنّمة اليوم بمدحهم وثنائهم وهذا قليل من آثار ألواح هذا الظهور الأعظم الّذي ظهر في العالم [وسوف تظهر آثارها أشدّ وأقوى] "فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى"[75].

ومنها في سورة القصص: "فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ. قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[76] ومعنى الآية هو إنّ "الحقّ" أي "رسول الله" عليه السلام لما جاءهم من عندنا قالوا "لماذا لم يُعط ما أُعطي موسى" أي أنّ الكفّار كانوا يقولون "لو أنّ محمّداً نبيّ من جانب الله لماذا لم تُعط له المعجزات الّتي أعطيت لموسى مثل فلق البحر وتبديل العصا حيّة واليد البيضاء والدخان وإهلاك فرعون؟" وغير ذلك من الأوهام الّتي يؤمن بها اليهود وغيرهم من الّذين لا يؤمنون برسول الله وخاتم النبيّين عليه الصّلاة والسلام، ولكنّ الله تعالى أجابهم بقوله لهم: "ألم تكفروا بمعجزات موسى الّتي أوتيها قبلك وقلتم باطلان تعاونا؟" ثم أمر الله رسوله عليه الصّلاة والسلام أن قل لهم يأتوا بكتاب أهدى من كتاب موسى حتى أتّبعه إن كنتم صادقين. وهذه الآية صرسحة على أنّ الكفّار إعترضوا على رسول الله قائلين: "إن كان نبيّاً فلماذا لم يُعط ما أُعطي موسى من المعجزات؟" فأجابهم حضرته: "بما أنكم كفرتم بمعجزات موسى فلم يبق لكم حقّ في طلب معجزة أخرى مني" ومنعهم بذلك من طلب المعجزات ودلّهم على الكتاب الّذي يهدي العالمين. ولو أنصف أهل هذا الزمان فإنّهم يشهدون بأنفسهم بأنّ كلّ واحد منهم قدسمع بأذنه من المعترضين على هذا الظهور الأعظم نفس هذه الاعتراضات ولا يزال يسمع بأنّ صاحب

---

[75] طه: 16

[76] القصص: 27–28

هذا الأمر لو كان المهدي الموعود فلماذا لم يأت بمعجزات مثل معجزات رسول الله وعيسى وموسى عليهم السلام؟ "فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ"[77].

ومنها في سورة الرّعد: "وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"[78].

وفي سورة بني إسرائيل: "وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا"[79]. وهذه الآية تعني إنني لم أدّع غير البشريّة والرسالة، فالبشريّة لا تستلزم القدرة على إتيان هذه الأمور كما أنّ الرسالة لا تستلزم إظهار خوارق العادات.

هذا وإنّ أمثال هذه الآيات كثير في القرآن الكريم وكلّها يصرّح بأنّنّ رسول الله وخاتم النبيّين عليه وآله آلاف التحيّة والثناء لم يقبل بإقتراحات القوم ولم يُجب أبداً طالبي المعجزات. ولو فتّشتم جميع القرآن المجيد لما وجدتم آية تدلّ على أنّه استدلّ بمعجزة غير القرآن أو أجاب إقتراحاً إقترحه عليه القوم. نعم لقد إستدلّ بعض العلماء في إثبات معجزات خاتم النبيّين عليه الصّلاة والسلام بآية إنشقاق القمر وبآية الإخبار بإنتصار الروم على إيران. وواضح لدى أهل العلم والإدراك إنّ هذا الاستدلال ليس بنافع هنا أبداً لأنّ أهل البهاء لا يذكرون أبداً معجزات خاتم الأنبياء كما صرّحنا بذلك في بداية الفصل ولكنّ بحثنا يدور حول أنّ المعجزات ليست فيها دلالة مستقلّة في إثبات صدق ادّعاء النبوّة وحول كون رسول الله لم يستدلّ بالمعجزات في إثبات حقيّته ولم يحتجّ أبداً بغلبة الروم وكلّما نادى الكفّار قائلين: "لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ"[80] فإنّه حضرته لم يتمسّك بدليل وبرهان غير القرآن المجيد.وقد تمسّك بعض العلماء ببعض الأحاديث والروايات في إثبات المعجزات، وجوابنا عليهم واضح جدّاً كذلك لأنّ الحديث النبوي يكون مقبولاً إذا لم يتناقض مع القرآن المجيد فإذا ناقض القرآن المجيد فإنّه مرفوض حتماً وقد ثبت في هذا الفصل أن القرآن المجيد قد رفض كلّ المقترحات الخاصّة بالمعجزات وإعتبر ظهور المعجزات بل طلبها سبباً في إزدياد الشكّ والريب ومنذرة

[77] الأنبياء: 5
[78] الرعد: 27
[79] الإسراء: 90-93
[80] طه: 133

بالعذاب والهلاك وصرّح بأنّه لما كذّبت الأمم السابقة بمعجزات الأنبياء وهلكت نتيجة تكذيبها لهذا فإنّ تكذيبها ورفضها منعنا عن إتيان المعجزات ففي هذه الحال إن وُجدت أحاديث تدلّ على ظهور معجزة من رسول الله صلى الله عليه وسلّم بدون إقتراح الكفّار وطلبهم فإنّ ذلك الحديث صحيح وموافق للقرآن الكريم ونحن به مؤمنون وإن دلّ الحديث على ظهور معجزة بطلب الكفّار وإقتراحهم فإنّ ذلك الحديث موضوع لأنّه يخالف صريح القرآن المجيد والكتاب الكريم. وإن الّذي عرضناه في هذا الباب يلائم عامّة طبقات الخلق ويستطيع كلّ واحد فهمه أما الخاصّة من أهل العلم والفلسفة فإنّهم يعتقدون أنّ معجزات الأنبياء قد نُسبت إليهم على العموم وكلّ ما يدلّ على القوّة والغلبة الكلّية لروح القدس النازل على قلوب الأنبياء المباركة فإنّه حقّ ومعقول وكلّ ما لا يدلّ على هذا فهو خرافة وموضوع. ولكنّ هذه المسألة دقيقة جدّاً ولا يستطيع إدراكها غير القلوب الصافية وأولو العلوم والمعارف العالية ويكفي أن نقول حول غموض ودقّة فهم حقيقة المعجزات أنّ هذه المسألة المعضلة كانت ولا زالت شِباكاً لهلاك الملل القويّة ومصيدة لبوار الأمم الكبيرة ودمارها ولو تأمّل إنسان بصير في إنّ معجزات كلّ رسول مقبولة فقط داخل أمّته لا خارجها لإستطاع أن يعرف مواقع ظهور المعجزات ويفهم أسباب نفيها وإثباتها في الخارج والداخل. فمثلاً معجزات موسى عليه السلام، فإنّ الزردشتيّين لا يؤمنون بها أبداً ويعتبرونها جميعاً كذباً وإفتراءً وكذلك معجزات عيسى عليه السلام لا يقبلها اليهود مطلقاً ويعتبرونها مختلقة موضوعة وكذلك معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لا يؤمن بها الزردشتيّون واليهود والنصارى ويعتبرونها من أكاذيب المسلمين ولهذا فليس من المستبعد أن لا يصدّق المسلمون معجزات حضرة بهاء الله وينكرونها ليتمّ فيهم حديث رسول الله عليه السلام: "لَتَسْلُكُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلِكُمْ شِبْراً فَشِبْرٍ وَذِرَاعاً فَذِرَاعاً".

والآن بعد أن إطّلعنا على قيمة دليل المعجزات والمآخذ الّتي تؤخذ عليه وكيفيّة إجابة الرسول عليه الصّلاة والسلام للطالبين للمعجزات، أعرض بأنّ الإنسان الّذي يريد أن يتمسّك بالمعجزات في سبيل معرفة مظاهر أمر الله يجدها في هذا الظهور على أعظم مقياس وأقواه وأتمّه لأنّ الزمان أقرب بنا منه والوسائط معروفة أكثر وإختبار أحوال الرواة أسهل بخلاف المعجزات المنسوبة إلى سائر الأنبياء. فبقطع النظر عن أنّ بياناتهم تتنافي وصدور تلك المعجزات كما يتّضح من آيات القرآن المجيد نرى أنّ رواة هذه المعجزات مجهولو الهوية وغير ممكن إختبار أحوالهم وليس هناك غير روايات رويت عن رواة عديدين وبوسائط مجهولة قبلتها كلّ أمّة بعد ألف سنة وألفي سنة وثلاثة آلاف سنة عن حسن ظنّها وتقليداً للآباء والأجداد، وقد نسب أهل كلّ مذهب مع تناقض المذاهب وتباين

المشارب لرؤساء مذهبهم بل لمشايخ طريقتهم خوارق عادات كثيرة والنقطة الواضحة هنا هي أنّه ليس من الممكن أن يُظهر صاحب الأمر لكلّ شخص معجزة ويجيب على الفور إقتراح كلّ إنسان لأنّ عامة أفراد الناس سوف يجتمعون كلّ يوم إن لم يكن من أجل فهم الدين فمن أجل التفرّج والتسلية ويطلبون في كلّ إجتماع إظهار أمرٍ غريب ومعجزة عجيبة يقترحونها على صاحب الأمر وتنقضي سنوات العمر ولا تنقضي مقترحات الخلق ويتبدّل مجلس النبوّة والرسالة إلى مسرح تمثيل وألعاب ويتجلّى سرّ الآية الكريمة: "وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ "[81]. لهذا فقد إقتضت الحكمة الإلهيّة في الأزمان الغابرة أنّه كلّما أوقفت أمّة من الأمم تصديق رسولها المبعوث على نزول معجزة من السماء وإشترطت لإيمانها شرط ظهور تلك المعجزة كان رؤساء تلك الأمّة يجتمعون ويختارون معجزة من المعجزات العظيمة ويعيّنون ميعاد يوم معيّن ويخبرون الأمّة بذلك فعند ذلك يُظهر لهم رسول ذلك الزمان المعجزة المطلوبة أمام جمعٍ منهم وعند ذلك تكون الحجّة الإلهيّة بالغة على جميع الخلق كما هو المذكور في الكتب الدينيّة من قصص عاد وثمود وفرعون وقد سُطّرت في جميع الأسفار كيفيّة ظهور تلك المعجزات. ونظراً لوضوح هذه المسألة إلتمس رجالات الأمّة البهائيّة مراراً من رؤساء الدولة وعظماء الملّة في مجالس المناظرة أن يعقدوا مجلساً وينظروا بنظر الإنصاف والعدل في أوامر هذا الظهور وإذا انتهى بهم الأمر أخيراً إلى طلب المعجزات فليتّفقوا وليعلنوا مثل الأمم الماضية حتى يظهر الحقّ من الباطل ويمتاز الثابت عن الزائل وتزول الإختلافات والتفرقة من بين الأمّة. ففي إحدى المرات عندما كانت شمس جمال الله جلّ جلاله مشرقة ومتلئلئة من أفق دار السلام (بغداد) كان يقيم في العراق الشيخ عبد الحسين المجتهد الطهراني من علماء هذا القرن الممتازين بعلوّ جاههم وعزّتهم وفخامتهم مبعوثاً من جانب الدولة الإيرانيّة العليّة لتعمير العتبات المقدّسة في العراق وقد حرّكت ملاحظته لقوّة أمر الله ونفوذه وغلبته عِرْقَ تعصّبه وعناده فسعى سعياً حثيثاً متوهّماً بخياله الواهي أنّه يستطيع إزالة أمر الله عن طريق إثارة الفتنة والتحريض والمعارضة، وإستطاع أن يجمع حوله رؤساء الدين في العراق ووجهاءه وأخيراً عقد في الكاظميّة مجلساً كبيراً إجتمع فيه العلماء والوجهاء من النجف وكربلاء والكاظمين كما دعا إليه [**الشيخ الأجلّ الشيخ مرتضى الأنصاري أفاض الله على تربته وابل الرحمة والمغفرة**] إلى ذلك المجلس باسم دعوته إلى وليمة، ولما إنعقد محفلهم وإستقرّ كلّ واحد في مكانه من المجلس رفع الشيخ عبد الحسين الستار عن هدفه وأعلن بغضب البيان وجرأة الجنان الّتي يملكهما وجوب إبادة هذه الفئة المظلومة، فنهض الشيخ الأجلّ الشيخ مرتضى الأنصاري خارجاً وكلّما إجتهدوا في إقناعه بالجلوس لم يرضى بل

[81] المؤمنون: **71**

خرج في الحال من ذلك المجمع وسافر توّاً إلى النجف الأشرف. ومع أنّنّ إنتصال الشيخ الأجلّ قد سبّب وهن عزائم أهل العمائم إلاّ أنّهم لم ييأسوا نظراً لمكانة رئيس المجلس ولإتّفاق سائر أعضائه على تنفيذ مقصدهم الفاسد، فقرّروا بعد المشاورة أن يرسلوا أوّلاً أحد أرباب الفضل إلى الحضور المبارك وبعد أن ينكشف مقصودهم ويتجلّى وعدهم ووعيدهم يقومون بإتمام مقاصدهم، وإختاروا أخيراً الملا حسن عمو الّذي كان معروفاً بالفضل والعلم وفصاحة اللسان وقوّة الجناب وشيخاً موثوقاً كاملاً ليقوم بحمل هذه الرسالة وتنفيذ هذه المهمّة فتوجّه إلى بغداد وتشرّف بالحضور المبارك بتوسّط زين العابدين خان فخر الدولة الّذي كان من وجهاء الإيرانيّين وساكناً حينذاك في العراق وعرض المهمّة الّتي جاء بها من قِبل العلماء فشرع الجمال الأقدس الأبهي في إثبات الأمر المبارك للنقطة الأولى ببيانات محيّرة للعقول جاذبة للألباب لا تستطيع أقلام هذا العبد الضعيف وصف بلاغتها وفصاحتها وقوّتها ومتانتها بأتمّ بيان وأكمل برهان وأثبت حقيقة الظهور المقدّس بمقالات علميّة وبراهين عقليّة ونقليّة فتحيّر الملا حسن وكان قد شاهد كبار علماء العراق وإيران وأفاضل أهل السنّة والشّيعة وكان هو نفسه فاضلاً نحريراً وخطيباً لا نظير له وبُهِت من حسن تقرير الجمال المبارك ورشاقة بيانه وقوّة دليله ومتانة برهانه ولم يجد جواباً غير أن يعرض في نهاية الخضوع أنّه لا يمكن والحقّ يقال تصوّر بيان أتمّ وأكمل من هذا الاحتجاج من حيث العلم والبرهان ولكنّ حضرتكم تعرفون حال العلماء إذ لم يكتفوا بالبيانات العلميّة والدلائل القرآنيّة وطلبوا معجزة سماويّة وإحدى خوارق العادات فماذا أجيبهم؟ فتفضّل: "ليجتمعوا حضراتهم ويطلبوا معجزة من المعجزات ويتّفقوا عليها حتى يظهرها لهم الله جلّ جلاله وبها تنفصم حبائل التسويف والإنكار لأرباب المكابرة والاستكبار ". فبعد أن سمع الملا حسن هذا الجواب رجع إلى الكاظميّة وعرض في مجمع العلماء شرحاً لما سمعه ورآه في المحضر المبارك والوعد المبارك بإظهار المعجزة وعرض لهم بالصراحة إنّ الأمر ليس كما سمعوا به أو وفق ما يتصوّرونه ومن الأحسن ختم هذه المسألة وفقاً للمحبّة والإنصاف وسدّ أبواب المعاندة والمشاحنة الّتي لا فائدة منها. ولكنّ مراتب الكبرياء والتجبّر حرفت العلماء عن الطريق المستقيم وشرع الشيخ عبد الحسين باللجوء إلى أرباب السلطة الظالمين ظنّاً منه بأنّ معارضة أمر الله أمر سهل ويسير، وصرف النظر عن طلب معجزة سماويّة وتوسّل بالوساوس الدنيويّة والدسائس السياسيّة [**فخابت آماله وحبطت أعماله وبقيت قصّته عبرة للناظرين وموعظة وذكرى للمتبصّرين**].

هذا وقد حدثت في إيران سنة (1300) هجرية حوادث جسيمة عمّت جميع أنحاء المملكة وتعرّضت الطائفة البهائيّة بلا ذنب إلى أنواع من الإضطهاد والحبس في كلّ بلدة ومنها طهران حيث أمر وليّ العهد (كامران ميرزا) الّذي كان يشغل منصب وزارة الحربيّة والحاكم العسكري العام لطهران ومازندران بإلقاء القبض على جمعٍ من أهل البهاء وحبسهم وكان فيهم أربعة من أهل العلم والفضل وكان الباقون من التجّار والعمّال ومن هؤلاء الأربعة جناب الميرزا محمّد رضا بن محمّد آبادي اليزدي الّذي كان معروفاً بإستقامته وبكبر سنّه. ولو أنّ مقصود وليّ العهد كان في البداية إصلاح الحال وإسكات مفاسد أرباب العناد ولكنّه تبدّل شيئاً فشيئاً بسبب قيام الفقهاء ومعاضدة الرؤساء وكثرة التشويقات الملكيّة وإحاطة التسويلات النفسيّة فإشتدّ الأمر وأدّى هياج زوابع التعصّب إلى أن يصرف العظماء النّظر عن خير الدولة والملّة وإلى أن يعقد كبار الرجال العزم على إستئصال هذه الفئة المظلومة وعلى التشبث بكلّ الوسائل والدسائس لإجراء مقاصدهم الفاسدة المستحيلة. وكانت تنعقد في تلك الأوقات مراراً في مقر الحكومة مجالس للمناظرة يجري فيها أنواع الاستدلال والاحتجاج ومن المألوف من عادات القوم أنّهم يتمسّكون أوّلاً بالضرورات الدينيّة والمذهبيّة في مقام المعارضة والاحتجاج وعندما يسمعون جواباً مسكناً ويرون أنفسهم عاجزين أذلاء في إقامة الدليل والبرهان يلجأون إلى طلب المعجزات وإقتراح خوارق العادات وعندما يُغلبون كذلك في هذا الصّراع يتوسّلون بآخر براهين أهل العلم والعدوان وهو قتل المظلومين وحبس المساكين. وهكذا إنتهت مجالس المناظرة بعد مناظرات طويلة ومناقشات مفصّلة إلى طلب المعجزات. فعرض أكابر الأحبّاء بالإجماع الجواب بأنّ هذا نعم المطلوب وأنّ السبيل مفتوح وأنّ وسائل الطلب بالبرق والبريد في منتهى السهولة وما دامت شمس الحقيقة مشرقة والوجود الأقدس لمظهر أمر الله موجوداً فما أبدع أن يتّفق علماء الملّة وأمناء الدولة ويختاروا معجزة من المعجزات وآية من الآيات العظيمة ويعيّنوا يوماً ويخبروا أهل طهران ثم يطلبوا برقيّاً من الحضور المبارك إظهار المعجزة حتى يتّضح الحقّ ويزول الاختلاف من بين الملّة. وفي يوم من أيّام المجالس المذكور طلب الأمير الكبير حضور هذا العبد إلى ذلك المجلس الّذي كان يشهده جمع من أولياء الأمر وكبار المملكة. وبعد أن أذن الأمير الكبير لي بالجلوس توجّه نحوي وقال: "يا أبا الفضل! إن الميرزا محمّد رضا اليزدي يقول لنا أنكم إذا تريدون أية معجزة فعيّنوها وأعلنوا وإسألوا من المحضر الأقدس برقيّاً ولا شكّ أنّ الحقّ جلّ جلاله سيجيب هذا السؤال وسيظهر ويكشف قدرته على الأمّة وإن لم تظهر المعجزة على فرض الحال فإنني أساعدكم وأعلن الردّ على الطائفة البابية في جميع المدن" فعرضت في الجواب: "إنّ جناب الميرزا محمّد رضا اليزدي ولا شكّ معروف في محضر الأمير بصدقه وإستقامته في أمر الله ولا شكّ أنّه

واثق من حصول المعجزة حتى وعدكم بمثل هذا التأكيد والتشديد ولم يخطر بباله أدنى شكّ أو تردّد" فأجابني الأمير قائلاً: "وأنت ماذا تقول في هذا الموضوع؟ وماذا تشير علينا؟" فعرضت "إني أسأل ما هو سبب تردّدكم؟ وما هو سبب إنتظاركم؟ فأنتم في جميع المجالس تتمسّكون بالمعجزات بعد إنقطاع جميع وسائل البحث وتقولون بصورة متواصلة بأنّ هذا الظهور لو كان ظهور الموعود فلماذا لا يأتي بمعجزة؟ والآن ترون رؤساء هذا الأمر حاضرين بمثل هذا النحو من الإستقامة ويعدونكم بإظهارها فما سبب إنتظاركم وما المانع لديكم؟ لعمر الله قد أتمّوا الحجّة عليكم وبيدهم وسائل قويّة وقويمة في الحجّة والبرهان وأنتم تغفلون ولا ترعون جانب الحزم في هذه الأمور الخطيرة من أجل قوم تعتبرونهم في الحقيقة ألدّ أعداء الدولة" ثم جرت بيننا أحاديث هي عبرة وحيرة لأولي الألباب ومشرحها هنا ينافي الإختصار ومنها إنني عرضت قائلاً: "يا مولاي لا تظنّوا أن الحبس والقتل يمنع نفوذ هذا الأمر لأنّ العقائد الدينيّة لا يمكن تغييرها بالمنع والزجر. ولو نظرتم بإمعان لوجدتم أنّنّ قتل النفوس في هذا الأمر صار سبباً لزيادة إشتهاره وإحترامه وإنّ شدّة المنع صارت سبباً في إزدياد تفحّص الخلق وإستفسارهم. فإن أردتم خير الناس وخير أنفسكم فتمسّكوا بوسائل العدل والإنصاف وأنظروا في هذا الأمر بنظر التحقيق لا بنظر المعاندة فيبقى في صفحات التاريخ لكم ذكر حسن وإسم طيب ولا يُقال بحقّكم ما قيل في وصف المكذّبين السالفين". وخلاصة القول فقد عرضت كثيراً من أمثال هذه النصائح ولكنّ رسوخ الحسد ومعاندة رؤساء الدين وهجوم الهواجس والتصوّرات الوهميّة صارت مانعاً دون مشاهدة العواقب ودون النصائح إلى أن طوى ربك القدير ذلك البساط وترك التصوّرات الوهميّة مبتورة وبقيت الحقيقة المؤكّدة وهي أنّه لا نفوذ الأمر الإلهي يمكن صدّه بالظلم والإضطهاد ولا ذكر هذه الحوادث والقصص يمكن محوه وزواله من متون الكتب والسجلات.

وإنّ أتمّ دليل وأكمل برهان من جميع ما عرضته هو لوح السلطان الّذي بنزوله تمّت حجّة الله جلّ جلاله على الأمّة الإسلاميّة وسُدّت على وجه أفراد هذه الأمّة طرق الإنكار والإعتذار من جميع الوجوه وبعد أن نزل هذا الكتاب المبارك من القلم الأعلى في مدينة أدرنة سنة (1286) هجرية أُرسل إلى شاه إيران بيد حضرة بديع وبصورة صريحة إلتمس حضرته من السلطان أن يصدر الإرادة السلطانيّة بإحضار العلماء الأعلام وبحضور الشاه تجري المناظرة مع مظهر أمر الله وليكشفوا جميع ما في مكنونات قلوبهم حتى يتّضح الطريق الإلهي وينكشف سبيل الهداية. وبعد أن إستلم السلطان هذا الكتاب سلّمه إلى علماء طهران ولكنّنّ كبرياء أصحاب التفقّه وشموخ أنوفهم وخوفهم من الخذلان ومن ظهور عجزهم في الميدان حال دون صدور الأمر السلطاني ودون كشف الحقائق المستورة. وإنّ

كتاب السلطان موجود في أكثر عواصم آسيا وأوروبّا مخطوطا ومطبوعاً ومنتشراً وقد إشتهرت حادثة إستشهاد الرسول الحامل لكتاب السلطان في أكثر البلاد.

[وأمّا المعجزات الخصوصيّة والبيّنات الإلهيّة والأخبار عن الأمور الآتية المصرّح بها في الألواح المقدّسة فهي أكثر من أن تُحصى في هذا المختصر ومن أراد العلم بها والإطّلاع عليها فليطلبها من مكانها ومراجعها، ولنختم هذا الفصل بتلاوة آيات الذكر الحكيم والسفر الكريم حيث قال جلّ ذكره وجلّت عظمته]: "فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ. أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"[82].

هذا وقد إنتهينا من بيان الأدلّة والبراهين بكلّ اختصار وما عرضناه يكفي النفوس المنصفة. وإن أراد الإنسان بحثاً أكثر بسطاً وتفصيلاً فيمكنه الرجوع إلى كتب هذه الفئة المفصّلة الاستدلال يّة لأنّ رسائل متعدّدة قد كُتبت على أثر التماس رؤساء الملل الموجودة وقد تمّت الحجّة على الجميع بحكم الآية الكريمة "كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا"[83]. ويستطيع الإنسان أن يفهم قوّة أدلّة هذه الطائفة وبراهينها التامّة حينما يقوم بإثبات حقيقة دينه للأجانب في مقام الاحتجاج وإقامة البراهين ويطلع على مواضع الإنتقاد والاعتراض وأسباب توقف جميع الأمم وإعتراضها.

وخلاصة القول لما تمّ البحث في بيان الأدلّة نشرع الآن في تأليف المبحث الثاني في الجواب على شبهات شيخ الإسلام بصورة مفصّلة وسوف نذكر نفس عباراته بالرغم من أن ذلك يؤدّي إلى طول البحث ولكنّه يفيد فائدة أتمّ إذ إنّ الأثر يدلّ على المؤثّر ويوضح لأرباب البصائر والإدراك مقدار معرفة كلّ نفس في المسائل الدينيّة **[ونسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ويثبّت أقدامنا على صراطه المستقيم ونهجه القويم إنّه هو الرؤوف العطوف الغفور الرحيم]**.

****

[82] مريم: 37-39
[83] الجاثية: 28

المبحث الثاني

ويشمل على ثمانية أبواب

كلّ باب في الجواب على شبهة من شبهات شيخ الإسلام

ملاحظة:

قبل شروع البحث أعرض بأنّه لو وردت خلال البحث عبارة أنّ المجوس أو اليهود أو البوذيّة أو الهنود قالوا كذا وأعتقدوا بكذا فإنّ مقصودنا هو التمثيل لا الإهانة لأنّ أهل البهاء كما شرحناه في غضون بحثنا في دليل التقرير يعتبرون أصول جميع الأديان الموجودة شرائع إلهيّة ولذا فهم يحترمونها جميعها ويمجّدونها عدا المذاهب المنشعبة من هذه الأديان والّتي يعتبرونها نتاج أغراض دنيويّة وأفكار سياسيّة وإنّ ظهور هذه المذاهب والإختلافات ينافي أصل الدّيانة ويضرّ بالهيئة الإجتماعيّة البشريّة وسوف نشرح هذه المسألة الغامضة في غضون أجوبتنا وسوف نكشف بعون الله تعالى الفرق بين الآثار الدينيّة والآثار المذهبيّة.

في الجواب على الشبهة الأولى من شبهات شيخ الإسلام.

1. الشبهة في سؤاله عن مقام الداعي أنّه لو كان مقام المهديّة فلماذا لم يتغلّب بل إستشهد بالمظلوميّة؟

كتب جناب الشيخ ما يلي:

"من المحقّق أنّه لا شيئ موجود بغير ظهور تجلّي السلطان الحقيقي. وإن جميع الممكنات والمخلوقات تنطق بظهور ذلك النور المعنوي ويسمّون ذلك التجلّي العام. ولكنّ الثابت والمحقّق هو أن هناك من بين التجلّيات الأرضية تجلٍّ خاص للنوع الإنساني وهناك تجلٍّ أخصّ وأكمل لمظاهر شمس الحقيقة وهو ظهور الأنبياء والأولياء. ولكنّ مقام النبوّة فوق مرتبة الإمامة لأنّها مقام إشعاع الأنوار الأزليّة بدون واسطة بشريّة بينما تأخذ مرتبة الإمامة الفيض من المبدأ الفيّاض عن طريق الوسيط. إذن فالشخص الّذي يدّعي المظهريّة إما أن تكون لديه مرتبة النبوّة أو مرتبة الإمامة. وبناءً على هذا نسأل هذا السؤال بكمال التوقير والإحترام: أيّ هذين المقامين يختصّ بالمؤسّس الأوّل (السيّد الباب) وأيّهما يختصّ بالمكمّل أو المؤسّس الثاني (جناب البهاء)؟ فإن كان مقام السيّد الباب مقام المهدويّة فلماذا قُهر وغُلب في حين أنّه يجب أن تكون له الغلبة التامّة ظاهراً وباطناً وأن يطهّر سطح الأرض من ظلمة الظلم والكفر؟ أما ذكر أحوال فاجعة الأئمّة تجاه هذه الشبهة وهذا النقد فليس صحيحاً لأنّه ليس هناك أبداً وعد يخصّ بتغلّبهم وسيطرتهم بل العكس من ذلك هناك أخبار تخصّ مظلوميّة وإستشهاد كلّ واحد منهم كما سُمِعَ مراراً من لسان خاتم الأنبياء في هذا الباب وذلك على العكس من الأخبار الكثيرة والأحاديث المتواترة بحقّه من غلبته التامّة وسيطرته الشاملة بخلاف حال الأئمّة الّذين سبقوه".

2. في بيان اختلاف الشيخ ومناظره في أنّ الداعي يجب أن يكون نبيّاً أم إماماً وجوابنا على ذلك:

لقد إرتفعت عاصفة المناظرة والمخاصمة لأوّل مرّة بين جناب الشيخ ومناظره حول هذه المسألة لأنّ الشيخ ظنّ وفقاً لمصطلحات عوام الشيعة أنّ رتبة الإمامة تتفرّع من النبوّة وهذا يعني أن النبيّ هو الشخص الّذي يكتسب الفيض من المبدأ الفيّاض بينما الإمام هو الشخص الّذي يكتسب هذه الفيوضات بواسطة النبيّ فإستنتج جنابه من هذه المقدّمة أنّ مظهر أمر الله يجب أن يوصف بأحد الوصفين إمّا النبوّة وإمّا الإمامة وتفرّع من هذه المسألة سؤاله: أيّ الرّتبتين بإعتقاد أهل البهاء تختصّ بالنقطة الأولى وأيّهما تختصّ بالجمال الأقدس الأبهى جلّ ذكرهما وعزّ إسمهما وأيّيّ الرّتبتان

يدّعيان؟ فكتب جناب مناظره حين الإجابة على سؤاله قائلاً: على أيّ أساسٍ بنيتم هذه المقدّمة بأنّ مدّعي المظهريّة أما أن يدّعي النبوّة أو أن يدّعي الإمامة في حين أنّ هذا الإستنتاج وهذه المقدّمة ليست مذكورة أبداً في أيّ كتاب من الكتب الإلهيّة ولاأُثِرت عن أيّ مظهر من المظاهر القدسيّة؟ وقال بأنّ سؤال جناب الشيخ هذا يشبه سؤال السيّد محمّد مهدي كلباسي الّذي سأله من حضرة الأعلى في مجلس معتمد الدولة حاكم أصفهان حين قال: "هل أنت مجتهد أم أنت مقلّد؟" فغضب حضرة الشيخ غضباً شديداً من هذا النّقد وإنحرف في رسالته الثانية عن مستلزمات الآداب الّتي راعاها في رسالته الأولى وبدلاً من الإجابة وفق القاعدة العلميّة إكتفي بالكلمات الخشبيّة والكنايات الغليظة الّتي يصرف كاتب هذه الرسالة النظر عن ذكرها حفظاً لمقام الكتابة والخطابة، وبعد التطويل والتفصيل إكتفي بدلاً عن الدّليل والبرهان بكتابة هذه العبارة: "وهذه حقيقة لا يستطيع إنكارها أحد من أتباع مذهبي".

3. في بيان ما استند إليه الشيخ بقوله إنّ القائم يجب أن لا يظهر بالمظلوميّة:

وحيث أنّ مقصود هذا العبد ليس المجادلة والإنتقام في الكلام بل مقصودي بيان الحقيقة لهذا فإني أعود إلى مواطن هذه الألفاظ حتى تتّضح معاني هذه الألفاظ وأماكن إستعمالها وينكشف أساس صحّة وبطلان الطرفين وإعتدالهما أو طغيانهما. ومن الواضح لدى أولي العلم أنّ هذه المسألة ليست من المسائل الفلسفيّة أو الرياضيّة أو الفلكيّة الّتي يمكن الاستدلال عليها بالبراهين العقليّة وبالقياسات المنطقيّة أو بالأدلّة الحسيّة بل هي مباحث لفظيّة تُعرف صحّة إستعمالها أو سقم إستعمالها من الصحف السماويّة والكتب اللغويّة. وعندما ننظر إلى القرآن المجيد نجد بصورة صريحة أنّ الله جلّ جلاله أطلق كلمة (الإمام) على الأنبياء أولي العزم فقد أطلقها على إبراهيم عليه السلام في الآية الكريمة قوله تعالى: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ "[84]. بل وأطلقها على الكتب السماويّة في قوله تعالى "وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً "[85] كما أطلقها على رؤساء الكفّار وعلى العلماء الّذين يضلّون الناس حيث قال تعالى شأنه: "وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ"[86] وقد ترجم علماء اللغة كلمة (الإمام) إلى معاني متعدّدة فقد قال البستاني في قاموسه (محيط المحيط): "الإمام من يؤتمّ به أي يُقتدى به من رئيسٍ أو غيره ذكراً كان أو أنثى ومنه: "قامت الإمام وسطهنّ" والإمام في كتب المعقول الفخرُ وفي كتب الأصول إمام الحرمين وعند المتكلّمين خليفة رسول الله في إقامة الدين وعند المحدّثين المحدّث أو الشيخ وعند القرّاء والمفسّرين وغيرهم مصحف من المصاحف الّتي نسخها الصحابة بأمر عثمان" إلى أن قال: "والإمام أيضاً الخيط يُمدّ على البناء فيُبنى والصقع من الأرض والطريق وقيّم الأمر المصلح له والقرآن والنبيّ والخليفة وقائد الجند ... إلى آخر قوله".

فيُفهم مما سبق أنّ كلمة (الإمام) قد أُطلقت على الأنبياء عليهم السلام وإنّ إطلاق هذه الكلمة بصورة خاصّة وفقاً لإصطلاح قومٍ من الناس بأنّه نائب الرسول وتقييد المناظر البهائي بهذا الإصطلاح أمر مبنيّ على بناءٍ فاسد وعلى أساس لا قواعد له ويشبه تماماً كما قال المناظر البهائي سؤال السيّد كلباسي من النقطة الأولى عزّ إسمه الأعلى "هل أنت مجتهد أم أنت مقلّد؟".

وأمّا ما كتبه جناب الشيخ في عبارته: "فالشخص الّذي يدّعي المظهريّة إما أن تكون لديه مرتبة النبوّة أو مرتبة الإمامة وهذه حقيقة لا يستطيع إنكارها أحد من أتباع مذهبي" فإنّه كلام عجيب

[84] البقرة: 123
[85] هود: 17
[86] القصص: 41

جدّاً بحدّ ذاته. أفليست عقيدة كلّ قوم مثل هذه العقيدة فيما بين قومهم؟ وهل إذا سأل العالم اليهودي قومه قائلاً: "يا أيّها اليهود هل يمكن مجيئ صاحب شريعة جديدة بعد موسى عليه السلام؟" فأيّ جواب سوف يسمعه؟ ولا شكّ أنّه سوف يسمع جواباً يوافق مرامه وهو "كلا" ولو سأل السيّد محمّد مهدي كلباسي كذلك من جميع أهالي أصفهان قائلاً: "أيّها الناس أفلا يجب أن يكون الشخص مقلداً أو مجتهداً؟" فأيّ جواب سوف يسمعه؟ أفهلاّ يقولون بالإجماع "إنّ هذه المسألة من البديهيّات وإنّ ثبوتها وصحّتها من قبيل الأوّليّات؟" أما العاقل فإنّه يفهم مبلغ سخف هذا السؤال من شخص يدّعي مقام القائميّة والمهدويّة ويعرف مبلغ جهله. وإنّ هذا المثال الّذي عرضناه إنما هو من قبيل حلّ المسائل وفقاً للقواعد العلميّة ووفقاً لما يوافق أذواق أرباب الأفئدة المنيرة وأملي أن يكون حضرة الشيخ مطّلعاً على هذه الرتبة العليا وناظراً إلى هذا المنظر الأعلى وحيث أنّ عالم الدين في أيّام ظهور مظاهر أمر الله يلبس لباساً جديداً وتتجدّد وتتبدّل جميع الأشياء من شرائع وآداب وعوائد وسنن وألقاب، لهذا فإنّ الاسم اء الحسنى والألقاب العليا الّتي يختص بها مظاهر أمر الله تتجدّد كذلك فمثلاً بنو إسرائيل الّذين كانوا موعودين بظهور المسيح والّذين لم يطلقوا على ذلك الموعود المحمود غير كلمة (المسيح) ولا ينسبون لحضرته أبداً مقام الشارعيّة والرسالة لما طلعت شمس جمال عيسى من أفق الأراضي المقدّسة لم تعتن أبداً بألقاب اليهود المزعومة ولم تطلق على حضرته بين النصارى تلك المصطلحات الّتي كانت متداولة بين بني إسرائيل كمصطلحات النبوّة والنيابة، بل إشتهر حضرته بالألقاب السماويّة "كلمة الله" و "روح الله" الّتي لم يعهدها اليهود أبداً. وكذلك الأمر في رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقد لُقّب بلقبه الكريم وإسمه العظيم "خاتم الأنبياء" أو "خاتم النبيّين" وهو لقب لم يخطر أبداً ببال اليهود والنصارى. وصار يُعرف بهذا الاسم وكذلك الأمر في ظهور النقطة الأولى ففي الحين الّذي لم يكن المسلمون يعرفون غير لقب "القائم" و "المهدي" إشتهر حضرته بأمر الله وبإذنه بالألقاب الفخمة "الباب" و "النقطة الأولى" و "الربّ الأعلى". وأتباع حضرته لا يسمون وجوده المقدّس بغير هذه الألقاب ولا يصفونه بأوصاف "الإمامة" و "النبوّة" ولا تزال هذه الألقاب الكريمة تشتهر في العالم يوماً بعد يوم وتنتشر ولا يستطيع أحد منعها أو دفعها "سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا"[87].

وحيث إتّضح مما ذكرناه أنّ ادّعاء أهل البهاء في حقّ النقطة الأولى والجمال الأبهي عزّزّ إسمهما هو أنّ مقامهما مقام المهدويّة والقائميّة والشارعيّة فإنّي أشرع الآن بالإجابة على كلمات جناب الشيخ الّتي قال فيها: "فإن كان مقام السيّد الباب مقام المهدويّة فلماذا قُهر وغُلب في حين أنّه يجب أن

[87] الفتح: 23

يكون له الغلبة التّامة ظاهراً وباطناً وأن يطهّر سطح الأرض من ظلمة الظلم والكفر. أما ذكر أحوال فاجعة الأئمّة تجاه هذه الشبهة وهذا النقد فليس صحيحاً لأنّه ليس هناك أبداً وعد يخصّ بتغلبهم وسيطرتهم بل العكس من ذلك هناك أخبار تخصّ مظلوميّة وإستشهاد كلّ واحد منهم كما سُمِعَ مراراً من لسان خاتم الأنبياء في هذا الباب وذلك على العكس من الأخبار الكثيرة والأحاديث المتواترة بحقّه من غلبته التامّة وسيطرته الشاملة بخلاف حال الأئمّة الّذين سبقوه". فمِمّا كتبه حضرة الشّيخ يُفهم أنّ مستنده هو الأحاديث الشّريفة. وعندما ننظر إلى الأحاديث نشاهد الأمر على عكس ما كتبه الشّيخ وظنّه.

4. في بيان أنّ الأحاديث تدلّ على أنّ القائم الموعود سيظهر بالمظلوميّة الكبرى:

فهناك أحاديث كثيرة وردت صريحة في مظلوميّة القائم الموعود وقتل أصحابه وسفك دمائهم الطاهرة وإحراق أجسادهم الطيّبة وقد أخبر رسول الله وخاتم النبيّين وأئمّة الهدى عليهم الآف التحيّة والبهاء بظهور إمتحانات شديدة عند ظهور القائم وبورود مصاعب جسيمة ومصائب كثيرة على حضرته وعلى أوليائه وأنّ فقراء الأرض سوف يؤمنون به وسوف يعرض عن جماله المنير الأمراء والوجهاء ويشدّ الفقهاء والعلماء أواصر الهمّة في عدائه ويتّفق أرباب التجبّر والكبرياء على محاربة ذلك الموعود الموتور الفريد الوحيد فتصبغ الأرض بدماء أصحابه المسفوكة ويرتفع أنين عيالهم وحنين أطفالهم في أكثر الأقطار وخلاصة القول ففي أيّام ظهوره ترجع جميع الحوادث الّتي نزلت في الأيّام الماضية وتفوق المصاعب والشدائد النازلة على حضرته ما نزل من الشدائد على الأنبياء السابقين [**فإستمع لنتلو عليك شطراً منها لعلّك تهتدي إلى الحقّ وتتّخذ إلى ربّك سبيلاً**].

5. في ذكر الأحاديث الواردة حول مظلوميّة القائم وأصحاب حضرته:

منها ما رواه المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) عن فضيل بن يسار أنّه قال: " سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: " إنَّ قَائِمَنَا إذَا قَامَ إسْتُقْبِل مِنْ جَهَلَةِ النَّاسِ أشَدّ مِمَّا إسْتَقْبَلَهُ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ) مِنْ جُهَّالِ الْجَاهِلِيَّةِ"، قلت: وكيف ذاك؟ قال:" إنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ) أتَى النَّاسَ وَهُمْ يَعْبِدُونَ الحِجَارَةَ وَالصُّخُورَ وَالعِيدَانَ وَالخَشَبَ الْمَنْحُوتَةِ، وَإنَّ قَائِمَنَا إذَا قَامَ أتَى النَّاسَ وَكُلُّهُمْ يَتَأوَّلُ عَلَيْهِ كِتَابَ الله وَيَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِهِ"، ثم قال: "أمَّا والله لَيَدْخُلَنَّ عَلَيْهِمْ عَدْلُهُ جَوْفَ بُيُوتِهِمْ كَمَا يَدْخُلُ الْحَرُّ وَالْقَرُّ". وهذا الحديث يعني أنّ أمره المبارك سوف ينفذ وسوف لن تمنعه الرسائل الرديّة والتمسّك بالشبهات العلميّة. ومن الواضح جدّاً أنّ علماء العصر وفقهاء الزمان الّذين يعتبرهم الناس واجبي الطاعة ويعتبرون إجراء أوامرهم على العمياء من الفروض الدينيّة لو قام هؤلاء العلماء والرؤساء على المعارضة فلا شكّ أنّ سيصدر منهم من الشرور والشراسة ما لم يصدر من كفّار الجاهليّة وسوف تتجلّى منهم قسوة قلب لم تظهر من المتوحّشين في أفريقيا خاصّة حينما يكون هؤلاء الرؤساء متّصفين بجميع الأوصاف الدنيئة الرذيلة ومشهورين بخصال الحسد والجهل وحبّ الرئاسة وقسوة القلب والتكبّر والعجرفة والدنائة كما تفضّل رسول الله وخاتم النبيّين عليه وآله أطيب التحيّة والثناء في الحديث التالي الّذي رواه المجلسي عليه الرحمة في وصف علماء هذا الزمان: "سَيَأتِي زَمَانٌ عَلَى أمَّتِي لا يَبْقَى مِنَ القُرْآنِ إلاّ رَسْمُهُ وَلا مِنَ الإسْلامِ إلاّ إسْمُهُ يُسَمَّوْنَ بِهِ وَهُمْ أبْعَدُ النَّاسِ مِنْهُ. مَسَاجِدُهُمْ عَامِرَةٌ وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدى. فُقَهَاءُ ذَلِكَ الزَّمَانِ أشَرُّ الفُقَهَاءِ تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ مِنْهُمْ خَرَجَتِ الفِتْنَةُ وَإلَيْهِمْ تَعُودُ".

ومنها ما ورد في كتاب الكافي في أوصاف القائم: "عَلَيْهِ كَمَالُ مُوسَى وَبَهَاءُ عِيسَى وَصَبْرُ أيّوبَ فَيُذَلُّ أوْلِيَاؤهُ فِي زَمَانِهِ تَتَهَادَى رُؤوسُهُمْ كَمَا تَتَهَادَى رُؤوسُ التُّرْكِ وَالدَّيْلَمِ فَيُقْتَلُونَ وَيُحْرَقُونَ وَيَكُونُونَ خَائِفِينَ مَرْعُوبِينَ وَجِلِينَ تُصْبَغُ الأرْضُ بِدِمَائِهِمْ وَيَفْشُوا الوَيْلُ وَالرَّنَّةُ فِي نِسَائِهِمْ أوْلَئِكَ حَقّاً أوْلِيَائِي أدْفَعُ بِهِمْ كَلَّ فِتْنَةٍ حِنْدِسٍ[88] وَبِهِمْ أكْشِفُ الزَّلازِلَ وَأدْفَعُ الآصَارَ[89] وَالأغْلالَ أولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ الله مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون". وهذا الحديث هو (لوح فاطمة) ومن الأحاديث القدسيّة المعتبرة المقبولة فزيّن الشيخ الكليني عليه الرحمة كتابه (الكافي) بذكر هذا الحديث وقد نطق رسول الله بالبشارة الواردة فيه على لسان الله جلّ جلاله وقرنه باسم فاطمة عليها السلام وحيث أنّ مضامين

---

[88] المنجد ص (152) الحندس = الليل الشديد الظلمة. ج حنادس وهي ثلاث ليال مظلمة من آخر كل شهر

[89] ... = المنجد ص (11) المفرد الأصر

هذا الحديث الشريف الخاصّصّ ة بكيفيّة المصائب الواردة على القائم الموعود وأولياء تلك الطلعة، طلعة المعبود، قد تحقّقت بكمال الوضوح والتطبيق في هذا الظهور الأعظم بحيث أنّ رؤوس الشهداء قد أُرسلت في واقعة تبريز كهدايا وقُطعت أجساد المظلومين في مازندران وأصفهان ويزد وخراسان وسائر بلاد إيران إرباً إرباً وأُحرقت وإحمرّت الأرض بدمائهم وأرتفع حنين الأطفال وأنين العيال ولم يبق للأخيار والأبرار مكان أمين من شدّة هجوم الأشرار ومراقبتهم وقد سُجّلت جميع هذه الحوادث في كتب التاريخ داخل إيران وخارجها لتشهد على شراسة الأعداء ومظلوميّة وحقيّة الأولياء وصدق وعود أئمّة الهدى ولهذا فإنّ هذا العبد لا يذكر تفاصيل هذه الحوادث العجيبة المدهشة وإكتفي بهذا القدر رعاية للإختصار وأحيل القارئ لمزيد الإطّلاع إلى الكتب التاريخيّة.

ومنها ما رواه المجلسي في باب سِيَرَ القائم وأخلاقه في مجلّد الغيبة من مجلّدات (بحار الأنوار) عن بشير النبّال قال قلت لأبي جعفرعليه السلام إنّهم يقولون إنّ المهدي لو قام لإستقامت له الأمور عفواً ولا يُهرق مِحجمةُ دم فقال: "كَلّا وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ إسْتَقَامَتْ لِأحَدٍ عَفْواً لَاسْتَقَامَتْ لِرَسُولِ الله حِينَ أُدْمِيَتْ رُبَاعِيَّتُهُ وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ كَلاّ وِالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ نَمْسَحُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ العَرَقَ وَالعَلَقَ" ثم مسح وجهه.

ومنها ما رواه المجلسي أيضاً في البحار عن مفضّل أنّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام إني أرجو أن يكون أمره في سهولة فقال: "لا يَكُونُ ذَلِكَ حَتّي تَمْسَحُوا العَرَقَ وَالعَلَقَ" وقال "إنَّ أهَلَ الحَْقِّ لَمْ يَزَالُوا مُنْذُ كَانُوا فِي شِدَّةٍ" وهذا الحديث يعني أنّ أمر القائم مثل أمر سائر الأنبياء والمرسلين والأولياء والمقرّبين سيكون قرين الشدّة والصعوبة وسوف يمسح أولياؤه مثل الشهداء السّابقين العرق والدّم من وجوههم.

ومنها ما رواه المجلسي عليه الرحمة في كتابه (بحار الأنوار) في باب التمحيص عن البزنطي عن أبي الحسن عليه السلام أنّه قال "أمَّا والله لا يَكُونُ الّذِي تَمُدّونَ عَلَيْهِ أعْيُنَكُمْ حَتّى تَمَيَّزُوا وَتَمَحَّصُوا وَحَتّى لا يَبْقَى مِنْكُمْ إلاّ الأنْدَرْ" ثم تلا "أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تُتْرَكُوا وَلما يَعْلَمِ اللهُ الّذِين جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ"[90]. ومقصود الإمام من تلاوة الآية الكريمة هو تنبيه البزنطي إلى أنّ ظهور القائم الموعود سوف لا يكون وفقاً لميول الخلق الكاذبة وعقائدهم الباطلة فلن يظهر ليحكم كلّ شهواني مملكة وليملك كلّ طالب ثروة ناحية بل يكون ظهور حضرته سبباً في نزول المصائب والبلايا حتى يتبيّن

[90] آل عمران: 142

الصادق من الكاذب ويمتاز الصبور من الجزوع وليظهر مصداق الآية الكريمة "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ "[91]. كما روى المجلسي عليه الرحمة في نفس الباب الحديث التالي عن الرضا عليه السلام أنّه قال للبزنطي هذا "إنّ هَذَا الأمْرَ لَيْسَ يَجِيئُ عَلَى مَا يُرِيدُ النَّاسُ إنَّمَا هُوَ أمْرُ اللهِ وَقَضَاؤُهُ". لعمر الله إنّ كلام الإمام عليه السلام هذا يكفي الإنسان اللبيب المدرك وينبّه إلى عظمة الوعيد الشديد في قوله تعالى: "فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتّى يَأتِي اللهُ بِأمْرِهِ"[92] ولكن هيهات له أن يؤثّر في القلوب القاسية أو يزيل الآمال الباطلة والشبهات الواهية لأهل الضلال.

ومنها ما رواه المجلسي أيضاً في باب التمحيص عن الحسن إبن علي عليهما السلام أنّه قال: "لا يَكُونُ الأمْرُ الّذِي تَنْتَظِرُونْ حَتّى يَتَبَرّأ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ وَيَتْفَلُ بَعْضُكُمْ فِي وُجُوهِ بَعْضٍ وَحَتّى يَلْعَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَحَتّى يُسَمِّي بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَذَّابِينَ". ومن الواضح وضوح الشمس في رابعة النهار إنّ القائم لو كان يظهر وفقاً لمراد الخلق الجهلاء فإنّ سنّة التمحيص والإبتلاء الّتي هي من السّنن الحتميّة الإلهيّة لن تتحقّق ولن تظهر هذه الحوادث المميزة الّتي أشار الإمام إلى قليل منها ولهذا رُوي في نفس الكتاب وفي نفس هذا الباب عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام أنّنّه قال قلت متى يكون فرَجُكُم؟ قال :"هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لا يَكُونُ فَرَجُنَا حَتّى تُغَرْبَلُوا ثُمَّ تُغَرْبَلُوا ثُمَّ تُغَرْبَلُوا حَتّى يَذْهَبَ الكَدَرُ وَيَبْقَى الصَّفْوُ". وكلمة (ثمّ) للتراخي وتدلّ على ثلاث إمتحانات في أمر الله وما أبدع ما تحقّقت به. فقد إمتُحن الخلق أوّل امتحان بظهور النقطة الأولى عزّ إسمه الأعلى ومن بعده إمتُحنوا مرّة ثانية بظهور الجمال الأقدس الأبهي جلّ ذكره الاسم ى حتى إمتاز الخبيث عن الطيب ولما سكت صرير القلم الأعلى بإرادة الحي القدير وركد نسيم اللقاء وغربت شمس الجمال الأبهي وأشرق نيّر الميثاق في قطب الآفاق ظهر الإمتحان الثالث والإفتتان الأخير ورفعت يد القدرة الستار عن المقاصد الفاسدة للجمع الحسود وظهرت مكنونات الصدور بإرادة الربّ الغيور فتبيّن الثابت من الزائل وإمتاز الحقّ من الباطل وإبتعد الراسخ عن المتزلزل وإنجلى وتحقّق تماماً مضمون ذلك الحديث الشريف.

ومنها ما رواه المجلسي أيضاً في البحار في باب خصائص القائم عليه السلام عن أبان بن تغلب أنّه قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: "إذاَ ظَهَرَتْ رَايَةُ الحَقِّ لَعَنَهَا أهْلُ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ".

[91] آل عمران: **179**
[92] البقرة: **109**

[ومنها ما ورد في هذا الكتاب وهذا الباب أيضاً] عن منصور بن حازم عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: " إذاَ ظَهَرَتْ رَايَةُ الْحَقِّ لَعَنَهَا أهْلُ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ". وهذا الحديث يدلّ بصورة صريحة أنّ ظهور حضرته يكون خلافاً لمعتقدات جميع أهل العالم وخلافاً لما يتوقّعون بحيث يكون موضع اللعنة ويتبرّأ منه جميع أهل العالم. وما أشبه هذا الحديث بما خاطب به عيسى عليه السلام أصحابه حين قال: "سَيَقُومُ أهْلُ العَالَمِ مِنْ بَعْدِي عَلَى مُعَادَاتِكُمْ لأنَّكُمْ لَسْتُمْ أبْنَاءَ هَذَا العَالَمْ". نعم لا نسبة بين طالب الرّاحة وطالب الشهادة ولا تشابه بين أهل الدنيا وطلاب الهوى إذ علامة هؤلاء التواضع والرحمة والرأفة وعلامة أولئك القسوة والعداوة والخشونة. برهان هؤلاء كلام الله وبرهان أولئك سيوف الأشقياء. حمرة وجنات هؤلاء مصبوغة بدمائهم ونار جبين أولئك ظلمهم المبين. بيان هؤلاء النصيحة والموعظة وكلام أولئك الإفتراء والكذب واللعن والسباب. أجلّ مقاصد هؤلاء بلوغ مرتبة الشهادة وأعظم آمال أولئك الوصول إلى المناصب والتقرّب إلى أولياء الدولة. أين الثرى من الثريا وأين الضلالة من الهدى ولو يرجع جناب الشيخ إلى العلامات الّتي ذكرها أئمّة الهدى عليهم أطيب التحيّة والثناء في أوصاف المؤمنين وأصحاب القائم الموعود ليشهد بصدق ما عرضناه وينجو بنفسه من جميع أوهام الغافلين المضلّة للعقول، فمثلاً جاء في حديث علي إبن مهزيار الّذي سبق لنا أن أشرنا إليه في الأحاديث الواردة في تعيين محل الظهور في فصل كيفيّة الاستدلال بالأحاديث الشريفة في أوصاف أصحاب المهدي الموعود: "هُمْ مَعْشَرٌ يَطْلَعُونَ بِمَخَايِلِ الذِلَّةِ وَالإسْتِكَانَةِ وَهُمْ عِنْدَ اللهِ بَرَرَةٌ أعِزَّاءُ يَبْرِزُونَ بِأنْفُسٍ مُخْتَلَّةٍ وَهُمْ أهْلُ القَنَاعَةِ وَالإعْتِصَامِ. إسْتَنْبَطُوا الدِينَ فَوَازَرُوهُ عَلَى مُجَاهَدَةِ الأضْدَادِ خَصَّهُمُ اللهُ بِاحْتِمَالِ الضَّيْمِ فِي الدُنْيَا لِيَشْمَلَهُمْ إتِّسَاعُ العِزِّ فِي دَارِ القَرَارِ وَجَعَلَهُمْ عَلَى خَلائِقِ الصَبْرِ لِتَكُونَ لَهُمْ العَاقِبَةُ الْحُسْنى وَكَرَامَةُ حُسْنِ العُقْبَى".

6. في بيان أنّ الأحاديث الدالّة على مظلوميّة القائم تؤيّدها آيات القرآن:

والأحاديث الّتي ذكرناها يؤيّدها القرآن المجيد على عكس ما ظنّه الآخرون دون أن يستشهدوا أبداً بشاهد واحد من كتاب الله يؤيّد عقائدهم الموهومة. لأنّ الله سبحانه وتعالى قد صرّح في القرآن المجيد أنّ الرجع كالبدء وأنّ سنّة الله لن تتبدّل في إرسال الرسل وتشريع الشرائع كما ورد في سورة الأعراف: "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ "[93]. وهذه الآية صريحة بأنّ الناس في أيّام الرجعة مثل أيّام ظهور رسول الله متمسّكون بعلمائهم الجهلاء ويعتبرون شياطين الأنس الّذين طالما كانوا قطّاع طريق وسبب ضلال العباد أحبّاءهم الّذين يرجون لهم الخير والسعادة وبهذه الواسطة يعرضون عن أمر الله ويحسبون أنفسهم في عين الضلالة مؤمنين ومهتدين.

وكذلك قال تعالى في سوة يونس: "فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ"[94]. وهذه الآية صريحة في الدلالة على أننا يجب أن لا ننتظر حدوث شيئ على غير ما سارت عليه سنن الظهورات السابقة وسوف لن يظهر أبداً في أي وقت غير ما جرت التجربة عليه في الأيّام الماضية لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول في هذه الآية هل ينتظر هؤلاء القوم شيئاً يظهر على خلاف أسلوب الأيّام الماضية؟ وهذا يعني أنّنّ السنّة الإلهيّة كانت على هذا المنوال في معارضة مظاهر أمر الله. ويتفضّل على سبيل التبكيت والإهانة " قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ" وهذا يعني إنّ آمالكم هذه لن تتحقّق أبداً في تغيير سنّته في إرسال الرسل وإمتحان الخلق أو يرسل مظاهر أمر الله حسب عقائد الخلق وآمالهم "سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا"[95].

وكذلك الآية المباركة " يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ "[96] صريحة في أنّيه لم يحدث أن ظهر مظهر من مظاهر أمر الله وما إبتلى بإستهزاء الأشرار ومعارضتهم. ولا تظنّنّ إن هذا العبد مع صراحة المقاصد الإلهيّة في هذه الآيات يفسّرها بدون سند بأنّها تتعلّق بحوادث أيّام ظهور القائم الموعود ومعارضة الخلق لتلك الطلعة المحمودة بل لو رجعتم إلى مجلّد الغيبة من كتاب بحار الأنوار للاحظتم أنّنّ أئمّة الهدي عليهم السلام قد فسّروا هذه الآيات بظهور القائم

[93] الاعراف: 30
[94] يونس: 102
[95] الفتح: 23
[96] يس: 30

الموعود. فقد رُوي في ذلك المجلّد أنّ أمير المؤمنين عليه وعلى أولاده الطاهرين صلوات الله قال على منبر الكوفة: "إعْلَمُوا أنَّ الأرْضَ لا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ لِلّهِ وَلَكِنَّ اللهَ سَيَعْمِي خَلْقَهُ مِنْهَا بِظُلْمِهِمْ وَجُورِهِمْ وَإسْرَافِهِمْ عَلى أنْفُسِهِمْ وَلَوْ خَلَتْ الأرْضُ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ حُجَّةِ اللهِ لَسَاخَتْ بِأهْلِهَا وَلَكِنَّ الْحُجَّةَ يَعْرِفُ النَّاسَ وَهُمْ لا يَعْرِفُونَهُ كَمَا كَانَ يُوسُفُ يَعْرِفُ النَّاسَ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ" ثم تلا: "يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ"[97].

وجاء في سورة الحجر ما يطابق الآية السابقة قوله تعالى: "وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ"[98]. وهذه الآية الكريمة تعني أنّ الغطرسة والتكبّر ومعارضة مظاهر أمر الله الّتي هي من سنن الأوّلين وأخلاق السابقين سوف تجري في قلوب المجرمين وسوف يظهر من اللاحقين ما ظهر من السابقين من الشرور والإستهزاء والتهكّم، وكذلك تدلّ الآية الكريمة على هذه القضيّة دلالة صريحة في قوله تعالى: "مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ[99] إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ"[100].

وحيث أنّ هذه الآيات الكريمة نزلت في القرآن المجيد لهذا فقد أخبر رسول الله وخاتم النبيّين بأنّ كلّ ما ظهر من الأمم السابقة سوف يظهر من الأمّة الإسلاميّة كذلك وإنّ دين الله سيُبتلى بقلّة الأهل وبالغربة عند الرجع كما إبتلى بهما عند بدء الإسلام كما روى المجلسي عليه الرحمة في باب سِيَر القائم وأخلاقه في مجلّد بحار الأنوار عن أبي بصير أنّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام أخبرني عن قول أمير المؤمنين: "إنَّ الإسْلامَ بَدَأ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأ فَطُوبَى لَلْغُرَبَاءِ" فقال "يَا أبَا مُحَمَّدْ إذَا قَامَ القَائِمُ عَلَيْهِ السَلامُ إسْأنَفَ دُعَاءً جَدِيداً كَمَا دَعَا رَسُولُ اللهِ".

هذا وإنّ الحديث: "إنَّ الإسْلامَ بَدَأ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأ فَطُوبَى لَلْغُرَبَاءِ" والحديث: "لَتَسْلُكُنَّ سنَنَ مَنْ قَبْلُكُمْ شِبْرًا فَشِبْرٍ وَذِرَاعاً فَذِرَاع" حديثان إتّفق عليهما أهل السنّة وأهل الشيعة لأنّهما رُوِيا عن رسول الله مفسّرَيْن للآيات الكريمة السالفة وإنّ منزلة هذين الحديثين في المنزلة الأولى من الأحاديث النبويّة وهي موثوقة لدى أولي النهي.

[97] يس: 30
[98] الحجر: 11-13
[99] المنجد (116) المحدث (مفعول) ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنّة ولا إجماع. جمعه محدثات. والمحدث نقيض القديم.
[100] الأنبياء: 3

7. في بيان التشابه بين أسباب اعتراض المسلمين عن القائم الموعود وبين أسباب إعراض اليهود عن المسيح وبيان تشابه العقائد الموهومة لدى هاتين الأمّتين:

لو يفكّر الإنسان البصير في سبب إعراض المسلمين عن القائم الموعود وفي شبهاتهم في ردّهم تلك الطلعة، طلعة المعبود، فإنّه يجدها مطابقة لشبهات اليهود ولأسباب رفضهم عيسى عليه السلام ويصل إلى بحر المعاني المودعة في كلمات الأبرار، لأنّه كما أنّ المسلمين ينتظرون القائم الموعود فكذلك اليهود كانوا ينتظرون حضرة المسيح ولا يزالون إلى يومنا هذا ينتظرون ظهوره وكما أنّ بشارات ظهور القائم مذكورة في القرآن وفي أحاديث آل البيت الطاهرين فكذلك بشارات المسيح مسطورة في وصريحة في التوراة وفي أسفار أنبياء بني إسرائيل وكما إمتُحن علماء الإسلام وإفتُتنوا بكلمة الغلبة التامّة الواردة بحقّق القائم الموعود فكذلك إمتُحن اليهود في ظهور عيسى عليه أطيب التحيّة والبهاء بكلمة الغلبة التامّة الّتي تدلّ عليها كلمة (المسيح). وقد غفل العلماء المسلمون عن المعنى الحقيقي لكلمة القدرة والغلبة كما نزل تفسيرها في كتاب الإيقان الشريف، وبهذا السبب إتّفقوا بكلّ جرأة على سفك الدم الأطهر لحضرة المسيح. لأنّنّ كلمة (المسيح) في اللغة العبريّة تعني ملك اليهود ووارث عرش داود، ولهذا فالبشارات الواردة في أسفار الأنبياء صريحة في دلالتها على أنّ المسيح الموعود يرث عرش داود ويملك صولجان سلطنة اليهود ويفتح الشرق والغرب ويطهّر الأرض من الظلم والشرور وينفّذ شريعة التوراة المقدّسة على جميع أهل العالم. فلمّا ظهر عيسى عليه أطيب التحيّة والثناء بمسحة المظلوميّة الكبرى والفقر والمسكنة العظمى ونسخ في أوّل وهلة شريعة السبت والطلاق الّتي كانت أعظم الأحكام الدينيّة اليهوديّة وشرّع محلها شريعة جديدة وآداب جديدة لهذا إتّفق اليهود على تكذيب حضرته معتمدين على عقائدهم ومطمئنّين إليها وأصابوه بظلم عظيم وبمنتهى الإهانة، كما ذُكر في الإنجيل أنّهم إعتبروا قتل أصحابه وسفك دمائهم سبب الأجر والثواب لدى الله تعالى وإمتدّت مظلوميّة أتباع حضرته وإبتلائهم بظلم الأعداء وشرورهم مدّة ثلاثمائة سنة وكانت دماؤهم خلال هذه المدّة المديدة عرضة للسفك وأموالهم عرضة للنهب وعيالهم عرضة للسبي حتى تشرّف قسطنطين الكبير قيصر الروم بشرف النصرانيّة عام (316) ميلاديّة وخرج من الديانة الوثنيّة ونالت الديانة المسيحيّة شيئاً من الحرّية والراحة والجلال.

وعندما يفكّر الشخص البصير في هذه الأمور فإنّه يفهم سرّ الآية الكريمة: "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ"[101] ويفهم الحديث: "لَتَسْلُكُنَّ سنَنَ مَنْ قَبْلُكُمْ" ويدرك حقيقة قيام روح الله بعد ظهور

[101] الاعراف: 30

القائم ويطّلع على سبب إعراض المسلمين عن الأمر الإلهي. وما أشبه عقائد الشيعة الخاصّة بمدينة (جابلقا وجابرصا) بعقيدة اليهود بمدينة (بني موسى) ونقول بإيجاز عنها إنّه جاء في الآية العاشرة من الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين في التوراة المقدّسة إنّ عصا السلطنة سوف لا تسقط من سلالة اليهود حتى يأتي شيلون المسيح الموعود. وعندما زالت سلطنة اليهود بعد ظهور المسيح وفتح القيصر الروماني طيطوس مدينة القدس الشريفة وصار أتباع حضرته يستدلّون بهذه الآية من التوراة على صدق المسيحيّة لهذا قال علماء اليهود من أجل إسكات أمّتهم والردّ على أدلّة النصارى أنّ في أقصى أنحاء العالم مدينة كبيرة لم يرها أحد ويسكنها قوم عظيم من اليهود وملكهم أحد أبناء موسى عليه السلام وإسم تلك المدينة (مدينة بني موسى) وحولها نهر كبير من الرمل المتحرّك لا يستطيع أحد بسببه الدخول أو الخروج منها ويتحرّك هذا الرمل دائماً حتى ظهور المسيح الموعود فعند ذلك تسكن حركة الرمل وتخرج الأمّة اليهوديّة في ذلك اليوم لتنصر حضرة المسيح وتنفذ الشريعة الموسويّة في العالم بقوّة السيف وبهذه الخرافة إعتقد بنو إسرائيل وتقاعدوا عن الإيمان بحضرة المسيح وحُرموا مدّة الف وثمنمائة سنة من الشريعة الإلهيّة وكذلك قام علماء الشيعة بنشر مثل هذه الأوهام بين أفراد الأمّة البائسة قائلين إنّ حضرة الحجّة إبن الحسن العسكري عليهما السلام موجود الآن في مدينة (جابلقا) وله أولاد كثيرون وزوجات كثيرات في هذه المدينة الوهميّة وله فيها جيوش جرّارة لها معدّاتها الحربيّة الّتي لا تُعدّ ولا تُحصى، وقد دوّنوا في كتبهم أحاديث كثيرة وروايات عديدة بأنّ الشخص الفلاني وهو من ثقاة الملّة الشيعيّة قد تشرّف بحضور القائم في تلك المدينة وإنّ العالم الفلاني من أفاضل الشيعة الإثني عشريّة قد نال شرف رؤية حجّة الله في تلك المدينة وكانت هذه الأمّة البائسة مدّة ألف سنة تفرّح نفسها بهذه الأوهام والخرافات حتى أزال طلوع الشمس الربّانيّة هذه الأوهام الظلمانيّة وأثبت علم الجغرافيا الحديثة بطلان هذه الخرافة وهدم سيل تقدّم العلوم والمعارف بناء (مدينة جابلقا) و (مدينة بني موسى) [**فاعتبروا يا أولي الأبصار**].

8. في بيان أنّ التوفيق بين الأحاديث يقتضي تفسير الغلبة الواردة فيها وفقاً لتفسير الإيقان الشريف بأنّها غلبة معنويّة لا غلبة دنيويّة:

فلمّا تمّ الإطّلاع على أنّ هناك أحاديث كثيرة تؤيّدها آيات القرآن المجيد وتدلّ بصورة صريحة على أنّنّ القائم يظهر متّصفاً بالمظلومية الكبرى كما أنّ هناك أحاديث كثيرة تدلّ على أنّ أمر حضرته يفتح العالم كلّه وبسببه يملأ الله تعالى العالم بالقسط والعدل بعد أن إمتلأ بالظلم والجور فلم يبق مفرّ لأهل العلم إلاّ أن يفسّروا ألفاظ الغلبة والسلطنة والهيمنة والسيطرة وأمثالها بما يطابق ما جاء في كتاب الله من أنّنّ الغلبة والسلطنة المذكورة هي غلبة وسلطنة روحانيّة وأنّنّ الهيمنة والسيطرة المذكورة هي هيمنة وسيطرة دينيّة لأنك لو فسّرت هذه القدرة والغلبة وأمثالها بالقدرة والغلبة الظاهريّة الّتي لم تكن أبداً محبوبة لدى الحقّ وأولياؤه فإنك تعترض بهذا على كثير من الأحاديث الصريحة بمظلوميّة القائم والمؤيَّدة بآيات القرآن المجيد بينما لو تفسّرها بالغلبة والسلطنة والسيطرة الروحانيّة والهيمنة الدينيّة الّتي هي من السنن الإلهيّة وفقاً لما جاء في الإيقان الشريف في أحسن قولٍ وأبلغ بيانٍ فإنك لا ترفض ولا تعترض على أيّيّ واحدٍ من هذه الأحاديث الشريفة بل تراعي القاعدة الّتي سار عليها أفاضل العلماء في التوفيق بين الأحاديث وجمعها والتوحيد بينها. وهذا الكلام الّذي نعرضه هو من باب المجاملة وتوسيع نطاق الأدلّة والتكلّم بلسان القوم حتى يفهم أهل الإدراك أنّ المعارضين لهذا الأمر الأعظم قد نسوا قواعدهم العلميّة وذهلوا عن قواعدهم الأصليّة. وإلاّ فإنّ أهل البهاء مستغنون عن هذه الأدلّة الواهية وبراء من هذه الحبال البالية بل يرون الحقّ جلّ جلاله غالباً بنفسه ويعرفون الكلمة الإلهيّة نافذة بذاتها ولا يرون ظهور الحقّ محتاجاً لغير الحقّ جلّ جلاله ولا يحسبون المؤيَّد بشديد القوى فقيراً إلى مصائد أهل الهوى. فمثلاً لو يلاحظ أرباب البصيرة أنّ كلمة حضرة عيسى المقدّسة فتحت أوروبّا بنفوذها الذاتي لا بشهادة التوراة لها وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم فتح الجزيرة العربيّة وإيران وتركستان وأفريقيا بقوّة القرآن لا بشهادة التوراة والإنجيل فإنّهم يطلعون على قوّة الكلمة الإلهيّة وينتبهون إلى أنّنّ صاحب الظهور غنيّ عن كلّ شيئ. ولكن هيهات أن يرى كلّ أعمش هذه النقاط الدقيقة أو يشاهد كلّ أخفش هذه الحقائق الخفيّة.

ومن العجيب أن يكتب جناب الشيخ وبكلّ جرأة: "ليس هناك أبداً وعداً يختصّ بتغلّيب الأئمّة عليهم السلام"، ولا أعلم بأيّ دليل لا تشمل الآية الكريمة "إنَّ جُنْدَنَا لَهُمْ الغَالِبُونَ"[102] حال أئمّة الهدى؟ أليس في هذه الآية وعد صريح بغلبة الجند الإلهي غلبة تامّة؟ أو هل هناك حسب عقيدة

---
[102] الصافات: **173**

جناب الشيخ جند في الإسلام أهدى وأقوى وأولى منهم؟ أو هل ظنّ جناب الشيخ أنّ الأحاديث أكثر إعتباراً من القرآن فرأى نفسه غير محتاج إلى الكتاب الإلهي؟ أو هل أجاز لنفسه على خلاف إجماع العلماء التمسّك بأحاديث تخالف صريح القرآن؟

ولا عجب من ذلك أنّ جناب الشيخ لم يذكر شيئاً عن هذه الآية المباركة مع أنّ الجمال الأقدس الأبهي عزّ إسمه الأعلى إستدلّ في كتاب الإيقان الشريف بنفس هذه الآية في بيان معنى الغلبة والسلطنة الحقيقيّة وأثبت أنّنّ هذه السلطنة والقوّة والغلبة تنطبق بأحسن وجه في حقّ سيّد الشهداء عليه آلاف التحيّة والثناء. وظنّ جناب الشيخ أنّنّ الغلبة هي الغلبة الظاهريّة الدنيويّة ولكنّه لم يبيّن سبب إنصراف هذه الآية عن أئمّة الهدى. أفليس الحقّ في هذه الحال مع المناظر البهائي أن يأمره بالرجوع لمطالعة الإيقان الشريف مرّة ثانية ويؤكّد عليه بإعادة النظر وإرجاع البصر كرّتين؟

وقد قال الله تعالى في مقام آخر ما يطابق الآية المذكورة: "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ"[103] وهذه الآية المباركة صريحة في الدلالة على أنّ الأنبياء والمرسلين والأئمّة والمؤمنين كلّهم منصورون في هذه الدنيا بالنصرة الإلهيّة وغالبون بالغلبة الروحانيّة وفي هذه الحال ليس لجناب الشيخ مفرّ إمّا أنْ يخرج والعياذ بالله أئمّة الهدى من صفوف الجنديّة والإيمان أو يعتبر الوعود الإلهيّة الواردة في هذه الآية ناقصة مع أنّها مؤكّدة بأداة التوكيد (إنّا) أو يعتبر النصرة والغلبة وأمثالها الواردة بحقّ أئمّة الهدى نصرةًً وغلبةًً روحانيّةً ونفوذاً لكلمة الله وفقاً للتفسير النازل في كتاب الإيقان الشريف.

9. في بيان معنى الحديث المتواتر وفي إثبات خطأ جناب الشيخ في ادعائه بورود أحاديث متواترة كثيرة:

وأعجب من هذا كلّه أن يدّعي جناب الشيخ وجود أحاديث كثيرة متواترة وهذا العبد متحيّر ماذا يقول وماذا يكتب ليوضح حقيقة الحال ولا يكون سبباً في غضبه. لأنني لو أقول أنّه لم يفهم معنى الحديث المتواتر فأدّعى ادّعاء لا أساس له مثل هذا الادّعاء فإنّ ذلك يكون سبباً في إنزعاج خاطره وفي غضبه ولو أقول أنّه فهم معنى الحديث المتواتر ومع ذلك إدّعى مثل هذا الادّعاء فإنّني أكون قد نسبت له المغالطة والكذب وهذا أيضاً يخالف شأن الكتابة وآداب الصحافة ولهذا فليس هناك من

[103] غافر: 51

مفرّ إلاّ أن أوضح في هذا المجال معنى الحديث المتواتر وأترك الحكم على جناب الشيخ إلى أرباب العلم والإنصاف وأقول:

لا يخفي على مطالعي هذه الصفحات أنّ علماء الإسلام يعتبرون الخبر الّذي ينبئ بقول قاله رسول الله صلى الله عليه وسلّم أو فعل فعله أو تقرير قرّره حديثاً نبوياً شريفاً. وزاد على هذا علماء الشيعة فأضافوا إلى ذلك كلّ قولٍ قاله الأئمّة عليهم السلام وكلّ فعلٍ فعلوه وكلّ تقريرٍ قرّروه. إذن فالحديث بإصطلاح علماء الشيعة هو كلّ خبر يخبر بقول وفعل وتقرير من رسول الله ومن أئمّة الهدى عليهم السلام. ومن الواضح أنّ هذه الأخبار بعد إنقضاء أيّام رسول الله وأئمّة الهدى إنتقلت إلى الناس بطريق الرّواة. ففي هذه الحال قال العلماء إذا كان عدد الرواة لحديث كثيرون جدّاً بحيث يستحيل تواطؤهم وإتّفاقهم على الكذب فإنّ ذلك الحديث يسمّى حديثاً متواتراً. فمثلاً لو سُمِع ألف إنسان يروون خبراً ولم ير أحدهم الآخر ولم يتّفقوا فيما بينهم على روايته فلا شكّ أنّ هذا الخبر يكون من الأدلّة القطعيّة. أما لو كان عدد رواة الحديث قليلاً إلى درجة لا يستحيل معها إتّفاقهم على الكذب فإنّ هذا الخبر يسمّى خبر آحاد. وخبر الآحاد يفيد الظنّ ويعتبر من الأدلّة الظنيّة ما لم تؤيّده قرينة قطعيّة خارجيّة. وقد إتّفق علماء الشيعة على أنّ خبر الآحاد ليس حجّةً في المسائل الأصوليّيّة ولا يمكن الاستدلال به ما لم تؤيّده آية من آيات القرآن الّذي هو من الأدلّة القطعيّة. فلمّا إتّضح لكم الآن معنى الحديث المتواتر أعرض أنّ علماء الإسلام من السنّة والشيعة قد إتّفقوا على شرطين للتحقّق من صحّة الحديث المتواتر: (فالشرط الأوّل) هو أن يكون الأمر المخبَر عنه أمراً محسوماً كأن يروي ألف إنسان أو خمسمائة إنسان أو مائة إنسان خبراً بأنّنّ رسول الله عليه الصّلاة والسلام قال هذا الكلام الّذي سمعناه أو إنّه عليه الصّلاة والسلام فعل هذا الفعل فيكون هذا الحديث متواتراً. أما لو روى مائة ألف إنسان خبراً عن أمرٍ غير محسوس بل أمرٍ عقلي كصفات الله عين ذاته أو غير ذاته أو أنّ رتبة النبوّة أعظم أم رتبة الرسالة أو أنّ الإمام واجب العصمة أو غير واجبها فإنّ هذا الخبر المروي يكون حديثاً متواتر وغير قطعي لأنّ تطرُّق الخطأ إلى الأمور العقليّة أكثر من تطرّقه إلى الأمور الحسّية، وهذا الشرط قد إتّفق عليه جميع العلماء واعتبروا وجود هذا الشرط لازماً لتحقّيق التواتر. (الشرط الثاني) هو أنْ يبلغ عدد الرواة في جميع الطبقات حدّ التواتر. إذ من المعلوم أنّ أهل هذا الزمان لم يتشرّفوا بالحضور بين يدي رسول الله ولم يسمعوا بآذانهم قوله ولا بدّ أن يكون الخبر قد وصل إليهم بطرقٍ عشرة أو أكثر ولا بدّ إذاً أن تبلغ هذه الطرق حدّ التواتر. مثال ذلك مائة إنسان لم ير أحدهم الآخر ولم يتفّقوا فيما بينهم على رواية حديثٍ رووه عن مائة إنسان آخر غير متواطئين

كذلك رووه عن مائة إنسان غيرهم حتى تصل روايتهم إلى رسول الله أو إلى أئمّة الهدى ففي هذه الصورة يثبت التواتر ويكون الخبر قطعيّاً ولكن لو روى مائة إنسان خبراً عن خمسة أشخاص أو عشرة أشخاص رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم فلا شكّ أنّ ذلك الخبر لا يكون حديثاً متواتراً ولا قطعياً لأنّه ليس من المستحيل أن يتّفق خمسة أشخاص أو عشرة أشخاص على الكذب أو يتواطئوا على رواية لا أساس لها من الصحّة. وخلاصة القول أنّ هذين هما الشرطان اللذان إتّفق جميع العلماء بالإجماع على وجوب تحقّقهما في الحديث المتواتر وقد راعوا فيهما منتهى الدقة.

إذاً لما تمّ الإطّلاع على معنى الحديث المتواتر يمكن أن نعلم أنّ جناب الشيخ يستطيع في إثبات مدعاه أنْ يأتي بحديث متواتر واحد بلغ جميع طبقات رواته رتبة التواتر حتى وصلوا بحديثهم إلى رسول الله وأئمّة الهدى عليهم السلام أو أنّه لا يستطيع ذلك. أقول أن يأتي بحديث متواتر واحدٍ فكيف بأحاديث كثيرة متواترة إدّعاها إلاّ اللهم أن يكون الحديث الّذي يتصوّره من أمثال مراثي الجوهري ومقبل وأمثالهما أو ما يتصوّره من كتب منشدي المراثي الّتي يظنّها حديثاً متواتراً. ونحن نصرف النظر عن جميع المطالب الدينيّة لو يستطيع جناب الشيخ أن يأتي بحديث واحد متواتر في إثبات مسألة واحدة من المسائل الأصوليّة لمذهب أهل السنّة والجماعة أو في إثبات مسألة واحدة من المسائل الأصوليّة لمذهب التشيّع مثل أنّ الحسن بن علي العسكري عليهما السلام كان له ولد. فلو يأتينا بحديث واحد عن ذلك فإنّنّا نقبل جميع مطالبه ونعترف ونذعن بدقّة نظره.

ولو ينظر الإنسان البصير إلى الأحاديث الواردة حول ميلاد حضرة محمّد بن الحسن عليه السلام والّتي إليها يرجع بناء مذهب الشيعة لَيشاهد بكلّ وضوح أنّ جماعة الشيعة إكتفت في الإيمان بمثل هذا المبحث المهمّ بحديث روته إمرأة واحدة ورواه خادم مجهول الهوية ولَيشاهد أنّهم إعتمدوا على مثل هذا الحديث الضعيف الوحيد في مسألة الإمامة الّتي هي من المسائل الأصوليّة ومن المباحث الاعتقاد يّة الّتي لا مجال لغير البراهين القطعيّة في إثباتها وقد فرّحوا قلوبهم بالعقائد الواهية من قبيل جابلقا وسرداب سامراء وبقاء الإمام فيه ألف سنة حتى شتّت إشراق شمس المعارف تلك الظلمات الحالكة. **[ألم يأن لهم أن يستيقظوا من رقدتهم وينتبهوا من غفلتهم وينشطوا من عقالهم ويرجعوا إلى عقولهم ويتفكّروا في عواقبهم وقد مضت من قبلهم المثلات ونزلت في إنذارهم آيات باهرات؟]**

10. في نقل عبارة الشيخ بأنّه لو كان المقصود من الغلبة هو الغلبة المعنويّة التدريجيّة فإنّنا نرى هذا النوع من الغلبة موجوداً أيضاً في المذاهب والأديان الباطلة:

كتب جناب الشيخ ما يلي في رسالته الأولى:

"لو كان المقصود من الغلبة كما أشار إليه كتاب الإيقان هو الغلبة الباطنية والمعنويّة الّتي تظهر حسب إستعداد الأكوان والأزمان وتجدّد الخلق ففي هذه الصورة إننا نشاهد هذا النوع من الغلبة في الأديان والمذاهب الباطلة الّتي بقيت سنين طويلة وإرتقت ووجدت رواجاً بتوالي الأيّام وتلاحق الأزمان بالرغم من أنّ مؤسّسيها كانوا في زمانهم حسب الظاهر مغلوبين ومقهورين كما يعرف هذا أرباب التاريخ والعلم. وكذلك تضحية أتباع السيّد الباب بأموالهم وأرواحهم في سبيله وصبر السيّد نفسه وإستقامته ليست دليلاً على حقيّته لأننا نشاهد بشهادة جميع التواريخ أنّ الإنسان الراسخ في عقيدته مهما كانت عقيدته باطلة وسخيفة يفدي ماله وأولاده وروحه لا في سبيل إنسان كامل بل في سبيل شجرة أو حجر صنعه بنفسه. وفضلاً عن هذا لو كان هذا الدليل صحيحاً ومقبولاً فأننا نستطيع أن نقول: أيها الناس لماذا لا تتفكّرون بفداء أتباع معاوية ويزيد بأموالهم وأرواحهم وأولادهم في سبيل حقّهم وحقيّة عقيدتهم؟ وهل من الممكن أن يكون كلّ أولئك الناس في طريق الجهالة والضلال؟ فلو قيل أنّ ذلك وقع لمجرّد الأهواء النفسيّة ومطامع المال والجاه والجلال فإنّا نقول كذلك كيف نعرف أنّ هذا أيضاً ليس عاديّاً أو بريئاً من هذه الدوافع؟

والأوضح من هذا أننا نقول لو نادانا إنسان من الوثنيّين بنداء عام قائلاً: أيتها الأمّة الإسلاميّة وأيتها الأمّة المسيحيّة وأيتها الأمّة اليهوديّة ويا أصحاب المذاهب المختلفة لماذا أنتم في طريق الضلال ولماذا لا تسيرون في سبيل الحقّ المستقيم؟ أفلا ترون قدرة أهل الأوثان اليوم على الأرض؟ أفلا تعلمون أنّه ليست هناك بينكم من أمّة على وجه الأرض تساوي في عدد نفوسها وفي قوّتها نفوسنا وقوّتنا؟ ففي الصين عندنا اليوم أربعمائة مليون نسمة وليس هذا إلاّ من الغلبة الباطنية الكاملة والسيطرة المعنويّة الشاملة الّتي كانت في مؤسّسنا النفيس والّذي أثّرت كلماته الحقّة يوماً فيوماً في القلوب ونفذت فيها حتى وصلنا إلى هذه الدرجة." فالآن لو كان المقصود بالغلبة والسلطنة هو الغلبة والسلطنة المعنويّة الّتي تتجلّى بمرور الأيّام وبتجدّد الخلق والأزمان فإننا نلزم بحقيّة الدين الوثني **[والحال أنّ بطلان هذا الدين أظهر من الشمس وأبين من الأمس]**، وفضلاً عن هذا فإنّ كثيرين في العصور السابقة إدّعوا مقام المهدويّة وآمن بكلّ واحد منهم في زمانه خلق كثير وفدوه بأرواحهم

ولكنّ عاقبة كلّ واحد منهم كانت مثل عاقبة السيّد الباب وقد قُتلوا كما ورد تفصيل ذلك في تاريخ إبن خلدون وغيره. إذن فبأيّ دليل وبرهان يُعرف كذب إدّعائهم وصدق ادّعاء هذا؟"

ولما إنتهت كلمات جناب الشيخ في رسالته الأولى إلى هذا المقام أجاب عليه مناظره البهائي بكلام مختصر ومفيد قائلاً: إنّ عبادة الأوثان وسائر المذاهب الباطلة مذاهب سياسيّة ظهرت وتظهر في الأديان الإلهيّة ولا تنهدم الأديان الإلهيّة بظهور المذاهب السياسيّة فيها والفارق بين الحقّ والباطل هو بقاء الحقّ وثباته وزوال الباطل وفناؤه بحكم الآية المباركة: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ"[104]. وجناب الشيخ الّذي لم يرضى بالآية الكريمة فارقاً بين الحقّ والباطل كان عليه على الأقل أن يبيّن الفارق الّذي يراه بين الحقّ والباطل ولكنّه بدون أن يفهم مقصود مناظره قام في رسالته الثانية بكتابة أربع أو خمس صفحات مملؤة بالكلمات الخشنة والإهانات الخارجة عن الآداب الإنسانيّة والّتي لن يلوّث هذا العبد قلمه بنقلها ثم أعاد ما كتبه في رسالته الأولى من الشبهات فكرّرها في رسالته الثانية وهذه هي كلماته في رسالته الثانية:

"وأنا أقول أنّ هناك في العالم أنواعاً وأشكالاً من العقائد الدينيّة والمذهبيّة وإنّ المعتقدين بها في كلّ زمان ومكان يقومون بمقتضيات العبادة فيها نظراً لرسوخ عقائدهم القلبيّة واستحكامها وينفقون دون بخلٍ أموالهم وأرواحهم وأولادهم في سبيل الدفاع عن ذلك الدين أو المحافظة عليه أو التقرّب إلى المعبود الّذي اتخذوه في دينهم. فارجعوا مثلاً إلى التاريخ العام للعالم واقرأوا الديانات والشرائع الوثنيّة تروا أنّهم بنوا تماثيل ومجسّمات اعتبروها شفعاء لهم في يوم الجزاء وهم علاوة على السجود والتعظيم وتقديم القرابين الحيوانيّة يقدّمون أطفالهم الأعزّاء قرباناً أمام تماثيلهم الصامتة الّتي صنعوها بأيديهم. وقد حدث أخيراً حينما كان ينقل الصنم من معبد إلى آخر في الصين بوقار وإجلال أن انبرى بضعة أشخاص من المؤمنين به فناموا في طريق تلك العربة وتحت عجلاتها الحديديّة الثقيلة وفدوا بأرواحهم العزيزة معبودهم الباطل. إذاً لو كان فداء الروح دليلاً على حقيّة الدين فعندئذٍ يثبت بعلمهم حقيّة الدين الوثني. وخلاصة القول إنّنّ جميع الحروب الدينيّة والمذهبيّة الّتي حدثت في العالم نشأت من العقيدة الراسخة الّتي كان يتحلّى بها كلّ واحد من المؤمنين بتلك الأديان ويرى نفسه حقّاً والآخرين باطلاً ويبرهن ادّعاء ه بصورة فعليّة بفداء المال والروح والأولاد ولكن لا تثبت بهذا الفداء حقيّة هذا أو ذاك أبداً لأنّ أعمال كلّ فرقة تماثل أعمال الفرقة الأخرى. فلو كان عملُ أحدهم دليل حقيّته فعملُ الآخر أيضاً يكون دليل حقيّته. إذاً فهناك قولٌ صحيح يثبت صحّة وبطلان تلك العقيدة الّتي

[104] ابراهيم: 24

بعثت على مثل هذا العمل وذلك القول وحده هو البرهان الباهر والدليل القاهر وليس أعمال المقلّدين والمعتقدين. ولم يفهم المناظر المسكين حتى الآن أنّنّ رؤساء بني أميّة كانوا يعتقدون بأنّ عدم بيعة حضرة سيّد الشهداء ليزيد بن معاوية هي مخالفة للدين وسبب لاختلاف كلمة الله وحتى أنّهم والعياذ بالله سمّوا حضرته عاصياً وخارجاً على القانون وبهذه العقيدة الباطلة حسبوا أنّ محاربة حضرته واجبة. ولا يخفي أنّ أغلب المخالفين والمجاهدين كانوا لا يعلمون حقيقة الأمر ولا يعرفون حقيّة هذا أو ذاك. ألم تسمعوا أن سيّد الشهداء في يوم عاشوراء لما كان قائماً يصلّلّي خاطبه أحد الرؤساء قائلاً "يا حسين لماذا تصلّي فإنّ ربّ العالمين لن يقبل أبداً صلاتك؟". أفلا ترون كيف كانت عقيدة هذا الرئيس؟ ألم يكن يعلم أنّ حيلة عمرو بن العاص في موقعة صفّين بتحكيم حكمين صارت سبباً لنكوص خلق كثير عن مولى الموالي وأمير المؤمنين وخروجهم عليه حتى اعتبروا والعياذ بالله حضرته كافراً وقامت في الحال معركة النهروان. وهناك آلاف الفجائع الدينيّة والمذهبيّيّة سواء في الإسلام أو في المسيحيّة أو في اليهوديّة اعتبر كلّ فريق فيها نفسه محقّاً ومصلحاً واعتبر الفريق المقابل له باطلاً فاسداً. ففرقة الفرسان وفرقة الجزويت المسيحيّة الّتي نشأت بأمر البابا وبتحريضه نظراً لاعتقادهم بحقيّة مذهبهم وطريقتهم لم يتركوا ميداناً من الميادين الّتي سلكها المعذبون لتعذيب المرتدّين من اليهود والنصارى والمسلمين لم يسلكوه ولو كانوا يلقون ضحاياهم البائسين في النار مرّة واحدة لكان ذلك فضلاً وإحساناً منهم ولكنّهم كانوا يحرقونها بصورة تدريجية كاللحم المشوي. وبنظري إنّ كلَّ ظالم مهما كان قاسياً فظّاً فإنّه لا يرضى بهذا القدر من التعذيب ولكنّ الّذي بدّل قلوبَهم الرقيقة إلى قلوب من الحديد والفولاذ هو عقيدتهم بحقيّة مذهبهم وببطلان وخسران الطرف المقابل لهم، وهذه العقيدة قد رسخت في قلوبهم بأمر حضرة البابا وهو الجالس في مكان عيسى عليه السلام وهو الغفّار لكلّ الذنوب. وخلاصة القول إنّ من المقبول بل من البديهي لدى أرباب البصيرة أنّ شرحنا وتطويلنا اقتضاه خلطُ المناظر المزوّر. والآن أسأل المناظر المزوّر هذا السؤال: ما الفرق في الظاهر بين عمل الوثني الّذي يفدي بروحه وبأطفاله الأعزاء في سبيل التقرّب إلى معبوده الباطل ورجاء شفاعته وبين فداء سليمان خان والميرزا قربان أرواحهم في سبيل العقيدة الّتي اتخذوها وبقوّة إيمانهم بها؟ فكلاهما صادق في قوله حسب الظاهر وكلاهما يستحقّ المدح والثناء لأنّ كلاً منهما يقول ديني حقّ وقد اعتقدتُ بحقيّته إلى درجة فديتُ بنفسي في سبيله. ولكنّ التحقيق في أيّهما كان في طريق الحقّ وأيّهما في طريق الضّلال هو الدليل القاهر والبرهان الباهر المميّز. ولهذا قلتُ إنّ فداء أتباع السيّد الباب لأرواحهم وأموالهم وصبر السيّد الباب نفسه واستقامته

ليست بدليل على حقيّته وكذلك بطلان عقيدته مهما كانت كيفيّة إعدامه معروفة بآلاف أنواع التعذيب فلا يمكن قبولها ما دامت بالدليل والبرهان "لِيَهْلِكَ مَنْ هلِكَ عَنْ بَيِّنَة"[105].

11. في الإجابة على جناب الشيخ وإثبات بطلان تمثيل الدين الإلهي بالمذاهب الباطلة وبيان معنى الدين ومعنى المذهب والفرق بينهما:

إنّ خلاصة تطويلات الشيخ المملّة هي مسألة ما هو الفارق بين الحقّ والباطل وقوله إنّ فداء المال والروح لا يكون دليلاً على حقيّة الحقّ وبطلان الباطل وإنّ الدين الحقّ يحتاج إلى برهانٍ كافٍ ودليلٍ وافٍ. وبدلاً من أنْ يقوم جناب الشيخ نفسه ببيان هذا الفارق وهذا البرهان ويريح جماعته أشغلَ نفسه بمسائل ليست موضع الاختلاف، وأطال الكلام فيها فجعلها بحثاً عقيماً. ولو أننا أوضحنا في المقالة الأولى برهان الحقّ والفارق بين الحقّ والباطل بصورة ظاهرة وباهرة ومكشوفة ومع ذلك سنقوم بحول الله وقوّته مرّة ثانية تكميلاً للحجّة وتوضيحاً للمسألة ببيان الفرق بين داعية الحقّ وداعية الباطل ونوضح بطلان قياسات الشيخ الّتي طالما رفعها المكذّبون على أكفّهم. وبعد إتمام الحجّة نذكر سبب إطالته في كلامه الّذي كان مثل ليالي الشتاء المظلمة الباردة الطويلة في الامتداد. وقبل بيان الفارق نبيّن معنى الدين ومعنى المذهب ونبيّن الفرق بين الشرائع والأديان وبين الطُرُق والمذاهب ونوضح كيفيّة انتشار المذاهب في الأديان حتى يكون طالبو الحقيقة على بيّنة من الأمر ويطّلعوا على القياسات الفاسدة وعلى تخليط وتزوير كلّ إنسان فنقول:

إعلم أيها الناظر إلى صفحات هذه الصحيفة إنّ الدين عبارة عن الشرائع والقوانين الّتي تنزل على أحد أفراد البشر بوحي سماوي ووضع إلهي وتؤدّدّ ي إلى انتظام الأمور الروحانيّة والدنيويّة في الأمّة مثل الديانة الموسويّة والديانة النصرانيّة والديانة الإسلاميّة وأمثالها. ومن خواص الديانة قوتّها وقدرة نفوذ كلمتها وجمعها وتأليفها بين الأمم المختلفة والعناصر المتعدّدة في ظل كلمة واحدة وربطهم برباط الأخوّة الدينيّة والجامعة الملّية. أما المذاهب فهي عبارة عن الطرق والشوارع الّتي انشعبت من تلك الأديان بسبب الأغراض السياسيّة أو الاختلافات العلميّة وأساسها الّذي تقوم عليه هو المسائل العلميّة والآراء الاجتهادية لا ادّعاؤها نزول وحي سماوي وآيات إلهيّة وأمثال المذاهب الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة والبروتستانيّة وغيرها في الديانة المسيحيّة وأمثال مذاهب القرّائين والربانيّين في الديانة الموسويّة وأمثال مذاهب الإماميّة والاسماعيليّة والزيديّة وأهل السنّة وغيرها في المذاهب الإسلاميّة. ومن خواص المذاهب التفريق والتشتيت للأمّة المتّحدة والضعف والانحلال وإحداث

[105] الأنفال: 42

الحروب الأهليّة ودخول البدع والأهواء والعبادات الباطلة غير الأساسيّة وإنا سنذكر فيما يلي من الصفحات كيفيّة تشريع الأديان الثلاثة وسبب انشعاب المذاهب فيها حتى ينتبه كلّ طالب وتزول شبهات أرباب الارتياب والتشكيك.

12. في بيان كيفيّة تفرّق الديانة الموسويّة إلى مذاهب مختلفة:

ومجمل ذلك أنّ بني إسرائيل لما نجوا من عبوديّة فراعنة مصر بسبب ظهور موسى عليه السلام ونزول التوراة وسكنوا الأراضي المقدّسة بالعزّة والاطمئنان انتظمت أمورهم مدّة أربعمائة وخمسين سنة على يد رؤسائهم الّذين كانوا ينتخبونهم باسم (القضاة) إلى أن جلس شاؤول من سبط بنيامين والّذي يسمّيه القرآن المجيد باسم طالوت على سرير الملك، فتبدّل منصب القضاة المنتخبين إلى عرش الملكيّة الوراثيّة وبعد مقتل شاؤول كما جاء تفصيله في أسفار العهد القديم أصبح داود عليه السلام من سبط يهوذا ملكاً على بني إسرائيل بأمر الله تبارك وتعالى ثم انتقل الملك إلى ابنه الأرشد سليمان عليه السلام. وكانت أمور بني إسرائيل في هذه المدّة على أحسن ما يكون من الانتظام وفي منتهى القوّة وكانت الأيادي متّفقة في نصرة بعضها وكلمة الأمّة متّحدة وهيبتها مكينة راسخة في قلوب الملوك المجاورين أمثال موآب وأدوم ومصر. فلمّا توفّي سليمان عليه السلام اختلفت الأمّة فجعلت عشرةُ أسباط من بني إسرائيل (ياربعام بني نباط) من نسل يوسف عليه السلام ملكاً عليها بينما جعل سبطا يهوذا وبنيامين (رحبعام أبن سليمان) ملكاً عليهم، وكان هذا بدء اختلاف بني إسرائيل وانقسمت الديانة اليهوديّة إلى مذهبين كبيرين واشتعلت نار الحرب والقتال بين الطرفين وتبدّلت قوّتهم إلى ضعف وسطوتهم إلى انحلال وتوحيدهم إلى شرك. فإنّ ياربعام مخافة ذهاب بني إسرائيل في كلّ سنة للحجّ ولتقديم القربان المقدّس إلى مدينة القدس الشريفة عاصمة ملوك آل داود ومخافة انحراف قلوبهم إلى رحبعام بن سليمان فتزول بذلك سلطنة آل أفرائيم، لهذا فقد بنى في عاصمته (السامرة) المسماة بالعبريّة (شومِرون) مذبحاً وأقام فيه عجلين من الذهب ومنع الناس من الحجّ إلى مدينة القدس الشريفة ومنع الذبح في مذبح سليمان فاعتاد بنو إسرائيل على تقديس العجلين الذهبيّين وابتلوا باحترام التماثيل ورسخت شيئاً فشيئاً دواعي المنافرة والمخاصمة بين ملوك أفرائيم وملوك يهوذا حتى انقطعت روابط الألفة بين الطرفين ونشبت الحروب الأهليّة والمنازعات المذهبيّة بين الطرفين وفقاً لما تتحدّث به أسفار العهد القديم المقدّسة وتقرّب كلّ واحد من ملوك يهوذا وإسرائيل طلباً للقوّة والنصر على خصمه إلى ملوك الفينيقيّين والمصريّين الّذين كانوا مشهورين حينذاك بمدنيّتهم وقوّتهم وشوكتهم وغزارة علمهم ورقيّ صناعتهم واقتبسوا عاداتهم المخالفة لشريعة التوراة. ومن أجل التقرّب لهذه الأمم وتغلّب بعضهم على البعض الآخر وضعوا في معابدهم أوثان عشتروت وبعل ومولك ولم ينتصحوا بنصائح أنبياء بني إسرائيل ومقدّسيهم ولا اتّعظوا بمواعظ المنقطعين والمقرّبين حتى تغلّب ملوك أشور على إفرائيم وشومرون بالغضب الإلهي وانقرضت سلطنة هذه السلالة من بني إسرائيل ولا تزال إلى اليوم بقيّة من بقايا السامريّين ساكنة في بلاد نابلس الشام ولهم معبد في جبل (جزريم) للعبادة. والسامريّون يعتقدون بأسفار التوراة الخمسة ولكنّهم لا يعتقدون

ببقيّة أسفار أنبياء بني إسرائيل. وبعد انقراض بني أفرائيم بقيت السلطنة ضعيفة في بيت يهوذا حتى أنقرضوا أيضاً بعد مدّة على أيدي ملوك بابل وابتلوا بعد العزّة والشوكة بالأسى والذلّة. وبعد سبعين سنة من الأسر في بابل نجوا بفضل ملوك إيران من أسر بابل ورجعوا مرّة أخرى إلى مدينة القدس الشريفة بالعزة والاطمئنان وفي هذه المرّة انقسموا إلى شيع ومذاهب أخرى نتيجة اختلاطهم بأهل بابل ومصر الّتي كانت في تلك الأوقات مشهورة بمدنيّتها وسعة معارفها وظهرت شيع (الفرّيسيّين) و (الصدّوقيّين) و (الأسينيّون) و (الشيرابوتيّون) وقد وردت الإشارة في الإنجيل المقدّس إلى بعضهم وذُكرت أحوالهم بالتفصيل في تاريخ يوسيفوس العبري وفيلو. وقد ظنّيت هذه الشيع والفرق نفسها حافظة لحقيقة شريعة التوراة واعتبرت غيرها باطلة مبتدعة.

وفي هذه الأثناء ظهر عيسى عليه آلاف التحيّة والثناء ودعي أمّة اليهود إلى الشريعة الجديدة والسنن البديعة ولكنّ اليهود تمسّكوا بالضروريات الدينيّة وبأنّ المسيح يجب أن يظهر بسلطنة ظاهرة ويرث عرش داود وتاجه وشوكته وقوّته ففُتنوا بهذا وكذّبوا حضرته واعتبروا ذلك الوجود الأقدس بجهلهم وضلالهم مفترياً ضالاًّ حتى نزلت فيهم كلمة العذاب وبعد أن سكنوا مدينة القدس الشريفة مدّة أربعمائة وثلاثين سنة تفرّقوا وتشتّتوا بتغلب القيصر الروماني طيطوس عليهم وازداد هذا التشتّت بظهور الإسلام إلى أن أصبحوا حتى يومنا هذا مشتّتين في الشرق والغرب ومنفورين. وقد بقي القليل من مذهب (القرّائين) ومذهب (الربّانيّين) عبرة للمتبصّرين. وطائفة القرّائين تؤمن بأسفار العهد القديم ولكنّها لا تعتقد بالتلمود وبالتقاليد والتفاسير بينما طائفة الربّانيّين بعد إذعانها لأسفار العهد القديم تدور عبادتها ومعارفها حول تفاسير التلمود وتعتمد على آراء علماء اليهود. ومن العجيب أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد صرّح في إحدى خطبه البليغة في نهج البلاغة بحوادث بداية ونهاية بني إسرائيل وحذّر الأمّة الإسلاميّة من التفرقة والاختلاف والحزبيّة والمذاهب وتقليد اليهود ومعاندة حضرة الموعود. ولو وجدنا المقام مقتضياً في غضون هذا الكتاب فسوف ندرج تلك الخطبة الكريمة ونقوم بترجمتها ذكرى وموعظة للمتّقين حتى يعرف أهل البصيرة أنّ أئمّة الهدى قد أخبروا بهذه الحوادث وكشفوا عواقب الأمّة الإسلاميّة، ولكن هيهات أن تؤثّر هذه النصائح في القلوب القاسية أو تؤدّي إلى إنتباه وعبرة أرباب العتوّ والإنكار "فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُمَّ الدُّعَاءَ"[106].

13. في بيان كيفيّة إنتشار الديانة النصرانيّة وتفرّقها إلى مذاهب مختلفة:

[106] الروم: 52

أما كيفيّة إنتشار الديانة النصرانيّة وتفرّقها إلى مذاهب، فمجمل ذلك أنّنّه لمّا صعد عيسى عليه أطيب التحيّة والبهاء إلى الرفيق الأعلى بظلم اليهود كان عدد المؤمنين به حينذاك ما يقارب المائة والعشرين شخصاً وقد قام اليهود الّذين كانوا في تلك الأيّام تحت حكم بيلاطس الوالي الروماني بمنتهى الإضطهاد والأذى على معارضة أصحاب حضرته إلى أن شرب كأس الشهادة إستيفانوس ويعقوب إبن زيدي ويعقوب البار بحكم علماء اليهود والرؤساء بشكل فجيع. وأخيراً تشتّت أصحاب حضرته إلى المدن والأطراف خوفاً من اليهود وقام علماء اليهود عن طريق الرسل والمراسلة من مدينة القدس الشريفة أورشليم بتحريض سائر البلاد والممالك ضدّ المسيحيّين وإتّهموا أولئك المظلومين الّذين كانوا لا يضمرون لليهود غير خيرهم وصلاحهم بفساد العقيدة وبالرغبة بالإستيلاء على الحكم وإتّهموهم بهذه التهم الشنيعة لدى ولاة البلاد وأمراء الرومان إلى أنْ نزل الغضب الإلهي على اليهود. فبعد سبعين سنة من ميلاد المسيح هجم طيطوس القيصر الروماني على الأراضي المقدّسة وأذلّ اليهود وشتّتهم وقتل ما يزيد على المليون من يهود مدينة القدس الشريفة وهدم المدينة. وزادت هذه الحادثة في تشتّت المسيحيّين أيضاً، فتشتّت أتباع عيسى عليه السلام الّذين كانوا أقلّة وأذلّة في جميع البلاد المجاورة والبعيدة، ولكنّهم قاموا بكلّ همّة وإخلاص على تبليغ أمر حضرة المسيح. ولما بدأ الأمر المبارك المسيحي ينفذ إلى داخل الأمّة الرومانيّة الوثنيّة إتّفق علماء الرّومان مع علماء اليهود وإتّهموا أولئك المظلومين أمام القياصرة ورجال الدولة بأنواع التهم والفساد. ولما أمر القيصر الروماني نيرون الظالم بإحراق عاصمة أوروبّا وهي مدينة روما العظيمة حينما كان سكراناً فأحرق مثل تلك المدينة الكبيرة في ساعة سكرٍ جنونيّة وألقى في الصباح تهمة هذا الحادث الشنيع على جماعة المسيحيّين الصغيرة في روما إبتُليت تلك الفئة المظلومة بأنواع العذاب والإضطهاد. ومن المعروف لدى النصارى أن بطرس وبولس شربا كأس الشهادة في العاصمة روما وصعدا إلى مقرّ التقديس والرفيق الأعلى من فوق أعواد الصليب. وانتهى الأمر أخيراً بالأمّة النصرانيّة نتيجة ظلم الوثنيّة إلى أنّهم لم يجدوا في أنحاء تلك المملكة الفسيحة مقر أمنٍ يعيشون فيه فالتجأ أكثرهم إلى شعاب الجبال والقرى النائية عن العواصم ولاذوا بالرهبانيّة وشُغلوا بعبادة الله. ومعلوم لدى الأمّة النصرانيّة أيضاً أنّ هذه الأمّة إبتُليت بظلم الوثنيّة مدّة ثلثمائة سنة فتعرّضت خلالها عشرات المرّات إلى القتل العام بأمر القياصرة الرهيب وجرت أنهار دماء أولئك البائسين ولكنّ كلمة الله إنتصرت بالرّغم من كلّ هذه المظالم وزاد عدد هذه الأمّة يوماً بعد يوم إلى أنْ إهتدى قسطنطين الكبير في أواخر القرن الثالث بنور الهداية وتشرّف بإعتناق الديانة النصرانيّة. وفي أوائل القرن الرابع أعلن حريّة النصارى وقام بكلّ همة على إعلاء كلمة النصرانيّة وهدم الديانة الوثنيّة. ومنذ بداية إنتشار الديانة

المسيحيّة في أوروبّا وآسيا وأفريقيا كان الحبر الأعظم في روما رئيساً لجميع الأساقفة وتشرّف بلقب البابا وإدّعى وراثته لمقام خلافة بطرس الرسول. ولما إنتقل قسطنطين الكبير من مدينة روما العظيمة إلى مدينة (بيزنطية) الّتي تدعى اليوم باسم إستنبول وإتّخذها عاصمة له منح أسقف إستنبول كلّ إحترام ورعاية وعزة وسلطة وأولاه شرف كلّ عناية وتوجّهٍ وإعتبارٍ حتى لم يجد أسقف إستنبول نفسه مجبراً على إطاعة الحبر الأعظم في روما بل إعتبر جميع أساقفة أورشليم والإسكندريّة وأنطاكية وبيزنطية وروما متساوين وصارت هذه النقطة في الأخير سبب إنشقاق الكنيسة الشرقيّة عن الكنيسة الغربيّة وصارت سبباً إلى إنقسام المسيحيّة إلى مذهبين كبيرين: الكاثوليك والأرثوذكس. وفي هذا القرن إنتشرت المسيحيّة بهمّة قسطنطين الكبير وشجاعته إلى ممالك آسيا وأفريقيا. فمثلاً إنتقلت مملكة أرمينيا من الديانة الوثنيّة إلى الديانة المسيحيّة بواسطة كريكوريوس بن أنكَس بمساعدة تيريدات وإعتنقت مملكة كرجستان المسيحيّة بواسطة إمرأة. وتشرّفت ممالك (تراقيا) و (ميسياوداسيا) في شمال شرقي الروملي وبلغاريا بإعتناق المسيحيّة. وفي أفريقية إعتنقت مملكة الحبشة الديانة المسيحيّة بواسطة (فرومنتيوس) الّذي سافر من مصر إليها وصارت تابعة لكنيسة الإسكندريّة. وفي القرون الاخيرة حينما ظهر الإنشقاق بين الكنائس الشرقيّة والكنائس الغربيّة إتبعت أغلب الممالك أسقف القسطنطينيّة والمذهب الأرثوذكسي ما عدا كنيسة أرمينيا. وفي القرن الثالث والرابع حصلت بعض الإختلافات العلميّة بين رؤساء المسيحيّة وصارت سبباً إلى إنقسام الكنائس وإنشقاق العقائد وأهم هذه الإنشقاقات الّتي يسمّيها المسيحيّون الهرطقات أي البدع إنشقاق (الدوناتيّين) و (السيسيليّين). ومجمل ذلك أن أسقف قرطاجنة (منسوريوس) توفّي سنة (311) ميلاديّة وحصل اختلاف بين أساقفة (قرطاجنة) و (نوميدية) في تعيين أسقف مكانه وقد تطوّر هذا الاختلاف إلى عداوة ومنازعة بين الطرفين وجرت وقائع دمويّة مُحزنة ولم يتحقّق الصلح بسعي قسطنطين الكبير ورؤساء القياصرة وإتّهم كلّ واحد الآخر بفساد العقيدة ولم يكن هذا الاختلاف قد أصلح حين ظهر اختلاف أشدّ وأصعب وهو اختلاف (آريوس) و (الأورثوذكس) حول الأقانيم الثلاثة. ومجمل هذا الاختلاف هو أنّ علماء اللاهوت كانوا حتى أوائل القرن الرابع يبحثون مسألة الأقانيم الثلاثة: (الآب والإبن وارّوح القدس) الّتي هي من المسائل المهمّة في الديانة المسيحيّة بحثاً موجزاً وكانوا يعلّمون الناس بصورة مجملة أنّ أقنوم الإبن في أقنوم الآب مثل العقل في الإنسان وأنّ الروح القدس هو القوّة الإلهيّة الفاعلة في هذين الأقنومين، ولم يزيدوا الشرح في هذه المسألة وكانوا يقنعون الناس بهذا الإجمال حتى قام القس (آريوس) وكان رجلاً مخيفاً ذلق اللسان فردّ على تعليمات أسقف الإسكندريّة الّذي كان يعلّم الناس بصورة مجملة تساوي الأقانيم الثلاثة جوهراً وذاتاً ورتبةً وأعلن أنّ أقنوم الإبن مختلف إختلافاً كلّياً

من حيث الجوهر مع أقنوم الآب ولم يصدر جوهر الإبن في البداية إلاّ من جوهر الآب وهو أشرف المخلوقات وهو بمثابة آلة إستعملها الإله الآب في إيجاد العالم الهيولي وجعله الصّادر الأوّل والواسطة الأولى بين الخالق والمخلوقات. ولما إشتهرت تعليمات (آريوس) وإعتنقها خلق كثير حدث بين الملّة إنشقاق كبير لأنّ هذا التعليم ينافي عقيدة الحبر الأعظم وعقيدة معظم الأساقفة الّذين كانوا يعتبرون جوهر الإبن مساويا لجوهر الآب من كلّ الجهات فتحوّلت المناظرات العلميّة إلى خصومات مذهبيّة إنتهت أخيراً بتكفير بعضهم البعض الآخر وتحريمه وطرده وكان قسطنطين الكبير في بداية الأمر يعتبر أنّ هذه المسألة طفيفة ولكنّه لما وجد العاقبة وخيمة كتب رسالة ودّية للتآخي بين الطرفين وأمرهم بالمودّة والإئتلاف وترك العناد والإختلاف. ولكنّ هذه النصائح لم تنفع في رفع العائلة بل إزداد الاختلاف والتنافر يوماً فيوماً وإنتشر الهياج والإضطراب في جميع الممالك فإضطرّ القيصر الكبير إلى الأمر بإجتماع جميع الأساقفة في مدينة نيقية سنة (325) ميلاديّة. وهكذا عُقد المجمع النيقاوي الشهير الّذي هو (المجمع المسكوني الأوّل) في الديانة النصرانيّة والمكان الّذي فيه تأسّست العقيدة الدينيّة الكبرى في هذا الدين، وبعد المناظرة والمجادلة إتّفق الأساقفة في هذا المجمع على تحريم (آريوس) وحكموا بطرد ونفي (أوبليركوم) وإجبار أتباعه على ترك تعاليم آريوس والإلتحاق بالكنيسة الأرثوذكسيّة. وفي هذا المجمع صدر الحكم الصريح بتساوي أقنوم الإبن مع أقنوم الآب الإله ذاتاً ورتبة وفعلاً وكرامةً . ولو أنّ هذه المسألة قد حُلّت بإنعقاد المجمع النيقاوي ولكنّ مسألة كيفيّة إنبثاق أقنوم الإبن من أقنوم الآب قد طُرحت أمام القِسس ورجال المسيحيّة وأخيراً صارت هذه المسألة سبب إنقسام الكنائس وسبب تعدّد المذاهب إلى يومنا هذا. وفي هذا القرن ظهرت فيما عدا شيعة آريوس شيع صغيرة وكبيرة أخرى بسبب الإختلافات العلميّة بين النصارى وسبّبت إنقلابات داخل الملّة وشرح كلّ واحدة من هذه العقائد مدون بصورة مفصلة في كتاب تاريخ الكنيسة تأليف يعقوب مردوك الأمريكاني وغيره من أفاضل المؤرّخين وهي كلّها مشهورة بين جمهور الناس من العالم والجاهل باسم (الفرق المسيحيّة). وفي القرن الرابع أنكر أسقف اللاذقيّة (أيوليناريس الأصغر) ناسوت المسيح وأعلن ألوهيّته المطلقة وكان رجلاً فاضلاً وعدوّاً للآريوسيّين فإنتشرت تعليماته في أكثر بلاد الشرق. لهذا صدر الأمر الملكي من (ثيودوسيوس) بعقد المجمع القسطنطيني سنة (381) ميلاديّة وهو (المجمع المسكوني الثاني) وقد إجتمع في هذا المجمع مائة وعشرون أسقفاً وحكموا على حقيّة الأقانيم الثلاثة في إله واحد وطردوا (أيوليناريس الأصغر) وحرّموه. وفي القرن الخامس ظهرت في المسيحيّة الفرقة (النسطوريّة) وسبب ظهورها هو أنّ عيسى عليه السلام كان يسمّي نفسه في الإنجيل مرّة (بإبن الله) و أخرى (بإبن الإنسان) لهذا صار التوفيق بين هذين المقامين أو التفريق بينهما سبباً في

حدوث إختلافات مكيّيّة بين النصارى وإعتبر علماء سوريّيّة وبلاد الشرق عيسى عليه السلام حائزاً لطبيعتين ومشيئتين وهي المشيئة اللاهوتيّة والمشيئة الناسوتيّة أي الألوهيّة والبشريّة فتفرّع من هذا أنّهم كانوا يسمّون مريم العذراء مرّة باسم (أم الله) ومرّة باسم (أم المسيح) بينما إعتبر علماء الأسكندريّة والكنائس التابعة لها حضرة المسيح حائزاً على طبيعة واحدة فتفرّع من هذا أنّهم صاروا يسمّون مريم العذراء باسم (أم الإله) ولم يجيزوا تسميتها باسم (أم المسيح). ولما كان (نسطوريوس) الأسقف السوري رجلاً عظيماً وفصيحاً ولم يستصوب تسمية مريم العذراء باسم (أم الإله) خلافاً للسوريّين والشرقيّين وكان يجهر في المجامع والكنائس بعقيدته هذه لذا هاج علماء القسطنطينيّة ورهبانها وكان يُخشى أن تنتهي المجادلات العلميّة إلى حرب دمويّة فأصدر القيصر الروماني (ثيودوسيوس الثاني) أمره سنة (431) ميلاديّة بإجتماع (مجمع أفسس) وهو (المجمع المسكوني الثالث) وقد حكم في هذا المجمع بطرد (نسطوريوس) وتحريمه. ومع أن هذا الحكم قد نُفِّذ بصورة صارمة قاسية لكنّ شيعته لم تضمحل بل إنتشر مذهب النسطوريّة بجهود (برصوماس) وبمساعدة (فيروز) شاه إيران في بلاد إيران والعراق. وحيث ظهرت في القرن الخامس إختلافات أخرى بين القسس والرهبان بنتيجة إنتشار مذهب النسطوريّيّة تكوّنت فرق منها فرقة (أفيتخوس) التي سببت هياجاً شديداً. وفي عام (451) وبمرسوم وتعليمات مارسيانس إنعقد "مجمع خلكيدون" الذي أصبح "المجمع المسكوني الرابع"، وفي هذا المجمع أُقرّت صياغة البابا ليو للنظام الإكليروسي كما أُقرّ طرد ديكوسكوروس وأفتيخوس، وكذلك المدّعين المعارضين للحبر الأعظم. وفي هذا القرن أيضاً ظهر مذهب اليعقوبيّة من المدّعين بالمشيئة الواحدة، وهذا المذهب أعلنه جو يعقوب الملقّب بالبرادعي. وكان جو يعقوب راهباً متواضعاً ولكنه كرّس جهده ونشاطه سائراً على الأقدام إلى المدن الكبرى الشرقيّة، فأنعش في كلّ مدينة قلوب أتباع مذهب المشيئة الواحدة، وإستطاع بفصاحته وبلاغته أن يؤسّس عقيدة هذا المذهب في قلوب المسيحين في برّ الشام وبلاد ما بين النهرين وأرمينية ومصر والنوبة والحبشة وغيرها. وأصبح بذلك مذهب اليعقوبيّة معروفاً بإسمه وتقّرر ثباته. وفي القرن السادس الميلادي نفذت الديانة المسيحيّة في بعض البلدان الأوروبيّه التي كانت حتى ذلك القرن باقية على وثنيّتها مثل بريطانيا وصكصون وبعض ممالك آسيا الواقعة على سواحل البحر الأسود ونهر الدانوب. وبعد أن قويت الشيع والمذاهب المذكورة في الداخل شُكّل بأمر جوستنيانس "المجحمع المسكوني الخامس" في عام 553. وقد صدر في هذا المجمع حكماً ضدّ أوريجانس، مما زرع بذور التنافر والكراهية بين أسقف القسطنطينيّة وأسقف روما (أي الحبر الأعظم الروماني) المتشدّد، والتي أدّت إلى هياجٍ شديدٍ جعل أكثر المؤرّخين للكنيسة يعتبروا ذلك القرن بداية ظهور الاختلاف والإنشقاق في الديانة المسيحيّة

وقيام مذهب يوناني ومذهب لاتيني أو بعبارة أخرى المذهب الأرثوذكسي والمذهب الكاثوليكي. وفي أوائل القرن السابع الميلادي، أعني عام (609) ظهرت الديانة المقدّسة الإسلاميّة، ومنذ ذلك الوقت بدأت الديانتين الإسلاميّة والمسيحيّة تتصادما كسيلان منحدران شديدا الجريان ويقاوم كلّ منهما الآخر بأقصى أنواع العنف في أقطار شاسعة من آسيا وأوروبا وأفريقيا. وفي عام (680) من ذلك القرن، وبأمر من قسطنطين فوغوناطوس والحبر الأعظم، إنعقد "المجمع السادس المسكوني" وصدر الحكم ضدّ أصحاب المشيئة الواحدة. وفي القرن الثامن الميلادي ظهر الاختلاف في طريقة عبادة الأيقونات بين المسيحيّين. وكلمة أيقونة في اللغة اليونانيّة تعني الصورة، وتعني التمثال في اللغة العربيّة. ومختصر هذه الحوادث العجيبة أنه بعد إيمان قسطنطين الكبير حاول قياصرة روما وأساقفة ورهبان ذلك الزمان وبكمال الهمّة تطبيق الدين ونشر الشريعة المسيحيّة بين الملل والقبائل الوثنيّة، وعن ذلك كتب المؤرّخ المشهور يوحنّا لورنس: "إنّ أكثر المبشّرين من القبائل وأهل الأرياف في البحر الأسود وجبال قوقاز وقبائل أخرى أصبحوا راضين بتبديل الصور والتماثيل القديمة التي كانت عندهم بصور عيسى والقدّيسين والشهداء. وهذه القبائل التي كانت معروفة قبلاً بالبداوة والتوحّش وقلّة المعارف والمدنيّة لم ترى في تغيير الصور تأثيراً على مصلحتها وذلك إرضاءً لقياصرة روما". ومن جهة أخرى إلتزم أفاضل النصارى بالصمت حيال هذه الصور والتماثيل باعتبارها تذكّر بآلام حضرة المسيح ومصائبه والشدائد التي وردت على أولياء الدين المسيحي، حتى أصبحت عبادة الصور والتماثيل في الديانة المسيحيّة أمراً مشهوراً ودخلت جمع الكنائس. وحين ظهرت الديانة الإسلاميّة قام رؤساء مسلمين مع علماء من اليهود والنصارى بإنتقاد عبادة الأيقونات وإعتبروها كعبادة الأوثان. ولذلك، في عام (712)، أصدر الملك اليوناني فيليبكوس من باردانس، وبأمر البطريرك يوحنّا، حكماً بإزالة الصور من كنيسة آيا صوفيا كما أمر المجمع المسكوني السادس بمحوها. ولذلك أصدر الحبر الأعظم في روما حكمه بإرتداد الملك اليوناني وإعتبره خارجاً عن الدين المسيحي وحكم بوضع صور جميع المجامع في كنيسة القدّيس بطرس وإنتهت هذه الفئة بخلع الملك اليوناني من عرشه. ولكنّ هذه الفتنة عادت فإشتدّت في عهد (ليون الأيصوري) الّذي كان مشهوراً بشجاعته فأدّت الفتنة إلى نشوب حروب دمويّة في الأمّة لأنّ هذا الملك بسبب تقريع المسلمين واليهود الشديد وخوفاً من أن تؤدّي عبادة التماثيل شيئاً فشيئاً إلى ظهور البدع والخرافات اليونانيّة القديمة في الديانة المسيحيّة أصدر سنة (726) ميلاديّة حكماً عاماً بمحو جميع تماثيل الشهداء والقدّيسين من الكنائس ما عدا تمثال المسيح على الصليب ولهذا إشتعلت نار الحرب بين أفراد الأمّة وتجدّد القتال في جزر الأرخبيل وبعدها إنتقل إلى إيطاليا وذلك لأنّ عامّة الملّة بحسب العادة الّتي إعتادوها في

عبادة الصور والتماثيل رأوا في إزالتها مخالفة للديانة بينما الرؤساء والكهنة كانوا مدفوعين بالمنفعة المادّيّة الّتي يكسبونها من بقاء الصور والتماثيل واعتبروا الملك مرتدّاً عن دين المسيحيّة وطردوا سفراءه من بلاد إيطاليا. فعزم الملك لذلك على محاربة الحبر الأعظم. ونظراً لحوادث الشرق وجد نفسه عاجزاً عن الحرب فعاقب في ساعة غضبه عابدي الصور والتماثيل عقاباً صارماً وعزل أسقف القسطنطينيّة (جرمانوس) لأنّه كان يحب التماثيل وعيّن مكانه (أنسطاسيوس) لمنصب الأسقفيّة وأمر بإحراق جميع التماثيل ومعاقبة وتعذيب محبّي الأيقونات وكانت نتيجة هذه الشدّة والقسوة أن إنقسمت الملّة النصرانيّة إلى قسمين (أيكونودولي) أي العابدين للصور والتماثيل، و(أيكونوماكي) أي المحطّمين للصور والتماثيل. وعندما قُتل الملك (ليون) مسموماً بدسائس زوجته (أيريني) وكان إبنه (قسطنطين) صغيراً تقلّدت أيريني وصاية العرش ونصرت محبّي الأيقونات وبتدابير هذه المرأة إنعقد (المجمع المسكوني السابع) في مدينة نيقية سنة (786) ميلاديّة وإجتمع فيه (350) أسقفاً وحكموا فيه بجواز عبادة التماثيل. وفي أثناء هذه الحروب الأهليّة والخصومات الدمويّة الّتي إمتدّت مدّة طويلة بين المسيحيّين وكانت خلالها كلّ فرقة تعتبر الفرقة الأخرى كافرة ومشركة ظهر اختلاف جديد بين الملّة في كيفيّة إنبثاق الروح القدس من الإبن والآب بينما كانت الفرقة اليونانيّة تعتقد بإنبثاق الروح القدس من الآب وحده. ودامت هذه المنازعة أيضا مدّة طويلة حتى أصبحت سببا أخر لإنفصال الكنائس الشرقيّة عن الكنائس الغربيّة وفي القرن التاسع أمر الملك المكدوني (باسيليوس) سنة (869) ميلاديّة بإنعقاد (المجمع المسكوني الثامن) في مدينة القسطنطينيّة وقد حضر (318) أسقفاً وحكموا ضدّ المعتقدين بالمشيئة الواحدة وضد المنكرين لعبادة التماثيل ولكنّ اليونانيّين يعتبرون المجمع الّذي عُقد في هذه المدينة نفسها سنة (879) ميلاديّة برئاسة (فوتيوس) هو (المجمع المسكوني الثامن) وقد حكم فيه بعدم إقرار مطاليب البابا ومع أنّ الديانة المسيحيّة إبتليت بإنشقاقات وبدع داخليّة أخرى أمثال كيفيّة عبادة التماثيل وحيازة الذخائر يعني عظام القديسين وجثثهم وشفاعتها كما إبتليت بهجمات خارجيّة حربيّة ولكنّها إنتصرت في القرن التاسع والقرن العاشر على الوثنيّة في بقيّة ممالك أوروبّا مثل المجر وبولندا وأقسام روسيا الّتي كانت حتى ذلك الحين على دياناتها الوثنيّة وأدخلتها في حظيرة الدين المسيحي. وفي أواخر القرن الحادي عشر شبّت الحروب الصليبيّة بين المسلمين والمسيحيّين وكان سببها سفر الراهب الفرنسي بطرس أرميطة أي بطرس الناسك لزيارة البقاع المقدّسة في مدينة القدس الشريفة، ووجد بزعمه النصارى يعامَلون في فلسطين بمنتهى الذلّ والتحقير. فلمّا رجع إلى أوروبّا قام بحماس شديد بتحريض الحبر الأعظم الّذي كان يسيطر على أغلب ملوك أوروبّا سيطرة مطلقة على محاربة المسلمين وإنقاذ الأراضي المقدّسة من

بين أيديهم. وقد خلقت تحريضات هذا الراهب الناسك هياجاً وإضطراباً عجيبين في أوروبّا وإتّفق جميع ملوك أوروبّا على محاربة المسلمين. وبعد أخذٍ وردّ تحرّرك الجيش المسيحي سنة (1096) ميلاديّة بإتّجاه الممالك الإسلاميّة وإستعدّ ملوك الشام الّذين كانوا مشهورين أيضاً بشجاعتهم العسكريّة للحرب والطغيان. وقد إستمرّت المعارك في بلاد سوريّيّة وفلسطين مدّة قرنين وجرت خلالها أنهار من الدماء وفنت أنفس لا يعرف عدّتها إلاّ الله. وأخيراً تحرّرت البلاد المقدّسة بشجاعة صلاح الدين الأيوبي وبسالة الملك الظاهر بيرس بعد أنْ كانت مدّة مائتي سنة ساحة حرب ومدّة سبعين سنة عاصمة المملكة المسيحيّة في الأراضي المقدّسة. ولم يُسمع خلال هاتين المائتي سنة في داخل المسيحيّة غير المناظرات والمخاصمات الدمويّة حول عبادة التماثيل وحول العشاء الربّاني وهل يتبدّل فيه الخبز والخمر حقيقة إلى جسد المسيح. وفي سنة (1123) ميلاديّة إنعقد (المجمع التاسع المسكوني) في مدينة روما في قصر لاتران. وفي سنة (1139) إنعقد (المحمع العاشر المسكوني) في قصر لاتران أيضاً وفي هذين المجمعين جرت المذاكرة حول حقّ الامبراطور في إنتخاب الحبر الأعظم وكيفيّة إتّحاد الكنائس الغربيّة والشرقيّة أي المذهب الكاثوليكي اللاتيني والمذهب الأرثوذكسي اليوناني. وفي سنة (1179) ميلاديّة إنعقد (المجمع الحادي عشر المسكوني) تحت رئاسة الحبر الأعظم اسكندر الثالث في قصر لاتران أيضا وقد ثبت في هذا المجمع إستقلال كنيسة روما والسلطة المطلقة للبابا. وفي سنة (1215) ميلاديّة إنعقد (المجمع الثاني عشر المسكوني) كذلك في مدينة روما. وفي سنة (1245) إنعقد (المجمع الثالث عشر المسكوني) في مدينة ليونس. وفي سنة (1274) إنعقد (المجمع الرابع عشر المسكوني) في مدينة ليون وجرت المذاكرة في هذه المجامع على الأغلب حول إتّحاد كنائس روما والكنائس اللاتينيّة وفي سنة (1311) إنعقد (المجمع الخامس عشر المسكوني) في مدينة فيان. وفي سنة (1414-1418) إنعقد (المجمع السادس عشر المسكوني) في مدينة كنستانس وفي سنة (1430-1439) إنعقد (المجمع السابع عشر المسكوني) في مدينة بازل وفي هذا المجمع جرت المذاكرة حول إصلاح الأحزاب الفرنسيّة والإيطاليّة وتّحّتّحاد الكنائس الشرقيّة والغربيّة. وفي سنة (1412-1517) إنعقد (المجمع الثامن عشر المسكوني) في روما في قصر لاتران بأمر الحبر الأعظم. وفي سنة (1545) إنعقد (المجمع التلسع عشر المسكوني) في مدينة ترنت وكان هذا آخر المجامع المسكونيّة، وهذه المجامع الّتي ذكرناها على الترتيب كانت من جهة سبب حدوث المذاهب والإنشقاقات في الديانة النصرانيّة كما كانت من جهة أخرى سبب إنتظام الأنظمة الدينيّة المسيحيّة. وخلال هذه القرون بلغت سلطة الحبر الأعظم إلى أعلى منزلة من القوّة والهيبة ورسخت مخافته في قلوب الملوك والأمراء في أوروبّا. وبعد إنتهاء الحروب الصليبيّة لم يحدث في بحر المسيحيّة

غير حدوث مذاهب مختلفة. وكان معظمها يدور حول مقاومة سلطة الحبر الأعظم المطلقة. ومعظم هذه المذاهب كان يحارب الرهبان الدومينيكيّين الّذين كانوا بأمر الحبر الأعظم يعذّبون ويحرقون ويقتلون كلّ من كان يخرج عن سلطته. وقد كانت أعمال هؤلاء الرهبان سببا لإستعداد العالم المسيحي لمجابهة تغييرات كبيرة فيه إلى أن قام لوثر السكسوني المشهور من مدينة إيسكين في القرن السادس عشر وأسّس المذهب البروتستانتي الإنجيلي الّذي محا الطقوس الخارجة عن الإنجيل المقدّس مثل الإعتراف بسلطة الحبر الأعظم المطلقة وغفران الخطايا والصوم وعبادة الأيقونات والإحتفالات الزائدة ولبس البدلات وأمثالها. ولو أنّ قيام هذا الرجل الّذي نشأ راهباً صغيراً ثم أصبح مصلحاً كبيراً كان في البداية سبب فتن داخليّة وحروب أهليّة إلاّ أنّه أدّى إلى حدوث تغييرات كبرى في عالم الديانة النصرانيّة. فتنوّرت الأقطار المسيحيّة بأنوار العلوم والتمدّن أوّلاً بسبب إقتباسها العلوم من المسلمين في الأندلس وثانياً بمسعى الطائفة البروتستانيّة الإنجيليّة حتى إنقشعت غيوم الجهل والتوحّش وإشتدّ المذهب البروتستانتي الإنجيلي في القرن السابع عشر والثامن عشر قوّة ورسوخاً وصار من المذاهب الكبيرة حتى الوقت الحاضر. ومما ذكرناه بصورة مجملة يفهم أنّ المذاهب النصرانيّة حتى الوقت الحاضر وهو أواخر القرن التاسع عشر هي: المذهب الكاثوليكي والمذهب الأرثوذكسي والمذهب البروتستانتي والمذهب اليعقوبي والمذهب النسطوري والمذهب الماروني والمذهب الملكاني. أمّمّا بقيّة الشعب مثل الأقباط والسريان والكلدان والأرمن والأحباش فإنّهّهّما تابعة للمذاهب المذكورة.

14. فـــــــي كيفيّـــــــــة نشـــــــــوء المـــــــــذاهب فـــــــي الإســــــــلام:

ومجمل ذلك أنّه لما أشرق جمال خاتم الأنبياء عليه الاف التحيّة والبهاء من أفق البطحاء ونوّر أوّلاً مدّة ثلاث عشرة سنة قلوب عدد من أهالي مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة بأنوار الديانة الإلهيّة وفي أواخر إقامته عليه السلام في مكّة توفّي فيّ أبو طالب بن عبد المطلب الّذي كان الحارس الكبير لرسول الله والزعيم العظيم لقبيلة بني هاشم فإتّفق كفّار مكّة الّذين كانوا أمراء العرب على قتله عليه السلام ولم تكن لأهل الإيمان قوّة لحراسته من شر أولي البغضاء لهذا فقد قام رسول الله وخاتم النبيّين بالهجرة من مكّة إلى المدينة بعهدٍ من أشراف المدينة وقام فيها بدعوة القبائل العربيّة إلى الشريعة الإسلاميّة. وقد حدث في السنة الثانية من الهجرة أن جرت أوّل معركة بينه عليه السلام وبين كفّار قريش في موقعة (بدر) وشملت النصرة الإلهيّة جيش المسلمين وقُتل في هذه الموقعة عدد كبير من قريش كان بينهم أربع وعشرون رجلاً من صناديد قريش. وفي السنة الثالثة من الهجرة وقعت موقعة

(أحُدْ) وفيها إنكسر جيش المسلمين وإستشهد سبعون من صحابة رسول الله منهم الحمزة سيّد الشهداء. وفي السنة الثامنة من الهجرة وقعت (موقعة سؤتة) وبدأت الحرب بين المسلمين والنصارى وفي هذه الموقعة إستشهد من كبار الصحابة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب الملقّب بذي الجناحين، أو بلقب جعفر الطيّار، كما إستشهد عبدالله بن رواحة. وفي هذه السنة فُتحت مكّة المكرّمة ولم يبق أمام كفّار قريش ملجأ وملاذ إلاّ إعلان طاعتهم للشريعة الإسلاميّة ودخولهم في جيش المسلمين وسمّيوا باسم (الطلقاء) وباسم (المؤلّفة قلوبهم). وفي السنة التاسعة والعاشرة من الهجرة أعلنت القبائل المحيطة بمكّة والمدينة خضوعها وإسلامها. وفي أوائل السنة الحادية عشر كانت وفاة رسول الله وخاتم النبيّين عليه وآله اطيب التحيّة والبهاء وبوفاته فُتحت أبواب الإختلافات والتفرقة على وجه المسلمين. ومجمل ذلك أنّه لما لحق رسول الله بالرفيق الأعلى لم تتأسّس الخلافة الّتي هي أعظم أساسٍ لقوام الأمّة وتربية بناء الملّة حسب تنصيص رسول الله ولا حسب شورى ورضاء العموم بل تأسّست على العكس من ذلك على المنافسة. وكما هو مدوّن في كتب التاريخ تقرّرت الخلافة فلتة إلى عبدالله بن أبي قحافة المعروف بأبي بكر وكان من كبار الصحابة ومن أوائل المسلمين فكان إنتخابه سبباً في تذمّر وعدم رضاء بعض أكابر الصحابة وبصورة خاصّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الّذي كان يرى نفسه أحقّ بالخلافة وبتولّيِّلي أمر الأمّة بسبب قرابته لرسول الله ولسبقه في الإسلام وأعماله وعلمه ورفعته. ولكنّ أكابر الصحابة من المهاجرين الأوّلين والأنصار لما شاهدوا إرتداد أكثر القبائل العربيّة عن الإسلام بعد وفاة خاتم الأنبياء وإمتناعهم عن أداء الزكاة رجّحوا حفظ الإسلام على أغراضهم الشخصيّة ومنافعهم الذاتيّة ورأوا نصرة الإسلام أهمّ فريضة من فرائضهم. ونظراً لخوفهم من أنّ الاختلاف يسبّب نصرة الكفّار لذا فقد نبذوا تذمّرهم السرّي وعدم رضائهم على إنتخاب أبي بكر جانباً ولم يجاهروا بمخالفتهم على إنتخابه بل إتّحدوا وإتّفقوا بكلّ تآزر على إعلاء كلمة الإسلام وإرجاع أهل الردّة إلى شريعة سيّد الأنام وإستولى دين الإسلام خلال سنتي خلافة الخليفة الأوّل بالسيف على الجزيرة العربيّة كلّها وعلى بعض أجزاء سوريّة. وفي أيّام الخليفة الثاني إستولت الجيوش الإسلاميّة على العراق وسوريّة ومصر وإيران حتى حدود خراسان. وعندما طُعن الخليفة الثاني حين صلاة الصبح في مسجد الرسول بطعنة فيروز الديلمي وجُعل أمرُ الخلافة شورى بين ستّة من كبار الصحابة عادت في هذه الشورى المنافسات القديمة وإزدادت المنافرات القلبيّة بين الرؤساء وعهدت الخلافة على كلّ حال إلى الخليفة الثالث ذي النورين فعَزَلَ كبار الصحابة وعهد برئاسة الجيوش وولاية البلاد إلى كبار بني أميّة من أقربائه. ولو أنّ الفتوحات الإسلاميّة إستمرّت أيّام خلافته إلى أواسط إفريقية وأنحاء إيران لكنّ ظلم بني أميّة

وخروجهم المتطرّف على سيرة الخلفاء الراشدين أدّى إلى تذمّر الناس فتوجّهت أخيراً وفود من البصرة والكوفة ومصر إلى المدينة المنورة تطلب عزل الولاة وتعرض مطالبها على الخليفة الثالث وتتوسّل بكبار الصحابة ليشفعوا لهم لدى الخليفة في طلبهم الإصلاح وإزالة مفاسد الحكم. ومن بين الّذين توسّلوا إليهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فذهب ذات يوم إلى لقاء ذي النورين إستجابة لطلب كبار الصحابة ورؤساء الوفود وخاطبه بهذه الخطابة البليغة الّتي قال فيها عليه السلام: "إنَّ النَاسَ وَرَائِي وَقَدْ إسْتَسْفَرُوني بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ. وَاللهِ مَا أدْري مَا أقُولَ لَكَ. مَا أعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ وَلا أدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ لا تَعْرِفُهُ. إنَّكَ لَتَعْلَمَ مَا نَعْلَمُ. مَا سَبَقْنَاكَ إلى شَيْءٍ فَنُخْبِرُكَ عَنْهُ وَلا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ. وَقَدْ رَأيْتَ كَمَا رَأيْنَا وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ كَمَا صَحِبْنَا وَمَا إبْنُ قُحَافَةِ وَلا إبْنُ الخَطَّابِ أوْلَى بِعَمَلِ الحَقِّ مِنْكَ وَأنْتَ أقْرَبُ إلى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشِيجَةُ رَحِمٍ مِنْهُمَا وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالا فَاللهِ اللهِ في نَفْسِكَ فَإنَّكَ وَاللهِ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمَى وَلا تُعلَّمُ مِنْ جَهْلٍ وَإنَّ الطُرُقَ لَوَاضِحَةٌ وَإنَّ أعْلامَ الدينِ قَائِمَةٌ. فَاعْلَمْ إنَّ أفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَهَدَى فَأقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً وَأمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً وَإنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أعْلامٌ وَإنَّ البِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أعْلامٌ. وَإنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ فَأمَاتَ سُنَّةً مَأخُوذَةً وَأحْيَى بِدْعَةً مَتْرُوكَةً. وَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةَ بَالإمَامِ الجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلا عَاذِرٌ فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرُّحَى ثُمَّ يَرْتَبِطُ في قَعْرِهَا. وَإنِّي أُنْشِدُكَ اللهَ أنْ لا تَكُونَ إمَامَ هَذِهِ الأمَّةِ الْمَقْتُولَ. فَإنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ في هَذِهِ الأمَّةِ إمَامٌ يُفْتَحُ عَلَيْهَا القَتْلُ وَالقِتَالُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ ويُلْبِسُ أمُورُهَا عَلَيْهَا وَيُثْبِتُ الفِتَنُ فِيهَا فَلا يَبْصُرُونَ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ. يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرجاً. فَلا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سيقَةً لِيَسُوقَكَ حَيْثُ شَارَ بَعْدَ جَلالِ السِّنِّ وَتَقَضِّي العُمْرِ".

ومقصودي من هذه الخطبة الشريفة هو أن يفهم أهل البصيرة إنّ عقيدة الصحابة رضي الله عنهم بعضهم بحقّ البعض الآخر كانت على هذه الصورة وهذا ما يعتقده المسلمون عامّة بحقّهم وبعدها يتّضح سبب الإختلافات الإسلاميّة ويتّضح بأنّ الإختلافات الحاضرة جميعها مهما كان إسمها تتنافي مع أساس العقيدة الإسلاميّة النقيّة. ولم تثمر شفاعة كبار الصحابة لدى ذي النورين ولم ينتفع بنصائحهم ولا رضيت الوفود بالرجوع إلى أوطانها، وأخيراً إتّفقت على خلعه ولما إبتعد كبار الصحابة عنه انتهى الأمر بمقتله وظهر ما أراده الله تعالى بعد ظهور الفتن لأنّ الخلافة عُهدت بعد مقتل ذي النورين إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فدبّت الهواجس إلى القلوب ورأى

كبار الصحابة وأمراء العرب الّذين كان أكثرهم من الطلقاء ومن المؤلّفة قلوبهم أنّهم محقّون بالخلافة ولائقون للوصول إلى قيادة الأمّة وخاصة معاوية بن أبي سفيان من أمراء بني أميّة الّذين كانت لهم صلة قرابة شديدة ببني هاشم ولهم عداوة شديدة أيضاً معهم وكانوا دائماً يرفعون راية النخوة والعصبيّة الجاهليّة ومعاداة آل البيت الطاهرين. وكان معاوية زعيم قومه وأمير قبيلته يمتاز بدهائه وعلمه بالإدارة والسياسة. وكان والياً على بلاد الشام سنين عديدة وله جيش كبير ويحيط به قادة أكفّاء، وكانت مواقع بدر وأحُد والأحزاب الّتي فيها قُتل الكثيرون من بني أميّة بسيف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تحزّ في نفسه ويضمر في قلبه عداء دفيناً راسخاً يملأ جوانحه لذا لم يطأطئ رأسه لخلافة أمير المؤمنين بعد أن شاهد ما لديه من وسائل الحكم والإلإ ستيلاء على الخلافة بل صمّم أن لا ينقاد للخليفة ما دام حيّاً ولكنّه صار يتذرّع بذريعة ليخالف أمير المؤمنين الّذي كان يمتلك جلالة وهيمنة ووقاراً ليعلن عليه الحرب. فلمّا خرج طلحة والزبير من المدينة إلى مكّة وإتّفقوا فيها مع عائشة أمّ المؤمنين ومع بعض أمراء بني أميّة وإتّهّموا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام برضائه عن مقتل ذي النورين وأجازوا محاربته مطالبين بدم عثمان، انتهى الأمر إلى موقعة الجمل المدوّنة في كتب التاريخ. وقد إنتهت هذه الحادثة العجيبة والمعركة الإسلاميّة الّتي كانت فاتحة الحروب الأهليّة بين المسلمين بمقتل طلحة والزبير وإنتصار أمير المؤمنين عليه السلام. وبعد إنتهاء معركة الجمل رفع معاوية في الشام راية المطالبة بدم عثمان وأعلن مقاصده في مخالفة أمير المؤمنين أشدّ مما أعلنه طلحة والزبير، فإتّفق أمراء الشام المعروفون بنخوتهم وقوتهم وصلابتهم على محاربة أمير المؤمنين وخرجوا بجيش عدده حسب أصحّ الروايات تسعون ألف مقاتل من الشام نحو العراق وجمع أمير المؤمنين جيشاً يرأسه كبار اصحابه وأهل الإيمان الّذي كان جلّهم من صحابة رسول الله وإستعدّت هذه الجيوش لخوض المعركة وإصطدم هذان البحران الزاخران في أطراف صفّين وهو مكان بين الشام والعراق. ولكنّ رجال المسلمين الّذين إجتمعوا في هذا المكان لم يرضوا بشروع القتال مخافة أن يكون فيه زوال الإسلام وإنتصار الأجانب وفناء العرب وإكتفوا بتبادل الرسائل وبالمناوشات العسكريّة الطفيفة وإستمرّت الحال خمسة أشهر على هذا المنوال ولم يجد الطرفان طريقاً للإصلاح ونفذ صبرهما وخاصّة عندما إستشهد من كبار الصحابة رجال أمثال عمار بن ياسر وذي الشهادتين كما قتل من رجال معاوية وكبار أمرائه أمثال عبيدالله بن عمر وشرحبيل بن ذي القلاع وصرعتهم الأغراض الشخصيّة والمقاصد الأمويّة مما زادت في الأحقاد الدفينة وإنسدّ باب الصلح نهائيّاً حتى وقعت المعركة العظيمة الّتي يسمّيها المؤرّخون بليلة الهرير وقتل في هذه المعركة الكبرى سبع وثلاثون ألفاً من الطرفين فضجّت النفوس وسئمت القلوب هذه المجزرة وقرّروا الهدنة أربعة أشهر حتى تظهر نتيجة

التحكيم. وفي هذه الأشهر الأربعة أظهر كبار الزهاد وقرّاء القرآن إشمئزازهم من الحرب واعتبروا أمير المؤمنين عليه السلام سبباً في اختلاف كلمة المسلمين وإرهاق الدماء البريئة ونسبوا إليه وإلى معاوية وإلى ذي النورين أسباب ظهور هذه المفاسد و خاصّـصّـة عندما انتهى أمر التحكيم إلى سبيل الإحتيال لا سبيل الصدق والصّلاح. لهذا أجاز نسّاك العراق محاربة أمير المؤمنين وكان أغلبهم جاهلاً بليداً وبعد الأخذ والردّ وقعت موقعة النهروان وفيها قُتل أيضاً ما يقارب الأربعة آلاف من العرب وأمرائهم. وهذه الموقعة زادت من غلظة القلوب وفي وسائل الاختلاف حتى كان إستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في السنة الثلاثين من وفاة الرسول المطابقة للسنة الأربعين من هجرته عليه الصّلاة والسلام فجزعت قلوب أحبائه جزعاً شديداً. ومما ذكرناه يتّضح أنّ بذور ثلاثة إختلافات عظيمة قد بذرت في تلك الحديقة الغنّاء والشريعة البيضاء وإستعدّت الجامعة الإسلاميّة لظهور ثلاث إنشقاقات كبيرة. ومنشأ كلّ هذه الإختلافات هو كيفيّة تأسيس الخلافة والطمع في بلوغ مقام السلطنة والإمارة. فإنّ جماعة كبيرة من رؤساء المسلمين إعتبروا الخلافة منحصرة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأولاده بسبب قرابتهم وأثبتوا حقّهم بالخلافة بنصّ النبيّ الإمامة لمن يتولّى شؤون المسلمين من بعده، وقد سُمّيت هذه الفرقة فيما بعد باسم (الشيعة)، بينما عهدت جماعة كبيرة أخرى أمر الخلافة إلى أهل الحلّ والعقد وإلى إتّفاق وإجماع الأمّة وقد سُمّيت هذه الفرقة فيما بعد باسم (أهل السنّة والجماعة) بينما لم تر جماعة كبيرة إنساناً يستحقّ الخلافة ولم يعتبروا أحداً بعد الشيخين يستحقّ الخلافة وقالوا: "لا حُكمَ إلاّ لله" واعتبروا في نفس الوقت محاربة أهل الإستبداد نفس الجهاد وأهم الفرائض وقد سُمّيت هذه الفرقة فيما بعد باسم (الخوارج). وأخيراً بعد إستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام ومصالحة الإمام الحسن عليه السلام إنتقلت الخلافة إلى معاوية وتمكّنت له الأمور. وقد لاحظ معاوية الّذي كان مشهوراً بدهائه وسياسته أنّ الخلافة الأمويّة لن يستقرّرّ أمرها ولا بدّ أن ترجع إنْ عاجلاً أو آجلاً إلى آل البيت الطاهرين نظراً لفضائلهم الباهرة الظاهرة عليهم السلام ونظراً لقرابتهم من رسول الله عليه الصّلاة والسلام لهذا قام بتقريب أعداء آل البيت وإبعاد أحبّائهم من المناصب والإمارات وأمر جماعة بوضع أحاديث كاذبة عن رسول الله ونسبة أمور غير لائقة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأولاده حتى تتنفّر قلوب المسلمين منهم وأمرهم كذلك بوضع أحاديث في فضائل غيرهم لهذا راجت سوق إختلاق النفاق وإنتشرت بين المسلمين أحاديث موضوعة مختلفة رواها البعض حبّاً للمال وتقرّباً للأمويّين ورواها آخرون بسبب التقوى والزهد وقد رووا ما سمعوه حقّاً وصدقاً ففتح باب الحديث وإنصرفت الوجوه عن المبيّن الحقيقي والمنصوص بحكم حديث رسول الله عليه الصّلاة والسلام: "إِنّي تَارَكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنْ"، وصار سبّ أمير المؤمنين علي

بن أبي طالب عليه السلام من أعلى المنابر سُنّة مألوفة. وبلغت الفتوحات الإسلاميّة في خلافة معاوية شرقاً إلى جيحون وغرباً إلى القيروان وتوفّي معاوية في سنة الستّين من الهجرة وإنتقلت الخلافة إلى يزيد وحدثت الحادثة الهائلة بإستشهاد سيّد الشهداء عليه أطيب التحيّة والثناء. وقد زادت هذه الحادثة الأليمة في تنافر القلوب وإنشقاق الأمّة لأنّ مثل هذه الحادثة الشنيعة لم تحدث في أيّة أمّة من الأمم السابقة حيث كان ورود آل البيت الطاهرين إلى الشام مفجوعين عيداً لبني أميّة وإزدانت دمشق بأسباب الزينة وهنّأ الأمويّون بعضهم بعضاً. وفي خلافة يزيد دارت رؤوس الشهداء في سوريّة من مدينة إلى مدينة وكانوا يمنعون دفنها. ولما توفّي يزيد وكان إبنه معاوية الثاني يتبرّأ من أفعال والده وأقربائه تنحّى عن الخلافة وظهرت من جديد قلاقل وإضطرابات بسبب تعيين خليفة جديد فإتّفق أهالي الحرمين على خلافة عبدالله بن الزبير وإستولوا على الجزيرة العربيّة والعراق وإختلف أهل الشام حول تعيين الخليفة. وفي هذه الأثناء جاء من مكّة إلى العراق المختار بن أبي عبيدة الثقفي ودعا أهل العراق المشهورين بولائهم لآل البيت إلى خلافة محمّد بن علي المعروف بإبن الحنفيّة ودعاهم إلى الثأر للشهداء وإستولى على الكوفة وبلاد ما بين النهرين حتى حدود آذربيجان وقتل إثنين وثمانين ألفاً من قتلة سيّد الشهداء ومن أنصار الأمويّين. وبعد حكم ستّ سنوات قُتل في حربه مع مصعب بن الزبير. وبعد وفاة الخليفة مروان بن الحكم إتّفق أهل الشام على خلافة إبنه عبد الملك.

وكان عبد الملك أعظم الخلفاء الأمويّين وإنتصروا أوّلاً على مصعب بن الزبير وبعد مقتله إنتصر على عبدالله بن الزبير. وتوطّدت الخلافة الإسلاميّة في بيت بني أميّة ومع أنّ الحرب كانت مستمرّة بين الخوارج والأمويّين لكنّ الفتوحات الإسلاميّة بلغت شرقاً حدود فرغانة وغرباً الأندلس المسمّاة اليوم بأسبانيا. وفي هذه الأيّام إنقسم آل البيت الّذين كانوا مهانين مظلومين على أيدي أمراء بني أميّة إلى فرقتين: فرقة رأت الخلافة بعد إستشهاد سيّد الشهداء من حقّ محمّد بن الحنفيّة ومن بعده من حقّ أبي هاشم بن محمّد بن الحنفيّة ورأت الفرقة الثانية أنّ الإمامة من حقّ علي بن الحسين عليه السلام. ولما رجع أبو هاشم من بلاد الشام وأحسّ بالسمّ الّذي دسّه الخليفة الأموي له إستدعى علي بن عبدالله بن عباس من أشراف بني هاشم وإختلى به وقال له أنّه سمع من جده العظيم علي بن أبي طالب عليه السلام أنّ الخلافة تنتقل إلى أولاد العباس وينقرض حكم الأمويّين على يدهم وجعله وصيّاً من بعده على الخلافة وأوصاه بكتمان الأمر وإتّخاذ الحيطة والحزم وأمره بإرسال الدعاة والنوّاب إلى خراسان. ومن هذا الإنشقاق ظهرت خلافة بني العباس الكبرى. أما الّذين كانوا يرون الخلافة من حقّ علي بن الحسين عليه السلام فقد إختلفوا أيضاً بعد وفاته عليه السلام فجماعة رأت أنّ الخلافة من حقّ زيد بن علي بن الحسين عليه السلام لأنّه كان ممتازاً بين الأشراف

العلويّين بشجاعته وشهامته وتقواه. ومن هذه الجماعة نشأ مذهب الزيديّة بينما أرسل علي بن عبدالله بن العباس وفقاً لوصيّة أبي هاشم بن محمّد بن الحنفيّيّة جماعة من أولي الكياسة والحزم إلى خراسان للدعوة لآل البيت دون تعيين إسم الإمام بل الدعوة لتأسيس خلافة هاشميّة. وقد تحمّلوا من ولاة خراسان الأمويّين صنوف العذاب من القتل والحبس والنفي ولكنّ دعوتهم إنتشرت يوماً فيوماً نظراً لظلم بني أميّة ونظراً لحبّ الناس أقرباء النبيّ عليه السلام حتى إنحاز للدعوة أكثر رجالات خراسان. وكان أبو مسلم المروزي الخرساني رئيس الدعاة في خراسان بأمر إبراهيم الإمام وكان والي الخليفة على المشرق نصر بن سيّار وكانت الأحوال في دمشق مضطربة بسبب المشاحنات النزاريّة واليمانيّة ولمقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك لهذا إغتنم أبو مسلم المروزي الخراساني الفرصة وكان مشهوراً بحزمه وقدرته وحنكته وأعلن الدعوة جهاراً سنة (139) هجريّة في مدينة مرو وإستولى على عاصمة خراسان وحارب الأمراء الأمويّين وخاصّة نصر بن سيّار والي خراسان وإنتصر في جميع المعارك. وبعد أن إستولى على جميع خراسان وجه القوّاد نحو الإستيلاء على العراق وقد إنتصر على الأمويّين في جميع الجبهات كما هو مسطور في جميع كتب التاريخ. وبعد هزيمة والي الأمويّين في العراق يزيد بن هبيرة إستولوا على الكوفة عاصمة العراق. وفي صباح الجمعة الثاني عشر من شهر ... سنة (132) هجريّة جلس على عرش الخلافة عبدالله بن محمّد بن علي بن عبدالله العباس الملقّب بالسفّاح وهو أوّل الخلفاء العباسيّين وقد أرسل عمّه (عبدالله بن علي) لمحاربة مروان بن محمّد الملقّب بالحمار آخر الخلفاء الأمويّين. وإنهزم مروان قرب الزاب أمام جيوش عبدالله بن علي وأخيراً قُتل في بوصير إحدى قرى مصر وبمقتله زالت الخلافة الأمويّة من الممالك الشرقيّة وتأسّست في الاندلس غرباً بهمّة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الملقّب بالداخل. وفي هذا الوقت كانت الجيوش وقادتها معروفة بحبّها آل البيت فرسخ في قلوب السادات العلويّين أمر المطالبة بالخلافة وبرزت من أشرافهم دواعي المطالبة بحقّ الوراثة لأنّ بني العباس توصّلوا إلى الخلافة بقرابتهم إلى الرسول عليه الصّلاة والسلام وكان العلويّون يعتبرون قرابتهم أقرب وحقّهم في الخلافة أولى خاصة وقد إمتاز أكثر الأشراف العلويّين بالعلم والفضل والشجاعة والتقوى. لهذا فقد طالب الكثيرون منهم بالخلافة في القرن الثاني الهجري وقُتل أكثرهم في حربهم مع بني العباس أمثال محمّد وإبراهيم أولاد عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب الّذين خرجا أيّام خلافة المنصور العباسي ونالا رتبة الشهادة وهما من أئمّة الفرقة (الزيديّة). ولما إشتدّ الخلاف حول الخلافة بين العلويّين والعباسيّين وإشتدّ حبّ الناس لآل البيت وكان المنصور شبيهاً لمعاوية بالدهاء وبالإدارة والسياسة فشاهد من المصلحة الإشادة بفضائل الشيخين وترجيحها على فضائل أهل البيت.

ومعروف لدى المطّلعين على التواريخ أنّ المنصور كان قبل تسلّمه الخلافة منكراً لفضائل الشيخين وراوياً لمناقب آل البيت ولكنّه بعد وصوله إلى الخلافة إضطرّ إلى التغاضي عن عقيدته القلبيّة وقال يوماً في مجلسه: "والله لأرغمنّ أنفي وأنوفهم ولأرفعنّ عليهم بني تيم وبني عديّ"، وكان الخليفة الأوّل من بني تيْم والخليفة الثاني من بني عديّ فظهرت من أجل هذا في الأمّة الإسلاميّة مناظرات إنتهت إلى أنهار من الدماء بين العباسيّين والعلويّين. ولو أنّ الكثيرين من السادات العلويّين قد إستشهدوا إلاّ أنهم لم ييأسوا إلى أن تأسّست خلافة علويّة ووقفت تجاه الخلافة العباسيّة. ومن الحوادث المهمّة في القرن الثاني والثالث والرابع الهجري ظهور نتائج الإختلافات السابقة بتشكيل مذاهب مختلفة أصوليّة وفروعيّة وكذلك إنتشار المعارف والعلوم بين الأمّة الإسلاميّة وكذلك إنقسام الخلافة إلى ثلاثة أمويّة وعباسيّة وعلويّة وكذلك ظهور دول مستقلّة تعترف بسيادة الخلافة العربيّة. وكذلك ظهور التصوّف والطرائق الّتي هي عند العقلاء بمثابة الشلل الّذي يصيب جسم الأديان الإلهيّة.

أمّا كيفيّة ظهور نتائج الإختلافات السابقة باسم المذاهب الأصليّة وظهور الإختلافات العلميّة باسم التشيّع والمذاهب الفرعيّة فتفصيل ذلك هو أنه لما شاع التأليف وتصنيف الكتب في القرن الأوّل وأوائل القرن الثاني بين الأمّة الإسلاميّة لم تؤثّر الإختلافات السابقة إلى حدّ كبير في إنشقاق الأمّة ولم يكن هناك ذكر للشيعة أو السنّة أو غيرهما بل كانوا يسمّون الّذين يحصرون الخلافة بأمير المؤمنين وأولاده باسم (محبّي آل البيت) ويسمّون الّذين يُرجِعون الخلافة إلى إجماع الأمّة باسم (محبّي الشيخين) ويسمّون الّذين لا يعترفون بالخلافة الأمويّة ولا بالخلافة الهاشميّة باسم (الخوارج) ولكن عندما راجت العلوم والفلسفة في القرنين الثاني والثالث وإنتشر التأليف والتصنيف وسّع كلّ واحد من أرباب المعارف باب المناظرة ووضعوا لتوضيح مقاصدهم ولسهولة التعبير عن آرائهم وآراء مخالفيهم أسماء مميّزة، فتجد في مصنّفات محبّي الشيخين والقائلين بالخلافة عن طريق إجماع الأمّة إسم (أهل السنّة والجماعة) كما تجد إسم (الروافض) تهكّماً بالمحبّين لآل البيت. ويقابل هذا في مصنّفات محبّي آل البيت إسم (شيعة أهل البيت) كما تجد إسم (النواصب) تعبيراً عن محبّي الشيخين. لهذا ظهرت الإختلافات المذهبيّة في الإسلام بتسمية الملل والنحل وإنقسم الدين الإسلامي الواحد إلى فرق عديدة. ويتّضح مما عرضناه سابقاً أنّ جماعة الشيعة بعد شهادة سيّد الشهداء إنقسمت إلى فرقتين، فرقة رأت حقّ محمّد بن الحنفيّة في الخلافة وهذه الفرقة كما ذكرنا

أدّت إلى تأسيس الخلافة العباسيّة واضمحلّت في تيّار السنّة والجماعة بدهاء المنصور والفرقة الثانية الّتي رأت الإمامة من حقّ علي بن الحسين عليه السلام إنقسمت بوفاته إلى قسمين قسم رأى الخلافة من حقّ زيد إبن علي بن الحسين وعُرفوا باسم الشيعة الزيديّة وظهر منهم أمراء حكموا مازندران وطبرستان سنين طويلة منهم الحسن بن زيد العلوي المشهور بالداعي الكبير الّذي إستولى على طبرستان في القرن الثالث الهجري وقد توفّي سنة (279) هجريّة وعلى يده دخل أهل طبرستان في الدين الإسلامي وكانوا قبل ذلك باقين على الدين الزردشتي فتشرّفوا بالإيمان بالإسلام وبحبّ آل البيت وثبتوا على حبّهم لآل البيت بالرغم من سلطة العباسيّين وكان مذهب الزيديّة منتشراً في مازندران حتى ظهور الصفويّين وبظهورهم غرب نجم الزيديّة في مازندران وطلع في بلاد اليمن إلى يومنا هذا ويعتبر شرفاء مكّة وأمراء الحرمين الشريفين من أتباع مذهب الزيديّة والقسم الثاني من الشيعة بعد وفاة علي بن الحسين عليه السلام رأى الخلافة من حقّ محمّد الباقر وبعد وفاة حضرته من حقّ إبنه جعفر الصادق، ولكنّهم إنقسموا بعد وفاة الصادق إلى فرقتين وسبب ذلك كما جاء في بعض الأخبار أنّ جعفر الصادق أوصى بالإمامة إلى إبنه إسماعيل ولما توفّي إسماعيل في أيّام حياة والده العظيم أوصى جعفر الصادق بالإمامة إلى إبنه موسى بن جعفر عليه السلام فلمّا توفّي جعفر الصادق إنقسمت الشيعة بعد وفاته إلى فرقتين: فرقة قالت بأنّ النصّ الأوّل للإمامة كان من حقّ إسماعيل ومن بعده إلى إبنه محمّد بن إسماعيل وإنتشرت دعوة هذه الفرقة في بلاد المغرب إلى أن ظهرت الخلافة الاسماعيليّة في المغرب بهمّة أبي عبدالله الشيعي الّذي كان رجلاً مقداماً وشجاعاً وبعد حروب شديدة جلس على عرش الخلافة سنة (296) هجريّة في ممالك أفريقية أبو محمّد عبيدالله بن محمّد بن عبدالله بن ميمون بن محمّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام وتعاظمت هذه الخلافة شيئاً فشيئاً حتى إمتدت غرباً إلى جزيرة صقلية وساردينا في أوروبّا وشرقاً إلى مصر والشام ومكّة المكرّمة. وعندما فتح القائد الكبير جوهر بلاد مصر سنة (356) هجريّة وضمّها إلى الخلافة العلويّة إنتقلت العاصمة من مدينة المهديّة إلى مدينة القاهرة عاصمة الخلافة الفاطميّة. ومن آثار الخلفاء العلويّين فيها الجامع الأزهر الّذي هو أكبر وأشهر الجوامع في الإسلام وفي كلّ عام تقصده عشرات الألوف من طلاب العلم والباحثين. وفيها أيضاً مشهد رأس الحسين عليه السلام الّذي يطوفه عامّة المسلمين إلى يومنا هذا. ولما توفّي المستنصر بالله الاسماعيلي سنة (487) هجريّة بعد أن دامت خلافته ستّين سنة إنقسمت الاسماعيليّة إلى قسمين قسم إتّفق على جعل الإمامة في ولده أبي القاسم أحمد بن المستعلي بالله وهم أهل مصر والمغرب واليمن، وقسم في إيران سُمّوا بملوك الجبال وإتّفقوا على جعل الإمامة في ولده الآخر نزار.

وهذا القسم سمّيّه اه مؤرّرخو السنّة بفرقة (الملاحدة الصباحيّة). وفي سنة (567) هجرية إنقرضت الخلافة العلويّة في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي بعد وفاة العاضد لدين الله كما إنقرضت في إيران الدولة الصباحيّة سنة (655) هجريّة على يد هولاكو، ولكنّنّ إمارة بلاد قهستان كانت حتى سلطنة (شاهرخ كوركان) بيد الصباحيّين وإلى يومنا هذا نجد الاسم اعيليّة في بلاد قهستان وكزمان وأغلبهم يسكنون بلاد الهند. وسلسلة الإمامة باقية حتى يومنا هذا في عائلة شاه خليل الله وأولاده. ومن الاسم اعيليّة في مصر طائفة البهرة في الهند وهم معروفون بحسن سلوكهم وتقواهم وتمسّكهم بالشريعة. وأمّا الّذين جعلوا الإمامة بعد وفاة جعفر الصادق عليه السلام من حقّ موسى بن جعفر علسه السلام ومن بعده من حقّ أبنائه فيعترفون بإمامة إثني عشر إماماً ويُسَمَّوْنَ بين المسلمين باسم الإثني عشرية. وهذه الطائفة تؤمن بقائميّة الحجّة بن الحسن عليه السلام وتؤمن بخرافات جابلقا وجابرصا والمدينة الخضراء. وظهرت خلال حياة الأئمّة الطاهرين الّتي إمتدت (260) سنة فِرق كثيرة دُوّنت أسماؤها في كتب الملل والنحل والتواريخ. وبعد زمن قليل إلتحقت بالشيع السابقة المذكورة. وسبب ذلك إنّنّ كلّ واحد من سادات أهل البيت خرج يطالب بالخلافة إلتفّيت حوله جماعة إعترفت بإمامته ولما لم يحصل على الخلافة كانت تتلاشى فرقته في تيارات سائر المذاهب. وكذلك تحصل مثل هذه الإختلافات عند وفاة كلّ واحد من أئمّة الهدى ولكنّها تزول بسرعة نظراً إلى أنّنّ أساسها مبنيّ على شبهات الوصاية وأمثالها من الشبهات.

أمّمّا أهل السنّة والجماعة فحيث أنّنّ مذهبهم بُني على الخلافة الغالبة الظاهرة وعلى خلافة الخلفاء الراشدين فإنّ مذهبهم لم يتعرّض إلى الإختلافات ولكنّيه إنشقّق إلى فرق علميّة متعدّدة حينما إنتشر علم المنطق والجدليّات المسمّى بعلم الكلام في القرنين الثاني والثالث فظهرت فرق الأشاعرة والمعتزلة والكراميّة وغيرها وقامت منازعات كبيرة حول مسائل طفيفة وإنقسمت إلى شيع متعدّدة وأخيراً زالت هذه الإختلافات بهمّمّة أبي منصور الماتريدي وإمام الحرمين الجوبيني وغيرهما وإستقرّرّت عقائد أهل التسنّن على ميزان واحد مسطور في عقائد (النسفي).

أما فرقة الخوارج فقد إنقسمت أيّام الخلافة الأمويّة والخلافة العباسيّة إلى مذاهب متعدّدة بسبب إختلافات طفيفة ظهرت فيها. وكانت أكبر هذه الفرق في الأخير فرقة الأباظيّة. وجميع فرق الخوارج تسير على قاعدة "حبّ الشيخين والتبرأ من الصهرين" ومنهم في المغرب جماعة كبيرة إلى يومنا هذا راسخة في مذهبها. وفي المشرق جماعة من الخوارج مستقلة مركزها مدينة مسقط على الخليج الفارسي وأميرهم إمام مسقط. وكما كتب الميرزا عبداللطيف الشوشتري في تاريخه: "إنّ أمير مسقط متمسّك

بالشريعة وموصوف بحسن السيرة والعدالة". وكانت المذاهب والفرق الإسلاميّة منحصرة في ما ذكرناه حتى ظهر في القرون الاخيرة مذهب الوهابيّة وإشتهر في القرن الماضي. وإجمال ذلك أن محمّد بن عبد الوهاب أحد علماء الإسلام وفضلائهم النابهين والّذي تتلمذ على مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت المنتشر في العراق وبلاد الشام وغيرها لما شاهد محبّبة أهل المذاهب لرؤسائهم وأئمّتهم قد بلغت حدّ الغلوّ والتفريط قام بتأسيس مذهب جديد أساسه أنّ عبادة غير الله تعالى ورجاء المدد منه شرك وأنّ الأنبياء والرسل والأئمّة كلّهم عباد الله تعالى ولا يستطيعون أبداً نفعاً ولا ضراً ولهذا فإنّ نداء يا رسول الله ويا شيخ عبدالقادر ويا عليّ ويا حسين أو أمثالها نداءات شرك وإنّ تعظيم القبور والمشاهد شرك وهي في مصاف عبادة الأوثان وإنّ الحرب مع المشركين أهمّ الفرائض الإسلاميّة حتى يُعْبَدَ الله تعالى وحده. فلمّا أسّس هذا المذهب الّذي زعم بأنّه الإسلام خالياً من الشوائب دعا القبائل العربيّة إليه، وإستجاب لدعوته أمير نجد إبن سعود المشهور بشجاعته وكرمه وبمساعدته إنتشر هذا المذهب في بلاد نجد سنة (1171) هجريّة ودخلت في ظلّه قبائل الإحساء والبحرين والقطيف. وبعد وفاة إبن سعود قام إبنه عبدالعزيز بنشر هذا المذهب وكان مثل والده شجاعاً كريماً. وبعد قليل من الزمن إنتشر إلى الحرمين الشريفين وإلى بلاد اليمن والعراق. وحيث أنه يَعتبر الّذين يحترمون العتبات المقدّسة مشركين فقد إرتُكبت أموراً غير لائقة عند فتحه مكّة والمدينة وكربلاء والنجف وأقام فتوحاته على القسوة والشدّة ولم يرحم نفساً وأخيراً إنطفأت نار فتوحاته بشجاعة إبراهيم باشا خديويّ مصر وإكتفي بإمارة نجد ولا يزال أهالي نجد والدرعيّة باقين على هذا المذهب إلى يومنا هذا وهو محسوب في عداد المذاهب الاساسيّة.

وبعد أن إتّضحت كيفيّة إنشعاب المذاهب من حيث الأصول نقول إنّ إنشعابها من حيث الفروع وتعدّد المذاهب الحنفيّة والشافعيّة والمالكيّة والحنبليّة بين أهل السنّة والجماعة وتعدّد المذاهب الجعفريّة بين الإماميّة والاسم اعيليّة أمر واضح لدى العلماء ولا يحتاج إلى تفصيل لأنه حينما لا تُسأل الأحكام الإلهيّة من المبيّن الحقيقي لها ويُرجع إلى إستنباط أهل الإجتهاد فيها وإلى أخذ أعظم الأحكام من الأحاديث الّتي دُوّنت في القرن الثالث والرابع فلا بدّ أن ينتهي الأمر إلى اختلاف الآراء وتعدّد المذاهب ويختلّ القضاء الّذي هو عماد الدين والركن الأعظم للعدالة ويؤول الأمر أخيراً إلى حالة الأمّة الّتي يراها الآن كلّ بصير.

أما كيفيّة إنتشار العلوم والمعارف في البداية ثم ظهور التصوّف وإنشقاق الأمّة الإسلاميّة إلى فرق صوفيّة وهبوط المعارف والعلوم في الأخير فمجمل ذلك أنه لما إتّسعت الفتوحات الإسلاميّة

وتأسّست الخلافة العربيّة بهمّة الخلفاء العباسيّين في بغداد وجهود الخلفاء الأمويّين في الأندلس وبمساعي الخلفاء الفاطميّين في مصر وجدت المعارف سوقاً ثقافيّة كبيرة وراجت أسواق الفنون وتُرجمت إلى اللغة العربيّة كتب فلاسفة اليونان والرومان ومصر والكلدانيّين. وشيّد الملوك والأمراء مدارس عظيمة وبذلوا أقصى الجهود في تعظيم أهل العلم وتبجيلهم وتشويقهم وألّف كبار المؤلّفين في العلوم المتنوّعة كالفلسفة والطبّ والفلك والرياضيّات والجغرافية وفي علوم الأدب مؤلّفات نفيسة وتنوّرت جميع الممالك والبلاد الإسلاميّة من المشرق إلى المغرب بأنوار العلوم، ولكن ويا للأسف لم تكد تنمو أشجار المعارف الباسقة حديثة الغرس إلاّ ونبت شوك الزهد في حديقة الملّة البيضاء وإعترى الأمّة الإسلاميّة مرض التصوّف الّذي هو بمثابة الشلل الّذي يصيب الأعضاء السالمة في كلّ أمّة فيحرمها من النشاط والتقدّم والإنتصارات والنفوذ. وشُغل الكثيرون باسم الرياضة النفسيّة وتصفية النفس بأذكار وعبادات زائدة وجذبوا قلوب الملوك والسلاطين نحو الزهد والتقشّف. ولو أنّ بعض الرجال العظام ظهروا من هذه الفرقة وأناروا والحقّ يقال قلوب جمع كبير بأنوار الحقيقة المتجلّية لكنّ الأكثريّة لما كانت عابدة للهوى لا للهدى وطالبة للرئاسة لا للديانة لذا فقد قامت بإختراع عبادات باطلة وتأسيس مصطلحات خارجة عن الديانة وجذبت بمختلف الدسائس قلوب الملوك نحوها حتى فَتَرَتْ همّة الملوك في نشر العلوم وتبدّل نشر العلوم إلى عبوديّة المشايخ فغربت أنوار العدل شيئاً فشيئاً وإستولت ظلال التصوّف وظهرت فرق كثيرة أمثال الشاذليّة والنقشبنديّة والقادريّة والجشتيّة بين أهل التسنّن وفرق نعمة اللاهيّة والجلاليّة والأوسيّة وغيرها بين أهل التشيّع وإعتبرت كلّ واحدة من هذه الفرق شيخها الغوث الأعظم والمظهر الأتمّ ومركز دائرة الوجود وحقيقة المعبود ووصفوه بالمهدويّة النوعيّة. وقد صرّح الشاعر المولوي جلال الدين البلخي المعروف بالرومي في ديوانه بما ترجمته: "إذن فهناك في كلّ دور ولي قائم والإمتحان جارٍ حتى يوم القيامة وهو المهدي وهو الهادي يا أيها الطالب للسبيل وهو الظاهر وهو الباطن فالإمام القائم الحيّ هو ذلك الوليّ سواءً أكان من نسل عمر أم من نسل عليّ". وإنتهت عاقبة حسن ظنّ الملوك والأمراء بمشايخ الصوفيّة ورؤسائها ومرتاضيها والمنزوين في تكاياها إلى درجة صاروا يطلبون منهم الهمّة في المهام العالية ويكتفون بتوجّههم عن بلوغ المآرب والمقاصد السامية ويرون فتوحاتهم معلّقة بإرادتهم ومشيئتهم وحماية السلطان محمود سبكتكين وأبو بكر بن سعود الزنكي المذكورة في التاريخ من النوادر المضحكة ومنها ينتبه العاقل إلى مواطن إفتتان الأمّة الطيّبة ويطّلع على مدى إنخداع النفوس بهذه الأفعال. وقد كان السبب في إعتقاد بعض الرؤساء والمشايخ بالمهدويّة النوعيّة وجود بعض الأحاديث والأخبار عن رسول الله وأئمّة الهدى عليهم السلام ولم يفهموا حقيقة المقصود فيها بل

تمسّكوا بها من أجل الوصول إلى مقاصدهم الفاسدة ورفعوها عالياً ملوّحين بها مثل الحديث المشهور "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليّة" والحديث "إنَّ فِي أمَّتِي مُكلَّمُونَ" وخطبة أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة الّتي سبق لنا ذكرها: "إعْلَمُوا أنَّ الأرْضَ لا تَخْلُو مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّتِهِ" فإتّخذوا أمثال هذه الأحاديث وسيلة لادّعاء المهدويّة النوعيّة وبأنواع الرياضات الكاذبة المخالفة للشريعة المقدّسة الإسلاميّة جذبوا قلوب الناس نحو التصوّف والزهد وكتب المتملّقون كذلك كتباً كثيرة في مناقب هؤلاء المشايخ وكراماتهم حتى توجّهت الهمم كلّها نحو التصوّف وإنتقلت من المدرسة إلى الخانقاه كما إنتقلت إلى قصور السلطنة جماعات من الخانقاه وقفزت على أريكة الحكم من سجّادة العبادة مثل سلالة الغلاة العليّ اللاهيّة الّذين حكموا في القرون الوسطى بواسطة السيّد محمّد المشعشع من تلامذة أحمد بن فهد الحِلّي على خوزستان والحويزة وشوشتر وما جاورها وظلّوا مستقلّين حتى ظهور الدولة الصفويّة، وكان تأسيس الدولة الصفويّة على هذا المنوال أيضاً وكذلك دولة الملثّمين والموحدّين في المغرب الّذين يعتبرون كبار المجاهدين والمرابطين في الأمّة الإسلاميّة وكذلك دولة محمّد أحمد بن عبدالله السوداني الّتي تأسّست على هذا الأساس. وعندما قام محمّد أحمد هذا في رمضان سنة (1298) هجريّة وكان من كبار مشايخ الصوفيّة في المغرب وإنتصر في أكثر معاركه الحربيّة على المصريّين والإنكليز إتّهمته إنكلترا في جرائدها بتهمة ادّعاء النبوّة وتشريع ديانة جديدة حتى تغيض عليه قلوب المسلمين والأمراء والملوك والعلماء وتمنع إتّساع نفوذ حركته في أفريقية ولكنّه وهو المعروف بفراسته وذكائه أوضح في منشوره المدوّن في كتب التاريخ أساس هذه المكيدة وأعلن أنّ مقصود ثورته هو حفظ الوطن والدين الإسلامي من إعتداءات الإنكليز.

وخلاصة القول فقد ظهرت في الأمّة الإسلاميّة بنتيجة إستمرار الإختلافات وكثرة الشعب والطرق والمذاهب عبادات باطلة وبدع من قبيل الاذكار وضرب الدفوف والرقص والاغاني في التكايا والزوايا وأكل الحيّات والافاعي والزجاج والصبّير في الإحتفالات بالمواليد عند أهل التسنن وبالسبايات والتشابه وتمثيل الشهداء وضرب الصدور وتشكيل المسيرات وضرب الرؤوس بالقلمات (الخناجر) وتلاوات المراثي وتلاوات الزيارات وأمثالها عند أهل التشيع. ومن المعلوم لدى كلّ عالم أنّ هذه العبادات ما كانت موجودة في صدر الإسلام ولم تقرّها الشريعة النبويّة ولم يرد في الكتاب والسنّة ذكر لها أو خبر عنها أو تجويزها بل وضعت من أجل جلب القلوب وتخصيص المذاهب بها أو ذكرى الحوادث السابقة وصار الناس يعملون بها أملاً بالثواب والشفاعة حتى انتهى الأمر إلى أن صار إقبال الناس إلى هذه الأعمال أكثر من إقبالهم إلى الفرائض والسنن بل كما يتّضح لكلّ منصف وكما

أخبر عنه الحديث الصحيح أنه لم يبق من أصول الفرائض والسنن الإسلاميّة إلاّ إسمها ولا من القرآن المجيد إلاّ تلاوته دون فهمه وتوجّهت أنظار الناس تماماً نحو هذه البدع الموبقة وصرفت همّتها عليها يوماً بعد يوم.

فممّما عرضناه ظهر إنحصار المذاهب الإسلاميّة بأهل التسنّن وبالشيعة الإثني عشريّة والشيعة الزيديّة والشيعة الاسم اعيليّة والشيعة الأمويّة والخوارج الأباظيّة وبالفرقة الوهابيّة من حيث الأصول وإنحصارها من حيث الفروع بمذاهب الحنفيّة والمالكيّة والشافعيّة والحنبليّة والجعفريّة وإنحصارها من حيث الطرق بِشُعَب الصوفيّة. وكما إتّفقت جميع المذاهب اليهوديّة المختلفة على مسألة واحدة وهي أن موسى عليه السلام آخر مشرّع وأن شريعة التوراة آخر الشرائع الإلهيّة وإنهم لا يعترفون بمشرّع غير موسى عليه السلام ولا يدّعي أصحاب المذاهب بشريعةٍ جديدةٍ أو جاءوا بكتابٍ جديدٍ فكذلك إتّفقت جميع المذاهب المسيحيّة المختلفة الّتي شرحناها بخاتميّة عيسى عليه السلام وكتاب الإنجيل ولا يعتقدون بشريعة جديدة أو كتاب جديد وكذلك إتّفقت جميع المذاهب الإسلاميّة المختلفة بالإجماع على حقيّة القرآن المجيد وخاتمية الرسول الكريم وجميعها تنتظر المهدي الموعود ولا يؤمن أيّ واحد من الخلفاء والأئمّة ورؤساء المذاهب ومشايخ الطرق بكتاب سماوي غير القرآن المجيد.

وكما ذكرناه إنّنّ ظهور الإختلافات وحدوث المذاهب كان نتيجة اختلاف الآراء في المسائل العلميّة. ولو نظرتم في كتب الهنود والبوذيّة لرأيتم أنّ الإختلافات في تلك الأديان تشبه إختلافات اليهود والنصارى والمسلمين ولرأيتم ظهور العبادات الباطلة في أديان الصين والهند مثل ظهور البدع في الأديان الّتي شرحناها ولشاهدتم أنّ تتابع الحوادث والأدوار في جميع الشرائع والأديان قد جرى على نهج واحد. ولو أنّ الحديث قد طال بنا في كيفيّة تشريع الأديان وحدوث المذاهب لكنّنّه كان أمراً لا مفرّ منه نظراً لأهميّته لأنّنّ هبوط مستوى العلم وقلّة المعارف في بلاد الشرق وخاصّة بين المسلمين قد بلغ إلى درجة صاروا ولا خبر لهم عن الحوادث الماضية الّتي هي مرآة الأمور الآتية فهم لا يعرفون على الأغلب الفرق بين الدين والمذهب وليس لهم إطّلاع عن سبب حدوث المذاهب ولهذا تراهم اليوم فرقاً ومذاهب خلاف ما نهى عنه القرآن المجيد وتعتبر كلّ فرقة نفسها حقّاً وغيرها باطلاً ويظنّون ظهور المهدي الموعود كأحد مشايخ الصّوفية ودعاة المهدويّة النوعيّة ولهذا كان لزاماً علينا إيضاح كيفيّة إنشقاق المذاهب والطرق لِبيان الفرق بينها ولِفهم شبهة شيخ الإسلام حتى يتّضح لكم الفرق بين الحقّ والباطل.

15. رجوع إلى الجواب على عبارة الشيخ بأنّ الغلبة الدينيّة التدريجيّة والتضحية بالمال وبالروح ليست بدليل لأنها موجودة أيضاً في المذاهب والأديان الباطلة:

لمّا تمّ الإطّلاع على سبيل الإجمال على أصول الأديان وكيفيّة إنشقاقها وحدوث المذاهب فيها نعود الآن إلى الجواب على إنتقاد جناب الشيخ وخلاصة إنتقاده أنه لو كان دليل أهل البهاء هو نفوذ الدين وغلبته أو فداء الأرواح والأموال فإننا نجد مثل هذا في المذاهب والأديان الباطلة.

وخلاصة الجواب عليه إنّه إذا كان الشيخ يقيس هذا الأمر الأعظم بالمذاهب الإسلاميّة الباطلة (بزعمه) فإنّ هذا قياس مع الفارق لأنّ رؤساء المذاهب الإسلاميّة لم يدّعِ أحدهم ظهوراً جديداً وكتاباً جديداً وشريعةً جديدةً بل كلّهم يفتخر باسم الإسلام وكلّهم يدّعي نصرة شريعة سيّد الأنام وخاتم النبيّين.

ولما إطّلعتم في بحثنا لدليل التقرير أنّ الله تعالى وعد بأن يمحو الدعوة الكاذبة ويجعل نفوذها مستحيلاً بحكم الآية الكريمة: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ"[107] والآية الكريمة: "أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ"[108] والآية الكريمة: "إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً"[109] فلا يستطيع إنسان أن يدّعي كذباً بدون إذن الله تعالى مقام الشارعيّة أو يشرّع شريعة جديدة أو يقول كلاماً ينسبه إلى الله جلّ جلاله ويسمّيه وحياً سماوياً وإنّ رؤساء المذاهب الإسلاميّة كما رأيت لم يدّعوا الوحي السماوي ولا إعتبروا كتابهم سماويّاً ولا شرّعوا شريعة جديدة بل كانت إختلافاتهم في كيفيّة تأسيس الخلافة الإسلاميّة أو في مسائل علميّة. وإنّ الاشخاص الّذين إدّعوا المهدويّة من رؤساء الطرق والمشايخ الصوفيّة إنما إدّعوا المهدويّة النوعيّة لا مقام الشارعيّة أو تشريع ديانة جديدة كما رأيت من شعر المولوي جلال الدين الرومي في كتابه المثنوي بل إنّ جميع الفرق الصوفيّة مع أنهم يعتبرون رؤساءهم قطب الأمكان ومهدي الزمان والغوث الأعظم فإنهم كلّهم ينتظرون ظهور المهدي الموعود ويذعنون بأصالة ذلك المظهر الإلهي وربوبيّته.

---

[107] الحاقة: **44**

[108] الشورى: **21**

[109] الاسراء: **81**

ومما ذكرناه يُفهم أنّ بقاء ونفوذ كلّ مذهب من المذاهب الإسلاميّة إنما هو في الحقيقة بقاء أصل الدين الإسلامي ونفوذه وغلبته. ولم يأتوا بأمر جديدٍ يغاير الشريعة النبويّة. وكتابهم كلّهم القرآن المجيد وشريعتهم كلّهم شريعة خاتم النبيّين سواء أكانت الخلافة من حقّ الصديق أو حقّ المرتضى وسواء أن إنتهت الإمامة إلى إسماعيل بن جعفر أو إلى موسى بن جعفر عليه السلام. إذن فقد إتّضح لأولي الدراية والبصيرة أنّ قياس هذا الأمر الأعظم بالمذاهب الإسلاميّة المختلفة قياس باطل وغير منطبق بل ناشئ عن عدم العلم والاطلاع الكافي بحقائق الشريعة وبكيفيّة إنشعاب المذاهب وتفرّقها. والشخص الّذي يأخذ علمه في هذه المسائل من كتاب (زينة التواريخ) و (مقالة الملّية) و (جنات الخلود) وأمثالها والّذي لا يستفسر من علماء المذاهب بعد إنتهائه من التحقيق الكامل في كتبهم المعتبرة لا عجب أن يتورّط في الأوهام ويبتلي بهذه الشبهات الواهية. وهذا العبد بعد أن طالع الكتب التاريخيّة المعتبرة في المذاهب والأديان مطالعة دقيقة مثل (كتاب الملل والنحل) للإمام الشهرستاني وهو أشهر المؤلّفات في هذا الموضوع و (كتاب المسعودي) للعقدي و (سوسنة سليمان) للطرابلسي وفي الفارسيّة كتاب (دبستان المذاهب) فإنّه وجد أنّ كبار المؤلّفين أحياناً يتكلّمون عن بقيّة المذاهب بخلاف الواقع سواءً أكان ذلك علما منهم أو سهواً منهم وينسب بعضهم إلى البعض الاخر نِسَبَاً غير لائقة لهذا فإنّ هذا العبد لا يكتفي بالإعتماد على محتويات الكتب وحدها بل أنه في أيّام سفره يقابل جميع الأديان والمذاهب ويستمع لعقائد كلّ واحدة منها من أفاضل تلك الأمّة حتى يتوصّل إلى حقائق عقائد كلّ أمّة ولا يعتمد على ظنونه وأوهامه وحيث أنّ هذا اليوم يوم إنتشار المعارف وإختراق أنوار المدنيّة كلّ الآفاق فإنّ هذا العبد لا يكتب شيئاً في مؤلّفاته ورسائله ممّا يستوجب انتقادات أرباب الرأي السداد.

16. في بيان أنّ الأديان الموجودة قد شُرّعت كلّها بإذن الله ولا يستوجب وجود المذاهب المختلفة بطلان أصول الأديان:

أمّا قياس جناب الشيخ هذا الأمر الأعظم بالديانات الوثنيّة الّتي يعتقدها بزعمه باطلة فجوابنا عليه واضح كما شرحناه في دليل التقرير لأنّ أصول الديانات الّتي سمّاها المؤرّخون فيما بعد باسم الديانات الوثنيّة مثل الصابئين والبوذيّة واليرهميّة إنما شُرّعت كلّها باذن الله جلّ جلاله وإنّ عبادة

التماثيل فيها من البدع الّتي دخلت الدين الإلهي عن طريق علمائه وفلاسفته للذكرى أو منافع وهمييّة.

يا أيّها الناس، يا أهل الإنصاف إنّ الله جلّ جلاله يتفضّل بنداء جهوري يحيط العالم: "لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ"[110] وجناب الشيخ يتصوّر أنّ ديانة الصين كاذبة وشارعها ليس على حقّ. أفهل أهل الصين الّذين هم بقول الشيخ نفسه أربعمائة مليون نسمة لا يدخلون ضمن كلمة "لِكُلِّ أمَّةٍ"؟ وهل جماعة الهنود الّذين يحسبهم المؤرّخون مائة وستين مليوناً ليست محسوبة من الأمم؟ وهل الفتشيّة الّذين هم لكثرة عددهم لم يمكّن إحصاؤهم على وجه التحقيق ليست محسوبة من الأمم؟ وهل الزردشتيّة دين الفرس الأوائل وأكاسرة العجم يجب عدم إدخالها بين الأمم؟ والأمر العجيب هنا هو أنّ الله تعالى في نفس سورة الحج الّتي إستشهدنا بالآية السابقة منها أنزل آية أخرى أيضاً بقوله: "وَلِكُلِّ أمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً لِيَذْكُروا إسْمَ اللهِ"[111]. ولو رجعتم إلى القرآن المجيد لرأيتم أنّ الله جلّ جلاله صرّح في مواضع كثيرة أنه شرّع لكلّ أمّة شريعة وأرسل في كلّ قوم رسولاً وفي كلّ زمان فتح أبواب العناية على الصالحين في تلك الأمم. ويكفي أن يعرف أرباب الدراية أنّ تشريع الشرائع وإبقاء الأديان وبسط المناسك ليست في يد قدرة أحد غير يد قدرة الله جلّت عظمته وجلّت قدرته وتكفي أصحاب القلوب المنيرة الآية الكريمة المنيرة في سورة النحل قوله تعالى: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"[112]. وهذه الكلمات المباركة الصريحة تؤيّد البحث السابق في أنّ الله جلّ جلاله فتح أبواب عنايته على وجه جميع الأمم على حدٍّ سواء ولم يهمل قوماً أبداً. وفي هذا كفاية للمتبصّرين وموعظة للمتّقين. نعم مما لا شكّ فيه أنّ عبادة الأوثان وإحترام التماثيل عبادات باطلة ولكنّ دخولها في الديانة البوذيّة والهنديّة يشبه العبادات الباطلة الّتي دخلت في الأمّة الإسلاميّة والأمّة اليهوديّة ولم تكن في أساس الشريعة الإلهيّة ولكنّها إختُرعت بمرور الزمن من أجل ذكرى الحوادث الماضية وإحترام رؤساء الدين.

17. في بيان إنّ البدع في العبادات في الأديان الوثنيّة قد وُجدت أيضاً في الإسلام:

[110] الحج: 68

[111] الحج: 68

[112] النحل: 36

وأمّا ما كتبه جناب الشيخ في أنه "حدث أخيراً حينما كان يُنقل الصنم من معبد إلى آخر في الصين بوقار وإجلال أن إنبرى بضعة أشخاص من المؤمنين به فناموا في طريق تلك العربة وتحت عجلاتها الحديديّة الثقيلة وفدوا بأرواحهم العزيزة معبودهم الباطل". لو أنّ جناب الشيخ في يوم عاشوراء كان في يزد حاضراً ويرى أهالي البلد وحتى بعض رجال الحكومة معهم مجتمعين في ميدان مسجد مير جغمان وعددهم عشرة الآف شخص وهم ينقلون نخلة عظيمة بكلّ وقار وإجلال من الميدان المذكور إلى ميدان الشاه فأنه لا يجد فرقاً أبداً بين عمل أهل الصين وهذه البدع. والنخلة العظيمة هذه عبارة عن هيكل مربّع قد بنوه من الخشب طول ضلعه عشرة أمتار وإرتفاعه عشرون متراً وقد زيّنوه بصور الأئمّة عليهم السلام وينقلونه وسط إزدحام عظيم من الناس مع تلاوة أشعار وترنّمات وتسبيحات. وفي أيّام عاشوراء يزيّنون جميع التكايا بأنواع الزينة من الصور والتماثيل ويجتمع المئات والألوف جماعات جماعات لابسين الأكفان وقد جرحوا رؤوسهم بالقامات (الخناجر) ويموت الكثيرون من هذه الجراحات. وخلاصة القول لو أنّ جناب الشيخ يرى هذه المشاهد بعينها فإنه لا يندهش أبداً من أعمال أهل الصين ويشاهد خطأ أهل الصين ثواباً لأهل الصواب. وكذلك لو يحضر في مصر إحتفالات المواليد النبويّة ويرى المشايخ فإنه يطّلع على أمور قبيحة محدثة كثيرة ويفهم كيفيّة دخول العبادات الباطلة في الأديان الإلهيّة ويريح نفسه ويريحنا من كتابة هذه الموضوعات الّتي هي من البديهيّات عند أهل العلم. ومع أنه لم يمض بعدُ أكثر من ألف وثلثمائة سنة على نشوء الإسلام ولم يحصل خلالها ما حصل في الديانة البوذيّة والهنديّة بعد ثلاثة الآف سنة من نشوئها. ومع ذلك إبتُدعت في الإسلام أمثال هذه البدع وإختُرعت أمثال هذه الإختراعات فلو لم يظهر قائم آل محمّد وإمتدّ أجل الإسلام إلى ألفين وثلاثة آلاف سنة لرأى إلى أيّ حدّ تنتشر العبادات الباطلة ويتحقّق فيها معنى الوثنيّة بأكمل الوجوه.

وقد كتب جناب الشيخ: "إنّ حدوث هذه الحوادث هو من نتائج رسوخ العقائد لا من نتائج صحّة الدلائل والبراهين"، نعم ليس هناك من شكّ في أنّ الثبوت والإستقامة تجاه المصائب من نتائج العقائد الراسخة ولكن هناك فرق بين العقائد التقليديّة الراسخة الّتي تمّ الاعتقاد بها من دون دليل ورسخت في القلب على مرور الزمان من سماعها من الآباء والأجداد وأصحاب المذهب وبين العقائد الكسبيّة الاجتهادية الّتي يبذل المؤمن بها أقصى المساعي ولن يذعن أبداً بصحّتها ما لم يفهم دليلها الّذي تستند إليه. ولن يتجرّد من قميص دينه السابق الّذي يرى خلعه أصعب من كلّ صعب ولهذا نزلت الآية الكريمة في حقّ العقائد التقليديّة الوراثيّة: "إِنّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى

آثَارِهِمْ لَمُقْتَدُونَ"[113] كما نزلت الآية الكريمة في حقّ العقائد الكسبيّة الإجتهاديّة: "الّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا"[114] حتى يعرف أهل البصيرة الفرق ويعلموا الضالّ من المهتدي.

وهذه القصّة الّتي نسبها جناب الشيخ خطأً إلى أهل الصين هي في الحقيقة ليست في الصين بل في الهند لأنّ عادة الهنود في مدينة (جكن نات) كانت في نقل الصنم المذكور بالأسلوب الّذي كتبه الشيخ في يوم خاصّ من مكان إلى مكان ويفدي البعض أرواحهم تحت عجلاته وهذا الصنم تمثال لأحد أنبياء الهنود الّذي ظهر بين أولئك القوم ويعتبره أهل الهند بمنزلة أحد الأنبياء ومظاهر أمر الله. ونحن لا نناقش جناب الشيخ لماذا جعل الهند صيناً ولكنّ مقصودنا هو بيان تشابه الأمم وتماثل الأديان لا بيان جهل هذا أو ذاك لأن الّذي لا يعرف الفرق بين دم الشهداء ودم الأشقياء لا عجب إنْ لم يفرّق الشمال عن اليمين أو الهند عن الصين.

18. في بيان أنّ كلّ أمّة تنكر ديناً حقّاً فإنّها لا تستطيع ردّ شبهات الأمم في دينها بخلاف أهل الإيمان القادرون على دفع كلّ شبهة:

وأمّا ما كتبه جناب الشيخ: "والأوضح من هذا أنّنا نقول لو نادانا إنسان من الوثنيّين بنداء عام قائلاً: أيّتها الأمّة الإسلاميّة وأيتها الأمّة المسيحيّة وأيّتها الأمّة اليهوديّة ويا أصحاب المذاهب المختلفة لماذا أنتم في طريق الضلال ولماذا لا تسيرون في سبيل الحقّ المستقيم؟ أفلا ترون قدرة أهل الأوثان اليوم على الأرض؟ أفلا تعلمون أنه ليست هناك بينكم من أمّة على وجه الأرض تساوي في عدد نفوسها وفي قوتّها نفوسنا وقوتّنا؟ ففي الصين عندنا اليوم أربعمائة مليون نسمة وليس هذا إلاّ من الغلبة الباطنيّة الكاملة والسيطرة المعنويّة الشاملة الّتي كانت في مؤسّسنا النفيس والّذي أثّرت كلماته الحقّة يوماً فيوماً في القلوب ونفذت فيها حتى وصلنا إلى هذه الدرجة."

وموجز مقصود جناب الشيخ أنه لو كان دليل الدين هو نفوذه وبقاؤه فإنّ الوثنيّة تستدلّ على حقيّة دينها بهذا الدليل وتردّ علينا به فماذا نقول في الجواب عليها؟ لهذا فإنّ هذا العبد يعرض في خدمته بكلّ وضوح وبصوت عالٍ فصيح أنّك لا تستطيع أبداً إعطاء جواب لهم ولا تستطيع بأيّ وجه من الوجوه إثبات بطلانهم وإثبات حقيّتك لأنّه من المستحيل على أمّة أنكرت ديناً حقّاً أن تثبت حقيّة دينها. وإني سأشرح هذه المسألة حتى يتّضح هذا الموضوع لمطالعي هذه الأوراق. تُرى ماذا

[113] الزخرف: 23

[114] العنكبوت: 69

سيقول جناب الشيخ في الجواب على الصينيّين؟ إنه سيقول لهم إنّ دينكم باطل بدليل إحترامكم الأصنام وبدليل عباداتكم الباطلة. فلا شكّ أنهم سيقولون لجناب الشيخ: إنّ هذه العبادات الباطلة موجودة بصورة أقبح في دينكم. ألم ير جناب الشيخ وألم يسمع أنّ ولاة الدولة الروسيّة وأمراءها قد منعوا هذه العبادات في عشق آباد وبلاد القفقاس لأنها تخالف المدنيّة والإنسانيّة وعاتبوا مرتكبي هذه الشنائع؟ ولو يقول جناب الشيخ للصينيّين إنّ ديننا حقّ بدليل أنّ نبيّنا عنده معجزات ظاهرة فالصينيّون (بغضّ النظر عن أنّ القرآن الكريم يردّ ادّعاء الشيخ هذا) سيقولون له في الجواب إنّ أنبياءنا عندهم معجزات أيضاً وإذا لا يصدّق جناب الشيخ ولا شاهد كتب البوذيّة والهنود فليرجع على الأقلّ إلى كتاب (دبستان المذاهب) ويرى فيه عقيدة الهنود والزردشتيّين في معجزات أئمّة دينهم ورؤسائهم. ولو يقول جناب الشيخ للصينيّين إنّ ديننا حقّ بدليل أننا نملك كتاب القرآن المجيد فسيقولون له نفس هذا الكلام بأنّ الكتب السماويّة موجودة في ديننا أيضاً. ولو يقول لهم بأنّ ديننا وكتابنا يحتوي على شرائع أدبيّة تؤدّي إلى تربية الأمّة وتمدّنها فسيجيب الصينيّون إنّ كتب كونفشيوس المشرع الصيني العظيم قد ترجمها العلماء إلى اللغات الفرنسيّة والأنكليزيّة والألمانيّة وغيرها ومجّدوا شرائعها وأحكامها الأدبيّة. وخلاصة القول أنه لا يستطيع بأيّ وجه من الوجوه أن يجيبهم جواباً مقنعاً أو يثبت بطلانهم وحقيّته اللهم إلاّ أنه يفرح قلبه بالقول الّذي لا معنى فيه والادّعاء الّذي لا دليل يؤيّده وهو قوله في آخر إنتقاده: " والحال أنّ بطلان هذا الدين أظهر من الشمس وأبين من الأمس" ولا يعرف على الأقلّ أنّ بطلان دينه عندهم أبين من الأمس كما أنّ بطلان دينهم عنده أظهر من الشمس. نعم هناك دليل واحد مهمّ يثبت به علماء الإسلام حقيّة الدين الإسلامي لسائر الملل ويتغلّبون به على خصمهم إلاّ وهو دليل التقرير بغلبة الإسلام ونفوذ الإسلام وبقاء الإسلام ولكن بما أنكم أنكرتم هذا الظهور الأعظم وما إعتبرتم الغلبة والنفوذ دليلاً لهذا فمن المستحيل عليكم بعد اليوم أن تستطيعوا إثبات حقيّة دينكم لسائر الملل أو تستطيعوا أن تجعلوا إنساناً يذعن لحقيقة الإسلام بالحجّة والبرهان. ولكنّ الوثنيّين لو جاءوا بهذا الإنتقاء علينا نحن أهل البهاء وطلبوا منا الجواب فإننا سنقول في الجواب "نعم إنّ الله جلّ جلاله قد منَّ على جميع الأمم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وبتشريع الشرائع وفَتَحَ على كلّ الأمم بالتساوي ومن دون تفاوت سبيل النجاح والفلاح ولكنّكم حيث تركتم السبيل المستقيم لطول الأمد بكم ومزجتم عبادة الأوثان والصور والتماثيل الّتي هي عند الله أقبح من كلّ قبيح بعبادته تعالى وخلطّتم السنن الأصليّة الحسنة بالعوائد القبيحة المخترعة لذا فقد منَّ الله تعالى بإرسال الأنبياء والمرسلين أمثال موسى وعيسى ومحمّد عليهم صلوات الله أجمعين وقام كلّ واحدٍ منهم بقوّة الله على تطهير قطر من أقطار الأرض من عبادة

الأوثان ومن البدع الباطلة وفتح على وجوه العباد باب معرفته وعبادته تعالى وكلّ واحد منهم بشّر أمتّيه بظهور ذاك الموعود الّذي أنتم له منتظرون وطمأنهم بورود يوم الله ويوم الملكوت حين يتطهّر العالم تماماً عند ظهور ذلك الوجود المبارك من عبادة الأوثان وتزول البدع الباطلة وتتبدّل عداوة الأمم وإختلافاتها بالمحبّة والإتّفاق ولقد آن الأوان لتحقّق هذه الوعود وظهر ذلكم الوجود المبارك. وإنّ برهانه هو عين برهان الأنبياء السابقين وحجّته عين حجّة وأدلّة الظهورات السابقة وإنّ نفوذ وغلبة أمره يطابق نفوذ وغلبة الشرائع الماضية بل إنّ حجّته أقوى ودليله أتمّ وسبيله أقوم [**لا مانع لحكمه ولا رادع لحجّته ولا مقاوم لنفوذ أمره، تلك حجّة الله قد أتتهم بغتة فلا يستطيعون ردّها ولا هم يُنصَرون**]".

19. في إثبات أنّ شهادة الشهداء وتحمّل البلايا يمكنها أن تثبت حقيّة أهلها:

والآن بعد أن إتّضحت الموضوعات السابقة أشرع بالكلام حول هذه المسألة: إنّ الحقّ جلّ جلاله في كتاب الإيقان الشريف إعتبر شهادة الشهداء دليلاً على صدق الإيمان وبرهاناً على صدقه وصحّته وجناب الشيخ ينكر هذا الدليل ولا يرى في شهادة الشهداء دليلاً يثبت حقيّتهم. ويرى فداء الأرواح والمال والإستقامة في المصائب غير مثمرة وبعبارة أوضح يعتبر الإستشهاد الفعلي الّذي تكفي كلمة الشهيد لبيان معانيه والّذي هو عند أولي البصائر أتمّ وأكمل جميع أنواع الشهادات شيئاً كأن لم يكن. وهذا العبد لا يتكلّم في هذا المقام في معنى الشهادة وعلوّها وسموّها ورفعتها ولا يبسط البحث بإقامة الدليل الحِلّي لأنه اذا لم تكف المعاند المكابر كلّ البيانات الرشيقة والعبارات الرشيقة اللطيفة الّتي نزلت في كتاب الإيقان الشريف في فوائد دماء الشهداء وآثارها ولم تسكته فما عسى هذا العبد أن يقول أو يكتب؟ لذلك أغضّ النظر عن الدليل الحِلّي وأشرع بإقامة الدليل الإلزامي وأعرض في خدمة أهل الإنصاف إنّ الحقّ جلّ جلاله إستدلّ في القرآن المجيد على صدق ادّعاء رسوله الكريم بهذه الآية: "أوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إنْ هُوَ إلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ"[115] وكيفيّة الاستدلال الإلهي في هذه الآية هو أنّ الله تعالى يعني "لا يفكّر الكفّار إنّ رسول الله فيه جنون أي أنّ الإنسان العاقل لا يعرّض نفسه للخطر أبداً ولا يدّعي ادّعاء يؤدّي إلى عداء جميع الخلق وإعراضهم وهياجهم إذاً فرسول الله مع إمتلاكه كامل عقله قد تحمّل كلّ المشقة والأخطار وجعل الناس حتى أقرباءه أعداء له وهذا دليل على صدق قوله أنه مرسل ومأمور من الله تعالى ولا مفرَّ له من تحمّل هذه المشقة الّتي تفوق طاقة البشر". والآن أطلب الإنصاف من أهل البصيرة وأقول ما هو

[115] الاعراف: 184

الفرق الآن بين استدلال القرآن المجيد هذا واستدلال كتاب الإيقان الشريف؟ فإن كان تحمّل المشقّة بدون الإستشهاد دليلاً على حقيّة رسول الله فبأيّ إنصاف لا يكون تحمّل المشقّة والإستشهاد برهاناً على صدق ادّعاء حضرة الباب الأعظم؟ أفلو كان جناب الشيخ موجوداً في زمان رسول الله ألم يكن ينتقده بنفس هذا الإنتقاد؟ وأليس إنتقاده بأنّ فداء الروح والمال وتحمّل المشقّة والبلاء لا يكوّن دليلاً على صدق الادّعاء – بالنظر لتحمّل أصحاب المذاهب الباطلة أمثالها– إنتقاد ينطبق على القرآن المجيد؟ فاعتبروا يا أهل الإنصاف.

ومن عجائب أحوال رؤساء المسلمين في هذه السنوات الاخيرة أنهم لم يُشعلوا أبداً ناراً إلاّ وأظلم دخانها أوّلاً وقبل كلّ شيئ أفق الإسلام المنير ولم يرموا سهماً إلاّ وأصاب قبل الهدف صدور أئمّة الهدى الطاهرين ولم تُرم قنبلة من مدافع الدفاع إلاّ وهدمت أوّلاً ركناً من أركان الإسلام العظيم.

وورد في إنجيل متّى الإصحاح العاشر أنّ حضرة المسيح تفضّل لتلاميذه الّذين أرسلهم لتبشير دعوته لليهود: "ها أنا أرسلكم كغنمٍ في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيّات وبسطاء كالحمام ولكن إحذروا من الناس لأنهم سيسلّمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم وتُساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم" فتلاحظون أنّ حضرة عيسى عليه السلام قد قرّر بأنّ سجنّ أصحابه وجلدهم وحبسهم شاهد حقيّتهم ودليل صدق دينهم فكيف لا يكون حبس وأسر وقتل النقطة الأولى والجمال الأقدس الأبهي عزّ إسمهما وآلاف النفوس من المؤمنين بهم دليل حقيّتهم وشاهد صدق قولهم؟ ومهما كان الشيخ فاقداً للبصيرة ولا يستطيع فهم معنى الشهادة وإدراك الآثار الباهرة للدماء المسفوكة في سبيل الله فإنه يستطيع على الأقلّ أن يفهم إنّ قتل غير المؤمنين كزراعة بذور فاسدة لا تؤدّي أبداً إلى إنبات ولن ينتج عنها أيّ أثرٍ ولكنّ شهادة أهل الإيمان وبذلهم أموالهم وأرواحهم في سبيل الرحمن كزراعة بذور طيّبة تؤدّي إلى ظهور "سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ"[116] وهي تنتج زيادة المؤمنين وغلبة الكلمة الإلهيّة ومثلاً لو فدى عشرة أو مائة نفس بل لو فدى مائة ألف نفس من الوثنيّين أنفسهم تحت العجلات الحديديّة أو فدى مثل ذلك العدد من المسلمين أنفسهم في جرح الرؤوس بالقامات (الخناجر) في مجامع التعازي في شهر محرّم فإنه لن يدخل أحداً في دينهم ولن يزداد عددهم أبداً بل يؤدّي ذلك إلى فقدان تلك النفوس من هيئتهم

[116] البقرة: 261

الإجتماعيّة وعلى العكس من ذلك أهل الإيمان فإنّ شهادة نفس واحدة تؤدّي إلى إنتباه نفوس كثيرة وتزيد في عداد أهل الإيمان والإيقان "واللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ واللّهُ واسِعٌ عَلِيمْ"[117].

20. في بيان أنّ المذاهب المختلفة كلّها على حدّ سواء:

ومن الموضوعات الّتي تستلزم التدقيق والتأمل الموضوع التالي وهو: عندما قال المناظر البهائي في جواب الشيخ "إنّ المذاهب الباطلة في العالم قد وُجدت وإضمحلّت" فإعتبر جناب الشيخ هذا القول مثبتاً لخيالاته الباطلة وقاس هذا الأمر الأعظم كذلك بالمذاهب الباطلة وإعتبره أمراً مضمحلاً قبل إضمحلاله وأطلق لسانه بالشكر لله وحمده قائلاً "الحمد لله الّذي أجرى الحقّ على لسان الخصم وأثبت بدليله ما ندّعي ثبوته ووقوعه" فنقول بل يا شيخ إنّ بطلان فرق الاسم اعيليّة أو الكيسانيّة أو الزيديّة لم يكن من أجل إسماعيليّتها أو زيديّتها أو كيسانيّتها بل من أجل تفرّقها وإختلافها وتشعّبها بحكم الآية الكريمة: "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"[118] والآية المباركة: "وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ"[119] فقد حُرمت من الحقيقة الجامعة ودخلت في مصاف الأحزاب والفرق التي نهى الله جلّ جلاله عنها. وجميع الفرق الإسلاميّة شريكة في هذا الحكم وتدخل في مصاف الفرق المختلفة سواء أكانت شيعيّة أو إسماعيليّة أو زيديّة أو غيرها. ومن أجل هذا فإننا أهل البهاء نعتبر جميع الفرق الإسلاميّة بأيّ إسم سمّيت ما دامت معترفة بوحدانيّة الله تعالى وخاضعة لنبوّة خاتم الأنبياء وعاملة بأحكام القرآن المجيد جميعها حتى ظهور النقطة الأولى الّذي هو ظهور قائم آل محمّد داخلةً تحت كلمة الإسلام وإنّ نجاة أو عدم نجاة كلّ فرد من أتباع تلك الفرق أمر يعود إلى حكم المظهر الموعود. وخلاصة المقصود إنّ سبب بطلان الفرق الكيسانيّة وغيرها هو لمجرّد تفرّقها وإختلافها وهذا أمر يشترك فيه الجميع بدون تمييز أو تخصيص لأنّ الله تعالى خاطب رسوله الكريم في الآية السابقة الأولى الّتي يعني بها ان الّذين يفرّقون دينهم شيعاً وطوائف لا نصيب لهم منك وإنّ أمرهم يعود إلى الله وسوف يخبرهم تعالى بما كانوا يفعلون. وفي الآية السابقة يخاطب الأمّة الإسلاميّة: "أن لا تكونوا من المشركين الّذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً وطوائف كلّ طائفة مبتهجة بما عندها". ويفهم أهل البصيرة من صريح هاتين الآيتين اللتين لا تقبلان التأويل أنّ كلّ فرقة تعتبر نفسها حقّقّاً وغيرها باطلاً إنما هي محرومة من الحقيقة المحمّدية الجامعة وفي عداد

---

[117] البقرة: 261

[118] الأنعام: 159

[119] الروم: 32-32

الأحزاب المذكورة في الآية لأنّ الديانة الإسلاميّة هي حقيقة جامعة نورانيّة نزلت بكاملها على خاتم الأنبياء عليه وآله أطيب التحيّة والبهاء وقد أبلغها عليه السلام لكلّ الانام ولم يكن لأحد حتى زمان ظهور القائم الموعود حقّ في تغيير سُنّة من سننها ولم يكن لأحد إذن في تفرقة الأمّة وإختلافها. وكلّ من يسبّب التفرقة والاختلاف محروم من إدراك الحقيقة ويدخل في مصاف الأحزاب المردودة. وهذا ما كان يقصده العارف البالغ بقوله شعراً مترجماً: "أعذر الإثنين والسبعين ملّة في حربها فيما بينها فإنها لما لم تر الحقيقة سارت في طريق القصص الخياليّة" إذاً إتّضح بعد هذا أنّ جناب الشيخ لم يفهم عبارة المناظر البهائي وإعتبرها مثبتةً لخيالاته الفاسدة وإبتهج بعد ذلك بسراب أوهامه.

21. في بيان أنّ المقصود من الدعوة الباطلة الّتي وعد الله تعالى بإبطالها هو الدعوة المستقلّة وليس المذاهب المنشعبة:

نعم إنّ من الأمور المتّفق عليها هو أنّ المدّعين الصادقين والمدّعين الكاذبين كانوا موجودين في الدنيا وسيكونون. والمقصود بالمدّعين الكاذبين ليس رؤساء المذاهب المختلفة أمثال الزيديّة أو الاسماعيليّة أو الكيسانيّة أو غيرها لأنّ المذاهب كما علمت متساوية جميعها وإنّ رؤساء المذاهب لم يدّع أحدهم ادّعاء مستقلاً ولم يدّع أحدهم وحياً سماويّاً بل المقصود بالمدعي الكاذب هو الّذي يدّعي ادّعاء مستقلاً بدون إذن الله ويدّعي نزول الوحي الإلهي ويشرّع شريعة جديدة مستقلّة ففي هذه الحال يشتبه أمر المدّعي الصادق على الناس ويظلم فضاء الأمر بدخان الشبهات الّذي يمنع رؤية أهل الارتياب وينفتح باب الشبهة والتشكيك على مصراعيه. ولو أنّ أمثال هؤلاء الناس موجودون في كلّ زمان كما تعلن ذلك التواريخ ولكنّ ظهور هؤلاء المدّعين الكاذبين يكثر في زمان الظهورات الحقّة الإلهيّة ويؤدّي وجودهم إلى ظلمة أفق الأمر كما ظهر (تورا) السوري و(يهودا) الجليلي في قرن عيسى عليه السلام وإدّعى النبوّة والرسالة مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وسجاح في زمان ظهور خاتم الأنبياء. وإدّعى مقام الظهور الكلّي في هذا القرن جماعة كثيرة من قبيل السيّد عَلاّوْ في العراق والحاج الملا هاشم بن المرحوم فاضل النراقي وأحمد الكرماني والخفّاش اليزدي وغيرهم.

وسبب ظهور هؤلاء الأشخاص هو أنّ بعض المغرورين إعتبر تشريع الشرائع من نتاج العقول البشريّة وظنّ مقام التشريع أمراً سهلاً وظنّ الحقّ تعالى غافلاً ذاهلاً وتصوّر مظاهر أمر الله مثل أنفسهم لهذا قاموا بالادّعاء وظنّوا بعقولهم الناقصة أنهم يستطيعون أن يؤسّسوا شريعة، وفتحوا لجناب الشيخ

وأمثاله طريق الإنتقاد والشبهات على الأمر الإلهي والداعي الحقيقي. ولكن حاشا ثمّ حاشا أن تترك القدرة الإلهيّة باطلاً يغلب وينتصر أو كلمة كاذبة تنفذ وتبقى خمسين أو أربعين سنة بل حتى وعشر سنوات. وخلاصة القول لما كان في علم الله ظهور أشخاص من هذا النوع يؤدّي إلى إرتياب الخلق وإلى إمتحانهم وتمحيصهم والتمييز بين الخبيث والطيّب ولهذا فقد أخبر تعالى في الكتب السماويّة بمثل هذه الحوادث وبيّن بطريقة التمثيل والتصريح الفارق بين الحقّ والباطل كما ذكرناه في المبحث الأوّل في مقالة الأدلّة بكلّ وضوح.

22. في بيان أنّ المظلوميّة والنفي والتشتيت ليست دليل البطلان بل دليل الأحقيّة:

وأعجب من كلّ شيئ وأوضح دليل على قلّة علم جناب الشيخ بالأديان والمذاهب بل الأحاديث والأخبار بل القرآن والتفسير هو أنه إعتبر شهادة النقطة الأولى وتشتّت أصحابه دليلاً على بطلانه، وقاس أمر الظهور الكلّي الجديد بالمذاهب المتفرّقة وإعتبر الإستشهاد والقتل والأسر والحرق والصبر في البلايا الّتي هي دليل حقيّته برهاناً على بطلانهم فنقول يا جناب الشيخ ألم يرد في القرآن إن الرجع مثل البدء بحكم الآية الكريمة: "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ"[120] فكذلك تجدّدت المظالم والتعدّيات السابقة في ظهور القائم الموعود بحكم وإجازة شياطين الأنس وعلماء هذا العهد. وألم يرد في الحديث المتفّق عليه بين أهل التشيّع والتسنّن بأنّ كلّ ما وقع في الأمم السابقة سيقع في الأمّة الإسلاميّة كذلك ويتحقّق؟ وألم يتفرّق أصحاب عيسى عليه السلام في جميع البلاد بعد صعود ذلك الجمال المعبود من ظلم اليهود وابتلوا في كلّ بلد على يد اليهود والرومان بالظلم والقتل والحبس والأسر وقاموا مدّة ثلثمائة سنة على نشر الأمر الإلهي بنهاية الذلّة والتشتّت؟ وألم يرد في الإنجيل المقدّس أنّ أمثال هذه الحوادث بل أشدّ ستحدث في أيّام النزول الثاني لحضرته وتعود آثار البدء في الرجع؟ وألم يرد في الأحاديث الكثيرة أنّ أصحاب القائم سيُذلّون وسوف يبتلي أتباعه بالقتل والحرق وأنواع المظالم وسوف يسبهم مظاهر الشيطان ويلعنوهم ويطردوهم؟ نعم يا سيّدي الشيخ لقد قال الله تعالى: "لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ"[121] وانّ كلّ ما تراه ذلّةً وتشتّتاً وطرداً وسبياً وقتلاً فإنّنا نراه عين الرحمة والنعمة والسعادة والهداية ونعتبره سبب نفوذ أمر الله في

[120] الاعراف: 29

[121] الحديد: 13

الدنيا والبلوغ إلى أنفس الرغائب ولكنّ هذا المقام العالي لا تراه إلاّ البصائر النيّرة وإنّ هذه الحقائق لا يدركها كلّ متوهّم مكفوف البصر ورحم الله الكاتب الإدريسي حيث قال:

أتَحْسَــبُنا إذا قُلنـــا بُلينـــا ... بَلَيْنـــا إوْ يَــرومُ القلـــبُ لِينـــا
نَعَـــمْ لِلْمَجْـــدِ نَقْتَحِـــمُ الـــدَّواهي ... ويَحْسَـــبُ خَامِـــلٌ أنّـــا دُهِينـــا
تُناوشُـــنا فَنَقْهَرُهـــا خُطـــوبٌ ... تَـــرى لَيْـــثَ العَرِيـــنِ لهـــا قَرِينـــا
سَـــواءٌ حَرْبُهـــا والسِـــلمُ إنّـــا ... أُنَـــاسٌ قَبْـــلَ هُـــدْنَتِها هُـــدينا

وإستمع إلى نشيد الأديب الشيرازي في هذا المقام حيث يقول مترجماً: "لقد وهبتُ قلبي إلى حبيبٍ يقتل العشاق مرضيٍّ في سجاياه ومحمودٍ في خصاله ولقد غنّى منصور فوق أعواد المشنقة هذه النكتة البديعة: لا تسأل من الشافعي أمثال هذه المسائل".

[وقد علم أولو النُهى أنّ المصائب والرزايا في سبيل الله بحرٌ موّاج وأوقيانوسٌ متلاطم عَجاج يفر منه بنو الدنيا ولا يتقرّب إليه أهل الهوى ولا يصل إلى شواطئه إلاّ أهل البهاء أصحاب السفينة الحمراء والراية المقدّسة البيضاء الّذين نصروا الله بدمائهم وأعلوا كلمته بمهجهم ونفوسهم وحيّروا الملل في موارد الشدائد بسكونهم وقرارهم وأدهشوا الأمم في هجوم الخطوب بثبوتهم وإصطبارهم كما أخبر عنهم الحسن بن علي عليهما السلام في حديث علي بن مَهْزيار بقوله: "خَصَّهُم الله باحْتِمَالِ الضَيْمِ في الدُنْيَا لِيَشْمَلَهُمْ إتِّسَاعُ العِزِّ في دَارِ القَرَارِ".]

23. في بيان أنّ جناب الشيخ لقّب مناظره بلقب منافق ومخادع:

وبعد أن إتّضحت هذه المسائل بصورة مفصّلة وإمتاز الحقّ عن الباطل نتكلّم الآن في مسألة أنّ جناب الشيخ سمّى مناظره منافقاً ومخادعاً. وهذا العبد لَيحار عندما يفكّر ما هي الحيلة والخديعة الّتي إحتال بها جناب المناظر على جناب الشيخ غير المخادع بحيث أخرجه عن منهج الأدب القويم وأجبره على كتابة هذا الهراء والهذيان؟ لأنّ أهل البهاء مشهورون لدى كافّة الملل بالصدق والإخلاص ومعروفون في جميع البلاد بالنزاهة والإستقامة ويكفي لإثبات هذه الدعوى أنّ شهادتهم مقبولة في دوائر الحكومة ومجالس القضاء بدون قسم ويمين وهذا دليل على عدم إتّهامهم في أقوالهم وبَقيتُ في حيرة من أمر هذه التهم إلى أنّ عثرت على السرّ في ذلك في الصحيفة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة من رسالة جناب الشيخ المطبوعة وإطّلعت على أسباب هذه التهمة بل هذا الإفتراء.

وإجمال ذلك أنه قد نزل في كتاب الإيقان الشريف في معنى الغلبة والنصرة أنّ المقصود بالغلبة هذ نفوذ كلمة الله مغلبة أمر الله والإحاطة الروحانيّة والسلطنة الدينيّة الّتي هي دائماً من خصائص الأنبياء والمرسلين ومظاهر أمر حضرة ربّ العالمين. وليس الغلبة الظاهريّة والسلطنة الدنيويّة وفتوحات البلاد. وقد تفضّل لإثبات هذا المعنى بالإستشهاد وبمظلوميّة سيّد الشهداء وشهادة حضرته وبأنّ حضرته مع كونه من أعظم الجنود الإلهيّة وأنه موعود بالغلبة وبالنصرة بحكم الآية الكريمة: "إنَّ جُنْدَنَا لَهُمْ الغَالِبُونَ"[122] ومع هذا فقد نال رتبة الشهادة بمنتهى المظلوميّة ولكنّ هذه المظلوميّة صارت لدى أهل البصيرة دليلاً على السلطنة الحقيقيّة الإلهيّة وصارت في العالم سبباً في إثبات كلمة الله وقوّة دين الله ورسوخه وإتّضح وتجلّى المعنى الإلهي المقصود بغلبة أمر الله. وقد أجاب جناب الشيخ في رسالته الأولى في عبارته الّتي نقلنا نصّها إنّ القتلَ ليس دليل الحقيّة وإنّ فداء المال والروح والصبر والإستقامة في البلايا ليست برهاناً على صدق الادّعاء لأنّ جماعة كثيرة من أتباع معاوية ويزيد قد قُتلوا أيضاً كما أنّ الوثنيّين وأصحاب المذاهب الباطلة يبذلون في سبيل مقاصدهم المال والروح ولا يبخلون بكلّ تضحية في هذا السبيل ولهذا لا يمكن القول بأنّ هذه الأشياء دليل الحقيّة بل يستلزم إثبات الحقيّة دليلاً ظاهراً وبرهاناً قاهراً. ولو أنّ مقصود جناب الشيخ هو في غاية الوضوح وهو يريد دفع دليل شهادة النقطة الأولى ومظلوميّته عن حقيّة حضرته ولكنّه غفل عن أنّ هذه النقطة تنتهي بنفي دلالة شهادة سيّد الشهداء على حقيّة حضرته وستكون هذه النقطة ردّاً صريحاً على جميع علماء المسلمين الّذين إعتبروا شهادة حضرته أدلّ الدلائل على حقيّته. لأنّ جميع المحقّقين من علماء أهل التسنّن والتشيّع قد إتّفقوا على لّنّ الخلفاء الألأمويّين قد أدخلوا في قلوب المسلمين بغض أهل البيت الّذين هم مرجع ومآب المسلمين بحكم الحديث الصحيح المتّفق عليه بين الطرفين: "إنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي". وقد جعلوا سبّ أئمّة الهدى ولعنهم سنّة مؤكّدة إعتياديّة وظنّوا لّهّمّ بهذا يحرمون الأمّة نهائيّاً عن مرجعها الحقيقي فتُشيح بوجهها عن مبيّن الكتاب الإلهي وتغوص في الشرك والجهل والضلالة لكنّ شهادة سيّد الشهداء سبّبت إنتباه الأمّة ويقظتها وأثبتت ضلالة الأمويّين وحقيّة العترة الطاهرة وآوت الحقيقة الإسلاميّة إلى كهف الحفظ والحراسة من يوم شهادة حضرته إلى يوم القيامة. وحيث أنّ جناب الشيخ وشبهته (في أنّ القتل وفداء الروح لن تكون دليل الحقيّة) إنتقاد ينافي على خط مستقيم هذا الأساس المكين وينكر بصورة صريحة دلالة الشهادة على حقيّة الشهيد لهذا قام جناب المناظر البهائي ونبّه الشيخ بكلّ أدب إلى هذه النقطة قائلاً "من العجيب أن يعتبر جناب الشيخ شهادة الشهداء في مصاف قتل الأشقياء ولا يعرف من فداء المال

---

[122] الصافات: 173

والروح دليل حقيّة وبطلان أيّ الطرفين من أصحاب سيّد الشهداء واتباع يزيد". وفي الحقيقة إنّ الشيخ قد إعتبر الدليل المقبول لدى كافّة المحقّقين من العلماء مردوداً. ولما شاهد الشيخ هذا الإنتقاد قام السداد والإستحكام وما وجد نفسه قادرا على ردّ هذا الاعتراض لهذا فقد لجأ إلى المغالطة وتشبّث بحبل الخشونة وبذئ القول سلاح الجهلاء والمغالطة سبيل فرار العاجزين عن إقامة الدليل والبرهان. وإنّ هذا العبد يذكر عبارتيهما ويترك الحكم عليهما بعد الجواب إلى أرباب الألباب. فقد كتب جناب المناظر البهائي: "لقد ذُكر في الإيقان فداء حضرة سيّد الشهداء ماله وروحه وعياله في سبيل الله وأنّ حضرته كان من الجند الإلهي. فالآن جاء جناب الشيخ وكتب هذا الإنتقاد على ما جاء في الإيقان وهذا يعني أنّ تضحية حضرته روحه وأرواح أصحابه لا يمكن أن نقول أنها في سبيل الله ودليل على الحقيّة". ثم ذكر معاوية ويزيد وأتباعهما بأنّهم أيضاً قد ضحّوا في سبيل حقيّتهم.

وكتب جناب الشيخ: "أترون مبلغ الإفك والإحتيال والخداع الّذي تجرّأ به؟ وسوف أسمّيه فيما بعد دائماً باسم "المناظر المخادع" لأنّ عبارات رسالتي موجودة وقد شاهدها أولو المعرفة وعرفوا في مقابل أيّ شيئ كان إعتراضي لكنّنّ المناظر المخادع حرّف كلامي بطريق الإحتيال إلى ناحية أخرى كأنني قلت أنّ إعتراضي هو على فداء حضرة سيّد الشهداء روحه وماله في كربلاء وكأنني لم أعرف التفاوت بين أتباع حضرته وأتباع يزيد. ويريد بهذا الإحتيال والخداع أن يجعل نفسه من أنصار المذهب الشيعي ويجعلني مخالفاً لهم ومنتقداً إيّياهم. سبحان الله إنّنّه لا يخجل أبدا حين ينكر في سبيل عقيدته السخيفة ضروريّات الدين الإسلامي الّتي إتّفق عليها كلّ أهل الإيمان ويغيّرّيّرها مثل خاتميّة حضرة الرسول وصوم شهر رمضان والحجّ وغيرها وبعد ذلك يتظاهر بالإسلام وبمناصرة المذهب الشيعي وهذا القول والسلوك هو في الحقيقة من صفات المنافقين: "بَشِّرْ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً"[123] "مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا"[124] وكذلك يذكر خلال كتابته إسم حضرة الرسول والأئمّة الطاهرين بالإحترام بينما يريد في الباطن هدم دينهم ومذهبهم من أساسه "يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"[125] إنتهى.

نعم يا شيخ إنّ كلّ إنسان يفهم أنك كتبت إعتراضك مقابل البابيّة وكان مقصودك أنّ شهادة حضرة الباب الأعظم وإنفاق أصحابه أرواحهم وأموالهم ليست دليلاً على حقيّته ولكنّك غفلت عن

[123] النساء: 138
[124] النساء: 143
[125] التوبة: 31

أنّ كلامك ينطبق كذلك على دلالة شهادة سيّد الشهداء وأصحابه على حقيّتهم بل إنّ كلامك اعتراض على القرآن المجيد كما سبق ان عرضنا في بداية هذه المناظرة. فلو ينظر منصف في الآية الكريمة: "قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "[126] ليرى بكلّ وضوح أنّ إعتراضك الّذي إعترضت به على الإيقان ينطبق بعينه على القرآن المجيد. وأسباب نزول هذه الآية الكريمة هو أنّ اليهود في زمان خاتم الأنبياء لما إفتخروا على أصحابه قائلين إنّنا شعب مقدّس إختصنا الله بشريعة كاملة وأولانا نعمته الإلهيّة لذا نزل الأمر لرسول الله من الله جلّ جلاله أنْ قُلْ لليهود تبكيتاً لهم وإثباتاً لبطلان دعواهم إنّكم لو ظننتم أنفسكم أولياء لله من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين. فيتّضح من هذا أنّ مقصوده تعالى هو أنّ ميزان معرفة أولياء الله من غير أوليائه هو تفضيلهم الموت في سبيل الله على البقاء بدون إيمان كما ظهر من أولياء الله أيام الظهورات الكلّية مثل ظهور موسى وظهور عيسى عليهما السلام.
والآن نسأل أهل الإنصاف هذا السؤال: أليس ما كتبه جناب الشيخ "بأنّ فداء الروح والمال ليس بدليل" يؤلّف إعتراضاً على هذه الآية الكريمة أم لا؟ نعم إنّ مقصود جناب الشيخ هو الاعتراض على كتاب الإيقان الشريف ولكن لسوء الحظّ إنطبق إعتراضه على حضرة سيّد الشهداء وعلى القرآن وعلى الإنجيل لأننا عرضنا من قبل أنّ المحقّقين من علماء الإسلام إعتبروا شهادة حضرة سيّد الشهداء ومظلوميّته تثبت حقيّة حضرته وبطلان يزيد والأمويّين. ولاحظتم كذلك في القرآن المجيد أنّ الله قد قرّر تمنّي الموت فارقاً بين الحقّ والباطل. وكذلك رأيتم في الإنجيل الشريف أنّ عيسى عليه السلام قرّر أنّ الحبس والإضطهاد والمظلوميّة شاهدٌ على حقيّة أصحابه. وبناءً على هذا فقد إتّضح كالشمس في رابعة لنهار أنّ الحقّ مع مناظر جناب الشيخ في أنّ جنابه إعتبر شهادة سيّد الشهداء وأصحابه في مصاف مقتل أتباع يزيد ومعاوية وليس فيهما دليل على الحقيّة. ولهذا عرضتُ سابقاً أنّ المعارضين لهذا الظهور الأعظم لم يرموا قنبلة من مدافع الدفاع إلاّ وهدمت أوّلاً ركناً من أركان الإسلام ولم يصوّبوا سهماً من قوس الاعتراض إلاّ وأصاب قبل الهدف صدور أئمّة الهدى الطاهرين وهذه المسألة واضحة تماماً ولا تقبل بأيّ وجه من الوجوه المغالطة والخشونة وبذئ الاقوال. وأعرض في الحقيقة أنّ هذا العبد لا يقصد الدفاع عن المناظر البهائي أو إلتزام جانبه لأنّ جناب المناظر من أصحاب الأعمال والتجارة لا من أهل العلم وأرباب القلم ومن الممكن أن يوضح موضوعاً بأسلوب مختصر ويفسح بذلك مجال المغالطة لجناب الشيخ فيتصوّر نفسه غالباً ولكن هيهات أن يبقى الحقّ مستوراً ويَغلب الباطل ببذئ القول وخشن الكلام. ولهذا أسأل أهل الإنصاف: هل يمكن تسمية

---

[126] الجمعة: 6

مثل هذا المناظر مخادعاً بعد أن أوضح بكلّ لطف وملاحة سخف اعتراض جناب الشيخ؟ وهل يجوز أن يقال للشخص البهائي الّذي إعترف بدينه بكلّ استقامة وثبات مذبذباً؟ وقد كتب جناب الشيخ رسالته بأسلوب خاص بحيث لا يُعرف منها أهو من أهل التسنّن أم من أهل التشيّع حتى إذا ما أُفحم من جانبٍ إنهزم إلى الجانب الآخر حتى أضطرّ مناظره إلى أن يسأله: "على أيّ طريق مستقيم أنتم؟". ومع هذا لم ير من مصلحته أن يكتب وينفي عن نفسه هذا التذبذب الظاهر وقد غفل عن أنّ حجّة هذا الأمر قائمة على جميع الفرق وأنّ برهان الظهور الجديد غالب على الملل الغابرة.

24 في بيان أنّ جناب الشيخ إعتبر البابية عدوّة للإسلام ومنكرة للضروريّات في حين أنّ أعداء الأسلام هم علماء الأمّة كما ورد ذلك في الأحاديث:

وأمّا ما كتبه جناب الشيخ في "إن أهل البهاء منكرون للضروريّات الدينيّة مثل خاتميّة رسول الله وخاتم النبيّين وصوم شهر رمضان والحجّ وغيرها" فحيث أنّ الإجابة على هذه المسألة ستأتي بصورة مفصّلة حين الإجابة على شبهاته وحيث أنّنا سوف نثبت بعون الله بصريح آيات القرآن وبالأحاديث الصحيحة أنّ القائم الموعود يظهر بشريعة جديدة وكتاب جديد وعدل سماوي وإنّ التمسّك بالضروريّات سيكون سبباً في إعراض متكبّري هذه الأمّة عن القائم الموعود كما كان سبباً في إعراض اليهود عن عيسى عليه السلام وعن رسول الله عليه السلام لهذا فإنّنا سنصرف النظر عن شرح هذه المسألة ونشرع الآن في الإجابة على ما كتبه جناب الشيخ في "أنّ أهل البهاء يذكرون رسول الله والأئمّة الطاهرين بكلّ إحترام في الظاهر ولكنّهم في الباطن يريدون هدم دينهم ومذهبهم من أساسه" فنقول: من العجيب أنّ جناب الشيخ لم ينتبه حتى الآن إلى أنّه سوف لا يبقى من الإسلام إلاّ إسمه بحكم الحديث الصحيح المقبول عند الطرفين: "سَيَأْتِي زَمَانٌ عَلَى أُمَّتِي لا يَبْقى مِنَ الإِسْلامِ إلاّ إِسْمُهُ وَلا مِنَ القُرْآنُ إلاّ رَسْمُهُ". وقد مضى زمن طويل لم يبق فيه من الدين الإسلامي المقدّس ومن البنيان الرفيع الّذي بناه سيّد الأنام غير شعائر مندرسة وأعلام منكّسة ومعارف مطموسة وأحكام مقلوبة وأطراف منهوبة وقوّاة مغلوبة حتى يأتي البابيّون فيهدمونه من أساسه ويخرّبونه. فمن ذا الّذي يخرّب الخرائب؟ ومن ذا الّذي يسلب رداءً من العاري؟

يا أولي الأبصار المنيرة! يا أصحاب القلوب المدركة! أنظروا إلى خمسمائة حديث رُويت عن طريق أهل التسنّن وأهل التشيّع وفيها بيّن رسول الله وخاتم الأنبياء وأئمّة الهدى بصورة صريحة علامات آخر الزمان. وإنّ جميع أحوال الأمّة الإسلاميّة وكلّ ما ترونه اليوم بأعينكم من ضعف المسلمين ومغلوبيّتهم وتفرّق مذاهبهم وتشتّت قلوبهم كلّه مبيّن في هذه الأحاديث. وقد صُرّح في أكثر هذه الأحاديث بأنّ سبب ضعف الإسلام وإضطراب أحوالهم هم العلماء والفقهاء والرؤساء الّذين ينحرفون عن سبيل التقوى ويكون همّهم طلب الرئاسة وإكتساب المناصب الدنيويّة وعدم الإجتناب عن الشهوات الدنيئة والتقرّب من الظالمين. فقد ذكر في الحديث الّذي ذكرنا لكم أوّله: "فُقَهَاءُ ذَلِكَ الزَّمَانِ أشَرُّ الفُقَهَاءِ تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ مِنْهُمْ خَرَجَتِ الفِتْنَةُ وَإِلَيْهِمْ تَعُودُ ".

ومن الأحاديث الّتي تليق بالمسلمين أن يفكّروا فيها قليلاً هذا الحديث الشريف الّذي رواه المجلسي عليه الرحمة في باب العلامات من مجلّد الغيبة من بحار الأنوار: عن جابر بن عبدالله الألأ نصاري قال حججت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حجّة الوداع فلمّا قضى النبيّ عليه السلام ما إفترض عليه من الحجّ جّ أتى مودّعاً الكعبة فلزم حلقة الباب ونادى برفع صوته: "أَيُّهَا النَّاسْ " فإجتمع أهل المسجد وأهل السوق فقال: "إسْمَعُوا فَإِنِّي قَائِلُ مَا هُوَ بَعْدِي كَائِنُ فَلْيُبَلِّغْ شَاهِدُكُمْ غَائِبَكُمْ". ثم بكى رسول الله حتى بكى لبكائه الناس فلمّا سكت من بكائه قال: "إعْلَمُوا رَحِمَكُمْ الله إنَّ مَثَلُكُمْ في هَذَا اليَوْمِ كَمَثَلِ وَرَقٍ لا شَوْكَ فِيهِ إلى أرْبَعِينَ وَمَاءَةَ سَنَةٍ. ثُمَّ يَأتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ شَوْكٌ وَوَرَقٌ إلى مَائَتَيْ سَنَةٍ ثُمّ يَأتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ شَوْكٌ لا وَرَقَ فِيهِ حَتّى لا يُرى فِيهِ إلاّ سُلْطَانٌ جَائِرٌ أوْ غَنِيٌّ بَخِيلٌ أوْ عَالِمٌ رَاغِبٌ في الْمَالِ أوْ فَقِيرٌ كَذَّابٌ أوْ شَيْخٌ فَاجِرٌ أوْ صَبِيٌّ وَقِحٌ أوْ إمْرَأَةٌ رَعْنَاءْ" ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقام إليه سلمان الفارسي وقال يا رسول الله أخبرنا متى يكون ذلك فقال: "يَا سَلْمَانْ إذَا قَلَّتْ عُلَمَاؤُكُمْ وَذَهَبَتْ قُرَّائُكُمْ وَقَطَعْتُمْ زَكَاتَكُمْ وَأظْهَرْتُمْ مُنْكَرَاتَكُمْ وَعَلَتْ أصْوَاتُكُمْ في مَسَاجِدِكُمْ وَجَعَلْتُمْ الدُنْيَا فَوْقَ رُؤوسِكُمْ وَالعِلْمَ تَحْتَ أقْدَامِكُمْ وَالكَذِبَ حَدِيثُكُمْ وَالغَيْبَةَ فَاكِهَتُكُمْ وَالْحَرَامَ غَنِيمَتُكُمْ وَلا يَرْحَمُ كَبِيرُكُمْ صَغِيرَكُمْ وَلا يُوَقِّرُ صَغِيرُكُمْ كَبِيرَكُمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنْزِلُ اللَعْنَةُ عَلَيْكُمْ وَيُجْعَلُ بَأسُكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَقِيَ الدِّينُ بَيْنَكُمْ لَفْظاً بِألْسِنَتِكُمْ فَإذَا أُوتِيتُمْ هَذِهِ الخِصَالَ تَوَقَّعُوا الرِيحَ الحَمْرَاءَ أوْ مَسْخاً أوَ قَذْفاً بِالْحِجَارَةِ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ في كِتَابِ اللهِ: "قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيات لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ"[127] ".

---

[127] الأنعام: 65

وكتب الشيخ حسن العدوي الحمزاوي من علماء أهل السنّة والجماعة في كتابه (مشارق الأنوار) في أشراط الساعة الصغرى أي قيام المهدي: "ومنها رفع الأسافل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "لا تَتَقُقُومَمَالسَّ سَّاعَعَةُةُ حَحَتّيَتّيَى يَ يَكُكُونَنَ لَمْسْعَعَدُدُ النَّلسِ بِالدُّنْيَا لُكَعَ بنْ لُكَعٍ وَوَمَمَا مِمنْنْ عَعَالِمٍ لِمٍ لِمٍ إلاّ وَوَالّذي بَبَعْعْدَدَهُهُ شَرِشَرٌّ مِمِنْنْهُهُ حَحَتّيَتّيَى تُلْقُ قُوا رَرَبَّكُكُمْمْ " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "إذا فَفَعَعَلَلَتْ أمَّتّيِي خَمْ خَمْخَمْسَ سَةَ عَعَشَشَرَرَ حَحَلَّ بِهِبِهِمِ ا البَلاءُ " قيل وما هي يا رسول الله؟ قال: "إذا كانَنَ الْمَمَغْنَنَمُمُ دُوَلاً وَوَالأمَانَنَةُةُ مَمَغْنَنَماً وَوَ لزَّ
زَّ
كَكَ اةُةُ مَغْرَماً وَوَأطَاعَ عَ الرَّجُجُلُلُ زَزَوْجَجَتَتَهُهُ وَوَعَقَ قَّ أُمَّهُ وَوَجَجَفَفَا أبَبَاهُهُ وَوَ ارْتَتَفَفَعَعَتِتِ الأصْوَاتُ تُ فِي الْمَمَسَاجِجِدِدِ وَكَانَنَ زَعِيمُمُ الْقَقَوْمِمِ أرْذَلَهُهُمْمْ أُكْرِمَ الرَّجُجُلُ مَخَخَافَةَ شَرِّهِ وَوَشُرِرِبَتِتِ الْخُخُمُمُورُرُ وَوَلُبِسَ الْحَرِيرُرُ وَاتُّخِخِذَتِ تِ الْقَقَيْنَاتُ وَوَالْمَمَعَعَازِفُ ولَعَنَ آخِخِرُ هَهَذِهِ الأمَّةِ أوَّلَهَا فَلْيَيَرْتَتَقِقِبُوا عِعِنْنَدَ ذَذَلِلِكَ رِرِيحاً حَمْحَمْرَاءَ أوْوْ مَمَسْخاً أوْوْ خسفاً" وفي الحديث "وتُعلّم العِلْمُمُ لِغَيْرِيْرِ الدِّينِ وَوَسَادَدَ فَاسِقُقُهُمْمْ وَكَانَنَ زَعِيمُمُ الْقَقَوْمِمِ أرْذَلَهُهُمْمْ " وفي الحديث إنَّ اللّه لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ إنْتِزَاعاً وَوَلَكِكِنْ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ حَحَتّيَتّيَى إذا لَمْ لَمْ لَمْ يَبْقَ عَعَالِمٌ لِمٌ اتَّخَخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَّالاً فَأفْتُتُوا بِغَيْرِيْرِ عِلْمٍ فَضَلّوا وَأضَلّوا".

وخلاصة القول لو إنّ هذا العبد يريد أن يذكر الأحاديث الّتي أدّت إلى ضلال الأمّة وضعف الملّة وشرور أصحاب الرئاسة فإنّه يجب أن يشتغل بتأليف كتاب ضخم ولكنّ أهل البصيرة يستطيعون أن يدركوا ممّا ذكرناه مَنْ هو عدوّ المسلمين وما هو سبب ضعف الدين. ولو ينظر الإنسان الفاحص بنظر دقيق ليرى بوضوح أنّ مَثل هؤلاء الّذين يدّعون محبّة الإسلام وخاتم النبيّين كمثل اليهود في أدّعائهم محبّة شريعة التوراة وموسى عليه السلام. نعم إنّ مما لا شكّ فيه أنّ اليهود قد رسّخوا في قلوبهم حبّ موسى عليه السلام وشريعة التوراة واعتبروا عدم جواز نسخ أحكام التوراة أم تغييرها من ضروريّاتهم الدينيّة مثل حفظ السبت والذبيحة وحجّ البيت المقدس والصوم والأعياد المخصوصة وتراهم حتى يومنا هذا يتحمّلون جميع الشدائد والآلام من أجل حفظ هذه الشريعة ولكن تُرى هل أنّ هذا الحبّ مقبول عند الله بقدر ذرّة أو يعتبره حبّاً حقيقيّاً؟ أم إنّ حبّ موسى

عليه السلام بصورة صحيحة كان يملكه أتباع عيسى الّذين رضوا بتغيير الأحكام الفرعيّة ولكنّهم رسّخوا حبّ موسى عليه السلام في قلوب جميع أهالي أوروبّا؟ إذ من الواضح أنّ جميع أهالي أوروبّا كانوا وثنيّين قبل ظهور عيسى عليه السلام ولم يكن لهم إيمان بحقيّة نبوّة موسى عليه السلام ولكنّهم بعد إنتصار الديانة النصرانيّة على أوروبّا صدّقوا عيسى عليه السلام وإعترفوا كذلك بحقيّة نبوّة موسى وأتّخذوا التوراة كتاباً من الله واعتبروا حبّ موسى عليه السلام وسيلة للتقرّب إلى الله. وهكذا اليوم حال مدّعي محبّة الإسلام وحال أهل البهاء. ومهما كان الشخص فاقداً للبصيرة ولا يستطيع فهم فوائد كتاب الإيقان الشريف وهو مفتاح معضلات الكتب السماويّة ومبيّن غوامض الآيات الإلهيّة فإنه يستطيع أن يفهم أنّ تلاوة نفس هذا الكتاب جعلت الكثيرين من الزردشتيّين الّذين ما كانوا يعتقدون بموسى وعيسى ومحمّد عليهم السلام يؤمنون بهم ودخلوا جنّة الإيمان وهكذا جماعة كثيرة من اليهود الّذين إمتزجت كراهيّة عيسى ومحمّد عليهم السلام بقلوبهم وأرواحهم قد تبدّلت اليوم كراهيتهم بالمحبّة وكفرهم بالهداية بقوّة بيان كتاب الإيقان وصاروا يهتفون كالطيور المغردة بدلائل وبراهين حقيّة عيسى عليه السلام وخاتم النبيّين وأئمّة الهدى عليهم السلام **[وذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء]**.

وخلاصة القول فقد إتّضح ممّا عرضناه جوابنا على جميع انتقادات جناب الشيخ على الأمر المبارك وحضرة الباب الأعظم وإنكشفت كيفيّة تشريع الأديان وإنشقاق المذاهب وحدوث الإختلافات الّتي هي من المسائل المهمّة العلميّة والتاريخية. وقد ثبت أنّ أصول الأديان والشرائع جميعها كانت من عند الله وأنّ المذاهب الوثنيّة هي بِدَعٌ باطلة لا زالت تدخل الأديان الإلهيّة سواء أكانت هذه الوثنيّة وعبادة الأصنام قبل نوح عليه السلام أو بعد نوح من فلاسفة اليونان والرومان أو من فضلاء إيران وتركستان. وكذلك إتّضح بعض مغالطات جناب الشيخ على مناظره. ولو يذكر هذا العبد في هذه الرسالة جميع مغالطات جناب الشيخ على مناظره فإنّ هذه الرسالة تصبح بقول المثنوي "سبعون منّاً" ولكنّ واحدة منها ذكرناها على سبيل المثال كانت كافية للدلالة على المغالطات الأخرى. إذ عندما لم يكن جناب المناظر من أهل التأليف والتحرير فقد أوجز مقاصده في بيان مجمل فإنتهز جناب الشيخ الفرصة وإعتبر المجال فسيحاً وكان ذلك إحدى أدلّة جهله. وحيث أنّ مقصودي ليس التحكيم بين المناظرين بل مقصودي دفع انتقادات وشبهات جناب الشيخ على كتاب الإيقان الشريف ونظراً لعدم وجود الفرصة الكافية للشرح والتطويل فإنّني الآن أصرف النظر عن الإجابة على بقيّة شبهاته على كتاب الإيقان الشريف وسوف أعود بعون الله في

فرصة أخرى أو عند طبع هذا الكتاب فأعرض بقيّة أغلاط جناب الشيخ وأجعلها ملحقاً وحاشية على أصل الكتاب.

****

في الجواب على الشبهة الثانية من شبهات شيخ الإسلام.

1. في بيان الشبهة الثانية الّتي قال الشيخ فيها بأنّ ادّعاء الجمال الأقدس الأبهي لو كان النبوّة فإنّ هذا يخالف إجماع المسلمين:

كتب جناب الشيخ في رسالته الأولى أيضاً: "والآن لنأت إلى ادّعاء جناب البهاء فلو فرضنا أنّ مقام جنابه وادّعاءه هو النبوّة فلا شكّ أنّ هذا يخالف جميع الأمّة الإسلاميّة لأنّ النبوّة في عقيدة جميع الأمّة الإسلاميّة قد خُتمت وهذا يعني أنّه سوف لن ينزل من الله دين ينسخ هذا الدين. نعم ولو أنّ صاحب كتاب الإيقان بموجب عدّة تأويلات يجمع الأوّليّة والآخريّة في وجود كلّ واحد من المظاهر القدسيّة لأنّها تجلّي الصفات الإلهيّة كما يقول في هذه العبارة: "لو أنّ جميع الأنبياء ينادون أنا خاتم النبيّين فإنّ هذا حقّ لأنّهم جميعاً في حكم ذاتٍ واحدة وروحٍ واحدةٍ وأمرٍ واحدٍ وجميعهم مظهر البدئيّة والختميّة والأوّليّة والآخريّة والباطنيّة لتلكم الروح الحقيقيّة روح الأرواح" فنحن أوّلاً لا نعترف أبداً بأنّ شخصاً يكون مظهر الصفات الأوّليّة والآخريّة للذات الأقدس لأنّ هذه الصفة تدلّ على الصفة الأزليّة والأبديّة لله تعالى وهذا يختصّ بذات واحد وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن ولا يستلزم لصدق المظهريّة أن تجتمع جميع الصفات الإلهيّة في وجود المظهر وتتجلّى وتظهر فيه وثانياً لنفرض أنّهم جميعهم مظهر كلّ صفات الله فلا شكّ أنّ هذه المظهريّة ستنتهي في نقطة واحدة وهذا يعني أنّه سوف يظهر نبيّ واحد يكون دينه آخر الأديان وكتابه آخر كتب الأوّلين. ولنفرض أنّ شخصاً يظهر بهذه الصفة ويستقرّ دينه وشريعته ولكن يخرج بعد مدّة شخص آخر يدّعي المظهريّة وإدّعاؤه باطل محض ولكنّه يتشبّث بأمثال هذه الأدلّة ويقول "أيها الناس لا يشتبه عليكم الأمر في أنّ النبيّ السابق سمّى نفسه خاتم الرسل فإنّ كلّ واحد منا مظهر البدئيّة والختميّة والأوّليّة والآخريّة لأننا جميعاً في حكم ذات واحدة وروح واحدة وجسدٍ واحدٍ وأمرٍ واحدٍ" ففي هذه الحال

يستوجب أن نسلّم بكلامه ونصدّق ادّعاء شخصٍ كاذبٍ باطلٍ [**فالدليل الّذي يفضي إلى تصديق الكاذب لا يصلح أن يكون دليلاً**].

2. الجواب على شبهة جناب الشيخ السالفة وإثبات أنّ ادّعاء الجمال الأقدس الأبهي ليس إدعاء نبوّة بل ادّعاء ظهور الموعود في القرآن وسائر الكتب المقدّسة:

لقد عرضنا سابقاً أنّ الله تبارك وتعالى قد وعد في جميع الكتب السماويّة وخاصةًّ في القرآن المجيد وصرّح أنّ ندائين سيرتفعان في آخر الزمان وسوف يقوم بأمر الله وجودان مباركان وفي الأحاديث الصحيحة المبيّنة للقرآن قد عُبِّرَ عن ظهور الأوّل على اختلاف المصطلحات بين أحاديث أهل السنّة والشيعة بظهور المهدي أو القائم وعُبِّرَ عن الظهور الثاني بقيام روح الله أو الظهور الحسيني. فيُفهم من هذا بكلّ صراحة أنّ عقيدة أهل البهاء هي أنّ ظهور حضرة بهاء الله جلّ ذكره وعزّ إسمه هو الظهور الثاني الموعود في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة. ولهذا فإنّ ما ظنّه جناب الشيخ في أنّ ادّعاء ه قد يكون ادّعاء نبوّة فهو ظنّ وخيال من جناب الشيخ. وكلّ من عاشر أهل البهاء أو إطّلع على كتب هؤلاء القوم يعرف بأنّ ادّعاء النبوّة لم يذكر في الألواح المقدّسة ولا أُطلقت كلمة النبيّ على ذلك الوجود الأقدس من لسان أحدٍ من أهل البهاء. والسبب في ذلك هو ما عرضناه سابقاً في أنّ الألقاب الخاصّة بمظاهر أمر الله هي الّتي يطلقونها هم بأنفسهم على أنفسهم لا ما ظنّته الأمم بحقّهم ولا ما وضعته مصطلحاتها الوهميّة بحقّهم أمثال (كلمة الله وروح الله) في ظهور عيسى عليه السلام و (الباب الأعظم والنقطة الأولى) و (بهاء الله والجمال الأبهي) في هذا الظهور الأقدس الأعلى.

3. في بيان بطلان الإجماع الّذي إدّعاه الشيخ وفي إثبات أن هذا الإجماع كان دائماً سبب إضطهاد مظاهر أمر الله:

كتب جناب الشيخ: "لو فرضنا أنّ مقام جنابه وادّعائه هو النبوّة فلا شكّ إنّ هذا يخالف جميع الأمّة الإسلاميّة لأن النبوّة في عقيدة جميع الأمّة الإسلاميّة قد خُتمت وهذا يعني أنّه سوف لن ينزل من الله دين ينسخ هذا الدين". مرحىً مرحىً لهذا الاستدلال ! وهل يُتصوّر عجزٌ وضعفٌ فوق هذا؟ بأنّ رجلاً عالماً في الإسلام ويدّعى مقام شيخ الإسلام لا يستطيع في إثبات عقيدته الأصليّة

أن يستدلّ بدليل من الأدلّة العقليّة أو بأيّة آيةٍ من آيات القرآن أو بحديث من الأحاديث الصحيحة بل يستدلّ بالإجماع الّذي لا يُعتبر في هذه المقامات أبداً دليلاً ولا يُقبل لدى المتناظرين.

يا أولي البصائر المنيرة والآذان الواعية! ألمْ يتمسّك اليهود في زمان ظهور عيسى عليه السلام بنفس هذا الإجماع في الردّ على حضرته؟ وألم يتمسّك المجوس في الردّ على المشرّعين العظام موسى وعيسى ومحمّد عليهم الصّلاة بنفس هذا الإجماع؟ وألم يعتبر النصارى دينهم آخر الأديان وشريعتهم آخر الشرائع وكتابهم آخر الكتب، وبالإستناد إلى نفس هذا الإطمئنان حكموا بأنّ الرسول الكريم مخالف للضّروريات الدينيّة ومخالف لإجماع الأمّة النصرانيّة بل مخالف لصريح الإنجيل المقدّس؟ وهل يليق بالعاقل بعد أن رأى الأمم العظيمة والملل الكبيرة تتمسّك بهذا الحبل الضعيف وتنزل به في بئر الضلالة أن يتمسّك بهذا الدليل الباطل ويغفل عن بشارات الكتاب الكريم والنبيّ العظيم ويلحق بالأمم الهالكة فوق طريق الآراء والظنون المهلكة؟

نعم لا شكّ إنّ هذا الوباء الديني العام: "إنَّ ديننا لن يتبدّل أبداً وإنّ شريعتنا لن تنسخ أبداً" قد أحاط بجميع المذاهب وإنّ هذا السبات العميق والكابوس الثقيل قد شمل كافّة الأمم والقبائل ولكنّ الآية الكريمة: "أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوى أنْفُسَكُمْ إسْتَكْبَرْتُمْ"[128] تُعلِّم العاقل البصير بأنّ ظهور مظاهر أمر الله لا يأتي مطابقاً لأهواء الأمم ورغباتها. وتكفي الطالب كلمات بطرس الرسول: "لَمْ تَأتِ نُبُوَّةٌ قطُّ بِمَشِيئَةِ إنْسَانٍ". فيُفهم من هذا أنّه لم تظهر أبداً أيّة نبوّة طبقاً لإرادة أحد أو ميوله. وحيث إتّضح إنّ ادّعاء الجمال الأقدس الأبهي هو ادّعاء ظهور الموعود لا ادّعاء النبوّة أو الوصاية أو النيابة فيمكن التوصل بصراحة الدليل العقلي إلى أنّ مظهر أمر الله ... ليس مجبوراً على إجراء الشريعة السابقة لأنّ هذا المقام مقام الشارعيّة وإنّ رتبة الشارعيّة رتبة السلطنة الإلهيّة المطلقة لا يُعقل تقييدها. وحيث أنّ مقتضيات القرون والأجيال تغاير وتتفاوت حسب ناموس التقدّم والإرتقاء أو التأخّر والإنحطاط الّذي هو من مقتضيات الحركة الجوهريّة الطبيعيّة للعالم فلا شكّ أنّ مظهر أمر الله والقائم بإذن الله يشرّع الشرائع ويضع السنن والقواعد حسب مقتضيات الوقت لا حسب ما كان يلائم الأزمنة السابقة أو حسب ما يوافق ميول وأهواء عبيد الهوى. وحيث أنّ إدراك هذه الدقائق خارج عن قدرة الأبصار المكفوفة وأنّ فهم الحقائق فوق طاقة أصحاب الأحلام الضعيفة فليس لعلماء الوقت سعة النظر وقوّة الطيران في فضاء المعارف فوق هذه الرتبة الّتي فيها يستطيعون إستنباط شؤون صاحب الأمر من الأحاديث الماضية وإدراك الإرادات الإلهيّة اللاحقة من البشارات السابقة.

[128] البقرة: 87

4. في بيان الآيات الدالّة على أنّ مقام القائم الموعود هو مقام الربوبيّة وأنّه سيظهر بشريعة جديدة:

لهذا وبكمال الأدب وغاية الإحترام أعرض في خدمة جناب شيخ الإسلام فأقول يا سيّدي الشيخ نحن وأنتم لم نجلب خبر ظهور الموعود من بيت آبائنا وأجدادنا ولم نلتفت إلى ضرورة تجدّد العالم ولزوم الظهور المحمود بفضل عقولنا بل إنّ الله ورسوله أخبرنا بذلك وأخذ عهد ذلك في الكتاب الكريم وفي الأحاديث الصحيحة. ولهذا فمن الأحسن الآن أن نرجع إلى القرآن الكريم وإلى الأحاديث الصحيحة ونجعل حكم الله ورسوله أحسن فاصل بين الحقّ والباطل في هذه المسألة الّتي هي نقطة الخلاف فيما بيننا وبينكم وهي أنّ ظهور الموعود ظهور نيابة وإمامة وخلافة أم ظهور ربوبيّة وشارعيّة وإصالة فننظر إلى القرآن الموصوف بأنّه يحتوي "تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ"[129] وننظر في الأحاديث المبيِّنة للقرآن لنرى هل أنّ ظهور القائم الموعود وقيام روح الله هو من قبيل ظهور أحد أئمّة الهدى الطاهرين والخلفاء الراشدين الّذين روّجوا الشريعة النبويّة ولم تكن لهم القدرة على تشريع شرع جديد أم إنّه من قبيل ظهور الرسول الأكرم وعيسى وموسى عليهم السلام الّذين كانوا أصحاب قدرة مطلقة وسلطنة إلهيّة وكانت لهم القدرة على تشريع شرع جديد وإيجاد أمرٍ جديد؟

أمّا آيات القرآن المجيد فإنّها أكثر من أن تُحصر في هذا المختصر أو تُفسَّر لأنّه من الواضح لدى كلّ بصير عالم بالكتاب أنّ ثلث القرآن على الأقل قد نزل في ذكر ورود هذا اليوم العظيم وفي آثار وعلائم هذا الظهور الكريم. لذا فإننا نكتفي بتلاوة بضع آيات ونحيل القارئ للإطّلاع على الآيات الباقية إلى الألواح المقدّسة وإلى كتب الاستدلال الّتي ألّفها أهل البهاء.

فمنها في سورة البقرة قوله تعالى: "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ "[130]، وهذه الآية المباركة تطابق تماماً ما ورد في الإنجيل المقدّس من أنّ عيسى عليه السلام تفضّل بأنّه سوف ينزل على سحاب السماء وسيرسل ملائكته إلى أقطار الأرض بصوت صافور عالٍ. وخلاصة القول فإنّ في هذه الآية الكريمة إخبار بظهور الموعود بعد الرسول الكريم لا كما توهّمه أهل الظنون وفسّروه بأهوائهم.

[129] النحل: **89**

[130] البقرة: **210**

ومنها في سورة النبأ قوله تعالى: "يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا "[131]، وهذه الآية الكريمة مثل الآية السابقة تنبئ كذلك بورود يوم الله ويوم الربّ الّذي فيه يقوم روح الله عيسى عليه السلام بالأمر الإلهي وتقوم نفوس مقدّسة على إعلاء أمره ولا تتكلّم بغير ما أذن الله.

ومنها في سورة ق قوله تعالى: "وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ"[132].

ومنها قوله تعالى: "أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ"[133].

ومنها قوله تعالى: "وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا"[134]

ومنها قوله تعالى: "يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"[135]

وخلاصة القول فإنّ هناك كثير من أمثال هذه الآيات الكريمة في القرآن المجيد وفي جميعها عُبِّرَ عن الظهور القادم بمثل هذه الألفاظ العالية والعبارات الرفيعة وكلّها تصرّح بسموّ مقام الظهور القادم ورفعته وجلاله وبأنّه أعظم من جميع الظهورات السابقة والشرائع الماضية. وغنيّ عن البيان أنّ ذات الغيب الإلهيّة مقدسة عن جميع ما يتعلّق بالجسد من الخروج والدخول والصعود والنزول والتشبيه والحلول والعلوّ والدنوّ والقرب والبعد وأمثالها، ولهذا فإنّ الألفاظ الكريمة: (يأتيهم الله) و (جاء ربّك) و(أو يأتي ربّك) وغيرها تدلّ على مجيئ مظهر أمر الله وقيام روح الله وظهور الموعود وورود الشارع المحمود وهذا يصرّح بأنّ مثل هذا الظهور العظيم ليس مقامه مقام النيابة والخلافة والإمامة بل هو ظهور كلّي إلهي ومقام الشارعيّة الإلهيّة والسلطنة الربّانيّة.

ومع أنّ هذه الآيات والألقاب العظيمة تكفي لبيان مقام الموعود فمن أجل التنصيص في ذلك اليوم العظيم على تجدّد الديانة وظهور شريعة جديدة نزلت الآية الكريمة قوله تعالى: "يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ"[136] ومن الواضح كلّ الوضوح أنّ الدين الّذي وعد به الله الناسَ في هذه الآية الكريمة

---

[131] النبأ: 37
[132] ق: 41
[133] الأنعام: 158
[134] الفجر: 22
[135] المطففين: 6
[136] النور: 25

ليس الدين الإسلامي لأنّ الدين الإسلامي نزل في ظهور رسول الله نزولاً كاملاً وإنّه عليه السلام أبلغه إلى الخلق بل المقصود شريعة جديدة تضمن حقوق جميع الأمم وتوافق مقتضيات الزمان وترفع الإختلافات الدينيّة من بين جميع أهل العالم حتى تزول هذه العداوات والمنافرات والضغائن الّتي رسخت في صدور الأمم بعضها ضد البعض الآخر وتنبت في أراضي القلوب بدل أشواك المنافرة أزهار الأخوّة والمحبّة الخالصة العميقة.

5. في بيان إضطراب تفاسير المفسّرين وذكر خطبة من خطب أمير المؤمنين في أنّ علماء التفسير سوف يحرّفون القرآن الكريم:

وينبغي كذلك لأرباب البصيرة الّذين أوجّه الكلام إليهم أن يفهموا أنّه كما أنّ علماء اليهود وعلماء سائر الملل قد حرّفوا بشارات الكتب السماويّة أي أنّهم فسّروها على خلاف المقصود الإلهي المراد بها وبهذا السبب منعوا الأمّة عن عرفان عيسى ومحمّد عليهما السلام والإيمان بهما، فكذلك فسّر بعض المفسّرين الآيات القرآنيّة الإلهيّة بغير مقاصدها الأصليّة فأظلَمَ بذلك أفق الكتاب الإلهي المنير بآرائهم الباطلة وأهوائهم وظنونهم ظلاماً دامساً وإختفت المعاني الإلهيّة في الآيات الإلهيّة على غير أرباب البصائر النيّرة وطُرِد كلّ عالم بحقائق الكتاب على يد كلّ ظالم غشوم. فمثلاً فسّر مولانا جلال السيوطي من مشاهير علماء التفسير الآية الّتي إستشهدنا بها في تعيين مكان إرتفاع نداء الظهور فقال في بيان كلمة (منْ مكانٍ قريب): "من مكان قريب من السماء وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء" في حين أنّ المقصود واضح جدّاً والمراد منها الأراضي المقدّسة القريبة من مكّة المكرّمة الّتي نزلت فيها الآية الكريمة وكأنّ معلومات مولانا السيوطي في علم الفلك وعلم الجغرافية قد بلغت إلى درجة أنّه عَرِفَ نقطة على الأرض أقرب إلى الأفلاك الّتي توهّمها السابقون. وإذا كان المقصود بالآية إرتفاع أرض بيت المقدس عن سطح البحر بإصطلاح الجغرافيّين فذلك باطل أيضاً لأنّ إرتفاع أرض مدينة القدس شيئ لا يذكر بالنسبة لمرتفعات سوريا والجزيرة العربيّة وكيف لو قيست بالمرتفعات الأخرى في جبال آرارات وجبال حملايا وغيرها الّتي يعرف الجميع إرتفاعاتها الشاهقة وهي كالشمس في رابعة النهار لدى الجغرافيّين كما دُوّنت في الكتب الجغرافية الموثوقة. ومع أنّ إضطراب التفاسير أمرٌ واضح جدّاً فلا تظنّوا أنّ هذا العبد يلقي الكلام على عواهنه ويتّهم علماء التفسير بدون مستند صحيح. بل أُنظروا إلى الخطبة البليغة الّتي وردت في كتاب نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه من التحيّات أطيبها وأزكاها: "وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفي مِنَ الْحَقّ وَلا أظْهَرَ مِنَ البَاطِلِ وَلا

أَكْثَرَ مِنَ الكَذِبِ عَلى اللهِ وَرَسُولِهِ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الكِتَابِ إذا تُلِيَ حَقَّ تِلاوَتِهِ وَلا أَنْفَقَ مِنْهُ إذا حُرِّفَ عَنْ مَواضِعِهِ وَلا فِي البِلادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ المَعْرُوفِ وَلا أَعْرَفُ مِنَ المُنْكَرِ فَقَدْ نَبَذَ الكِتَابَ حَمَلَتُهُ وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ فَالكِتَابُ وَأَهْلُهُ يَوْمَئِذٍ طَرِيدَانِ مَنْفِيّانِ وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ فَالكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ وَمَعَهُمْ لأَنَّ الضَّلالَةَ لا تُوافِقُ الهُدى وإِنْ اجْتَمَعَا فاجْتَمَعَ القَوْمُ عَلى الفِرْقَةِ وافْتَرَقُوا عَنِ الجَمَاعَةِ كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الكِتَابِ وَلَيْسَ إِمَامُهُمْ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ إِلاّ اسْمُهُ وَلا يَعْرِفُونَ إِلاّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ وَسَمّوا صِدْقَهُمْ عَلى اللهِ فِرْيَةً وَجَعَلُوا فِي الحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَيِّئَةِ وإنما هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ حَتّى نَزَلَ بِهِمْ المَوْعُودُ الّذي لا تُرَدُّ عَنْهُ المَعْذِرَةُ وتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ وتَحُلُّ مَعَهُ القَارِعَةُ والنَّقْمَةُ".

يا أيّها الناظر في هذه الأوراق إنّني لا أتجاسر أن أقدّم النصائح إلى جناب الشيخ لأنّ حلو النصيحة في مذاقه مرّ شديد المرارة وشميم الموعظة اللطيف في مشامه سامّ منفور ولذا أرجوك بكلّ تواضع أن تهبط قليلاً من شاهق كبريائك وتجبّرك وتتأمّل قليلاً بنظر الإمعان والتدقيق في هذه الخطبة البليغة لعلّك تتجنب تيّار الهلاك المحتوم للمتكبّرين والمضلّين في الأمّة وتنجو من دار الهلاك والبوار الّتي هيّأها رؤساء الأمّة الجهلاء. وهذه الخطبة من جلائل الخطب العلويّة الّتي نصّ على صحّتها السيّد الرضي من علماء الإماميّة والقاضي الفاضل الشيخ محمّد المصري من علماء أهل السنّة والجماعة وهذه الخطبة المباركة كافلة وشاملة لجميع المطالب الّتي عرضها هذا العبد. ولا يظنّنّ أحد بأنّ أمير المؤمنين إكتفي بهذه الخطابة في إنذار الأمّة الإسلاميّة بل حاشا من ذلك فإنّ أكثر الخطب العلويّة والأحاديث النبويّة والآيات القرآنيّة تحتوي على هذه الإنذارات وصريحة بنزول البلايا والنكبات [**ولكن أين الآذان الواعية والبصائر الكاشفة والقلوب الفاهمة والنفوس الزكيّة والأنفس الطيّبة الطاهرة حتى تسمع نداء الله وترى آثار الله وتدرك غوامض أمر الله وتجيب نداء الداعي إلى الله وتتخلّص من القارعة المحتومة النازلة على أعداء الله**].

6. في بيان الأحاديث الصريحة بأن القائم الموعود سيظهر بشريعة جديدة وكتاب جديد:

لمّا تمّ الإطّلاع على رفعة وجلال مقام الموعود من الآيات القرآنيّة نبحث الآن في الأحاديث الواردة من طرق أهل التسنّن والتشيّع ونرى هل إنّ مقام الموعود قادر على تشريع شريعة جديدة بمقتضى الربوبيّة الّتي وصفه الله جلّ جلاله بها في الكتب السماويّة أو إنّه بمقتضى منصب النيابة والإمامة الّتي أنعم بها عليه علماء الإسلام غير قادر على إيجاد دين جديد وتشريع شريعة جديدة.

فمن الأحاديث الّتي تدلّ دلالة صريحة على علوّ مقام حضرة الموعود وعلى الشريعة الجديدة عند ظهور ذلك الجمال المعبود ما روي في بحار الأنوار في باب سير القائم وأخلاقه عن أبي حمزة الثمالي أنّه قال: "سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: "لو خرج قائم آل محمد عليهم السلام لنصره الله بالملائكة المسوّمين والمنزلين والمردفين والكروبيين. يكون جبرائيل أمامه وميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن يساره والرعب مسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله والملائكة المقرّبون حذاه أوّل من يتبعه محمد وعلي الثاني ومعه مخترط. يفتح الله له الروم والصين والترك والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر. يا أبا حمزة لا يقوم القائم إلاّ على خوف شديد وزلزال وفتنة وبلاء يصيب الناس وطاعون قبل ذلك وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد بين الناس وتشتّت في دينهم وتغيّر من حالهم حتّى يتمنّى المتمنّي الموت صباحاً ومساءً من عظم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضاً. وخروجه إذا خرج عند الأياس والقنوط. فيا طوبى لمن أدركه وكان من أنصاره والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره وكان من أعدائه" ثم قال: "يقوم بأمر جديد وسنّة جديدة وقضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه إلاّ القتل ولا يستتيب أحداً ولا تأخذه في الله لومة لائم".

ويكون خروج حضرته في زمان يأس وقنوط كما أنكر المتعصبون أمثال إبن خلدون وأعوانه أخبار وبشارات الظهور المبارك إنكاراً تامّاً خلافاً لله ولرسوله وقد أقرّهم على ذلك الكثيرون من البلهاء.

والآن نسأل أهل الإدراك هذا السؤال: هل يمكن تسمية مثل هذا الظهور على ما هو عليه من هذه العظمة في هذا الحديث الّذي يطابق آيات القرآن بأنّه ظهور نيابة ووصاية وخلافة؟ وبعد هذه الصراحة في أن أوّل أتباعه يكون رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام وإنّه يظهر بأمر جديد وسنّة جديدة وقضاء جديد هل يمكن إنكار حضرته جرياً وراء خرافات الأمم السابقة؟ "فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونْ"[137] ومما تفضّل به بأنّ لدى حضرته سيفاً قاطعاً يفتح الله له به الروم والصين والترك والديلم والسند والهند وكابل والخزر لا يظنّنّ أحد أنّه السيف المعروف بين الناس لأنّ سيفاً واحداً مهما كان قاطعاً فليس من الممكن والمعقول أن يستطيع فتح كلّ هذه الممالك الواسعة بل المقصود بهذا السيف القاطع الكلام الإلهي والحجّة الإلهيّة والوحي السماوي الّذي به كان الله جلّ جلاله ولا يزال يفتح مدائن القلوب وبه تنفذ ارادة الله في الشرق والغرب كما قال تعالى: "يُرِيدُ اللهُ أنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينْ"[138] وقد أطلقت كلمة سيف الله المسلول على سبيل الإستعارة في مواضع عديدة من كلمات الأنبياء وأئمّة الهدى على الكتاب الإلهي بل وأطلقت على بعض كبار الصحابة والتابعين.

ومن الأحاديث الّتي تدلّ على الشريعة الجديدة عند ظهور الموعود ما رواه المجلسي عليه الرحمة في باب العلامات من مجلّد الغيبة من كتاب بحار الأنوار عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: "فَوَاللهِ لَكَأنّي أنْظُرُ إلَيْهِ بَيْنَ الرُّكْنِ والمقَامِ يُبَايِعُ النَّاسَ بِأمْرٍ جَدِيدٍ وَكِتَابٍ جَدِيدٍ وَسُلْطَانٍ جَدِيدٍ مِنَ السَّمَاءِ".

وكذلك ورد في هذا الكتاب في باب تفسير سير القائم وأخلاقه عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: "يَقُومُ القَائِمُ بِأَمْرٍ جَدِيدٍ وَكِتَابٍ جَدِيدٍ وَقَضَاءٍ جَدِيدٍ عَلَى العَرَبِ شَدِيد لَيْسَ شَأنُهُ إلاّ بِالسَّيْفِ لا يَسْتَتِيبُ أحَداً وَلا تَأخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ ". وبعد هذا الحديث رُويت ثلاثة أحاديث متتالية عن أبي عبدالله أنّه قال: "مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِخُرُوجِ القَائِمِ فَوَاللهِ مَا لِبَاسُهُ إلاّ الغَلِيظِ وَلا

---

[137] يونس: 35

[138] الأنفال: 7

طَطَعَعَـامُهُمُهُإلاّ الْجَْجَلْجَشَـشَبِـبِ وَوَمَـا هُهُـوَوَ إلاّ بِلِبِالسَّـ سَّيْيْفِـفِ وَوَالْمَـمَوْوْتِتِ تَحْتَحْتَحْـتَحْتَ ظِظِلِلِّ السَّـ سَّيْيْفِفِ ".

ومقصود هذا العبد من ذكر هذا الحديث هو أن يفهم أولو الإدراك بأنّ أوهام خروج القائم بغلبة دنيويّة وبسلطنة ظاهريّة إنما هي من الأوهام القديمة الّتي لا زالت راسخة في قلوب أهل الهوى. وكان أئمّة الهدى غالباً لا يكشفون النقاب عن حقائق ظهور الموعوج إلاّ عند القليلين من المؤمنين أولي الأحلام الرزينة والنفوس الأمينة والصدور المنشرحة والقلوب الطيّبة الطاهرة ويأمرونهم كذلك أن يستروا الأمر ويكتموه وذلك إتباعاً لمراتب سنّة الإمتحان والتمحيص الّتي هي من السنن الحتميّة الإلهيّة. فإشتد الحرص التام على قلوب أكثر الأنام وصاروا يستعجلون بظهور الموعود ويستفسرون عن علائم ظهوره وآثاره. ولهذا فقد ندر صدور مثل هذه الأجوبة من مصادر أمر الله في دفع مثل هذه الأوهام وفي تنبيههم إلى أنّ القائم لن يظهر طبقاً لما يتوقّعه الخلق وفي تفهيمهم صعوبة الأمر وخطورة إحداثه الّتي لن يصبر عليها إلاّ المؤمن الخالص حتى إذا شاهدوا في الأحاديث أحياناً كلمة السيف لا تفتنهم الأوهام الباطلة وحتى يدركوا مقصود أئمّة الهدى بعد كشف الحجاب من دون إرتياب.

ومن الأحاديث الواردة في هذا الموضوع ما ورد في كتاب بحار الأنوار أيضاً في باب سير القائم وأخلاقه عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه قال :"كَكَيْيْفَـفَ أَنْتُْتُمْمْ لَلَوْوْ ضَـرَبَرَبَ أَصْصْحَـحَابُ الْقَقَائِئِمِ عَعَلَلَيْيْهِهِالسَّـ سَّلامُمْ الفَسَـسَاطِطِيطَ فِي مَسْـجِدِ الكوفانِنِ ثُمَّثُمَّـثُمَّ ثُمَّ يَخْيَخْيَخْـ رُجُ إِلَيْيْهِمْ الْلْمِثالُ المِسْتأنَفُ أمرٌ جديدٌ ، على العرب شديدٌ". وهذا الحديث يشير إلى أحداث جناب باب الباب الملا حسين البشروئي وجناب الملا علي البسطامي وغيرهما الّذين هم من كبار اصحاب الموعود والّذين هم بعد صعود حضرة السيّد كاظم الرشتي إلى جوار الله تعالى ضربوا خيمة في مسجد الكوفة وإعتكفوا في ذلك المكان الشريف نظراً لتصريحات حضرة السيّد الرشتي الّتي سمعت منه مراراً عن قرب ظهور الموعود. وشرعوا عند إعتكافهم بالصوم والصّلاة والإبتهال بكلّ تضرّع سائلين الله تعالى أن يشرّفهم بإدراك الظهور إلى أن تشرّفوا كما هو مشروح في التواريخ المعتبرة بلقاء النقطة الأولى عزّز إسمه الأعلى ونالوا فخر إدراك "الْلْمِثالُ المِسْتأنَفُ" المذكور في هذا الحديث.

ومن الأحاديث الواردة في هذا الموضوع ما ورد أيضاً في كتاب بحار الأنوار في نفس هذا الباب عن أبي بصير أنّه قال: قلت لأبي عبدالله أخبرني عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّ نَّ الإِسْـسْلامَمَ

بَبَلَدَأ غَغَرِرِيبـاًاً وَوَسَـ سَيَيَعُعُودُدُ غَغَرِرِيبـاًاًكَكَمَـ ا بَبَلَدَأ فَفَطُوبَى بَى لِ لِلْغُغُرَرَبَ ـاء" فقـال: "يَيَا أَبَبَ ـا مُحَمُحُمُحَ مَّمَّـلْدْ إِذَذَا قَقَامَ القَقَـائِئِمُهُمْ عَعَلَلَيْيْهِهِالسَّ سَّلامُمْ إِسْ ِسْتَتَأْنَفَـفَ دُدُعَعَاءً جَجَلدِيداًكَكَمَـ ا دَدَعَعَـ ا رَرَسُولُ لُ الله".

وهـذا الحـديث صـريح جـدّاً بـأنّ دعـوة القـائم دعـوة إصـالة لا دعـوة نيابـة ولهـذا السـبب يجـد المؤمنـون بحضرته أنفسهم غرباء لا معين ولا نصير لهم ومطرودين ومنبوذين من أجل تهمة إختراع دينٍ جديد. وهـذا الحـديث الشـريف يطـابق الآيـة الكريمـة:"كَمَـا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًـا هَدَى وَفَرِيقًـا حَـقَّ عَلَيْهِـمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُـمْ مُهْتَدُونَ"[139]. ومعنى الشياطين في هـذه الآيـة الكريمـة واضـح جـدا كمـا أنّ غربـة أهـل الإيمـان وقيـامهم مـن دون معين أمـر واضـح غير مستور.

وورد في كتـاب أصـول الكـافي في بـاب الأحـاديث المرويّـة عـن موسـى أبـن جعفـر عليـه السـلام قـال: "سأل الراهب عن موسى ابن جعفر عليهما السلام: أخبرني عن ثمانية أحرف نزلت فبقي في الأرض منهـا أربعـة وبقـي في الهـواء منهـا أربعـة علـى مـن نزلـت تلـك الاربعـة الّـتي في الهـواء ومـن يفسّـرها؟ قـال: "ذاك قائمنا فيُنْزِلُ الله عَعَلَلَيْيْهِهِ فَفَيُيُفَفَسِّسِّ رَرَهَهَا وَوَيَيَنْنْزِزِلُ لُ عَعَلَلَيْيْهِهِ مَمَا لَمْ لَمْ لَمْ يَيَنْنْزِزِلْ لُ عَعَلَلَى الصِّ صِّلِدِّ يقِقِينَنَ وَوَالرُّرُّسُ سُلِ لِ وَوَالْمُمُهْهْتَتَلِدِينَنْ " وهـذه الجملـة مـن الحـديث تطـابق تمامـاً الوعـد الصريح في الآيـة الكريمـة: "خُلِقَ الْإنسان مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ"[140] وهـؤلاء النـاس الغافلون قـد نسـوا القـرآن وكـأنّه نـزل علـى أمّـةٍ غـير أمّـتهم أو أنّ شـيئاً فيـه قـد تُـرك ذكـره بحيـث يجـب علـيهـم لـذلك أن يتمسّـكوا "بالضـروريّات" الموهومـة ويسـتدلّوا "بإجمـاع الأمّـة" في أهـمّ مسـألة مـن المسـائل الأصـوليّة وكـأنّ مثـل هـذا الوعـد الصـريح بـأنّه تعـالى "سـيريهم آيـاته فلا يستعجلوه" وعدٌ لم يكن شيئاً مذكوراً.

وقد روى الشيخ إبن حجر الهيثمي من كبار علماء السنّة والجماعة في كتابه (الصواعق المحرقة) في تفسير الآية الكريمة: "وَوَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ " الحديث النبوي الّذي رواه الحاكم في صحيحه: يَحِيحِيحِيحَ لُّ بِبِأُمَّتِي في آخِرِ الزَّمَانِ بَبَلاءٌ شَدِيدٌ مِمِنْ سُلْطَانِهِمْ لَمْ لَمْ لَمْ يُسْمَعْ بَبَلاءٌ أَشَدُّ مِمِنْهُ حَتَّى لا يَجِدُ الرَّجُلُ مَلْجَأ فَيَبْعَثُ الله

[139] الاعراف: 30
[140] الأنبياء: 37

رَجُلاً مِنْ عِتْرَتِي أَهْلِ بَيْتِي يَمْلأُ بِهِ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجُوراً" والطبراني:"الْمَهْدِي مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ يُخْتَمُ الدِّينُ بِهِ كَمَا فُتِحَ بِنَا" وهذا الحديث صريح جدّاً بأنّ إنقضاء أجل الديانة الإسلاميّة هو في ظهور الموعود.

وروى الشيخ حسن العدوي في كتاب مشارق الأنوار كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: " الْمَهْدِي مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ يُخْتَمُ الدِّينُ بِهِ كَمَا فُتِحَ بِنَا" ومقصوده عليه السلام: إنّ الدين كما بدأ بنا أهل البيت فسوف يُختم كذلك بنا أهل البيت. وإنّ من له معرفة قليلة بقواعد اللغة العربيّة يفهم أنّ حضرته قصد الإفتخار عند الإختصاص بعبارة: "بنا أهلَ البيت" أي أنّه كما كان فخر تشريع هذا الدين مختصّاً بنا أهل البيت فكذلك يُختصّ بنا أهل البيت فخرُ ختم هذا الدين وتشريع ديانة جديدة. ولكنّ هذه النقطة الدقيقة اللطيفة يفهمها من يعرف مقام الشارعيّة وعلوّ هذه القدرة الإلهيّة وسموّها ورفعتها لا الّذي يعتبر كاليهود يد القدرة الإلهيّة مغلولة عن تشريع شريعة جديدة وينكر أعظم النعم الإلهيّة الّتي بها يتجدّد العالم وتتقدّم الأمم أو يظنّ مثل البلهاء في الوقت الحاضر بأنّ تشريع الشرائع أمرٌ هيّن وأنّه نتيجة البطالة ويرجّح السعي في تحصيل المعيشة على الهمّة في تكميل الديانة.

وقال مولانا علي الفري الهروي من أئمّة الحنفيّة في كتابه (أوصاف المهدي): "ومنها ما اخرجه الطبراني في الأوسط من طريق عمر بن علي عن علي بن ابي طالب أنّه قال للنبيّ عليه السلام: أمنّا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله؟ قال: "بَلْ مِنَّا. يَخْتِمُ اللهُ الدِّينَ بِهِ كَمَا فَتَحَ بِنَا وَبِنَا يُسْتَنْقَذُونَ مِنَ الشِّرْكِ وَبِنَا يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عَدَاوَةِ الفِتْنَةِ كَمَا أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عَدَاوَةِ الشِّرْكِ ". ولعمر الله إنّ طلاوة هذه العبارات اللطيفة ورشاقة هذه البيانات الشريفة شاهدة بنفسها على أنّها صدرت من مصدر النبوّة والرسالة ونزلت من سماء العلم والحكمة الإلهيّة. وهذه الكلمات صريحة في أنّ ظهور المهدي يكون سبباً في ختم الإسلام وفتح شريعة جديدة وديانة جديدة حتى تتآلف قلوب الملل المتفرّقة وترتبط ببعضها إرتباطاً وثيقاً.

ولما وجد الامام الشعراني الأحاديث الدالّة على هذه المسألة في منتهى القوّة والصحّة لذا فقد إكتفي في كتابه (اليواقيت والجواهر) عند بحثه موضوع عدم موافقة أحكام المهدي مع أحكام علماء

الإسلام بنقل العبارات التالية عن الشيخ أنّه قال: "يُجَدِّدُ الفُ في غَالِبِ أحْكَامِهِ مَذَاهِبَ العُلَمَاءِ فَيَنْقَبِضُونَ مِنْهُ لِظَنِّهِمْ أنّ اللّهَ تعالى مَا بَقِيَ يُحَدِّثُ بَعْدَ أئِمَّتِهِمْ مُجْتَهِداً".

وجاء في (الصواعق المحرقة) أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: "لَيُدْرِكَنَّ الْمَسِيحَ أقْوَامٌ إنَّهُمْ لَمِثْلكُمْ أوْ خَيْرٌ ثَلاثاً وَلَنْ يُخْزِي اللهُ أمَّةً أنَا أوَّلُهَا وَالْمَسِيحُ آخِرُهَا".

وخلاصة القول فإنّه قد ثبت مما عرضناه بطلان القول الفاسد بأنّ شريعة أخرى لن تشرّع بعد الشريعة الإسلاميّة وأنّ باب ظهور مظاهر أمر الله وهو أعظم باب لتقدّم الأمّة ونجاحها وفلاحها سيبقى مسدوداً. هذا وإنّ أعجب تناقض ملحوظ في عقائد المنكرين وأقوال المكذّبين هو أنّهم يفسّرون كلمة "خاتم النبيّين" بعدم مجيئ رسول ونبيّ آخر بعد رسول الله عليه الصّلاة والسلام بينما يتفّقون من الناحية الأخرى جميعهم على نزول عيسى عليه السلام بشخصه وبجميع أوصافه الشخصيّة في آخر الزمان وهذا تناقض واضح وسفسطة مفضوحة لأنّ عيسى عليه السلام إذا نزل بشخصه وبأوصافه السابقة فإنّه لا شكّ نبيّ يظهر بعد رسول الله ويبعث لهداية الأمم وحكم العالم وعند ذلك لا يبقى لكلمة "لا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِي" ولكلمة "خَاتَمَ النَّبِيِّينَ" ذلك المعنى الّذي إفترضه قصيرو النظر ومحدودو التفكير. بل قال بعض العلماء دفعاً لهذا التناقض عن أوهامهم الفاسدة إنّ عيسى عليه السلام بعد نزوله سيحكم بالشريعة الإسلاميّة. في حين لو سألت منهم بأيّ دليل وبأيّ برهان إعتمدتم في قولكم وتمسّكتم بهذا الخيط الضعيف من الباطل؟ فإنك تراهم جميعاً عاجزين عن الإجابة بل ترى أنّ سندهم الوحيد في ذلك هو ميول أهل مذهبهم وإجماعهم على ذلك. ومع ذلك فإنّي أعرض بأنّه لو فرضنا أنّ عيسى عليه السلام سيحكم بالشريعة الإسلاميّة فهل تنتفي عنه صفة النبوّة وروح الله وكلمة الله؟ "قَاتَلَهُمُ اللهُ أنّي يُؤفَكُونَ"[141] في حين أنّك تشاهد بصورة صريحة أنّ خاتم الأنبياء وأئمّة الهدى عليهم الاف التحيّة والبهاء الّذين بشروا الناس بظهور المهدي الموعود وقيام روح الله قد نصّوا بصورة صريحة على أنّ هذين الظهورين الأقدسين سيقومان بشريعة جديدة وسينتصران على العالم بكتاب جديد وسيوحّدان جميع الأمم بقضاءٍ جديد سماويّ . **[هذا هو الحقّ وما بعد الحقّ إلاّ الضلال]**.

[141] التوبة: **30**

7. في إثبات أنّ مظاهر أمر الله هم مظاهر الأوّلية والآخريّة وسائر الصفات الإلهيّة:

وأمّا ما كتبه جناب الشيخ بقوله: " نحن لا نعترف أبداً بأنّ شخصاً يكون مظهر الصفات الأوّلية والآخريّة للذات الأقدس " فقولٌ ناشيئ عن جهله بالوحدة الذاتيّة للروح القدس المتجلّي في مرايا وجودات المظاهر المقدّسة لأمر الله وجهله بالتفريد الحقيقي للروح الأمين الّذي نزل على قلوب الأنبياء والمرسلين الصافية لأنّه لو كان قد إستنشق شميم النفحات المعطرة من الآية الكريمة: "لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ"[142] لما كتب هذا الاعتراض البارد. ولو كانت قد أشرقت على قلبه بارقة من بوارق الآية الكريمة: "وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ"[143] لما تفوّه بهذا الإنتقاد السخيف، إذ من الواضح لدى أصحاب القلوب المطهّرة من دنس الشرك أنّه لو كان المراد بهذه الوحدة هو وحدة صور الشرائع والأديان الإلهيّة فإنّ الكثرة فيها واضحة جدّاً، ولو كان المراد بهذه الوحدة هو الأحكام والحدود فإنّ تعدّدها في منتهى الوضوح ولو كان المراد بهذه الوحدة إتّحاد أجساد المظاهر الإلهيّة ومشخّصاتهم فإنّ إختلافهم في الاسم والزمان والمكان والنسب والعادات أمر واضح جدّاً. ففي هذه الحال لن تعني الآية " وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ" إلاّ أن يكون المراد بها حقيقة الروح القدس الإلهي الّتي تنطبع في المرايا كالشمس الواحدة الّتي تطلع من مشارق متعدّدة، ولا يتحقّق صدق الآية: "لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ" إلاّ بتفسيرها بجوهر الجواهر الّذي تجلّى من أفئدة مظاهر الأمر وتلئلأ من إكليل مطالع الحكم. وبسبب هذه الوحدة الذاتيّة بين مظاهر أمر الله صار لهم حكم ذات واحدة وروح واحدة وجسد واحد وأصبحوا مظهر الوحدة الحقيقيّة الإلهيّة مع إختلافهم في الاسم والزمان والنسب والأحكام. وإنّ اعتراض جناب الشيخ ليس في الحقيقة على الإيقان الشريف وحده بل على الإنجيل المقدّس أيضاً فقد ورد في الآية (17) من الإصحاح الأوّل من مكاشفات يوحنّا: "فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّتٍ فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَيَّ قَائِلاً أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ". وفي الآية (12) من الإصحاح (22) من مكاشفات يوحنّا بالذات: "وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعاً وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ". وفي الواقع لو يفكّر الإنسان في هذه الآيات الّتي ذكرناها بإمعان فإنّه يفهم معنى روح الله الّذي هو الاسم السماوي لعيسى عليه السلام ويذعن أنّ هذه الكلمة المباركة نزلت من لسان الله ولم تُطلق إعتباطاً على حضرته ويشهد بصحّة ما نزل في كتاب الإيقان الشريف ويدرك

[142] البقرة: 285

[143] القمر: 50

الحقيقة المقدّسة المتجلّية في جميع المظاهر والظاهرة في جميع المرايا، لأنّه من المتفّق لدى أولي العلم أنّه لو كان المقصود من كلمات " أَنَا الأَلِف وَالْيَاءُ البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ " الأمور الجسمانيّة والمشخّصات الخارجيّة فأنّ هذه الكلمات لن تبدو صحيحة وهذا الادّعاء لن يبدو معقولاً، إذ الواضح أنّ مظاهر أمر الله قبل ظهور عيسى عليه السلام وبعد صعوده لم يُسمّوا بإسمه ولا كانوا بأوصافه ومشخّصاته ولهذا فقد إتّضح أنّ مقصود حضرته كما ذكرناه مفصلاً هو وحدة الروح الأقدس الّذي هو حقيقة واحدة من جميع الجهات ولا تتعدّد بتعدّد المرايا والمظاهر ولا يعتريها الزوال والفناء والتجديد فهي روح الله وكلمة الله ووجه الله الباقي بعد فناء الأشياء. وقد فسّر كبار المفسّرين الآية الكريمة: "يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ"[144] الّتي نزلت في حقّ أصحاب الصفّة بأنّ وجه الله هو وجه رسول الله خاتم الأنبياء عليه وآله الاف التحيّة والبهاء. ومن الواضح أنّ الله تبارك وتعالى لا يمكن أن يُتصوّر له وجهٌ غير هذه الوجوه المضيئة المنيرة الواضحة المشرقة: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقى وَجْهُ ربِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ"[145].

وقد تفضّل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة الطتنجيّة الّتي شرحها السيّد الأجلّ: "أنا الكلمة الّتي تمّت بها الأمور ودُهِّرتْ الدّهور" وقال فيها: "أَلا وَنَحْنُ النُذرُ الأولى وَنَحْنُ نُذُرُ الآخِرَةِ وَالأولى وَنُذُرُ كُلِّ زَمَانٍ وَأَوَانٍ. بِنَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ وَبِنَا نَجَا مَنْ نَجَا" وقال فيها أيضاً: "أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ أَنَا البَاطِنُ وَأَنَا الظَّاهِرُ ".

فممّا عرضناه ثبت وإتّضح بأنّ ما كتبه الشيخ: "نحن لا نعترف أبداً بأنّ شخصاً يكون مظهر الصفات الأوّلية والآخريّة للذات الأقدس" ناشيئ عن عدم إطّلاع جنابه على بيانات المظاهر القدسيّة بل من عدم معرفته بحقائق التوحيد وسائر المسائل الروحانيّة.

8. في إثبات بطلان ما تصوّره الشيخ في أنّ نبيّاً سيظهر ويكون دينه آخر الأديان وشريعته تكون شريعة أبديّة:

وأمّا ما كتبه جناب الشيخ بقوله: "وثانياً لنفرض أنّهم جميعهم مظهر كلّ صفات الله فلا شكّ أنّ هذه المظهريّة ستنتهي في نقطة واحدة وهذا يعني أنّه سوف يظهر نبيّ واحد يكون دينه آخر الأديان

[144] الروم: 38
[145] الرحمن: 26

وكتابه آخر كتب الأوّلين". فنقول في منتهى الغرابة وكأنّ جناب الشيخ ظنّ بأنّ كلّ شيئ بديهي لديه يجب أن يكون بديهيّاً لدى الآخرين ويجب أن يقبلوه بدون ترديد ومن دون دليل. وأنا لم اعرف دليل عقلي أو نقلي إتّضح لديه بأن نبيّاً يجب أن يظهر حتماً ويكون دينه آخر الأديان وكتابه آخر الكتب وشريعته آخر الشرائع؟ نعم لا شكّ أنّ هذه العقيدة قد جاءت إلى هذه الأمّة بطريقة الوراثة عن اليهود والمجوس وسائر الأمم القديمة بحكم الآية الكريمة: "كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِيْن"[146] وبحكم الحديث المتّفق عليه: "لَتَسْلُكُنَّ سنَنَ مَنْ قَبْلُكُمْ". لأنّه من الواضح لدى أولي العلم والإدراك أنّ أمّة موسى تعتقد مثل هذه العقيدة في حقّ حضرته وفي حقّ شريعته التوراة. وأنّ أمّة المجوس تعتبر شريعة زردشت آخر الشرائع وكتاب (زندافستا) آخر الكتب الإلهيّة وترى أمّة النصارى مثل هذا الرأي بشكل أتمّ وأكمل في حقّ عيسى عليه السلام وفي حقّ الإنجيل المقدّس لهذا فلا عجب لأمّة وصفها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله "كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الكِتَابِ وَلَيْسَ إِمَامَهُمْ " أن تولّي بوجهها عن الكتاب الإلهي وتسير في سبيل الأمم الماضية وتعتبر دينها آخر ورقة في كتاب التشريع من دون سندٍ من القرآن الشريف تستند إليه. ولكن يليق بمثل جناب الشيخ الّذي هو من أهل العلم والاجتهاد أن لا يعتبر بديهيّاته حجّة على الآخرين بل يبرهن على ادّعاء ه بدليل متّفق عليه لأنّنا أهل البهاء لا نعتبر القدرة الإلهيّة محدودة ولا نعتبر إرادة الله تعالى الغالبة تابعة لإرادتنا وميولنا الباطلة ولا نصدر أحكامنا على الله تبارك وتعالى ولا نجحد بنعمة ظهور مظاهر أمر الله وإنزال الكتب وتشريع الشرائع الّتي لا تفوقها نعمة. ومن الواضح لدى الإنسان البصير الّذي لم يكدّر بصر فؤاده غبار التقليد الكثيف أنّ كلّ أمّة إعتبرت دينها خاتم الأديان وكتابها السماوي آخر ورقة في كتب السالفين لا مفرّ لها من أن تتمسّك بعبارة واحدة من عبارات كتابها وتستنبط منها هذه النتيجة السخيفة وهي أنّ ديننا لن يتغيّر أبداً كما هو واضح لدى المتتبّعين في الأديان. فمثلاً لو سألتَ أمّة التوراة قائلاً "بأيّ دليل تعتبرون دينكم آخر الأديان وشريعتكم شريعة لا تنسخ؟" فسيقولون في الجواب أنظر في التوراة ترى أنّ الله تعالى سمّى هذه الشريعة شريعة أبديّة وأشهد موسى عليه السلام الأرضَ والسماءَ على ذلك ولعنَ كلّ من يغيّر هذه الشريعة. وكذلك لو إستفسرت عن هذا الموضوع بذاته من أمّة الإنجيل فسوف تسمع نفس الجواب بأنّ عيسى عليه السلام سمّى نفسه في مواضع عديدة آخر ظهور في المظاهر الإلهيّة وإعتبر زوال السموات والأرض ممكناً وزوال دينه غير ممكن كما ورد في الآية (35) من الإصحاح (

[146] الحجر: 12

24) من إنجيل متّى بل صرّح في أوّل رسالة أغلاطية باللعن على كلّ مَنْ يجلب بشارة غير بشارة إبن الإنسان ولو كان من ملالا ئكة السماء.

9. في بيان معنى كلمة (النبيّ) وبيان أنّ المقصود بعبارة (لا نبيّ بعدي) هو التعبير عن رقيّ الأمّة الإسلاميّة وليس المقصود بها ختم الشرائع:

فلا عجب بعد هذا أن يُمتحن فقهاء الأمّة الإسلاميّة بآية: "خَاتَمَ النَّبِيِّينَ" وبحديث: "لا نَبِيَّ بَعْدِي" الّذي لا يدلّ أبداً على عدم تجديد الديانة ويلحقوا بالأمم الماضية في حين أنّ مقصود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من هذه الكلمة هو الكشف عن رقيّ الأمّة الإسلاميّة وتوضيح أفضليّة أئمّة الهدى على أنبياء بني إسرائيل مثل أشعيا وأرميا ودانيال وحزقيال وزكريّيّا وأمثالهم قد أخبروا كلّهم عن أمور آتية بواسطة الرؤيا وسمّوا رؤياهم الصادقة إلهاماً إلهيّاً كما تصفهم أسفارهم برؤيا أشعيا ورؤيا دانيال ورؤيا أرميا ورؤيا حزقيال وكما إشتهرت في الأمّة النصرانيّة الهامات القدّيس يوحنّا برؤيا يوحنّا وكما إصطُلح على إطلاق كلمة النبيّ على من يرى الرؤيا وصارت هذه في اللغة العبريّة حقيقة ثانويّة وشاع ذكرها في مواضع كثيرة في أسفار العهد القديم والعهد الجديد. فلمّا طلع فجر السعادة من أفق البطحاء وظهرت علامة إنقضاء الليل الأليل بظهور فخر الملل زالت ظلمة الليل وانقضى زمان الرؤيا وإقترب ميقات الرؤيا والمشاهدة لذا سُدَّ باب النبوّة أي نزول الإلهام بطريق الرؤيا بواسطة الوجود الأقدس لخاتم الأنبياء ونال روح الفؤاد في صدور أرباب السداد مرتبة الإحاطة والكلّية وصارت الحقائق الروحانيّة تُفاض على أئمّة الهدى بطريق الرؤيا والمشاهدة بعد أن كانت تُفاض على أنبياء إسرائيل بطريق الرؤيا فإتّضح معنى الحديث "لا نَبِيَّ بَعْدِي" والحديث الصحيح: "عُلَمَاءُ أُمَّتِي أَفْضَلُ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلْ" والكلمات: "كذا رأيت في الرؤيا" الّتي كانت في أسفار السابقين حلّت محلّها كلمات: "كَأَنِّي أَرَى كَأَنِّي أُشَاهِدُ" في بيانات المتأخرين. وخلاصة القول لو يمعن الإنسان النظر في سورة المؤمن ليشهد على مقدار بُعد القوم من الحقائق القرآنيّة فقد قال تعالى: "رفيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ يُلْقِي الرّوحَ مِنْ أمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ"[147]. ومن له إطّلاع في قواعد اللغة العربيّة يفهم أنّ كلمة "يُلْقي الرّوحَ" نزلت بصورة فعل مضارع أي أنّها تبشّر بحادثة مستقبلة ولا تخبر عن أمور ماضية وهي صريحة في أنّ إنزال الروح الأمين وبعث النذير المبين منوط بإرادته تعالى وبمشيئته متى أراد يبعثه ويجدّد العالم بشريعة جديدة في أيّ

[147] (غافر: 15 (المؤمن

زمان أراد: "سُنَّةُ اللهِ الّتي قدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ولَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْديلاً"[148] وكذلك نزل في سورة الأعراف قوله تعالى: "يا بني آدَمَ إمّا يأتيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتي فَمَنْ اتَّقى وَأصْلَحَ فلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنونْ"[149] وهذه الآية صريحة بإخبارها بالمستقبل لأنّ الفعل " يأتيَنَّكُمْ" مؤكّد بنون التوكيد الثقيلة حتى لا يستطيع أهل التحريف أن يحملوا المستقبل على الماضي ويفسّروا الآية المباركة بالأنبياء السابقين كما صنعوا في تفسيرهم الآية الكريمة: "لمْ يَكُنْ الّذينَ آمنوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ والمُشْرِكينَ مُنْفَكّينَ حتّى تَأتيهُمُ البَيِّنَةُ"[150] فحرّفوا الفعل "تَأتيهُمُ" الّذي يدلّ على الإستقبال وقالوا أنّه يعني الماضي "حتى أتاهم" أما الفعل "يأتيَنَّكُمْ" المؤكّد بنون التوكيد الثقيلة فإنّه لا يدلّ على الماضي أبداً كما أنّ كلمة "إمّا" لا تسبق الفعل الماضي. وفي ذلك كفاية لأولي الألباب ومَنْ له بصيرة في الكتاب.

10. في ذكر عبارات رسالة الشيخ الأولى وذكر عبارات رسالته الثانية الّتي يعتقد فيها أنّه كتب الشبهة السابقة بصورة أوضح:

وبعد أن ثبت أنّ ما كتبه الشيخ بقوله: "سوف يظهر نبيّ واحد يكون دينه آخر الأديان وكتابه آخر كتب الأوّلين" إنما هو وهمٌ صِرفٌ وباطلٌ مَحْضٌ إنبعث من أوهام السابقين الفاسدة، لننظر الآن فيما كتبه بقوله: "ولنفرض أنّ شخصاً يظهر بهذه الصفة ويستقرّ دينه وشريعته ولكن يخرج بعد مدّة شخص آخر يدّعي المظهريّة وإدّعاؤه باطل محض ولكنّه يتشبث بأمثال هذه الأدلّة ويقول "أيها الناس لا يشتبه عليكم الأمر في أنّ النبيّ السابق سمّى نفسه خاتم الرسل فإنّ كلّ واحد منا مظهر البدئيّة والختميّة والأوّلية والآخريّة لأننا جميعاً في حكم ذات واحدة وروح واحدة وجسدٍ واحدٍ وأمرٍ واحدٍ" ففي هذه الحال يستوجب أن نسلّم بكلامه ونصدّق ادّعاء شخصٍ كاذب باطل [فالدليل الّذي يفضي إلى تصديق الكاذب لا يصلح أن يكون دليلاً بل يكون تزويراً وتمويهاً".

وكتب في رسالته الثانية المطبوعة: "والآن نريد في هذه الرسالة أن نوضح إنتقادنا توضيحاً أكثر من بياننا السابق فنفرض ظهور مظهر حقٍّ صادقٍ وخروج مدّعٍ باطلٍ وكاذبٍ وكلاهما يظهر في زمانٍ واحدٍ ولا يسبق أحدهما الآخر في ظهوره ولنفرض مثلا طبقاً لتأويل كتاب الإيقان لكلمة

[148] الفتح: 23
[149] الاعراف: 35
[150] البينة: 1

الختميّة أنّ إنسانا ظهر مدّعيا المظهريّة في مدينه مكّة أو عكّا وكان إدّعاؤه في الواقع صادقا وكان دينه وكتابه الصفحة الاخيرة في كتب الأوّلين وفي زمانه يخرج إنسان آخر في أقصى بلاد الهند أو أفريقيا وإدّعاؤه كذب محض وباطل صرف ولكنّه يتمسّك بالأدلّة الّتي وضعها رفيقه الصادق أي يقول لو أنّ جميع المظاهر يدّعون الأوّليّة والآخريّة والبدئيّة والختميّة فذلك حقّ لأننا جميعاً في حكم ذاتٍ واحدةٍ وروحٍ واحدةٍ وأمرٍ واحدٍ وكلّنا متعدّدون حسب الظاهر ولكنّنا في الباطن واحد، وأيّ إنتقادٍ ننتقده على ذلك الكاذبِ يقولُ في الجواب إنّ أمثال هذه الانتقادات قد قيلت بحقّ السابقين فإنْ أردتم مشاهدة آياتي وبيّناتي فتعالوا عندي لتروها بأعينكم، ففي هذه الحال ماذا نعمل نحن المساكين على سطح الأرض؟ وبأيّة وسيلة نعرف حقيّة هذا وحقيّة ذاك؟ وإلى عتبة أيّهما نتوجّه؟ وهل نذهب إلى عكّا أم إلى الهند؟ وبأيّة إستطاعةٍ ووسيلةٍ نسافر؟ وكيف نعرف أيهما الصادق وأيهما الكاذب؟ إذاً إتّضح مما ذكرناه أنّ كلّ دليل ذكره في كتاب الإيقان من أجل إثبات حقيّته إنما هو ضعيف في منتهى الضعف والتعليل والسخف ويؤدّي إلى تصديق الكاذب المخادع. وكذلك إعتذاره تجاه الاعتراض ات الموجّهة إليه بأنّ مثل هذه الاعتراض ات قد قيلت بحقّ السابقين وأنّ دعوة الخلق إلى عتبة مدّعي المظهريّة لمشاهدة الحقيقة وخصوصاً بالصورة الأخيرة الّتي فرضناها أمراً خارجاً عن دائرة العقل والشّرع بل من قبيل التكليف بالمحال والباعث لحيرة العباد في أمر الدين [**فافهم ولا تكن من المناظرين المعاندين الخادعين فإنّ الحقد والعناد والخدعة والفساد من خطوات الشياطين فلا تتّبعوها إن كنتم من المتّقين**].

11. الجواب على شبهة الشيخ وبيان أنّه لم يفهم الفرق بين دفع الشبهات وبين أدلّة الإثبات ثم بيان الشبهات الثلاث الّتي أدّت بالأمم إلى إنكار الأنبياء:

إنّ أوّل أخطاء جناب الشيخ في مطالعته لكتاب الإيقان الشريف هو أنّه لم يفهم الفرق بين حلّ الشبهات وبين أدلّة الإثبات. ومع ذكر هاتين النقطتين في ذلك الكتاب المبارك بمنتهى الصراحة والوضوح فإنّ جنابه قد سكت عن الجواب على أعظم الأدلّة وشرع في بحث شبهات الأمم الأخرى وظنّ تلك الشبهات دليل حقيّة الظهور ولهذا فإنّي أعرض في خدمة أولي الألباب لتوضيح هذا الموضوع أنّ كلّ أمّة تنكر ظهور النبيّ الّذي يظهر بعدها وتعتبره والعياذ بالله كاذبا ومفتريا فإنّ إنكارها هذا ناشيئ عن شبهات منعتها عن معرفته وأصبح التمسّك بتلك الشبهات سدّاً منيعاً بين تلك الأمّة وبين إيمانها وإذعانها. وعندما يمعن الشخص البصير النظرَ في سبب إعراض الأمم عن

الأنبياء ويفحص بصورة دقيقة أقوالها ومستنداتها في رفض الأنبياء والمرسلين يجد أنّ شبهات هؤلاء المنكرين تنحصر في ثلاث شبهات:

الشّبهة الأولى: وهي أعظم الشبهات وهي أنّ هذه الملل والأديان الموجودة سواء البوذيّة أو الهنود أو الزردشتيّون أو النصارى أو اليهود تعتبر كلّ واحدة منها شارع دينها آخر المشرّعين للأديان الإلهيّة وشريعته وكتابه آخر ورقة في شرائع الأوّلين وكتبهم بحيث يُعقل أنْ تزول السماء والأرض ولكنّ تغيير حكم من أحكامها لا يُعقل ولا يجوز ويعتبرون نسخ شريعتهم وتغييرها من أوّل المستحيلات ويرون بقاءها وأبديّتها من البديهيّات ومن الضروريّات الدينيّة الثابتة، وإنْ شكّ أحد في صدق هذا القول فإنّ هذه الملل المذكورة موجودة في أكثر المدن بل القرى ومختلطة بالناس ويمكن السؤال منها عن صدق هذا الادّعاء أو كذبه والإطّلاع على الواقع لديها.

الشبهة الثانية: العلامات الواردة في الكتاب الإلهي في كيفيّة الظهور الآتي والتمسّك بالظواهر غير المعقولة لتلك العلامات وهي تكوّن دائماً سدّاً في سبيل إيمان أولي الأوهام والظنون. وقد وردت هذه العلامات في جميع الكتب السماويّة بلهجة واحدة ونزلت بنحوٍ واحد على الأغلب. فكما ورد في القرآن المجيد من العلامات المحتوم للقيامة ولقيام القائم وروح الله وإنفطار السماء وظلمة الشمس والقمر وسقوط النجوم والكواكب وقيام الأموات وتجديد السماء والأرض وقوّة الموعود وقدرته وغلبته وسلطنته وإنخذال المنكرين والمكذّبين وزوالهم وإضمحلالهم، فكذلك وردت في الإنجيل نفس تلك العلامات المذكورة والإمارات المأثورة وكذلك نزلت في أسفار أنبياء بني إسرائيل نفس تلك العلامات ونزلت عين تلك العلامات في حوادث ظهور المسيح الموعود. وكذا الأمر في بقيّة الأديان والكتب السماويّة. وإنْ شكَّ أحدٌ في صدق هذه القضيّة فليرجع إلى كتب هذه الملل الّتي ذكرناها وهي اليوم مطبوعة بحمد الله وموجودة في كلّ مكان.

الشبهة الثالثة: الأخبار الموجودة في جميع الأديان حول رجعة بعض السابقين وقد ذكرت في الكتاب السماوي لكلّ ملّة. فمثلاً الأمّة الزردشتيّة تنتظر رجعة بعض أكابر الزردشتيّين مثل كيخسرو وبشوتن عند ظهور الموعود فينصرونه في نشر كلمته بقوّتهم الغالبة في جميع أقطار العالم. وكذلك الأمّة البرهميّة تعتقد كما هو مدوّن في كتبها بأنّ بعض عظمائها سيرجعون بأشخاصهم ويقومون على نشر دينهم. وكذا اليهود ينتظرون بصريح الآية الكريمة من الإصحاح الرابع من سفر ملاخي أنّ إيليّا أي إلياس عليه السلام الّذي صعد إلى السماء حسب عقيدة اليهود والنصارى والمسلمين سوف ينزل من السماء قبل ظهور المسيح ويبشّر الناس بقرب ظهور المسيح. وهذه

المسألة عند اليهود من الضروريّات الدينيّة المؤكّدة البديهيّة. فعندما ظهر عيسى عليه السلام سألوه قائلين إنْ كنتَ أنتَ المسيح الموعود فلماذا لم يظهر إيليّا النبيّ قبلك؟ فأجابهم حضرته: نعم إنّه جاء ولكنّكم ما عرفتموه وعملتم به ما أردتم. ويقصد حضرته يحيى بن زكريا عليه السلام. وهذه القضية صريحة في الآية (13) من الإصحاح (11) من إنجيل متّى حيث يتفضّل: "وإنْ أَرَدْتُمْ أنْ تَقْبَلوا فَهَذا هُوَ إيليّا المزْمَعُ أنْ يأتي. مَنْ لَهُ أُذُنانِ لِلسَّمَعِ فَلْيَسْمَع". ولكنّ اليهود إستبعدوا هذا التأويل وإزدادوا حيرة وإنزعاجاً مثلما حدث لجناب الشيخ من تفسير الآية الكريمة: "إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأثيمِ"[151] والآية الكريمة: "ذُقْ إنَّكَ أنتَ العزيزُ الكَريم"[152] لأنّ اليهود كانوا منتظرين نزول إيليّا بشخصه لا أنْ يولد إنسان آخر غيره بينما عيسى عليه السلام بدون مناسبة إسميّة أو نَسَبِيّة أو صُوَرِيّة سمّى يحيي بن زكريا إيليّا. واليهود باقون إلى يومنا هذا على عقيدتهم هذه وينتظرون نزول إيليّا بشخصه. وكذلك الأمّة النصرانيّة تنتظر نزول عيسى عليه السلام بشخصه ونظراً لتأكيدات حضرته الصريحة في الإصحاح (24) من إنجيل متّى وفي غيرها من الآيات بأنّ كلّ شخص يظهر غير حضرته باطل وكاذب بقيت أمّة النصارى إلى يومنا هذا مطمئنّة في رفضها الدين الإسلامي ومرتاحة تماماً لتكذيبها شارع هذا الدين المبين. وهي مصرّة على صحّة عقيدتها ومذعنة لها. وكذلك الأمّة الإسلاميّة فينتظر أهل السنّة نزول عيسى عليه السلام بشخصه من السماء بعد ظهور المهدي الموعود ويكون له على العالم حكم نافذ وسلطان مهاب ولكنّ حضرته بحسب حكم فقهاء هذه الملّة غير مأذون بأن يحكم بغير الشريعة الإسلاميّة ولا يصدر حكماً بغير الفقه الحنفي. أما أهل التشيّع فينتظرون رجوع الإمام محمّد بن الحسن العسكري عليه السلام باسم القائم ورجوع الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام باسم الظهور الحسيني بشخصيهما ليوحّدا العالم على مذهب الشيعة. وخلاصة القول فإنّ مسألة رجوع الأشخاص ثابتة وواردة في جميع الأديان وكلّ أمّة مبتلية بهذا الموضوع. وقد ثبت مما عرضناه أنّ هذه الشبهات الثلاث تمنع الأمم دائماً عن تصديق مظاهر أمر الله وهي عبارة عن: عدم جواز نسخ وتغيير الأديان، وعدم ظهور العلامات، وعدم رجوع الموعود بشخصه. وحيث أنّ التمسّك بهذه الشبهات يؤدّي إلى تكذيب مظاهر الحقّ بل ينتهي إلى إبطال جميع الأديان الإلهيّة الحقّة لهذا خصّص الله جلّ جلاله الجزء الأكبر من كتاب الإيقان الشريف لحلّ هذه الشبهات وخصّص الجزء الأخير منه لذكر الأدلّة والبراهين الخاصّة. وفي موضوع الأدلّة والبراهين على حقيّة الظهور المبارك خصّص عشرين صفحة تقريباً لذكر أعظم دليل من هذه الأدلّة وهو عبارة عن الآيات الإلهيّة والوحي السماوي وبرهن لجميع مَنْ على الأرض حجّية

---

[151] الدخان: 43

[152] الدخان: 49

كتاب الله. وقد إشتبه الأمر على جناب الشيخ في هذه النقطة وإعتبر حلّ الشبهات دليلاً وأنهى إعتراضه الفرضي الموهوم والمستحيل بهذا التذييل: ["**فالدليل الّذي يفضي إلى تصديق الكاذب لا يصلح أن يكون دليلاً**"]، ولكنّه نسي أنّ هذه الشبهات لو كانت تؤخذ بنظر الإعتبار فإنّها تؤدّي إلى إبطال الأديان الحقّة وكلّ من يتمسّك بها يلحق بالأمم الهالكة ["**فالطريق الّذي يفضي إلى إبطال الحقّ لا ينبغي أنْ يُتَّخَذَ مسلكاً وسبيلاً**"]. وظنّ جناب الشيخ أنّ الجمال الأقدس الأبهى جلّ ذكره وعزّ إسمه لما تفضّل "إنَّ مظاهرَ أمرِ اللهِ كُلُّهُمْ مَظاهِرَ حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ" قصد بهذه العبارة الاستدلال على حقيّته أو حقيّة النقطة الأولى عز إسمه. يا سيّدي الشيخ إنّ هذا الوجود الأقدس الأبهي والظهور الألطف الأعلى كما عرضناه في المقالة الأولى قد ظهر براية الوحي السماوي وقام بأعظم الآيات الإلهيّة الّتي بها يقوم كلّ دين وسخّر الأفئدة والقلوب بسيف كلمة الله القاطع وخطف أبصار أهل المكابرة والإنكار بلمعان قضيب كتاب الله حتى تتحقّق بشارة الكتاب المقدّس القائلة: "يَضرِبُ الأرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ وَيُمِيتُ المنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ" ويتحقّق قول أبي جعفر عليه السلام: "لَهُ مُخْتَرَطٌ يَفْتَتِحُ اللهُ لَهُ الرُّومَ وَالصِّينَ وَالتُّرْكَ وَالدَّيْلَمَ وَالسِّنْدَ وَالْهِنْدَ ".

وقد ورد في الإيقان الشريف بيان المعاني الحقيقيّة لإنفطارالسماء وتجديد الأرض ورجعة الحقائق وغير ذلك من أجل دفع الشبهات الّتي لا تزال حتى الآن سبب حرمان الأمم الهالكة من تصديق مظاهر أمر الله، وقد أدّى الجهل بهذه الحقائق إلى جرأة المجوس واليهود وجسارتهم في تكذيب عيسى ومحمّد عليهما السلام. وأقلّ فائدة ظهرت في العالم من بيان المعاني الحقيقيّة وكانت فائدتها وتأثيرها كالنور على شاهق الطور هي أنّ نفوساً كثيرة من اليهود والمجوس الّذين رسخت في قلوبهم كراهية عيسى ومحمّد عليهما الصّلاة والسلام قد تبدّلت كراهيتهم إلى محبّة هذين الوجودين الكريمين بسبب حلّ كتاب الإيقان الشريف لهذه الشبهات وتبدّلت ضلالتهم إلى الإيمان بسبب هذه البيانات الواضحة. ولو يمعن رؤساء الضلالة وقوّاد جيوش الجهالة نظرهم قليلاً ويتدبروا قليلاً فإنّهم لا شكّ سيفهمون لماذا لم يستطيع علماء الأمّة الإسلاميّة وفضلاؤها بعد إنقضاء ألف سنة على أيّام أئمّة الهدى أن يجعلوا شخصاً من اليهود والمجوس يدخل في الدين الإسلامي عن طيب خاطره وبرغبته وبقوّة الدليل والبرهان ويجعلوه يعترف بحقيّة الشريعة الغراء والملّة البيضاء بدون إكراه أو إجبار أو إستعمال الطرق الدنيئة المعهودة منهم، في حين أنّ هذه الفئة إستطاعت بالرغم من مظلوميّتها ومن إحاطتها بالمصائب الكثيرة وعدم قدرتها وعزّتها وسلطانها الظاهري أن تُدخل آلافاً من هذه النفوس البعيدة

الزردشتيّة واليهوديّة وغيرها من الأمم إلى شريعة الإيمان بقوّة برهان كتاب الإيقان الشريف وبياناته الرشيقة اللطيفة وأن تتوفّق إلى عبوديّة الجمال الأقدس الأبهي وخاتم الأنبياء وعيسى أرواحنا وأرواح العالمين لحقيقتهم المقدّسة فداء بكلّ رسوخ وثبوت إعترافاً وإذعاناً عجزت سيوف الأعداء عن قطع حبل إيمانهم المتين وخاب تيّار البلايا عن إطفاء نار محبّتهم وإيقانهم وهذا مقام إمتاز فيه الموقن عن المريب وقُطعت فيه جهيزة قول كلّ خطيب وتمّ فيه شعر ذاك الشاعر اللبيب:

وَكُلٌّ يـدَّعي وَصْلاً بِلَيْلى ... وليلى لا تُقِرُّ لَهُمْ بِذاكا
إذا انْبَجَسَتْ دُموعٌ مِنْ خُدودٍ ... تَبَيَّنَ مَنْ بَكى مِمَّنْ تَباكى

وخلاصة القول لو أنّ هؤلاء الأشخاص الّذين إكتفوا بالألفاظ في الأمور السابقة عرفوا هذا الأثر الباهر لإنتبهوا إلى مقدار فضل الحقّ جلّ جلاله في تنزيل كتاب الإيقان الشريف ولعرفوا قدر حلّ هذه الشبهات الّتي كانت خلال آلاف السنين أقوى مانع حال دون هداية الأمم وإقبالها ولأطلقوا ألسنتهم بشكر الله جلّ جلاله وجلّ إحسانه على هذه الموهبة العظمى والعطيّة الكبرى ولكن هيهات أن تهتزّ القلوب القاسية بهذه النفحات اللطيفة وأن تتنوّر الأفئدة المظلمة من الحسد والبغضاء بهذه الأنوار الباهرة كما قيل: "بنسيم الأسحار يتفتّح الورد لا الحطب الّذي لا يتفتّح إلاّ بضربات الفؤوس".

12 في بيان الحديث القائل بأنّ ظهور القائم الموعود هو رجعة جميع الأنبياء والأولياء السابقين:

وأمّا أنّ القائم الموعود سوف يدّعي في وقت ظهوره بأنّ وجوده المبارك هو حقيقة جميع مظاهر أمر الله والأنبياء والمرسلين والأولياء والمقدّسين الّذين ظهروا سابقاً فذلك ما صرّحت به أحاديث أهل البيت الطاهرين وإحتوته الكتب الموثوقة. فأنظروا في الحديث المشهور الّذي رواه المجلسي عليه الرحمة في مجلّد الغيبة من كتاب بحار الأنوار ورواه الشيخ الأكبر طيّب الله تربته في كتاب شرح الزيارة عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام أنّه قال: "وَيَظْهَرُ سَيِّدُنَا القَائِمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إلى الكَعْبَةِ ، وَيَقُولُ : يَا مَعْشَرَ الخَلائِقِ ألا وَمَنْ أرَادَ أنْ يَنْظُرَ إلى آدَمَ وَشِيث، فَها أنا ذا آدَمُ وَشِيثُ، ألا وَمَنْ أرَادَ أنْ يَنْظُرَ إلى نُوحَ وَوَلَدَهُ سَام فَهَا أنَا ذا نُوحُ وَسَام، ألا وَمَنْ أرَادَ أنْ يَنْظُرَ إلى إبْرَاهِيمَ وَإسْمَاعِيلَ فَهَا أنَا ذا إبْرَاهِيمُ وَإسْمَاعِيلُ ، ألا وَمَنْ أراد أنْ يَنْظُرَ إلى مُوسَى وَيوشَع، فَهَا أنَا ذا

مُوسى وَيوشَع، ألا وَمَنْ أرَادَ أنْ يَنْظُرَ إلى عِيسَى وَشَمْعُون فَهَا أنا ذا عِيسَى وَشَمْعُون. ألا وَمَنْ أرادَ أنْ يَنْظُرَ إلى مُحَمَّدْ صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَليّ فَهَا أنا ذا مُحَمَّدْ وَعَليّ، ألا وَمَنْ أرَادَ أنْ يَنْظُرَ إلى الحَسَنَ والحُسَيْنَ عَلَيْهِما السَّلامَ فَهَا أنا ذا الحَسَنَ والحُسَيْنَ، ألا وَمَنْ أرَادَ أنْ يَنْظرَ إلى الأئِمَّةِ مِنْ وَلَدِ والحُسَيْنَ فَهَا أنا ذا الأئِمَّةِ مِنْ وَلَدِ والحُسَيْنَ".

فالآن أيّها المطالع لهذه الصفحات تأمّل قليلاً في هذا الحديث الشريف وأنظر فيما نزل في كتاب الإيقان الشريف بأنّ مظاهر أمر الله كلّهم مظهر حقيقة واحدة وجميعهم في حكم ذاتٍ واحدةٍ وروحٍ واحدٍ وجسدٍ واحدٍ لِترى هل أنّ ذلك يطابق بشارات أئمّة الهدى عليهم السلام أم يخالفها. نعم إنّ ما هو محقّق هو أنّ جميع حوادث هذا الظهور الأعظم قد وردت في الكتاب المجيد وفي أخبار الأئمّة الطاهرين ولكنّها لا تراها العيون غير البصيرة والأفئدة غير الطاهرة كما قال تعالى: "فَإنَّهُ لا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الّتي في الصُّدُورِ"[153] ولو أمكن أن ينتبه كاذب إلى هذه الحقائق المقدّسة ويستطيع كشف هذه الدقائق اللطيفة ويعتبر تفسير هذه المسائل الغامضة الإلهيّة من علائم حقيّته لما بشّر بها رسول الله وأئمّة الهدى ولما إعتبروها من علائم القائم الموعود ومن خصائص ظهور طلعة المعبود ولما أغرّوا العالم بالجهل ولما ألقوا بالناس في الضلال. ولو وجد هؤلاء الجهّال والمكابرون الّذين يريدون بسعيهم الباطل العقيم أن يستروا أنوار النيّر البازغ المشرق بغيوم الشبهات وضباب الشكوك عُشرَ هذا المقدار من البشارات الصريحة في التوراة والإنجيل والمبشّرة بظهور رسول الله لملأوا الدنيا صخباً وضجيجاً ولرموا الناس في اضطرابات يوم النشور. ولكن ما العمل وقد حَرَمَتْ الغفلةُ والتعصّبُ قلوبهم من روحِ الحياة وحَرَمَتْ عيونهم من نور البصيرة كما قال تعالى: "أولَئِكَ الّذينَ طَبَعَ اللهُ عَلى قُلوبِهِمْ وَسَمَعِهِمْ وأبْصَارِهِمْ وَأولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونْ"[154]. ولنرجع إلى ما كنا في صدده من أنّ جناب الشيخ لم يفرّق بين حلّ الشبهات وبين الأدلّة البيّنات وظنّ حلّ الشبهات دليلاً. وبِوَهْمٍ ظاهرِ البطلان إعترض على جمال الرحمن. وحيث أنّ من المستحيل إلزامَ المكابر بسهولة لذا فإنّي أضرب مثلاً في هذا الموضوع حتى يطّلع العلماء والعوام ويفهموا مغالطة المكابرين. فمثلاً من الواضح على من له إطّلاع على القرآن المجيد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد إستدلّ في إثبات حقيّته بآيات الكتاب وبإيجاد الشريعة المقدّسة الإسلاميّة وبنفوذ الكلمة الإلهيّة وقد ذكر هذا الاستدلال في مواضع عديدة من الكتاب المجيد. وعندما نظر النصارى إلى نصوص الإنجيل إنتقدوا رسول الله قائلين إن كان حضرته هو ظهور النبي الموعود فلماذا لم تنزل معه الملئكة الّذين يقومون على إنذار الأمم كما جاء في الإنجيل وينصرونه بأخبار الملل وجاء إنتقادهم في الآية الكريمة:

---

[153] الحج: 46

[154] النحل: 109

"وَقالوا لوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلِكٌ ولَوْ أنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرون"[155] كما أشارت إلى هذه الشبهة الآية الكريمة: "وَقالوا ما لِهَذا الرَّسولِ يَأكُلُ الطَّعامَ وَيَمْشي في الأسْواقِ لَوْلا أُنْزِلَ إلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكونَ مَعَهُ نَذيراً"[156]. وعندما تكرّر هذا الإنتقاد نزل الجواب من لسان العظمة: "وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسونَ"[157]. ومقصوده تعالى في هذه الآية المباركة أن ظهور روح القدس لا يمكن ولا يُعقل إلاّ في هيكل بشري ولا تتجلّى الذّات المجرَّدة في جسم هيولي. وعندما يتجلّى الرّوح القدس في هيئة إنسانيّة فإنّه يكون عِرضةً لجميع العوارض البشريّة وتظهر عليه كلّ المقتضيات الجسمانيّة من الأكل والشرب والنوم واليقظة والجلوس والمشي وغيرها. والآن لا يمكن أن يُقال أنّ رسول الله عليه الصلاة والسلام إعتبر حلّه لهذه الشبهات الدّقيقة دليلاً على حقيّته وإعتبر الكتاب المجيد الّذي هو أعظم دلائل حضرته كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، وقد إشتبه على العوام المساكين أنّ دليل حضرته هو دفعهِ لهذه الشّبهات وكأنّه عليه الصلاة والسلام مجرّدٌ من جميع الأدلّة والبراهين والبيّنات.

فلمّا إطّلعتم على هذه الحقائق الثابتة الواضحة تستطيعون بكلّ وضوح أن تفهموا أنّ ما كتبه جناب الشيخ في رسالته الأولى "بأنّه لا بدّ أن يظهر نبي يكون دينه آخر ورقة في كتب الأوّلين" ثم فرض بعد ذلك ظهور نبيّ بهذه الصفة وفرض إستقرار شريعته وفرض فرضاً ثانياً وهو خروج شخص باطل تماماً يريد إقامة دين ثانٍ بعد ذلك النبي الحقّ قائلاً "كلّنا مظاهر حقيقة واحدة وذات واحدة وروح واحدة فإنّ دليله هذا غير كافٍ لأنّه يؤدّي إلى تصديق الكاذب" كل هذه الفرضيّات أوهام باطلة توهّمها جناب الشيخ وتصوّرات خياليّة لم تقع ولن تقع أبداً إذ من الثابت والمحقّق أنّه لا الجمال الأقدس الأبهي إعتبر دفع هذه الشبهات دليلاً على صاحب الأمر ولا إعتبر إتحاد مظاهر أمر الله برهاناً على حقيّة ادّعاء النقطة الأولى عزّ إسمه الأعلى ولا كلمة "خاتم النبيّين" تدلّ على أنّ شريعة ثانية لن تظهر بعد الشريعة النبويّة ولا كلمة "لا نبيّ بعدي" تدلّ على أن صاحب أمرٍ لن يظهر بعد رسول الله، بل قد ثبت بالآيات القرآنيّة وبالأحاديث الصحيحة عكس ما توهّمه الشيخ وفرضه. وقد إتّضح أنّ الله جلّ جلاله ورسول الله وأئمّة الهدى عليهم سلام الله قد صرّحوا ونصّوا على أنّ ظهور القائم الموعود وقيام روح الله هذ ظهورُ كلّي للألوهيّة وهو مقام إصالة وشارعيّة لا مقام وصاية أو خلافة أو نيابة. وإنّ شريعة جديدة سوف تُشرَّع بظهور هذين الظهورين الأقدسين الأعليين وتظهر

155 الأنعام: 8
156 الفرقان: 7
157 الأنعام: 9

الدّيانة الإلهيّة الحقّة وتنطوي سموات الأديان القديمة، ورغماً لتكذيب المكذّبين وإنكار المكابرين سوف تنطمس معالم تلك السموات وتزول.

13. في جواب شبهة جناب الشيخ في رسالته الثانية الّتي إعتقد بأنّه كتبها بصورة أوضح وفرض فيها ظهور مدّع صادق ومدّع كاذب في زمان واحد:

وبعد أن إتّضح جوابنا على رسالة جناب الشيخ السابقة لننظر الآن في إنتقاده في رسالته الثانية والّذي ظنّ أنّه كتبه بشكل أوضح. وخلاصته هو أننا لو نفرض ظهور شخصين في زمان واحد يكون أحدهما حقّاً ودينه وكتابه آخر ورقة في كتب الأوّلين ويكون الآخر كاذباً ولكنّه بأدلّة المدّعي الصادق. وبعد هذا الفرض الضعيف الباطل ظنّ أنّ العجز في التفريق بين الحقّ والباطل هو طريق الفرار عن أمر الرحمن وهذا ما لا يرضاه كلّ عاقل. وشرع يبكي وينوح قائلاً: "وماذا نعمل نحن المساكين أهل الأرض وكيف نعرف حقيقة هذا من ذاك وإلى عتبة من نتوجّه" . فيُفهم من عبارات جناب الشيخ أوّل ما يُفهم أنّ الله تبارك وتعالى لم يبيّن الفارق بين الحقّ والباطل وهو أهمّ المسائل الدينيّة، وترك هذه المسألة المهمّة والعياذ بالله في القرآن المجيد مهملةً مع أنّ القرآن الكريم قد إحتوى "تبياناً لِكلِّ شَيْءٍ"[158] وإحتوى الآية: "مّا فَرَّطْنَا في الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ"[159] فلا سمح الله أن يكون رسول الله وائمّة الهدى عليهم أطيب التحيّة والبهاء مقصّرين في إبلاغهم كلمة الله أو أنّهم لم يبيّنوا علامات ظهور الحقّ وإماراته وموقعه ومحلّه وميعاده تاركين هؤلاء المساكين على وجه الأرض وفقراء سطح الغبراء حيارى تائهين من دون دليل وبرهان: "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً"[160] لأنّ جناب الشيخ لو كان مؤمناً بأنّ هذه المسألة موجودة في القرآن المجيد وفي الأحاديث الصحيحة المأثورة عن أهل البيت لَوَجَبَ عليه أن يبيّن الفارق الّذي يعرفه ولما ناح وندب مسكنة أهل الأرض وفقرهم. ولكنّ هذا العبد يعرض في خدمته ويقول يا سيّدي الشيخ لا شكّ أبداً في أنّ كتاب الله المجيد هو الحاكم بيننا وبينكم وهو فصل الخطاب بين الحقّ والباطل لأنّ الحقّ لدى أهل البصيرة معلوم وممتاز عن الباطل إمتياز الظلّ عن الشمس وأنّ الصدق معروف وواضح عن الكذب لدى أرباب الذوق وضوح السُكَّر من الخلّ. والباطل لا يستدلّ أبداً بالحجّة الّتي يمتاز بها الحقّ ولا يمتاز الكاذب بوحي سماويّ وبقاء قوله ونفوذه وغير ذلك من خصائص الداعي الصادق ولا تصدق بحقّ المفتري بشارات الأنبياء وإمارات المرسلين. وحيث أننا ذكرنا في المبحث الأوّل دليل حقيّة الحقّ وبطلان الباطل بصورة مفصّلة فلا نحتاج إلى إعادة ذلك في هذا المقام أو إطالة الكلام من دون فائدة. وكلّ ما في الأمر أنّ الغافلين نسوا الوعود الإلهيّة واعتبروا الوعود الإلهيّة شيئاً لم يكن مذكوراً. وقد تركوا القرآن المجيد كما وعد به رسول الله وأمير المؤمنين. وفي الوقت الّذي تراهم

[158] النحل: 89
[159] الأنعام: 38
[160] الاسراء: 42

يتحمّلون مشاقّ الأسفار البعيدة من أجل التجارة والمناصب الدنيويّة والمنافع الشخصيّة تراهم يظهرون النفرة والضجر من المسافرة لأجل فهم الدين والتمييز بين الحقّ والباطل والتأليف بين قلوب الأمّة وإزالة الاختلاف من بين الملّة وهو أمر من أهمّ فرائض أرباب الغيرة والحميّة. وتراهم يرتّلون مراثي العجز والمسكنة ويظنّون الشكّ حجّة ودليلاً ويتصوّرون الإعتراف بالعجز مع عدم وجود العجز عذراً مقبولاً. وهيهات أن تُعفي هذه الأعذار الباردة العبدَ من مسؤوليّته في محضر الأحديّة. ولنفرض أنّ الداعي كان كاذباً في الواقع ولكنّ المجاهد حينما يقوم لوجه الله ويهاجر من بلده في طلب الحقّ فلا شكّ أنّه ينال أجر المهاجرة إلى الله والمجاهدة في سبيل الله ويهتدي إلى الهداية الحقيقيّة والمعرفة الاجتهادية الّتي هي أفضل الرغائب والمواهب الإلهيّة.

[**يا أولي البصائر**] مع أنّ السفر أيّام إرتفاع نداء خاتم الأنبياء المحيي للأرواح من أفق يثرب (وأيّام دعوة مسيلمة الكذاب الضعيفة كطنين الذباب) كان سفراً صعباً وكان المسافر من حدود إيران وبلاد الخزر يتحمّل المشاقّ العجيبة مدّة لا تقلّ عن ستّة أشهر لم تفد هذه الأعذار الباردة. ومن بين أربعين مليون شخص في بلاد إيران وتركيا نال شخص واحد هو سلمان الفارسي هذا الفخر الأعظم بينما جلس الباقون في بيوتهم ولم يكترثوا بالنداء الإلهي وتصوّروا الشكوك والعجز حجّة ودليلاً بيدهم ونزل في حقّهم حكم الموت والكفر والغفلة والهلاك فكيف بهذا اليوم الّذي فيه جَعَلَتْ السكك الحديديّة والسفن البخاريّة ووسائط النقل الأخرى الأسفارَ سهلةً يسيرةً وأصبحت الهجرة إلى الله في منتهى الراحة والأمان، وحاشا لله جلّ جلاله أن يقبل هذه الأعذار الكاذبة أو يُعفي الجالسين في بيوت الوهم والشكّ عن مسؤوليّة البحث عن الحقيقة واليقين وقد قال تعالى: "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"[161].

يا أولي البصائر، أنظروا في صحيح مسلم حيث روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: "إذا رَأَيْتُمْ الرَّاياتِ السّودِ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ خُراسَانَ فَأْتُوهَا وَلَوْ حَبْواً عَلَى الثَّلْجِ فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللهِ الْمَهْدِيّ" وهذا الحديث مرويّ كذلك في كتب الشيعة من طُرقٍ مقبولة فانظروا كيف أنّه أمر أمّته بالهجرة والمسافرة عند ظهور علامة واحدة ولو زحفاً على الصدور فوق الثلج في حين أنّ جناب الشيخ بعد ظهور جميع العلامات وبعد استدلال أهل البهاء بكافّة الدلائل والبيّنات تراه يظهر عجزه عن الأسفار المريحة ويعتبر الخلق معافين عن الهجرة إلى الله بفرضيّاته الموهومة

[161] التوبة: 123

وبشكوكه المعلومة. والسبب في هذا هو أنّ رسول الله وخاتم النبيّين كان يعلم أن كاذباً لن يستطيع الظهور بجميع هذه العلامات والآيات الباهرات. ولكنّ هذا العلم مسلوب من أهل الظنّ والشكوك. ونهاية مطلوب أهل الهوى هو البقاء في حالة التردّد والشكوك. وكذلك روي في مجلّد الغيبة في بحار الأنوار عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: "لابُدَّ لَنا مِنْ آذَرْبيجان لا يَقومُ لها شَيْءٌ فَإذا كَانَ ذَلِكَ فَكُونُوا أَحْلاسَ بُيُوتِكُمْ وَأَلْبِدوا مَا أَلْبَدْنا فَإذَا تَحَرَّكَ مُحَرِّكٌ فَاسْعُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ حَبْواً ، وَالله لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمَقَامِ يُبايِعُ النَّاسَ عَلَى كِتَابٍ جَدِيدٍ ، عَلَى العَرَبِ شَدِيدٍ " وهذا الحديث الشريف يشير إلى حادثة شهادة النقطة الأولى عزّ إسمه الأعلى وإلى الفتن المظلمة في تلك الأيّام الّتي لن يستقيم فيها شخص على أمر الله إلاّ نفوس قليلة إهتدت قلوبهم وتنوّرت بنور الهداية الإلهيّة وكانت هذه الوجودات المقدّسة ساكنة صابرة إلى أن إرتفع النداء الإلهي من مدينة عكّاء النوراء وظهر محرّك القلوب ومنوّر الأفئدة والصدور "وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّميعُ العَليمْ "[162].

وخلاصة القول فإنّ غبار الشكّ والحسد لا يُظلم أبصار أولي الألباب. أنظروا كيف حثَّ رسول الله وأئمّة الهدى عليهم السلام العباد على الهجرة والمسافرة بمجرد رؤية علامة واحدة ولم يُعفِ احداً بسبب هذه الشكوك الواهية بأن يفرض ظهور داعيين ويقول نحن المساكين لا نعرف إلى أيّهما نتوجّه وكيف نميّز الحقّ عن الباطل وبأيّة إستطاعة ووسيلة نسافر؟ ولم يسمح بتعطيل أمر الله بهذه الفرضيّات الوهميّة والشكوك المضحكة والكلمات الباردة. والسبب في كلّ هذا هو ما عرضناه مراراً بأنّ أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم أجمعين كانوا يعلمون أنّ الحقّ لا يشتبه ابداً بالباطل وأنّ الكاذب لا ينجح أبداً والمفتري لا تنفذ أقواله والكلمة الخبيثة لا تدوم ولا تبقى كما قال تعالى: "إنَّ اللهَ لا يُصلِحُ عَمَلَ المُفسِدين"[163].

يا أصحاب النظر والإدراك، تأمّلوا قليلاً وتدبّروا في الإصحاح السادس عشر من إنجيل متّى لِتعلموا يقيناً أنّ شكوك جناب الشيخ لا تنافي الإيقان الشريف والقرآن المجيد فحسب بل تنافي جميع الكتب السماويّة وتخالف كافّة الأصول الإلهيّة فقد تفضّل في الإصحاح المذكور: "وَجَاءَ إِلَيْهِ الفَرِّيسِيُّونَ وَالصَّدُّوقِيُّونَ لِيُجَرِّبوهُ فَسَألوهُ أنْ يُرِيَهُمْ آيَةً مِنَ السَّماءِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ إِذَا كَانَ المَسَاءُ قُلْتُمْ صَحْوٌ لِأنَّ السَّمَاءَ مُحَمَّرَةٌ وَفِي الصَّبَاحِ اليَوْمَ شِتَاءٌ لِأَنَّ السَّمَاءَ مُحَمَّرَةٌ

162 الأنعام: 115
163 يونس: 81

بِعُبوسَةٍ. يَيَا مُرَرَاؤونَ تَعْرِفُفُونَ أنْ تُمَيِّزُزُوا وَجْهَ السَّمَاءِ وأمَّمَّا عَلامَاتِ الأزْمِنَةِ فَلا تَسْتَطِيعُونَ. جِجِيلٌ شِرِّيرٌ فَفَاسِقٌ يَلْتَمِسُ آيَةً وَوَلا تُعْطَطَى لَهُ آيَةٌ إلاّلاّ آيَةُ يُيُونَانَ النَّبِيِّ. ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَمَضَضَى".

فانظروا الآن قليلاً في هذه البيانات وتفكّروا بأنّ شكوك وفرضيّات جناب الشيخ لو كانت تستحقّ العناية وكانت هذه الأعذار الباردة مقبولة عند الله فما أشدّ إنطباق هذه الانتقادات على كتاب الإنجيل من إنطباقها على الإيقان والقرآن. لأنّ جناب الشيخ لا بدّ أن يردَّ في الجواب على عيسى عليه السلام قائلاً: "نعم إنّ علامات الأزمنة معلومة وثابتة" ثم يضيف قائلاً له: "لنفرض أنّ شخصاً آخر كذلك يظهر في الهند أو في أفريقيا بنفس هذا الادّعاء ويطرح نفس هذه الأبحاث الّتي تطرحونها ويُسمّي كل شخص يطلب منه معجزة فاسقاً وشرّيراً ويحيله فقط على علامات الأزمنة ففي هذه الحالة إلى أيّهما نتوجّه نحن المساكين على وجه الأرض ؟ وبأيّة إستطاعةٍ ووسيلةٍ نسافر؟ وكيف نعرف الصادق وأيّهما الكاذب؟" (إلى آخر بياناته المضحكة وتشكيكاته المدهشة). ولكنّ العاقل البصير يعرف أنّ هذه البيانات المباركة والبراهين النورانيّة الّتي فاض بها عيسى عليه أطيب التحيّة والثناء هي أكمل بيانات وأتقن براهين لأنّها مبنيّة على إمتياز الحقّ من الباطل مثل إمتياز الشمس عن الظلّ. لأنّه لا يمكن أبداً لتلك النورانيّة والهيبة والنّفوذ والبقاء والغلبة والقدرة الموجودة في الحقّ وفي آثاره أن تظهر في الباطل ولا يمكن أن تشتبه الشجرة الطيّبة بالشجرة الخبيثة. فمثلاً قد ظهر (تيورا السوري) و (يهوذا الجليلي) في زمان ظهور عيسى عليه السلام وإدّعيا مقاماً أعلى من مقامهما ولكنّهما بحكم الآية الكريمة: "وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ"[164] قد زالا بأقلّ ضربة وفي أقصر وقت وزُهقا ولم يعتنِ أحد بأصحابهما وأحبّائهما ولا بقيت منهما آداب أو مؤلّفات ولا كَتَبَ أحدٌ كتاباً في الرّد عليهما بل إنّ ندائهما كان ضعيفاً ووجودهما كان قليل الأهميّة إلى درجةٍ لم يُذكر إسماهما في كتاب العهد الجديد وما عرف أحد إسميهما. في حين أنّ أمر عيسى عليه السلام لما كان كلمة طيّبة إلهيّة فإنّه لم يفن بالظلم وبالقتل وبتشتيت الأتباع وبالنّفي في البلاد. ولم يضعف بكتب ردود اليهود والوثنيّة الرومانيّة بل كلّما إشتدّ ظلم اليهود والرومان وإزدادت كتب ردودهم وانتقادات هم للأمر المبارك إشتدّ نفوذ كلمة الله حتى أحاط العالم وثبت الحقّ وزال الباطل. وكذلك الأمر في زمان رسول الله خاتم النبيّين عليه الصلاة والسلام فقد قام مسيلمة الكذّاب وطليحة الأسديّ وسجاح التميميّة والأسود العنسيّ ومالك بن توبة وغيرهم وإدّعوا الشارعيّة ولكنّهم زالوا عند هبوب أقلّ عاصفة. ومثل هذا حدث في هذا الظهور الأعظم والطلوع الأفخم فقد إعتبر البعض من البلهاء أنّ تشريع الشرائع هو نتيجة العقول البشريّة لا

[164] ابراهيم: 26

المواهب الإلهيّة فألقى في روعهم وفي تصوّرهم المستحيل إحداث ديانةٍ. وكان بعضهم من أولي العلم والفضل. ولكنّهم زالوا من دون ضغط الدولة أو مقاومة أصحاب العلم والفقه. ولو ينظر الإنسان البصير في الألأ فكار الفاسدة الّتي ظهرت من أرغون خان المغوليّ وسعد الدولة اليهوديّ في إيران ومن علاءالدين الخلجي في بلاد الهند ومن فلاسفة الثورة الفرنسيّة عام 1793 في فرنسا وإنكلترا وأراد كل واحد من هؤلاء الملوك والأمراء والفلاسفة والعلماء تشريع شريعة وإيجاد ديانة بكلّ ما أوتوه من قوّة وقدرة ومن دون ممانعة أحد أو معارضته, لكنّهم خابوا وخسروا بقدرة الله وحده. فهناك أبصار تفرّق الحقّ عن الباطل وتستطيع التمييز بين الكلمة الطيّبة والكلمة الخبيثة. **[وأين الثرى من الثريّا وأين الضلالة من الهدى؟ وهل تشتبه الظلمة بالنور والغدير بالبحر المسجور إلاّ على الأعمى وفاقد البصيرة والحجى؟ لا وربّي الأبهي إنّ في ذلك لآياتٍ لأولي النهى]**.

****

في الجواب على الشبهة الثالثة من شبهات شيخ الإسلام

1. في بيان الشبهة الثالثة من شبهات جناب الشيخ الخاصّة بالتفاسير الواردة في الإيقان الشريف في بيان معاني الشمس والقمر والسماء وأمثالها:

كتب جناب الشيخ في رسالته الأولى أيضاً: "هناك شروط عديدة مهمّة عقلاً ولغةً في ترجمة وتفسير كلمات أيّ واحد من المظاهر القدسيّة من اللغة الّتي تكلّموا بها. (أوّلاً) يجب عدم التجاوز عن قانون اللغة (وثانياً) يجب إستعمال جميع الكلمات الواردة بمعناها الظاهري إلاّ إذا أُريد بتلك الكلمات معاني أخرى لوجود قرينةٍ مقاليّةٍ أو قرينةٍ حاليّةٍ ولا يجوز بدون قرينةٍ إستعمال كلمةٍ في غير ما وُضعت له (ثالثاً) في كل وقت يُراد بالكلمة معاني أخرى يجب الإستشهاد بنفس كلمات القائل ولغته ولغة غيره (رابعاً) أن يطابق التفسير لا محالة أحد تفاسير المفسّرين لا أن يخالفها جميعها، فمثلاً إذا قال أحد الأنبياء السابقين أمثال كليم الله أو روح الله شيئاً أو خبراً باللّغة العبريّة وظهر بعد ألف سنة شخص آخر إدّعى أنّ معنى هذا الخبر وهذه الألفاظ لم يفهمها أيّ واحد من علماء التفسير أو النصارى وإنّ معناه كذا وكذا وإنّ جميع المفسّرين والمترجمين قد أخطأوا ولم يستنشقوا رائحة من المعنى المقصود فلا شكّ أنّ هذا النوع من الادّعاء لدى العقلاء ادّعاء كبير بل إنّيه لن يُقبل ولن يُعترف به وعلى فرض تسليمهم يجب على المدّعي أن يستشهد لإثبات مدعاه بكلمات ذلك النبي وبلغته لا بكلمات ولغات الآخرين. وبناءً على هذا أعجبُ من تفسير وتوجيه صاحب الإيقان للآيات الّتي أخبر بها حضرة المسيح عن علامة رجوعه. وكانت تلك الأخبار قد قالها يوم أشار إلى تلاميذه عن موضوع مفارقته لهم فإلتمس أصحاب حضرته وسألوه ما هي علامة رجعته ومتى ستكون هذه الرجعة، فتفضّل حضرته "وِلِلْوَقْتِ مِنْ بَعْدِ ضيقِ تِلْكَ الأيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ لا يُعْطي ضَوْءَهُ، وَالكَواكِبُ تَتَساقَطُ مِنَ السَّماءِ، وَقُوّاتُ الأرْضِ تَرْتَجُّ، حينَئِذٍ يَظْهَرُ عَلاماتُ إبْنِ الإنسان في السَّماءِ، وَيَنوحُ كُلُّ قَبائِلِ الأرْضِ، وَيَرَوْنَ إبْنَ الإنسان آتِياً عَلى سَحابِ السَّماءِ" والآية كما ترى تدلّ على الرجعة الخاصّة للمسيح فقط بقرينة الحاليّة والمقاليّة لا على الرجعة العامة لجميع المظاهر. ومع هذا فسّر صاحب الإيقان جميع الكلمات الواردة فيها بشكل لم تخطر

تلك المعاني بذهن قائلها ولم يكتب في تأويلها أحد من مفسّرين الإنجيل الشريف من يوم ظهوره إلى يومنا هذا مدّة ما يقارب الألفيّ سنة. ويعتقد صاحب الإيقان أنّ كلّ الناس لم يفهموا مقصود عيسى عليه السلام وبقوا في تيهٍ وضلال، وبدلاً من أن يستشهد في إثبات مدعاه بنفس آيات عيسى عليه السلام وبنفس لغته الّتي تكلّم بها نراه يتمسّك بكلمات أحد أولياء الدين الإسلامي الّذين لم يسمع أهل الإنجيل أبداً بأسمه بل أنّهم يعتبرون أصل الدين الإسلامي وفرعه كذباً وباطلاً. فمثلاً يقول صاحب الإيقان إنّ المراد بالشمس والقمر في كلمات المسيح هو الشمس والقمر المعنوي بدليل ما ورد في دعاء الندبة: "أَيْنَ الشُّمُوسُ الطَّالِعَةُ وَأَيْنَ الأَقْمَارُ الزَّاهِرَةُ ؟" ولنفرض أنّ فرقة الشيعة تسكت وتقتنع بهذا النوع من الاستدلال نظراً لإيمانها وقبولها لهذا الكلام الشريف أفهل يسكت أهل السنّة والجماعة؟ ولا سيما النصارى الّذين لا يؤمنون أصلاً بحقيقة الدين الإسلامي فكيف يؤثّر فيهم دعاء الندبة؟ مع أنّ كل مؤسّس ومقنّن يأتي بادّعاء عامّ لأنّه يعتبر نفسه مظهراً أظهر وأسمى للوجود المطلق وللذات البحت ويجب أن تكون خطاباته وأدلّة حقيّته عامّة تامّة وكلامه موجهاً إلى الكلّ وشاملاً للكلّ لا أنّه يخاطب مِن بين جميع الملل الساكنة على الأرض ومن بين الفرق المتعدّدة فرقةً صغيرةً ويسوق الكلام اليها نظراً لضيق معارف أغلب أفراد ها وبدلَ أن يقول [يا أيّها الناس يا أيّها العرب ويا أيّها الفرس] يستدلّ ببضعة أحاديث يصعب إثبات صحّتها وسقمها حتى أنّ أكثر المسلمين لا يعتقدون بها" انتهى كلام الشيخ.

2 في بيان مقدّمة تحتوي على أربعة مواضيع تمهيداً للجواب على شبهة جناب الشيخ وبيان أنّ فهم تفاسير الإيقان لمعاني الشمس والقمر وأمثالها من أهمّ المباحث الدينيّة:

لما كان هذا المبحث من أهم المباحث الدينيّة فإننا تسهيلاً لفهمه نعرض مقدّمةً تحتوي على أربعة مواضيع تمهيداً للجواب على شبهات وانتقادات جناب الشيخ فقرة بعد أخرى.

3.الموضوع الأوّل: في أنّ هناك في الكتب المقدّسة بشارات لن يتسنّى لكلّ إنسان فهمها:

في جميع الكتب المقدّسة، التوراة والإنجيل والقرآن، هناك تصريحات ونصوص تدلّ على أنّ كلّ شخص لا يستطيع فهم الكلمات الإلهيّة وأنّ كلّ قلب لن يفوز بإدراك المعاني المودعة في آيات الكتاب. وبعبارة أخرى إنّ المعاني المقصودة في الكتاب الإلهي ليست سهلة المنال حتى يفوز بها كلّ إمرئٍ بفهمها وإدراكها. فمثلاً إنّ الله تعالى قال في الإصحاح السادس من سفر أشعيا: "إذْهَبْ وَقُلْ لِهَذا الشَّعْب إسْمَعوا سَمْعاً وَلا تَفْهَموا وَأبْصِروا إبْصاراً وَلا تَعْرِفوا. غَلِّظْ قَلْبَ هَذا الشَّعْبِ وَثَقِّلْ أذُنَيْهِ

وَأطْمِسْ عَيْنَيْهِ لَئَلا يُبْصِرُ بِعَيْنَيْهِ وَيَسْمَعُ بِأذُنَيْهِ وَيَفْهَمُ بِقَلْبِهِ وَيَرْجَعُ فَيَشْفِى. فَقُلْتُ إلى مَتى أيّها السَّيِّدُ فَقالَ إلى أنْ تَصيرَ المُدُنُ خُرْبَةً بِلا ساكِنٍ وَالبُيوتُ بِلا إنسان وَتَخْرَبُ الأرْضُ وتُقْفَرُ وَيَبْعُدُ الرَّبُّ الإنسان وَيَكْثُرُ الخَرابُ في وَسَطِ الأرْضِ".

وقد نزلت هذه الآيات في وقتٍ كان فيه بنو إسرائيل ساكنين في الأراضي المقدّسة بالعزّة والسعادة وكانوا يرون كالمسلمين اليوم أنّ أيّام عزّة ملكهم وإستقلالهم أبديّة لا تزول ويعتبرون نصائح الناصحين وإنذارات المنذرين مُرّةَ المذاقِ ولغواً من الحديث لا ثمرة فيها حتى قضى الله عليهم وألحقهم بالهالكين وجعلهم عبرةً وذكرى للآخرين. وكذلك تفضّل في الإصحاح الثاني عشر من سفر دانيال: "وأمّا أنْتَ يا دانْيالَ فَاخْفِ الكَلامَ واخْتُمِ السِّفْرَ إلى النِّهايَة" فواضح أنّ المقصود بصدور هذا الأمر المبرم إلى النبي دانيال لم يكن إخفاء الألفاظ وصور آيات الكتاب بل المقصود إخفاء وختم المعاني الأصليّة والمقاصد الحقيقيّة الالهيّة حتى لا يفوز أحد من القوم حتى "وَوَقْتِ النِّهايَةِ " بفهم المعاني الحقيقيّة في الكتاب. وكذلك تفضّل في نفس الإصحاح: "فَقالَ إذْهَبْ يَا دَانْيَال لأنَّ الكَلِمَاتِ مَخْفِيَّةٌ وَمَخْتومَةٌ إلى وَقْتِ النِّهايَةِ كَثيرونَ يَتَطَهَّرونَ وَيَتَبَيَّضونَ وَيُمَحَّصُونَ أمّا الأشْرَار فَيَفْعَلونَ شَرّاً وَلا يَفْهَمُ أحَدٌ الأشْرارَ لَكِنَّ الفَاهِمِينَ يَفْهَمُونَ".

وفي سنة (1306) هجريّة لما كان كاتب هذه الصفحات ماراً بمدينة كاشان في إيران إنعقد مجلس بحث وتحقيق بناءً على رغبة بعض مشايخ وأفاضل بني إسرائيل وتزيّن المجلس بوجود جماعة من كبارالمسلمين واليهود وكان من بين الحاضرين ثلاثة من أشهر علماء بني إسرائيل وكانوا خلال البحث والمناظرة يفسّرون ألفاظ الشمس والقمر وصلح الذئب والغنم وإحياء الموتى وسائر البشارات تفسيراً ظاهريّاً ويصرّون إصراراً بليغاً على عدم تحقّق هذه البشارات في ظهور عيسى عليه السلام وفي ظهور مَنْ بعده. فوجّهت وجهي نحو مردخاي شيخ القوم وأعلمِ ذلك الشعب وقُلتُ له هل أنتم وحدكم تفسّرون عبارات ظلمة الشمس والقمر وإحياء الموتى ورعي الذئب و الغنم في مرعى واحد – تفسّرونها بمعانيها الظاهريّة – أم جميع بني إسرائيل من العلماء والعوام ومن الآسيويّين والأوروبيّين ويفهمونها كما تفهمونها؟ فقال إنّ الجميع بدون اختلاف يفسّرونها بمعانيها الظاهريّة ولهذا ينكرون تحقّقها في ظهور عيسى وفي ظهور محمّد. فقلت له "يا شيخ، في الوقت الّذي أمر الله فيه إثنين من أنبياء الله أن يختم أوّلهم على قلوبكم وأبصاركم وآذانكم وأن يختم الثاني كلمات الكتاب ويخفي معانيها كيف يعتمد العاقل بعد هذا على فهمكم وتفسيركم هذا؟ وبأيّ دليل تكون تفسيراتكم مقبولة عند أرباب البصيرة والرشاد؟ فحار في الجواب وإشتهرت في المدينة حوادث هذه المناظرة الّتي

إمتدّت إلى أكثر من ثلاث ساعات روعيت فيها شروط الأدب والمحبّة وإستحسنها أرباب الفضل والإدراك من أهالي كاشان. هذا وهناك في الإنجيل المقدّس كذلك تصريحات كثيرة من هذا القبيل تفضّل فيها عيسى عليه السلام بذكر مواضيع وراء حجب الأستار والرموز. فتفضّل في الإصحاح الثالث عشر من إنجيل متّي: "هَذَا كُلُّهُ كَلَّمَ بِهِ يَسُوعُ الْجُمُوعَ بِأَمْثَالٍ وَبِدُونِ مَثَلٍ لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ القائِلِ سَأَفْتَحُ بِالأَمْثالِ فَمِي وَأَنْطُقُ بِمَكْتُومَاتٍ مُنْذُ تَأْسِيسِ العالَمِ"، وهذه العبارات تدلّ دلالة صريحة على غموض المعاني والمقاصد الأصليّة في العبارات النبويّة وتشهد على أنّ المقصود غير الظواهر حتى أنّ تلاميذ عيسى عليه السلام وهم نقباء الأمّة وهداة الملّة والّذين سمّاهم القرآن المجيد بالمرسلين وبأنصار الله لم يفهموا بعض بياناته المباركة وطلبوا من حضرته تفسيرها. وأصرح من كلّ نصّ تصريح شمعون الصفاء الملقّب ببطرس الرسول في رسالته الثانية العامّة حيث قال: "وَعِنْدَنَا الكَلِمَةُ النَّبَوِيَّة وَهِي أَثْبَتُ الّتي تَفْعَلُون حَسَناً إنْ إنْتَبَهْتُمْ إليها كَمَا إلى سِرَاجٍ مُنِيرٍ في مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ إلى أنْ يَنْفَجِرَ النَّهارُ وَيَطْلَعُ كَوْكَبُ الصُّبْحِ في قُلوبِكُمْ عَالِمِينَ هَذَا أَوَّلاً أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسيرٍ خَاصٍّ لأَنَّهُ لَمْ تَأتِ نُبُوَّةٌ قَطّ بِمَشِيئَةِ إنسان بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ الله القِدّيسُون مَسُوقينَ مِنَ الرّوحِ القُدُسِ" وهذه العبارة الّتي يقول فيها أنّه ليس هناك شرح خاصّ لبشارات الكتاب وأنّه لم تأت نبوّة في كتاب وفقاً لميول الخلق وإرادتهم هي عبارة صريحة بأنّ فهم مقاصد الأنبياء عليهم السلام ليس في مقدور كلّ شخص ولا يمكن تفسير نبوّات الكتاب بالظواهر الّتي يظنّها الجاهلون. والقرآن المجيد أصرح الجميع في هذا الموضوع حيث قال تعالى: "وَمَا يَعْلَمُ تَأويلَهُ إلاّ اللهُ"[165] وكذلك يتفضّل: "بَلْ كَذَّبوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأويلُهُ"[166] وهذه الآية صريحة المعاني وأنّ المقاصد الأصليّة الحقيقيّة هي غير الظواهر وإنّها لم تُنزلْ بعدُ كما لم تظهر معانيها الأصليّة بعدُ.

---

[165] آل عمران: 7

[166] يونس: 39

4 . الموضوع الثاني: في أنّ الكتب المقدّسة تشتمل على ثلاثة أقسام والتأويل يختصّ بقسم واحد منها:

إنّ التأويل يختصّ بقسم واحد من الكتب المقدّسة لأنّ الصحف السماويّة والكتب المقدّسة الإلهيّة تشتمل على ثلاثة أقسام، قسم يختصّ بالأحكام والشرائع والسنن والآداب والفرائض، وهذا القسم تُفسَّر آياته تفسيراً ظاهرياً ولا تُؤوَّل أبداً في جميع الكتب من التوراة والإنجيل والقرآن ولو كان غير ذلك لإختلّت الديانة الإلهيّة ولتزلزلت الشريعة المقدّسة ولإضطرب أمر القضاء والعبادات الّذي يُناط به نظم الدنيا والآخرة. والقسم الثاني يختصّ بذكر الحوادث والوقائع الماضية وقصص الأنبياء والرسل في الأيّام الخالية وقد وردت في الكتب المقدّسة من أجل النصح والإنذار والعبرة حتى ينتفع الناس بإنذاراتها وينتبه أرباب البصائر والإستعداد. والقسم الثالث يختصّ بذكر الحوادث الآتية من قبيل البشارة بالظهور التالي وورود القيامة والحشر والنشر والموت والحياة وظلمة الشمس والقمر وسقوط الكواكب وإنفطار السماء وتبديل الأرض وأمثالها. وهذا القسم الثالث من الآيات يحتاج إلى نزول تأويله لأنّ الله جلّ جلاله يريد حسب مقتضيات التمحيص والإفتتان الإلهي، الّذي هو من السنن الحتميّة الإلهيّة في جميع الأديان، أن يميّز الخبيث عن الطيّب بواسطة هذه العبارات وبها يمتاز الغبيّ من الذكيّ والغاوي من المهتدي كما إمتُحن اليهود في ظهور عيسى عليه السلام بالبشارات الواردة في التوراة فإمتاز الخبيث عن الطيّب والموحّد عن المشرك وقد قال تعالى في القرآن المجيد: "يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إلاّ الفَاسِقِينَ "[167]، وقبل ظهور خاتم الأنبياء كان الفلاسفة الرواقيّون في مصر وكذلك فلاسفة اليونان والرومان وسوريّة المعروفون بسعة علمهم وفلسفتهم وتقدّمهم وتمدّنهم وكذلك علماء الهند وفلاسفة البرهميّة — كلّ طبقة من هذه الطبقات كانت تنكر البشارات الواردة في الكتاب من قبيل القيامة والحشر والنشر وظلمة الشمس والقمر وسقوط النجوم وأمثالها وتعتبر وقوع هذه الحوادث من قبيل الأوهام وأكاذيب الأحلام نظراً لإعتقادهم بتناسخ الأرواح في الدين ونظراً لإنحلالهم الصرف وفنائهم في المعتقدات الماديّة وكانوا يعتبرون تلك البشارات مستحيلة الحصول والإدراك وقد إنتشرت هذه العقائد الفاسدة بين العرب الوثنيّين بسبب مجاورتهم مع الهند بطريق البحر الأحمر ورسخت في أذهان سكان الجزيرة العربيّة. وبعد أن طلع فجر الهداية من أفق البطحاء ونزلت في القرآن المجيد الحقائق الواردة في الكتب المقدّسة من قبيل القيامة والحشر والنشر وظلمة الشمس والقمر وسقوط النجوم وتزلزل الأرض إستهزأ بها رؤساء العرب الّذين كانوا مثل أهل الهوى في زماننا، عشّاق المدنيّة اليونانيّة والرومانيّة والهنديّة، وسَخِروا بهذه

---

[167] البقرة: 26

المعتقدات واعتبروا وقوعها مستحيلاً واعتبروا والعياذ بالله تجويزها من قبيل التهويل والتضليل فنزلت الآية المباركة: " بلْ كذَّبوا بِما لَمْ يُحيطوا بِعِلْمِهِ وَلَمّا يَأتِهِمْ تَأويلُهُ"[168]. إذاً فقد إطّلع أهل البصائر والإدراك على أنّ المقاصد الحقيقيّة من البشارات الإلهيّة هي غير الظواهر اللفظيّة الّتي يظنّها الجاهلون.

5 . الموضوع الثالث: في أنّ الآيات العظيمة من قبيل ظلمة الشمس والقمر وسقوط النجوم وأمثالها قد وردت في جميع الكتب المقدّسة على نهج واحد:

إنّ الآيات العظيمة الّتي ذكرناها مراراً كثيرة من قبيل ظلمة الشمس والقمر وإنفطار السماء وتزلزل الأرض وتجدّد السماء وتبديل الأرض وسقوط الكواكب وغيرها قد نزلت في الكتب المقدّسة من التوراة والإنجيل والقرآن على نهج واحد وبعبارات واحدة وفي مناسبة واحدة. فمثلاً قد ورد من هذه الآيات العظيمة في القرآن المجيد في سورة الإنفطار: "إذا السَّماءُ انْفَطَرَتْ وَإذا الكَواكِبُ إنْتَثَرَتْ"[169] وفي سورة التموير: "إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإذا النُّجومُ إنْكَدَرَتْ"[170] وفي سورة الإنشقاق: "إذا السَّماءُ إنْشَقَّتْ وَأذِنَتْ لِرَبِّها وَحَقَّتْ وإذا الأرْضُ مُدَّتْ"[171] وفي سورة الزلزال: "إذا زُلْزِلَتْ الأرْضُ زِلْزالَها"[172] وفي موضع آخر "إنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْئٌ عَظيمٌ"[173] وفي موضع آخر ورد تبديل الأرض والسماء في الآية الكريمة: "يومَ تُبَدَّلُ الأرْضُ غَيْرَ الأرْضِ والسَّمَواتِ وَبَرَزوا للهِ الواحِدِ القَهّارِ"[174] كما ورد ظهور الغمام في الآية الكريمة: "يَوْمَ تَأتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبينٍ"[175] وجاء ذكر نزول الله في ظلل الغمام في الآية الكريمة: "هَلْ يَنْظِرونَ إلاّ أنْ يَأتيهُمُ اللهُ في ظِلَلٍ مِنَ الغَمامِ"[176] إلى كثير من أمثالها ممّا هو معلوم عند أهل العلم. وكذلك ورد في إنجيل متّى في الإصحاح الثالث من رسالة بطرس الرسول الثانية عن إنعدام السماوات القديمة وظهور سماء جديدة وإنحلال العناصر كما ورد في الإصحاح (21) من مكاشفات يوحنّا إخبارٌ عن طيّ السماء وتبديل الأرض والسماء إلى أرض وسماء جديدتين، وكذلك ورد الإخبار بالآيات العظيمة هذه في التوراة المقدّسة وفي أسفار أنبياء بني

---

[168] يونس: 39
[169] الانفطار: 1
[170] التكوير: 1
[171] الانشقاق: 1
[172] الزلزال: 1
[173] الحج: 1
[174] إبراهيم: 48
[175] الدخان: 10
[176] البقرة: 210

إسرائيل مما يطابق الآيات السابقة فقد جاء في الآية (17) من الإصحاح (65) من سفر أشعيا إخبارٌ بتجديد السماء والأرض وبخلق أورشليم الجديدة وبإنقضاء آلام بني إسرائيل قوله تعالى: "لأنّي هَا أنَا خَالِقٌ سَمَواتٍ جَدِيدَةٍ وَأرْضاً جَدِيدَةً فَلا تُذْكَرُ الأولى وَلا تَخْطُرُ عَلى بَالٍ. بَلْ إفْرَحوا وَإبْتَهِجوا إلى الأبَدِ فِيمَا أنَا خَالِقٌ لأنّي هَا أنَا ذَا خَالِقٌ أورْشَليمَ بَهْجَةً وَشَعْبَها فَرَحاً فأبْتَهِجْ بِأورْشَليم وَأفْرَحُ بِشَعْبي وَلا يُسْمَعُ فيها بَعْدُ صَوْتُ بُكَاءٍ وَلا صَوْتُ صُراخٍ" وكذلك ورد في الآية (22) من الإصحاح (66) من هذا السفر نفسه: "لأنّه كَما أنَّ السَّمواتِ الجَدِيدَةَ والأرْضَ الجديدة الّتي أنا صانِعٌ تَثْبُتُ أمَامِي يَقُولُ الرَّبُّ هَكَذا يَثْبُتُ نَسْلُكُمْ وإسْمُكُمْ" وكذلك ورد في سفر صفنيا النبي قوله تعالى: "قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ العَظيم، قَرِيبٌ وَسَرِيعٌ جِدّاً صَوْتُ يَوْمِ الرَّبِّ، يَصْرُخُ حينَئِذٍ الجَبَّارُ مُرّاً، ذَلِكَ اليَوْم يَوْمُ سَخَطٍ، يَوْمُ ضيقٍ وَشِدَّةٍ، يَوْمُ خَرابٍ وَدَمَارٍ، يَوْمُ ظَلامٍ وَقِتامٍ، يَوْمُ سَحَابٍ وَضَبَابٍ" وكذلك ورد في الإصحاح الثاني من سفر يوئيل قوله تعالى: "قُدّامُهُ تَرْتَعِدُ الأرْضُ وَتَرْجِفُ السَّماءُ. الشَّمْسُ والقَمَرُ يَظْلُمَانِ والنُّجُومُ تَحْجِزُ لَمَعانَها" وكذلك ورد في نفس هذا الإصحاح: "تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إلى ظُلْمَةٍ وَالقَمَرُ إلى دَمٍ" وورد في الإصحاح الثالث من هذا السفر: "الشَّمْسُ والقَمَرُ تَظْلُمَانِ والنُّجومُ تَحْجِزُ لَمَعانَها" وفي الإصحاح الثاني من هذا السفر قال تعالى: "إنْفُخُوا الصّورَ في صَهْيونَ، صَوِّتوا في جَبَلِ قُدْسي لِيَرْتَعِدَ جَميعُ سُكَّانِ الأرْضِ لأنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قادِمٌ قَريبٌ يَوْمُ ظَلامٍ وَقِتامٍ يَوْمُ غَيْمٍ وَضَباب" والمقصود بجبل القدس في هذه الآية جبل الكرمل المقدّس الّذي تقع حوله حيفا ويافا وأورشليم ومدينة عكّاء المنورة. وفي الإصحاح الثاني من سفر حجى قال تعالى: "لأنَّهُ هَكَذا قَالَ رَبُّ الجُنودِ هِيَ مَرَّةٌ بَعْدَ قَليل فَأزَلْزِلُ السّمَواتِ والأرْضَ وَالبَحْرَ وَاليابِسَةَ وَأزَلْزِلُ كُلَّ الأمَمِ وَيَأتي مُشْتَهى كُلِّ الأمَمِ فَأمْلأُ هَذا البَيْتَ مَجْداً".

وممّا ذكرناه يفهم الإنسان البصير العارف بمضامين الكتب السماويّة أنّ المقصود بالآيات العظيمة الّتي ذكرها الله جلّ جلاله في جميع الكتب إخبارٌ بحقيقة واحدة لا تتغيّر بتغيّر اللغات ولا تتبدّل بتبدّل الأديان ولا ينسى الله سبحانه وتعالى الوفاء بهذه الوعود بمرور الزمان خاصّة إذا تذكر الإنسان أنّ القران المجيد وهو بيان الصحف الأولى يتضمّن حقائق التوراة والإنجيل وسائر كتب الأنبياء كما قال تعالى: "وَقالوا لَوْلا يَأتينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أوَلَمْ تَأتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا في الصُحُفِ الأولى"[177]. وقال تعالى في سورة الشعراء: "وَإنَّهُ لَتَنْزيلُ رَبِّ العَالَمين نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأمينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكونَ مِنَ المُنْذِرينَ بِلِسانٍ

---

[177] طه: 133

عَرَبِيٍّ مُبينٍ وَإِنَّهُ لَفي زُبُرِ الأَوَّلينْ"[178] . وواضح أنّ قوله تعالى بأنّ القران هو بيان الصحف الأولى وأنّه مسطور في زبر الأوّلين ليس المقصود به المناسك والأحكام والعبادات الإسلاميّة لأنّ هذه المناسك والأحكام والعبادات ليست أبدا موجودة بصورتها وخصوصيّاتها ومشخّصاتها في الشرائع السابقة ولم تُذكر في كتب السالفين. وليس المقصود به كذلك الحوادث التاريخيّة لأنّ الإطّلاع على تواريخ الأقدمين لا يعتبر من علامات النبوّة ولا من المعارف والعلوم اللدُنيّة ولا من إحاطة القوّة القدسيّة لأنّ الإلإنسان مهما كان أميّاً فإنّه يستطيع أن يسمع الحوادث الماضية من الآخرين ويدرجها في كلامه بل المقصود به بيان ورود يوم الله ومكان الظهور وزمانه والكشف عن آجال الأمم وانقراض الملل ورموز الحشر والنشر والقيامة والرجعة وظلمة الشمس والقمر وسقوط النجوم والكواكب وتجديد الأرض والفلك وغيرها من الحوادث القادمة ومن آيات صدق الدعوة النبويّة الّتي لا يحرم من عرفانها الأميّون والعوام وحدهم بل العلماء الأعلام والفلاسفة العظام ويعجزون عن بيانها قبل وقوعها وهم قاصرون عن فهمها ودرجها في كتبهم قبل بلوغ الأجل وورود الموعود كما جاء بعد هذه الآيات قوله تعالى في سورة الشعراء: "أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةُ أَنْ يَعْلَمُهُ عُلَماءُ بَني إسرائيل"[179] يعني ألا تكفي كفّار قريش هذه العلامة في أنّ علماء بني إسرائيل يعرفون أنّ الحقائق والمعارف النازلة في القرآن الشريف قد سبق أن نزلت في التوراة المقدّسة. لأنّ العلم بهذه الحقائق المستورة والمعارف المكنونة غير ممكن للأمّي غير المتعلّم إلاّ أن تنزل عليه من الحضرة الأحديّة وتشرق عليه من شمس الحقيقة. وخلاصة القول لو ينظر الإنسان البصير إلى أنوار التنزيل لَيَرَيَرَى أنّ جميع ما نزل في القرآن المجيد من إخبار بالحقائق المستقبليّة قد نزل بعينه من دون تفاوت في الإنجيل والتوراة [ولكن لا يعلمه إلاّ أولو الألباب ومَنْ عنده علم الكتاب].

6. الموضوع الرابع: في أنّ الكتب المقدّسة كلها تصرّح بأنّ تأويل هذه الآيات سيظهر في يوم الله:

أنّ جميع الكتب السماويّة من التوراة والإنجيل بل وأحاديث أهل البيت الطاهرين تصرّح بأنّ المعاني الأصليّة لهذه الآيات ستظهر في يوم الله ويوم الربّ. وبعبارة أصرح إنّ القائم الموعود سوف يأتي بمعانيها المقصودة وينكشف تأويل الكتاب في ذلك اليوم المشهود. وقبل ظهور الموعود تبقى المعاني الأصليّة المقصودة لدى الأنبياء وأئمّة الهدى مكنونة ومكتومة ويبقى كتاب الله مخزوناً بختم مظاهر أمر الله وإخفائهم. وكلّلّ ما كتبه علماء الملل وفق إجتهاداتهم ومفاهيمهم إنما هو أوهام مضلّة بل

[178] الشعراء: 192–196

[179] الشعراء: 197

في الحقيقة تحريف للكلمات الإلهيّة ولن يفوز كلّ إنسان بالرحيق المختوم في يوم الظهور. ولن يستطيع فهم معارف حضرة القيوم. بل إنّ الإخيار والإبرار ينالون نصيبهم منه ويُحرم المكابرون والأشرار منه كما كان الأمر في السابق "لا يَمَسَّهُ إلاّ الْمُطَهَّرون"[180].

لاحظوا الآية الكريمة في سورة القيامة قوله تعالى: "فَإذا قَرَأناهُ فاتَّبعْ قُرْآنَهُ ثُمّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ"[181] تروا أنّ الله جلّ جلاله قد أخذ على عهدته بيان القرآن المجيد. وأوضح لدى أولي الألأ فئدة أنّ البيان الإلهي لن يكون بغير نزول الوحي ولا يتحقّق هذا إلاّ في ظهورٍ تالٍ. قال شيخ الإشراقيّين عمر السهروردي صاحب الهياكل (هياكل النور) قدّس الله روحه في آخر هذا الكتاب: "ويجب على المستبصر أن يعتقد صحّة النبوات وإنّنّ أمثالهم تُشير إلى الحقائق كما ورد في المصحف: "وَتِلْكَ الأمْثَالَ نَضْرِبُها لِلناسِ وَمَا يَعْقِلُها إلاّ العَالِمُونَ"[182] وكما أنذر بعض النبوّات: "إنّي أرِيدُ أنْ أفْتَحَ فَمِي بِالأمْثال". فالتنزيل موكول إلى الأنبياء والتأويل والبيان موكول إلى المظهر الأعظمي الأنوري الأريحي كما أنذر المسيح حيث قال: "إنّي ذَاهِبٌ إلى أبي وَأبِيكُمْ لِيَبْعَثَ لَكُمْ الفَارْقَليطَ الّذي يُنْبِئُكُمْ بِالتَّأويلِ" وقال: "أنَّ الفارْقَليطَ الّذي يُرْسِلُهُ أبي بإسْمِي يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ" وقد أشير اليه في المصحف: "ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ"[183] وثمّ للتراخي. ولا شكّ أنّ أنوار الملكوت نازلة لإغاثة الملهوفين وأنّ شعاع القدس ينبسط وإنّ طريق الحقّ ينفتح كما أخبرت الحفظة ذات البريق ليلة هبّت الهوجاء كما قال تعالى: "هُوَ الّذي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ"[184]. وهذا البيان المتين صريح بأنّ التفسير الحقيقي للكلمات النبويّة سوف يظهر جميعه في يوم ظهور الموعود وسوف ينزل تأويل التنزيل في إنقضاء الدورة الإسلاميّة وقيام روح الله. ولا يخفي أنّ غصن وجود هذا العالم الفاضل صاحب الهياكل الّذي يسمّى الآن بشيخ الإشراقيّين وسيّد الفلاسفة والّذي تعتبر كتبه أنْفَس الكتب الإسلاميّة قد إنكسر في أيّام سلطنة صلاح الدين الأيوبي عند هيجان زوابع تعصّب أصحاب الفقه وهو في نضرة طراوته. وأُطفئت شعلة نورانيّة فضائله ومعارفه وهو في عنفوان شبابه من هبوب عواصف جهل أرباب الرئاسة، لفهموا أنّ أعداء العلم دائماً هم الفقهاء الجهلاء وأنّ خصماء الفضل هم رؤساء الباطل وهذه سنّة الله في خلقه ولن تجد لسنّته تبديلاً. وأصرح من تلك الآية هذه الآية الكريمة في سورة يونس قوله تعالى: " بَلْ كَذَّبوا بِما لَمْ يُحيطوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأتِهِمْ

---

[180] الواقعة: 79

[181] القيامة: 19

[182] العنكبوت: 43

[183] القيامة: 19

[184] الاعراف: 57

تَأوِيلُهُ"[185] . وهذه الآية المباركة صريحة بأنّ سبب تكذيب القرآن كان عدم فهم المعاني المقصودة فيه وحملها بأوهامهم الفاسدة على ظواهرها المستحيلة فبادروا بالإنكار مع أنّ تأويله لم ينزل بعد ومعانيه الأصليّة المقصودة لم تعلن بعد وهذا وعد صريح بأنّ بيان القرآن سوف ينزل وأنّ المقاصد الإلهيّة سوف تظهر وتنجلي وقد روى المجلسي عليه الرحمة في مجلّد الغيبة من بحار الأنوار في باب الرجعة عن زرارة بن أعين أنّه قال: "سألت أبا عبدالله عليه السلام عن هذه الألأ مور العظام من الرجعة وأشباهها فقال "إنَّ هَذا الّذي تَسْألونَ عَنْهُ لَمْ يَجِيئ أوَانُهُ وَقَدْ قَال الله عَزَّ وَجَلَّ بَلْ كَذَّبوا بِمَا لَمْ يُحِيطوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأتِهِمْ تَأوِيلُهُ"[186] وهذا الحديث صريح بأنّ تأويل القرآن وظهور معانيه الحقيقيّة سيكون في ظهور القائم وهذه الآية الكريمة نفسها صريحة جدّاً ولا تحتاج إلى حديث يثبت أنّ فهم القرآن يتوقّف على ظهور القائم والرجعة.

وأصرح من الآيتين السابقتين الآية الكريمة في سورة الأعراف قوله تعالى: "وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤمِنونْ. هَلْ يَنْظُرونَ إلاّ تَأوِيلُهُ يَوْمَ يَأتي تَأوِيلُهُ يَقولُ الّذينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعوا لَنا أوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلُ غَيْرَ الّذي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِروا أنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانوا يَفْتَرونْ"[187] وهذه الآية المباركة صريحة جدّاً بأنّ تأويل القرآن سوف ينزل في اليوم الموعود وسوف تظهر وتتجلّى المقاصد الإلهيّة في ذلك اليوم المشهود.

وفي إنجيل يوحنّا الآية (27) من الإصحاح السادس يتفضّل: "إعْمَلوا لا لِلطَعَامِ البائِدِ بَلْ لِلطَعَامِ البَاقِي الحَيَوةِ الأبَدِيَّةِ الّتي يَعْطِيكُمْ إبْنُ الإنسان لأنَّ الله الأبْ قَدْ خَتَمَهُ" وهي آية صريحة في أنّ المعارف الإلهيّة الّتي تورث الحياة الأبديّة مختومة بأمر الله حتى وقت نزول روح الله الحقّ من السماء حيث سيُمنح أرباب الاستعداد والإستحقاق من تلك المائدة السماويّة وحينذاك سوف يتجلّى ويظهر السر المكنون في الآية الكريمة: "يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفي ذَلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنَافِسُونْ"[188] وكذلك ورد في الآية (12) من الإصحاح السادس عشر من هذا الإنجيل قوله تعالى: "إنَّ لِي أمُوراً كَثِيرَةً أيْضاً لِأقُولَ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تَسْتَطِيعونَ أنْ تَحْتَمِلوا الآن وَأمَّا مَتى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إلى جَمِيعِ الحَقِّ". ولو كان لإنسان قلب نورانيّ وبصر منير فإنّه يستطيع أن يدرك من عبارة عيسى عليه السلام أنّه في الوقت الّذي يكون فيه أصحاب حضرته وهم نقباء

---

[185] يونس: 39
[186] يونس: 39
[187] الاعراف: 52-53
[188] المطففين: 25

الأرض ونجوم العالم الزاهرة وأنواره الظاهرة عاجزين قبل بلوغ الوقت وإنقضاء الأجل المسمّى عن إدراك حقائق البيانات الإلهيّة فكيف يستطيع عشّاق المناصب وهواة الزينة أن يفهموا المقاصد الإلهيّة ويدركوا الحقائق المختومة؟ [هيهات! هيهات! ما للتراب وربّ الأرباب! وأين الذباب من مطار العقاب!]

أمّا التوراة وأسفار العهد القديم فمع أنّ هذه النقطة واضحة جدّاً فيها لكنّ المنصف البصير تكفيه عبارة الإصحاح الثاني عشر من سفر دانيال الّتي نقلناها سابقاً لأنّه بعد الإخبار عن ورود يوم الموعود وحوادثه وعلاماته وآثاره تفضّل في الآية الرابعة: "أمَّا أنْتَ يَا دانْيالُ فَاخْفِ الكَلامَ وَاخْتِمْ السِفْرَ إلى وَقْتِ النِّهَايَةِ" وفي الآية التاسعة تفضّل: "إذْهَبْ يَا دَانْيال لأنَّ الكَلِمات مَخْفِيَّةٌ وَمَخْتومَةٌ إلى وَقْتِ النِّهَايَةِ" وهاتان الآيتان صريحتان في بيان أنّ معاني الأسفار الإلهيّة والحقائق والبيانات النبويّة مخفيّة ومكتومة عن جميع الأنظار حتى ورود اليوم الموعود ومختومة بالختم الربّاني ومصونة بالصون الرحماني. وفي يوم ظهور الموعود كما صُرِّح في هذا السِفر فر سيفوز الأبرار والأخيار وحدهم بفهمها أما الفجّار والأشرار فسيُحرمون من فهمها وإدراكها كما كانت الحال سابقاً لأنّ طعام الفجّار من ضريع وزقّوم وشراب الأخيار من رحيق مختوم.

7. في بيان سبب نزول الإيقان الشريف في دار السلام وفي اثبات أنّ ختم جميع الأنبياء قد فُكّ بنزول هذا الكتاب المجيد:

لما تمّ الإطّلاع على المواضيع الّتي هي بمنزلة المقدّمات والأركان والأصول لفهم وإدراك المباحث والنتائج القادمة أعرض أنّه لما وصلت أفئدة أولي الاستعداد إلى مرحلة البلوغ بنتيجة تأثير الشرائع والأديان الإلهيّة وإستلزمت قوّة العالم نزول الظهور الأعظم وإقترب ميعاد الوفاء بالوعود الإلهيّة وقام الجمال الأقدس الأبهي عزّ إسمه الأعلى على أمر الله وصارت مدينة دار السلام مقرّه الأقدس كما هو مدوّن في التواريخ وإقتضت الإرادة الإلهيّة بعد ذلك إنتقاله إلى الروملّي ومنه إلى بلاد الشام كان رؤساء الملل في غضون هذا الإنتقال وأثناء هذه الحوادث والتغييرات يتشرّفون بالحضور المبارك ويستفسرون عن معضلات المسائل وغوامض عقائدهم الدينيّة ويستفيض كل واحد منهم من رشحات البحر الأعظم الموّاج. وقد حدث خلال إقامته المباركة في دار السلام أن عزم أحد سادات فارس على زيارة العتبات المقدّسة في العراق وهو في نسبه وأصالة عائلته وسموه ورفعته مشهور وواضح وضوح الشمس في رابعة النهار لدى أهالي إيران. وتشرّف في الحضور الأقدس الأبهي في بغداد

بواسطة السيّد الفاضل العالم الحاج السيّد جواد الطبطبائي الكربلائي. وبعد تشرّفه في الحضور سأل بضعة أسئلة عن علامات ظهور الموعود والتمس الجواب عليها. ومع أنّ أجوبة أسئلته المشابهة لشبهات الملل الأخرى قد نزلت سابقاً في الألواح العربيّة وإنكشقت معاني طلوع الشمس من مغربها وظلمة الشمس والقمر وسقوط النجوم وسلطنة الموعود وغلبته لكنّه نظراً لإلتماس ذلك السيّد الجليل نزل كتاب الإيقان الشريف باللغة الفارسيّة وإنكشفت غوامض هذه المسائل الّتي يناط بها إتّحاد الأمم واتفاقها وفُتِحَ ختم الرحيق المختوم بيد قدرة الحيّ القيّوم وتهلّلت وجوه الحوريّات المستورة في قصور الآيات بنتيجة كشف حجب الإشارات والإستعارات وزال أقوى مانع كان يحول دون إتّحاد الملل وإرتباط الأقوام وتهيّأت أهمّ الوسائل لإئتلاف الإنسانيّة وإتّفاقها لأنّه ثبت بالبرهان أنّ الّذي كان يمنع اليهود من تصديق عيسى عليه السلام هو عدم معرفتهم بهذه الآيات. وكذلك لم يمنع بقيّة الأمم عن الإيمان برسول الله وخاتم النبيّين إلاّ عدم فهمها لهذه العلامات بالذات. بل لو يمعن العاقل والبصير نظره لَيَرى أنّه لو لم ينزل هذا الكتاب المجيد وبقيّة الألواح المقدّسة ولم تنكشف المعاني المعقولة والمقاصد الأصليّة لهذه العلامات والبشارات لَمَا أمكن أبداً دفع شبهات الفلاسفة الماديّين على الشرائع والأديان ولَمَا زالت انتقادات هم حول عدم إمكان تحقّق هذه الوعود والعلامات لأنّه لا يُعقل أبداً لدى الفلاسفة الماديّين أن تطلع الشمس الظاهريّة من المغرب أو أن تظلم الشمس والقمر في الظاهر أو تتناثر على سطح الأرض هذه الكواكب غير المتناهية في عددها والّتي أصغرها أكبر من الأرض بمرّات عديدة ويبقى الكون مع ذلك منتظماً ويبقى الجنس البشري موجوداً ويتحقّق العذاب والثواب. فقد كتبوا هذه الشبهات الباطلة في كتبهم وأردفوها بانتقادات بأقبح العبارات وطبعوها ونشروها في أكثر عواصم أوروبّا وآسيا واعتبروا الوعود الإلهيّة والعياذ بالله من قبيل الخرافات وظنّوا الاعتقاد بالله وبرسله وبالأديان غروراً وجهلاً وظنّوا أنّ التمسّك بأحكام الشرائع والأديان أقوى مانع دون إنتشار المدنيّة والحضارة. ولولا مراعاة الإختصار لكتبنا بعض المناظرات الّتي دارت بين كاتب هذه الكلمات وأكابر العلماء الماديّين حتى يتّضح سبب إنكار هؤلاء العلماء للشرائع الإلهيّة ممّا يؤدّي إلى إلتفات العقلاء إلى مبلغ الفضل الإلهي في تنزيل كتاب الإيقان وسائر الألواح المقدّسة "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ "[189].

[189] الاعراف: 42

8. في الرجوع إلى الجواب على جناب الشيخ في تفسير معاني الشمس والقمر والسماء وأمثالها:

فلمّا تمّ الإطّلاع على المواضيع الأربعة السالفة، أشرع الآن بالجواب على جناب الشيخ فأقول إنّ الجمال الأقدس الأبهي عزّ إسمه الأعلى قد فسّر في الإيقان الشريف معاني علامات ورود يوم القيامة وظهور القائم وقيام روح الله من قبيل إنفطار السماء وظلمة الشمس والقمر وسقوط النجوم وأمثالها تفسيراً يدلّ على أنّها معاني عقليّة لا ماديّة فالمقصود من كلمة السماء في الكلمات النبويّة هو سماء الديانة وسماء أمر الله والمقصود من الشمس والقمر والنجوم في إحدى المقامات القائم بأمر الله وأولياؤه في ظهور الديانة الجديدة. وفي مقام آخر ذَكَرَ أنّ المقصود منها أركان وأحكام وعلماء وفقهاء الديانة السابقة. وهذا يعني أنّ ظهور القائم يكون في وقت تنفطر فيه سماء الديانة السابقة وتتزعزع أركانها وتظلم شمس سمائها وقمرها وهما عبارة عن الأركان والأحكام السابقة ولا تعود شرائعها وآدابها تؤثّر شيئاً، وتظلم نجوم سماء تلك الديانة بسبب إعراضها عن شمس الحقيقة يعني عن مظهر أمر ربّ العزة. وتهبط وتسقط من سماء عزّها ومجدها ويقع العالم بسبب ضيق المعارف الدينيّة في منتهى الضيق والمحن ويضطرب أهل الظنون والأوهام من تجدّد الشريعة والأحكام ويعرضون عن القائم الموعود وجمال المعبود بسبب عدم فهمهم للكلمات الإلهيّة وشدّة تمسّكهم بعقائدهم الوهميّة كما أعرضت الأمّة النصرانيّة عن رسول الله وخاتم النبيّين يوم ظهوره بسبب عدم فهمها آيات الإنجيل وحرّفوا البشارات الصريحة في إنطباقها على ظهور الموعود وأبعدوها عن الإنطباق على ذلك الجمال المعبود وكانت تلك البشارات قد وردت في إنجيل متّي الإصحاح (24) حيث يتفضّل: " وَلِلْوَقْتِ مِنْ بَعْدِ ضِيقِ تِلْكَ الأيّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ لا يُعْطِي ضَوْءَهُ وَالكَواكِبُ تَتَسَاقَطُ مِنَ السَّماءِ وَقُوَّاتُ الأرْضِ تَرْتَجُّ حِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلامات إبْنِ الإنسان في السَّمَاءِ وَيَنُوحُ كُلُّ قَبَائِلِ الأرْضِ وَيَرَوْنَ إبْنَ الإنسان آتِياً عَلَى سَحابِ السَّمَاءِ مَعْ قُوَّاةٍ وَمَجْدٍ كَبِيرٍ وَيَرْسِلُ مَلائِكَتَهُ مَعْ صَوْتِ السَّافُورِ العَظِيمِ" وبعد تطبيق هذه العبارات على ظهور خاتم الأنبياء عليه السلام وبقيّة الظهورات المقدّسة لمظاهر أمر الله بسبب إتّحاد أمرهم ووحدتهم الحقيقيّة تفضّل أنّ إطلاق هذه الألفاظ على المعاني المقصودة قد جاء أيضاً في بيانات أئمّة الهدى حيث تفضّل في دعاء الندبة: "أيْنَ الشُّمُوسُ الطَّالِعَةِ أيْنَ الأقْمَارُ الْمُنِيرَةُ أيْنَ النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ" فلمّا تمّ نزول شرح هذه الموضوعات في كتاب الإيقان من قلم الرحمن بكلّ تفصيل وتبسيط وبرهنة ووضوح وفي منتهى الرقّة واللطافة ظنّ جناب شيخ الإسلام، نظراً لجمود قريحته وعكوفه على ظواهر العبارات كما هي عادة أصحاب الفتوى والفقه، أنّ هذه

التفسيرات منافية للأصول العلميّة ومخالفة للقواعد اللغويّة ولهذا قام بتوجيه هذا الإنتقاد: "(أوّلاً) يجب عدم التجاوز عن قانون اللغة (ثانياً) يجب إستعمال جميع الكلمات الواردة بمعناها الظاهري إلاّ إذا أُريد بتلك الكلمات معاني أخرى لوجود قرينة مقاليّة أو قرينة حاليّة ولا يجوز بدون قرينة إستعمال كلمة في غير ما وضعت له و (ثالثاً) في كل وقت يراد بالكلمة معاني أخرى يجب الإستشهاد بنفس كلمات القائل ولغته لا بكلمات ولغة غيره".

9. في بيان أنّ ألفاظ الشمس والقمر والنجوم وأمثالها قد أُطلقت في الكتب المقدّسة كثيراً على معاني غير ظاهريّة وفقاً لما جاء في الإيقان الشريف:

وجوابنا على هذا الإنتقاد: نعم إنّ أستعمال اللفظ في غير ما وضع له مستعمل في كل اللغات في العالم ومستعمل في بيانات جميع الأنبياء والمرسلين والفصحاء والبلغاء والخطباء والمتكلّمين لأنّ أبواب المجاز والإستعارة والتشبيه أبواب واسعة للفصحاء والخطباء في العالم وللبلغاء في جميع الأمم. وقد أُطلقت كلمة السماء إستعارة على كلّ شيئ رفيع في جميع اللغات وأُطلقت كلمات الشمس والقمر والنجوم على الشرائع والأنبياء والأئمّة والعلماء بل وأُطلقت على الملوك والخلفاء. وإذا كان جناب الشيخ غير مطلع على ذلك فسببه إنفطار سماء الديانة الإسلاميّة وسقوط علمائها الّذين هم نجوم هذه السماء الرفيعة من أوج معارفهم الدينيّة والظاهريّة وبعبارة أصرح إنّ جناب الشيخ ظنّ أنّ تفسير هذه الكلمات على هذا الوجه خروج على قانون اللغة. وسبب ذلك عدم إطّلاع جنابه على الكتب المقدّسة السماويّة بل على قواعد العلوم الظاهريّة. أمّا الدليل على عدم إطّلاع جناب الشيخ على الكتب المقدّسة السماويّة فهو أنّه قد أُطلقت في هذه الكتب في مواضع كثيرة كلمات السماء والشمس والقمر والنجوم على الأديان والشرائع ومظاهر أمر الله والأئمّة والعلماء بكل صراحة. فمثلاً خاطب الله تبارك وتعالى بني إسرائيل في الإصحاح (28) من سفر التثنية في التوراة بعد تشريع الشريعة المقدّسة وطمأنهم بنزول البركات الوافرة عليهم عند إستقامتهم على دين الله. وأنذرهم عند مخالفتهم وتهاونهم في شريعة الله بنزول اللعنات والنكبات الهائلة ومن ذلك ما ورد في الآية (23) حيث قال تعالى: "وَتَكُونَ سَمَاؤكَ الّتِي فَوْقَ رَأْسِكَ نُحَاساً وَالأَرْضُ الّتِي تَحْتَكَ حَدِيداً وَيَجْعَلُ الربُّ مَطَرَ أرْضِكَ غُباراً وَتُراباً يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ حَتّى تَهْلَكَ" وكل من له إلمام بمقدار صعوبة الديانة اليهوديّة الحاليّة وصلابة قلوبهم ورداءة معارفهم يفهم بلاغة هذه البيانات السماويّة وحسن الإستعارات النبويّة وكذلك قال تعالى في الإصحاح الرابع من سفر ملاخي في البشارة بورود الموعود: "فَهَا هُوَ ذا يَأتِي اليَوْمُ الْمُتَّقِدُ كَالتَّنُّورِ وَكُلُّ المسْتَكْبِرينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشّاً

وَيَحْرُقُهُمْ اليَوْمُ الآتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ فَلا يَبْقَى لَهُمْ أصْلاً وَلا فِرْعاً وَلَكُمْ يَا أيُّهَا الْمُتَّقُونَ إسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ البِرِّ وَالشَّفَاءِ فِي أجْنِحَتِهَا فَتَخْرُجُونَ وَتَنْشَأونَ كَعُجُولِ الصُّبْرَةِ وَتَدُوسُونَ الأشْرارَ لِيَكُونوا رَمَاداً تَحْتَ بُطونِ أقْدَامِكُمْ يَوْمَ أفْعَلُ هَذا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إذْكُروا شَرِيعَةَ مُوسَى عَبْدِي الّتي أمَرْتُ بِهَا فِي حُورِيبَ عَلى كُلِّ إسرائيل الفَرَائِضَ وَالأحْكامَ. هَا أنَا ذا أُرْسِلُ ألَيْكُمْ إيليّا النَبِيّ قَبْلَ مَجِيئِ يَوْمِ الرَّبِّ العَظِيمِ وَالمخُوفِ فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلى الأبْنَاءِ وَقَلْبَ الأبْنَاءِ عَلى آبَائِهِمْ لِئَلا آتِي وَأضْرِبَ الأرْضَ بِلَعْنٍ". فانظروا في الآية الثانية من هذا الإصحاح قوله تعالى: "وَلَكُمْ يَا أيُّهَا الْمُتَّقُونَ إسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ البِرِّ وَالشَّفَاءِ فِي أجْنِحَتِهَا" تروا أنّه أطلق كلمة الشمس إستعارة على المسيح الموعود. وهذا الإصحاح من جملة البشارات الّتي إتّفق اليهود والنصارى على أنّها تبشر بظهور المسيح الموعود. وبسبب هذا الإصحاح بالذات لا يزال اليهود ينتظرون ظهور المسيح ويعتقدون أنّ النبي إيليّا ينزل من السماء بشخصه قبل ظهور المسيح ويبشّر الخلائق بظهور الموعود. وهذا هو نفس الإصحاح الّذي بسببه سألوا حضرة المسيح إن كنت أنت المسيح فلماذا لم ينزل النبي إيليّا من السماء فأجابهم حضرته نعم نزل وما عرفتموه وقتلتموه وهو يحي بن زكريا عليه السلام. ودُهش اليهود من هذا الجواب كما دُهش جناب الشيخ من تفسير الآية " وَتَرَوْنَ إبْنَ الإنسان آتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ" بأنّها تدلّ على ظهور خاتم النبيّين ومن تفسير الآية: "ذُقْ إنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمْ" أنّها تشير إلى كريم بن إبراهيم.

ولاحظوا كذلك الآيات (12-23) من الإصحاح الرابع من سفر النبي أرميا الّتي تخبر بخراب القدس الشريف وبالآلام الواردة على بني إسرائيل على يد نبوخذنصّر حيث يتفضّل: "هُمْ حُكَمَاءُ فِي عَمَلِ الشَّرِّ وَلِعَمَلِ الصَّالِحِ مَا يَفْهَمُون. نَظَرْتُ إلى الأرْضِ وَهِيَ خَرِبَةٌ وَإلى السَّمَوَاتِ فَلا نُورَ لَهَا. نَظَرْتُ إلى الجِبَالَ فَإذا هِيَ تَرْتَجِفُ". وتفضّل في الآية (28) من الإصحاح ذاته: "مِنْ أجْلِ ذَلِكَ تَنُوحَ الأرْضُ وَتُظْلِمُ السَّمَوات مِنْ فَوْقْ" ولا مفرّ ولا شكّ في دلالة كلمة (السموات) على الديانة والشريعة الموسويّة لأنّ السماء الظاهريّة لم تظلم في حادثة نبوخذنصّر بل أظلمت الشريعة المقدّسة وأظلمت الديانة الإلهيّة بسبب كفر الوثنيّين وجهلهم وظلمهم. وكذلك يتفضّل في الآية التاسعة من الإصحاح الخامس عشر من هذا السفر بالذات قوله تعالى: "غَرُبَتْ شَمْسُها إذْ بَعْدُ نَهَارٌ. خَزِيَتْ وَخَجِلَتْ. أمّا بَقِيَّتُهُمْ فَلِلسَيْفِ أدْفَعُهَا أمَامَ أعْدَائِهِمْ يَقُولُ الرَّبُّ". والمقصود بهذه الآية الإخبار بغروب شمس العزّة والسعادة يعني شمس الحقيقة من بين بني إسرائيل وطلوعها في الأمّة النصرانيّة.

10. في بيان أنّ إطلاق ألفاظ الشمس والقمر جاء في الكتب المقدّسة على مظهر أمر الله ومركز ميثاق الله وتبكيت الناقضين للعهد الإلهي وفي بيان أنّ المقصود بألفاظ الشمس والقمر هو ذكر مراتب شروق وغروب شموس الحقيقة:

وكذلك إنظروا في الإصحاح الثلاثين من سفر أشعيا النبي الّذي يخبر أوّلاً بحلول المصائب والآلام على بني إسرائيل وبعد ذلك يخبر بظهور الموعود. ففي الآية (26) منه يتفضّل: "وَيَكُونُ نُورُ القَمَرِ كَنُورِ الشَّمْسِ وَنُورُ الشَّمْسِ يَكُونُ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ كَنُورِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فِي يَوْمٍ يُجْبِرُ فِيهِ الرَّبُّ كَسْرَ شَعْبِهِ وَيَشْفِي رَضَّ ضَرْبِهِ". وهذه الآية تبشّر بأنّ الأنوار المشرقة من شمس الحقيقة سوف تكون سبع مرّات أكثر من الظهورات السابقة وستكون الأشعّة الساطعة من قمر الولاية المنشعب من الأصل القديم مثل أشعة شمس الحقيقة الساطعة. وهذه الآيات المذكورة في الأسفار المقدّسة لا يستطيع العاقل أبداً أن يحملها على الشمس والقمر الظاهريّين لأنّها تنتهي إلى الجمع بين النقيضين لأنّه لا يمكن أن تظلم الشمس والقمر ويكون نور القمر مثل نور الشمس ونور الشمس سبعة أضعاف نورها. ولذا فالواضح لدى أولي القلوب النابهة غير المظلمة أو المنحرفة أنّ شمس الديانة السابقة وقمرها سوف تظلم في يوم ظهور الموعود وسوف تنسخ. وسوف تشرق شمس الديانة الجديدة وقمرها بأشدّ إشراق وسطوع. وسوف تفوز بمشاهدة هذه الأنوار الباهرة كلّ نفس لا تنوح بمراثي الفقر وعدم القدرة والإستطاعة على السفر والهجرة إلى الله. وسوف ينشرح صدرها ويتنوّر من هذا النيّريّر المشرق "ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ"[190]. وهنا أرجو من أحبّاء الله أن يمعنوا النظر مليّاً في هذه النقطة وينظروا بنظر التحقيق أنّ النيّر المشرق البازغ الساطع النور الّذي أثنى الله تبارك وتعالى على وجوده في سفر أشعيا منذ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة بعبارة: "وَيَكُونَ نُورُ القَمَرِ كَنُورِ الشَّمْسِ" وأقسمَ في القرآن المجيد بوجوده المسعود في قوله جلّ وعلا: "وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالقَمَرِ إذا تَلاهَا"[191] وبيّن بهذه العبارات العظيمة الرهيبة عظمة مقامه المحمود ورفعة لوائه المعقود. يريد ناقضو عهد الله وناكثوا ميثاق الله بمساعيهم الباطلة ودسائسهم الدنيئة أن يمنعوا الخلق من التوجّه نحو وجهه المنير ويريدون أن يضلّوا العباد ويحوّلوا مركز الميثاق. وهم مثل طيور الليل طائرون في ظلمة الضلال. ويحاول كلّ واحد منهم أن يكون مفسّراً مطاع الرأي في تفسير الكتاب ويصبح مجتهداً نافذ الحكم في دين حضرة ربّ الأرباب. فسحقاً له من تصوّرٍ باطل وبُعداً له من خيال محال. وإذا إشتبهت على أمثال جناب الشيخ المعاني والمقاصد الأصليّة في هذه الآيات الكريمة والبيانات العظيمة فلن تشتبه على

---

[190] المائدة: **54**

[191] الشمس: **1**

أهل البهاء وأصحاب السفينة الحمراء الّذين شربوا من المنبع العذب للإيقان ولم يخف عليهم تمويه الناقضين وتضليل الناكثين بعد إطّلاعهم على تفسير معاني الشمس والقمر في الإيقان الشريف وفي سائر الألواح المقدّسة. ولن يأفل النيّر البازغ بالكلام الواهي الفارغ: (وَهَبْنِي قُلْتُ هَذا الصُّبْحُ لَيْلٌ أَيَعْمَى النَّاظِرُونَ عَنِ الضِّيَاءِ؟). ولكن لا يخفي على أحبّاء الله أنّنّ مقصود الله جلّ جلاله من ذكر الشمس والقمر هو بيان مراتب تجلّي الحقيقة المقدّسة في مراتب ظهور وبطون تلك الحقيقة الّتي هي حقيقة الحقائق من أجل تأسيس الشريعة وبقاء الديانة إلى أمدٍ معلوم وأجلٍ مسمّى. وإلاّ فإنّه لن تتجلّى في المرايا العديدة غير ذات واحدة ولن يكون تعدد المرايا سبباً في تعدد الحقيقة الواحدة كما نزلت بصورة مفصّلة في الإيقان الشريف الوحدة الحقيقيّة للذات الأقدس في بيان مقامات الجمع بين مظاهر أمر الله والتفصيل بينها. ومَنْ فهم هذه النقطة إتّضحت له مقامات مظاهر الأمر.

وخلاصة القول لقد فلت من يدينا عنان القلم وتوجّهنا بالكلام من الرد على المعترضين إلى تبكيت الناقضين لميثاق الله. فلنرجع إلى أصل الموضوع ونعرض مواضع إستعمال الشمس والقمر والنجوم.

فقد ورد في الإصحاح (32) من سفر حزقيال النبي الّذي سمّي في القرآن المجيد بذي الكفل عند ذكر مصر وغلبة الكلدانيّين عليها في الآية (7) قوله تعالى: "وَعِنْدَ إِطْفَائِي إِيَّاكَ أَحْجُبُ السَّمَوَاتِ وَأُظْلِمُ نُجُومَهَا وَأُغْشِي الشَّمْسَ بِسَحَابٍ وَالقَمَرُ لا يُضِيءُ ضَوْءُهُ وَأُظْلِمُ فَوْقَكَ كُلَّ أَنْوَارِ السَّمَاءِ المنِيرَةِ وَأَجْعَلُ الظُّلْمَةَ عَلَى أَرْضِكَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبّ". وكلّ من له إطّلاع على تاريخ غلبة البابليّين على مصر يعرف أنّه لم تظهر أمثال هذه الحوادث في تلك الأيّام ولكن بعد الإطّلاع على التفاسير السابقة لن يصبح فهمها مشكلاً صعباً على أهل الإدراك.

وسفر ميخا النبي الّذي كلّه يخبر بالمصائب الواردة على بني إسرائيل وظلمة دينهم وظهور الموعود يتفضّل في الآية السادسة من الإصحاح الثالث: "لِذَلِكَ تَكُونُ لَكُمْ لَيْلَةٌ بِلا رُؤيَا ظَلامٌ لَكُمْ بِدُونِ عِرَافَةٍ وَتَغِيبُ الشَّمْسُ عَنِ الأنبياء وَيُظْلِمُ عَلَيْهِمْ النَّهارُ فَيَخْزَى الرَّاؤونَ وَيَخْجَلُ العَرَّافُونَ وَيَغطّونَ كُلُّهُمْ شَوَارِبَهُمْ لأنّهُ لَيْسَ جَوَابٌ مِنَ الله". وقد عرضنا سابقاً أنّ النبي بإصطلاح بني إسرائيل والكتب المقدّسة هو إنسان تنزل عليه الإلهامات الإلهيّة في الرؤيا ولهذا يتفضّل هنا في هذا الوحي أنّ الأحكام الدينيّة في الشريعة الموسويّة سوف تنسخ ولن يبقى لها أثر وأنّها لن تؤدّي إلى نقاء القلوب ونورانيّة الصدور. ولذا سوف تزول النبوّة والإلهام والتفأّل والإستعلام زوالاً كليّاً. وفي سفر موسى النبي يتفضّل في الإصحاح الثامن: "قَدْ اقْسَمَ الرَّبُّ بِفَخْرِ يَعْقُوبَ أَنّي لَنْ أَنْسَى إلى الأَبَدْ جَمِيعَ

أَعْمَالِهِمْ. أَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ هَذا تَرْتَعِدُ الأَرْضُ وَيَنُوحُ كُلُّ سَاكِنٍ فِيهَا وَتَطْمُو كُلُّهَا وَتَفِيضُ وَتَنْضَبُ كَنِيلِ مِصْرَ وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَقُولُ السَيِّدُ الرَّبُّ إِنِّي أُغَيِّبُ الشَّمْسَ فِي الظُّهْرِ وَأُقْتِمُ الأَرْضَ فِي يَوْمِ نُورٍ وَأُحَوِّلُ أَعْيَادَكُمْ نَوْحاً وَجَمِيعُ أَغَانِيكُمْ مَرَاثِي وَأُصْعِدُ عَلَى كُلِّ الأَحْقَاءِ مُسُحاً وَعَلى كُلِّ رَأْسٍ قُرْعَةً وَأَجْعَلُهَا كَمَنَاحَةِ الوَحِيدِ وَآخِرُهَا يَوْماً مُرّاً". ومن يمعن النظر في هذه الآيات يفهم بكل وضوح أنّ المقصود بغياب الشمس وظلام الأرض في هذه الكلمات غياب شمس السعادة وظلمة أرض المعرفة. ولن تغرب شمس السعادة أبداً عن قوم إلاّ بسبب تبدّل الديانة وزوال تأثير الشريعة وظلمة القلوب الّتي هي أرض المعرفة.

أمّا في الإنجيل وأسفار العهد الجديد فإنّ هذا القبيل من الإطلاقات والإستعارات الفصيحة اللطيفة فوق ما يستوعبه هذا الموجز. فمثلاً في الآية الخامسة من الإصحاح الثاني من رسالة بولس الرسول إلى أهالي أفسس أُطلقت كلمة الموت والحياة على الكفر والإيمان وأُطلقت الفلكيّات إستعارة على الأمور الدنيويّة فيتفضّل: "حَيْثُ قَالَ وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَاناً مَعِ الْمَسِيحِ بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ وَأَقَامَنَا مَعَهُ وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوع لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الفَائِقِ بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا".

وكذلك تفضّل في الإصحاح (12) من مكاشفات يوحنّا: "وَظَهَرَتْ آيَةٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ إِمْرَأَةٌ مُتَسَرْبِلَةٌ بِالشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَتَحْتَ رِجْلَيْهَا وَعَلَى رَأْسِهَا إِكْلِيلٌ مِنْ إِثْنَيْ عَشَرَ كَوْكَباً" وقد كتب هذا العبد تفسير هذا السفر بصورة مفصّلة في رسالة (شرح الآيات المؤرّخة) وليس فهمها صعب هنا على أرباب النباهة والبصيرة.

وكذلك تفضّل في الإصحاح (22) من هذا السفر بالذات: "أَنَا يَسُوع أَرْسَلْتُ مَلاكِي لِأَشْهَدَ لَكُمْ بِهَذِهِ الأُمُورِ عَنْ الكَنَائِسِ: أَنَا الأَصْلُ وَذُرِّيَّةُ داوُدَ كَوْكَبِ الصُّبْحِ الْمُنِيرِ".

وخلاصة القول فقد ثبت مما ذكرناه أنّ ألفاظ الشمس والقمر والنجوم والسماء وأمثالها قد وردت كثيراً في الكتب المقدّسة من التوراة والإنجيل بشكلٍ يطابق تفسير كتاب الإيقان الشريف بل كان إطلاق هذه الألفاظ على هذه المعاني أكثر إستعمالاً وشيوعاً وليس السبب في تعجّب جناب

الشيخ من تفاسير كتاب الإيقان الشريف إلاّ نتيجة عدم إطّلاع جنابه على الكتب المقدّسة السماويّة وإبتعاده عن البيانات القدسيّة النبويّة.

11. في بيان ضرورة وجود القرائن وفي أنّ فهم هذه القرائن يرجع إلى أهل الإيمان لا إلى غيرهم:

وأمّا ما كتبه جناب الشيخ من ضرورة وجود القرائن فهذا أمرٌ صحيح وهو أنّ إستعمال الألفاظ للتشبيه والإستعارة يحتاج إلى قرائن حاليّة أو مقاليّة ولكنّ فهم هذه القرائن وإدراك هذه الشواهد منوط بأصحاب الأحلام الرزينة والصدور المنشرحة والقلوب المنوّرة والبصائر المنيرة لأنّه لو أمكن لكلّ إنسان فهم ذلك لما تحقّقت الآية الكريمة: "وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلَهُ إلاّ الله"[192] لأنّه ليس المقصود بالتأويل إلاّ المعاني الأصليّة الّتي تفيدها ألفاظ الآيات. ومعلوم أنّ المراد بها هو المعاني غير الظاهريّة والدقائق والإستعارات النبويّة فقد رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير الآية المباركة: "وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ"[193] أنّه عليه السلام قال: "أنا الْبِئْرُ الْمُعَطَّلةُ"، ورُوي عن صادق آل محمّد عليه السلام أنّه قال في تفسير الآية الكريمة: "وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيروا فِيهَا لَيَالِي وَأيَّاماً آمِنِين"[194] أنّه عليه السلام قال: "نَحْنُ القُرَى الظَّاهِرَة" فيُفهم من هذا التفسير بصورة صريحة أنّ المقصود بهذه القرى الظاهرة وسائط إيصال الفيوضات الإلهيّة إلى المؤمنين أي الأئمّة الأطهار سلام الله عليهم أجمعين. ولولا تصريح أمير المؤمنين والصادق عليهما السلام لما عرف أهل الظاهر أبداً تلك المعاني المقصودة "بالبئر المعطّلة" و "القرى الظاهرة" ولرفعوا مثل إبن الآخوند راية المكابرة مرفرفة. هذا وإنّ تفاسير أئمّة أهل البيت هي من هذا القبيل [كما هو معلوم عند أولي الألباب ومَنْ عنده علم الكتاب].

12. في إثبات عدم إطّلاع الشيخ على القواعد المرعيّة بين العلماء:

أمّا دليل عدم إطّلاع جناب الشيخ على القواعد العلميّة فهو واضح وأظهر لدى أهل العلم لأنّ السائل الّذي نزل كتاب الإيقان الشريف في جواب أسئلته هو واحد من أشراف وسادات المسلمين وكانت أسئلته ثلاثة: (الأوّل) عن علامات ظهور القائم من قبيل نفخ الصور وقيام مَنْ في القبور

---

[192] آل عمران: 7
[193] الحج: 45
[194] سبأ: 18

وطلوع الشمس من مغربها وتكوير الشمس وإنفطار السماء وسقوط النجوم وتبدّل الأرض وأمثالها، (الثاني) عن رجعة الحجّة بن الحسن العسكري عليهما السلام ورجعة سائر أئمّة الهدى بأشخاصهم وغلبتهم وسلطنتهم، و(الثالث) عن عدم جواز تغيير وتبديل الشريعة الإسلاميّة. ومن المعلوم أنّه لما كان السائل مسلماً ويسأل عن معاني نفخ الصور وقيام الأموات وتكوير الشمس وسقوط النجوم وأمثالها ممّا ورد في القرآن الشريف والأحاديث الإسلاميّة فلا شكّ أنّ بيانات أئمّة الإسلام الّذين كان كلّ واحد منهم وارثاً لرسول الله ومبيّناً لكتاب الله وأفضل الناس في الأمّة وأعلمهم تكون حجّة عليه ومبرهنةً للمقصود ولهذا فإنّ الإستشهاد بعبارة دعاء الندبة: "أَيْنَ الشُّمُوسُ الطَّالِعَةِ أَيْنَ الأَقْمَارُ الْمُنِيرَةُ" إستشهاد في منتهى المتانة والإعتبار ومطابق كلّ المطابقة للقواعد المرعيّة عند العلماء الأخيار، ولم يكن السائل من النصارى أو اليهود أو البوذيّة أو الهنود حتى لا تكون كلمات أئمّة الإسلام حجّة عليه ولم يكن صاحب الكلام المستشهَد به والعياذ بالله من أصحاب العمائم في الإسلام ومن سَفَلَةِ الأنام حتى يكون الإستشهاد بكلامه ساقطاً من درجة الإعتبار عند أرباب الإستبصار. وسبب إستشهاد الإيقان الشريف بآيات الإنجيل المقدّس كان من أجل تنبيه السائل إلى أنّ التمسّك بنفس هذه العلامات سبب ضلال السابقين وتكذيبهم لخاتم النبيّين عليه الصلاة والسلام وأنّ عدم فهمهم وإستيعابهم المعاني الحقيقيّة لهذه الآيات بالذات قد أدّى إلى مجانبة السابقين وإبتعادهم عن اللاحقين. ومن القواعد المتينة المرعيّة بين العلماء أنّه لو أصبحت شُبهة سبباً في ضلال قوم وانتهى تمسّكهم بها إلى تكذيب صادقٍ فإنّ العلماء ينبّهون المتمسّك بتلك الشبهة إلى حالات السابقين ليعتبر بهم فيحذّرونه ويخوّفونه من مسلكه المهلك بحكم الآية الكريمة: "كَذَلِكَ قَالَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ"[195]. إذاً فقد إتّضح مما كتبناه أنّ جناب الشيخ إشتبه عليه الأمر مرّتين (الأولى) أنّه ظنّ أنّ الاستدلال بعبارة دعاء الندبة في إثبات معاني الإنجيل كان من أجل النصارى مع أنّه كان من أجل الإسلام في إثبات معاني القرآن و(الثانية) أنّه لم ينتبه إلى أنّ المقصود بإتيان عبارات الإنجيل هو من أجل اثبات أنّ النصارى قد تمسّكوا في عدم قبولهم أمر خاتم النبيّين عليه السلام بظواهر هذه العلامات وحملوا رجعة عيسى عليه السلام على رجعة شخصه بالذات. ولو فُسّرت ألفاظ السماء والشمس والقمر والنجوم الواردة في الإنجيل بمعانيها الظاهرة وفُسّر المقصود بالرجعة برجعة شخص عيسى عليه السلام فلا شكّ أنّ الأمر ينتهي والعياذ بالله إلى تكذيب خاتم الأنبياء عليه السلام ويؤدّي إلى بطلان دين الإسلام. وسنزيد هذه المسئلة بياناً وتوضيحاً بعناية ربّنا البهيّ الأبهي وتأييد مليكنا العليّ الأعلى.

---

[195] البقرة: 118

نعم كما أثبتنا في المواضيع الأربعة في هذا الباب أنّ القرآن الشريف هو بيّنة الصحف الأولى وجامع الحقائق المكنونة في التوراة والإنجيل وسائر كتب الأنبياء. وإتّضح أنّ المقصود الإلهي من هذه الألفاظ في جميع الصحف السماويّة هو الإخبار عن حقيقة واحدة وبيان حوادث مخصوصة تتّضح في يوم القيامة معانيها الحقيقيّة وينزل تأويلها. لذا فبعد أن نزل كتاب الإيقان الشريف وفُكّ ختم الرحيق المختوم بأنامل الحيّ القيّوم وإتّضحت التفاسير الأصليّة لهذه الآيات بعناية مالك الأرضين والسموات صار ذلك سبباً في سهولة دفع الشبهات على أهل الإيمان وميسوراً عليهم كشف حجب أهالي سائر الأديان وسَهِلَ التوفيق فيما بين الملل والأحزاب بعناية حضرة ربّ الأرباب وبعبارة أوضح صار أهل الإيمان بسبب نزول الإيقان وسائر ألواح الرحمن وارثين لعلم القدرة على كشف الغوامض وفكّ أختام جميع الأنبياء من آدم إلى الخاتم، كما لاحظتم في هذا العبد. فمع أنّه أحقر عباد هذا الظهور الأعظم علماً وعملاً وفضلاً كيف يطابق بين الكتب الإلهيّة وكيف يبيّن ويوضح طريق الجمع والتوفيق بين نصوص الصحف السماويّة الّتي كان عدم فهمها طيلة القرون العديدة سبباً في خصام الأمم العظيمة ومنافرتها. ولو لم يكن مدح الذات نوعاً من الرعونة لإستشهدت هنا بما قاله وكتبه كبار القسس والفلاسفة في أوروبّا وأمريكا في الشهادة على علم هذا العبد وإحاطته بحقائق الكتب المقدّسة ليطلع أرباب البصيرة على مقدار فضل الحقّ جلّ جلاله في تنزيل كتاب الإيقان الشريف وليعرفوا أنهار المعارف الّتي جرت من هذا القلم الأعظم. وعمّا قريب ستتّضح هذه المآثر الجليلة وسينكشف ما خفي وراء حجاب الظلم الغليظ:

"سَتُبْدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأتِيكَ بِالأخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ".

13. في بيان بطلان ما توهّمه جناب الشيخ في أنّ تفاسير صاحب الأمر يجب أن تطابق تفاسير السابقين:

وأمّا ما كتبه جناب الشيخ بقوله: "(رابعاً) أنْ يطابق التفسير لا محالة أحد تفاسير المفسّرين لا أن يخالفها جميعها، فمثلاً إذا قال أحد الأنبياء السابقين أمثال كليم الله أو روح الله شيئاً أو خبراً باللّغة العبريّة وظهر بعد ألف سنة شخص آخر إدّعى أنّ معنى هذا الخبر وهذه الألفاظ لم يفهمها أيّ واحد من علماء التفسير أو النصارى وإنّ معناه كذا وكذا وإنّ جميع المفسّرين والمترجمين قد أخطأوا ولم يستنشقوا رائحة من المعنى المقصود فلا شكّ أنّ هذا النوع من الادّعاء لدى العقلاء ادّعاء كبير بل إنّه لن يُقبل ولن يُعترف به" ومقصود جناب الشيخ أنّه مثلاً لو تفضّل موسى عليه السلام

ببشارات فيجب أن تكون بيانات عيسى عليه السلام عند ظهوره مطابقة مع أحد تفاسير اليهود وإلاّ فلن يُقبل ادّعاء عيسى عليه السلام وهكذا لو تفضّل عيسى عليه السلام ببشارات فيجب أن تكون بيانات رسول الله وخاتم النبيّين عند ظهوره مطابقة مع أحد تفاسير الإنجيل وإلاّ فلن يكون إدّعاؤه عليه السلام مقبولاً، وهكذا يجب أن يكون الأمر في ظهور حضرة بهاءالله. وإنّ قاعدة جناب الشيخ هذه مغلوطة من عدّة وجوه بل مخرّبة لجميع الأديان ومؤدّية بالإلإ نسانيّة إلى القهقرى والخسران.

(فالوجه الأوّل) إنّ قاعدة جناب الشيخ هذه تخالف نصوص الكتب السماويّة بالذات، لأنكم لاحظتم أنّ الله جلّ جلاله قد صرّح في أسفار العهد القديم أنّ الأسفار الإلهيّة مخفيّة ومختومة إلى يوم المنتهى فإذا كان مراد الله من اليوم المنتهى هو يوم ظهور عيسى عليه السلام فإنّ تفاسير حضرته لا بدّ أن تخالف جميع تفاسير اليهود وإذا قصد تعالى بيوم المنتهى يوم ظهور رسول الله عليه السلام فلا شكّ أنّ بياناته عليه السلام لن تتّفق مع بيانات اليهود والنصارى وإذا قصد تعالى بيوم المنتهى يوم ظهور القائم وقيام روح الله فلا شكّ أنّه سيفسّر الكتب الإلهيّة تفسيراً يخالف مفاهيم اليهود والنصارى والإسلام. وإنّ الآية الكريمة: "هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ تَأْوِيلَهُ"[196] والآية الكريمة: "بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِي تَأْوِيلُهُ"[197] صريحتان تماماً بأنّ التنزيل سينزل خلافاً لمفاهيم المؤوّلين والمفسّرين وستنكشف معانيه الحقيقيّة في اليوم المخصوص وأنّ ادراك هذه القضية المسطورة في الكتب الإلهيّة يثبت أنّ ما قاله جناب الشيخ بوجوب كذا ووجوب كذا إنما هو تحكّم بارد وجاف وعليل وادّعاء واهٍ وبلا دليل. وكأنّه ظنّ أنّ ظهور مظاهر أمر الله الّذين قد ظهروا جميعاً بآراء تخالف آراء أهل الهوى بحكم الآية الكريمة: "أفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوى أنْفُسُكُمْ إسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونْ"[198] يجب أن يظهروا وفقاً لآراء جنابه الباطلة وأنّ القائم الموعود الّذي هو مظهر الآية الكريمة: "يَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ"[199] يجب أن يكون تابعاً لآراء الأقدمين الفاسدة. لأنّ الإنسان البصير لو يتأمّل في كلمات القوم ويتدبّر فيها لَيندهش حين يرى أنّ كلّ واحد منهم قد كتب قبل الظهور أحكاماً وقواعد عديدة للقائم الموعود يأمرون حضرته بموجبها بإطاعة أوامرهم الباطلة. ويتحيّر الإنسان من جرأتهم وغفلتهم لأنّ كلّ واحد من هؤلاء القوم لم يؤلّف كتاباً إلاّ وكتب فيه في مواضع عديدة أنّ القائم يجب أن يفعل كذا ويجب أن يقول كذا ويجب أن تكون سيرته

[196] الاعراف: 52
[197] يونس: 39
[198] البقرة: 87
[199] ابراهيم: 28

كذا كأنّهم ظنّوا أنّ ذلك الوجود الأقدس قائم بأمر الملاّ وات لا قائم بأمر الله أو كأنّهم حسبوا أنّ حضرته داعٍ إلى الفقهاء لا داعٍ إلى الله وأعجب من هذا كلّه لما نَبَّهَ المناظر البهائي جناب الشيخ إلى هذه القضية بأنّ مظاهر أمر الله هم مقنّنو القوانين وشارعو الشرائع وواضعو الحدود والأحكام ولا تسير عليهم أحكام هذه الأوهام لم يفهم جناب الشيخ مقصوده وظنّ أنّه يقصد تجويز خروجهم على القواعد اللغويّة وقام برسالته المطبوعة بكتابة كلّ ما تمليه عليه شراسة الطبائع الفقهيّة من الغرور والهذيان ولم يقصّر في هجر الكلام وبذئ المقال ولا غرو "فكلّ إناء بالّذي فيه ينضحُ".

(والوجه الثاني) إنّ قاعدة جناب الشيخ هذه لو كانت صحيحة فإنّها تنتهي بالمآل إلى بطلان الدين الأسلامي. لأنّكم قرأتم كلّكم في القرآن المجيد أنّه قال تعالى عن لسان عيسى عليه السلام: "وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأتِي مِنْ بَعْدِي إسْمُهُ أحْمَدْ"[200] وكذلك قال تعالى في مقام آخر: "الرَّسُولُ الأمِّيُّ الّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالإنْجِيلِ"[201] وقد كتب جميع مفسّري الإنجيل بالأجماع وقالوا ويقولون إلى يومنا هذا بأنّه لا يوجد في الإنجيل شيئ من هذا القبيل ولا جاء في الإنجيل ذكر لظهور نبيّ ولا إسم أحمد. وعندما ينظر الشخص المحقّق المجاهد إلى الأناجيل الأربعة لا يشاهد أكثر من موضعين جاء فيهما ذكر ظهور جديد وهذا يعني أنّه لا يوجد في بيانات عيسى عليه السلام أكثر من نوعين من الأخبار عن الظهورات الآتية: (النوع الأوّل) وهو الوارد في الإصحاح (24) من إنجيل متّى ومثله موجود في بقيّة الأناجيل: "ومِنْ بَعْدِ ضِيقِ تِلْكَ الأيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ لا يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالكَوَاكِبُ تَتَسَاقَطُ مِنَ السَّمَاءِ إلى آخر الآية " وقد فسّر الجمال الأقدس الأبهي جلّ ذكره هذه البشارة في كتاب الإيقان الشريف بأنّها تنطبق على ظهور رسول الله عليه السلام ولكنّ جناب الشيخ كما يعرف القارئ لم يقبل هذا التفسير بل أظهر إستغرابه وعجبه منه وحمله على رجعة عيسى عليه السلام بشخصه ولهذا فإنّ هذه البشارة لا تنطبق حسب عقيدة جناب الشيخ على ظهور رسول الله و(النوع الثاني) العبارات الواردة في الإنجيل عن مجيئ الفارقليط أو روح الحقّ أو المسلّي والمعزّي باختلاف تراجم الإنجيل فقد جاء في الإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنّا: "إنَّ لِي أمُوراً كَثِيرَةً أيْضاً وَلَكِنْ لا تَسْتَطِيعُونَ أنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأمَّا مَتى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إلى جَمِيعِ الحَقِّ لِأنَّهُ لا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأمُورٍ آتِيَةٍ". وقد أراد علماء الإسلام أن يحملوا هذه الآية على الإخبار بظهور رسول الله عليه السلام ولكنّ مفسّري الإنجيل رفضوا ذلك التفسير بالإجماع وفسّروها وفقاً لما ورد في الباب الثاني من كتاب أعمال الرسل

[200] الصف: 6

[201] الاعراف: 157

بأنّها تشير إلى نزول روح القدس على الحواريّين. ولا يستطيع جناب الشيخ أن يستدلّ بهذه الآية على ظهور رسول الله عليه السلام لأنّ هذا يخالف رأي جميع مفسّري الإنجيل بل يخالف آراء جميع المؤمنين بذلك الكتاب المجيد. ووفقاً للقاعدة الّتي تجشّم جناب الشيخ الصعاب في وضعها لم يأت في الإنجيل خبر عن ظهور رسول الله عليه السلام بدليل أنّ ذلك لا يتّفق مع تفسير مفسّري الإنجيل ولا خطر ببال صاحب الإنجيل.

والان لما إطّلعتم على ما عرضناه تفهمون بكل وضوح كيف أنّ عبارة جناب الشيخ الّتي إشترط فيها أن تطابق تفاسيرُ الظهور الجديد على الأقلّ أحد تفاسير الظهور السابق وإلاّ فإنّها تسقط من منزلة الإعتبار صارت تخالف قواعد الإسلام بل تكذّب حضرة سيّد الأنام. وفي هذا المقام أرجو بكل إحترام من علماء الإسلام الأعلام وأفاضلهم الأجلاّء أن يمعنوا النظر في عبارات شيخ الإسلام ليروا أنّه لم يستطع أي خصم لدود للإسلام أن يهدم الركن الأعظم من الدين الإسلامي كما هدمه جناب الشيخ ولم يسهّل أحد لأعداء الديانة الإسلاميّة تكذيب آيات القرآن كما سهّله جناب الشيخ من أجل مخاصمته للطائفة البابية. أفلم يكتب جناب الشيخ: "و(رابعاً) أنْ يطابق التفسير لا محالة أحد تفاسير المفسّرين لا أن يخالفها جميعها"؟ وأ لم يضرب مثلاً بعد ذلك بقوله: " فمثلاً إذا قال أحد الأنبياء السابقين أمثال كليم الله أو روح الله شيئاً أو خبراً باللّغة العبريّيّة وظهر بعد ألف سنة شخص آخر إدّعى أنّ معنى هذا الخبر وهذه الألفاظ لم يفهمها أيّ واحد من علماء التفسير أو النصارى وإنّ معناه كذا وكذا وإنّ جميع المفسّرين والمترجمين قد أخطأوا ولم يستنشقوا رائحة من المعنى المقصود فلا شكّ أنّ هذا النوع من الادّعاء لدى العقلاء ادّعاء كبير بل إنّه لن يُقبل ولن يُعترف به"؟ أفلا يقول أفاضل علماء النصارى أن يا جناب الشيخ إنّ موسى وعيسى عليهما السلام تكلّما باللغة العبريّة وجاء محمّد بعد ألفي سنة من زمان موسى وبعد ستمائة سنة من زمان عيسى وهو يقول أنّ خبر ظهوري موجود في التوراة والإنجيل ولم يفهم ذلك أحد من علمائكم وحُرموا من إدراك المقصود بحكم الآية: "لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا"[202]؟ وبموجب قاعدتك هلاّ يسقط هذا الكلام من درجة الإعتبار؟ وكذلك ألا يقولون بخصوص الآية الكريمة: "يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ"[203] كيف أنّ هؤلاء العلماء والمفسّرين من اليهود مدّة ألفي سنة ومفسّري علماء الإنجيل مدّة ستمائة سنة لم يفهموا تحريف كتبهم المقدّسة الّتي أجمعوا على صحّتها ومحمّد فهم تفسيرها وحكم من دون سند موثوق بتحريفها؟ ووفقاً لقاعدة جناب الشيخ أيّ الطرفين المتناظرين سيكون

[202] الاعراف: **179**

[203] النساء: **46**

على الحقّ وأيّهم يعتمد عليه أرباب الإستبصار؟ [**كذلك يخرّبون بيوتهم بأيديهم ويُسقطون حجّتهم بأفواههم ولا يعرفون ما لهم مما عليهم ذلك مبلغهم من العلم فاعتبروا يا أولي الأبصار**].

14. في بيان اختلاف مفسّري الإنجيل في تفسير ألفاظ الشمس والقمر وسقوط النجوم وأمثالها:

ونحن أهل البهاء سنثبت بقوّة [باسط الأرض ورافع السماء] أنّ بعض كبار مفسّري الإنجيل فسّروا ألفاظ الشمس والقمر والسماء والنجوم بغير معانيها الظاهريّة وعبّروها وفسّروه بالتغييرات الكلّيّة الّتي حصلت على الأمّة اليهوديّة وبالنكبات الّتي نزلت برؤسائهم الدينيّين والدنيويّين ولكنّ جناب الشيخ لا يستطيع أبداً أن يثبت أنّ أحداً من مفسّري الإنجيل فسَّر آيةً من الآيات المذكورة بأنّها تبشّير بظهور نبيٍّ من الأنبياء. وإليكم نقل عبارة نقولا جبريل رئيس المكتبة الإنجيلية الّتي كتبها في تفسير الآيات المذكورة في إنجيل متّى قال: " وأمّا المفسّرون ففريق منهم يذهب إلى أنّ هذا الكلام مجازي وفريق آخر يذهب إلى أنّه حقيقي وها أنا ذا أذكر لك بعض أقوال كلّ فريق بالحرف الواحد حسب الطلب. قال القسّ ألبرت بارنس الإنكليزي في تفسيره المجلّد الأوّل صفحة (343): "لا تؤخذ ظلمة الشمس والقمر إلى آخره على معناها الظاهري لأنّ كَتَبَةَ الكتاب المقدّس الملهمين كانوا يستعملونها غالباً للدلالة على حدوث مصائب أليمة وحوادث عظيمة. وكما أنّ ظلمة الشمس والقمر وسقوط الكواكب تحسب مصائب كبرى هكذا صار يُعبَّر عن الضيق وإنقلاب الممالك والمدن وخلع الملوك والأمراء بظلمة الشمس والقمر أو ببعض إضطرابات عظيمة في العناصر الطبيعيّة كما ترى في النبوّة على خراب مدينة بابل وصور نبوّة أشعياء آية (10) من أصحاح (13) وآية (23) من أصحاح (24)".

وقال الدكتور آدّي في كتابه (الكنز الجليل) المجلّد الأوّل المطبوع سنة (1886): "رأى بعض المفسّرين أنّ كلام المسيح هنا مجاز أشار به إلى أمرين، الأوّل النوازل الّتي تحلّ باليهود بعد خراب مدينتهم (أورشليم) كطردهم من الأرض المقدّسة وبيعهم عبيداً للأمم، والثاني سقوط الممالك الوثنيّة والإنقلابات السياسيّة المشار إليها بإظلام الشمس إلى آخره. والحقّ يُقال أنّه لا يستطيع أحد أن يقطع بتعيين الأمر الّذي أشار إليه المسيح ولكنّ أكثر المفسّرين إعتقدوا أنّ المسيح تكلّم بهذا العدد إلى نهاية الإصحاح على مجيئه العظيم للدينونة".

وقال العلامة الأسقف (يوحنّا زيل) في كتابه (كنز التفسير في إنجيل لوقاء البشير) المطبوع في القاهرة سنة (1891) صفحة (558): "إنّ النبوّة في هذا الفصل ليست بنبوّة مجازيّة تدلّ على أمور معنويّة بل دلالة واضحة على أمور وحوادث حقيقيّة ولذلك يرجّح أنّها ستتمّ حرفيّاً قبيل ظهوره الأخير وفي حينه".

[وقال العلامة إسكندر الأميركاني في كتابه الّذي ترجمه من الإنكليزيّة إلى العربيّة وسمّاه (دليل الصواب إلى صدق الكتاب) صفحة (163) في الفصل الحادي عشر "ثالثاً تُنَبِّئ بأن تكون عاقبة خراب هيكل القدس تفرّق اليهود بين جميع القبائل وتمام انقراض دولة اليهود تشير إليه الإستعارات النبويّة بأنّ الشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه وتتساقط النجوم من السماء ورذل اليهود ودعوة الأمم وقيام أنبياء ومسحاء كذبة وإتّساع هذه الأحكام على شعب اليهود ودوامها مع شيئ من اللوائح لرجوعهم"].

فيستطيع أولو العلم أن يدركوا مما ذكرناه مقدار اختلاف مفسّري الإنجيل في فهم المعاني المقصودة في هذه الآيات. ولو نذكر أقوال جميع المفسّرين ليتّضح مقدار اختلاف العلماء في فهم هذه الآيات. وهذه القضيّة بالذات برهان واضح ودليل لائح على خفاء المعاني الحقيقيّة فيها. ويثبت من هذا بكلّ وضوح أنّ ما ظنّه جناب الشيخ من أنّ مفسّري الإنجيل فسّروا جميعهم ألفاظ الشمس والقمر والسماء والنجوم بمعانيها الظاهريّة وأنّ تفسير كتاب الإيقان الشريف يخالفهم جميعاً إنما هو ظنّ سببه عدم إطّلاع جناب الشيخ بتفاسير الإنجيل. لأنكم لاحظتم أنّ من بين أربعة من مفسّري الإنجيل لم يفسّر إلاّ واحدٌ منهم الآية بمعناها الظاهري. أما الباقون ففسّروها بأنّها إستعارات نبويّة وحوادث دينيّة ودنيويّة. وليس عدم إطّلاع جناب الشيخ على المعارف الإلهيّة الواردة في الكتب السماويّة موضع عجب ودهشة لأنّ الّذين ينسون أنفسهم والّذين لا نصيب لهم من معرفة القرآن المجيد الّذي يقوم عليه دينهم كيف نتوقّع منهم أن يكون لهم إطّلاع بالتوراة والإنجيل؟ وكيف يكونون بصيرين وخبراء مطّلعين بكتبٍ لا يعتقدون بصحّتها ويعتبرونها محرّفة؟ لكنّ العجب هو في أنّ الناس الّذين يُضرب بهم المثلُ بجمودة قرائحهم وضيق معارفهم لدى القريب والبعيد والشرقيّين والغربيّين يقفون موقف المناقش لفرسان مضمار التفسير. وإنّ الناس الّذين يعجزون عن فهم ظواهر التنزيل يفتحون باب المناظرة في دقائق التأويل. وعندما يتساهل عليهم أهل الإيمان في الإجابة عليهم يركبون مركب

العناد ويسلكون سبيل البذاءة في القول ويطوفون سبيل السبّ والشتم الّذي هو ملجأ الجاهل العاجز. فارجعوا إلى رسالة جناب الشيخ المطبوعة حتى تشاهدوا خصاله الغريبة ومخايله العجيبة:

أَعْجَبَنِي الدَّهْرُ في تَصَرُّفِهِ   وَكُلُّ أَطْوَارِ دَهْرِنَا عَجَبٌ

وخلاصة القول إنّ التفاسير الّتي ذكرنا أسماءها بل جميع الكتب الّتي إستشهدنا بعباراتها ما عدا كتب الشيعة موجودة في مدينة القاهرة بمصر ومنتشرة خاصّةً في المكتبة الخديويّة العامّة والمدارس المتعدّدة الإنجيليّة الأمريكيّة والإنكليزيّة والمدارس اليسوعيّة الفرنسيّة والإيطاليّة.

(والوجه الثالث) إنّ قاعدة جناب الشيخ القائلة بأنّ مخالفة تفاسير الظهور التالي مع تفاسير المفسّرين في الظهور السابق دليل بطلان ادّعاء المدّعي تنتهي لا محالة ببطلان جميع الأديان وتقود إلى الرجوع القهقرى إلى التوحّش والبوهيميّة. إذ من الواضح لدى المطلعين على العقائد والمصطلحات الدينيّة أنّ جميع عقائد وتفاسير المسلمين تخالف عقائد وتفاسير النصارى سواء في التوحيد والتثليث وسواءٌ في جواز النسخ والتبديل وسواءٌ في معاني الحشر والملكوت وغيرها وحتى في مقام عيسى عليه السلام. إذ يعتبره المسلمون نبيّاً من الأنبياء بينما يعتبره النصارى إبن الله بل الأقنوم الثالث الإله. وواضح أنّ اختلاف العقائد ناشئ عن اختلاف تفاسير الكتب الإلهيّة وهو نتاج تفاوت العقول في إدراك الكلمات النبويّة وهكذا تخالف تفاسير النصارى جميع تفاسير علماء بني إسرائيل لأنّ جميع علماء النصارى حتى الحواريّين وكَتَبَة الإنجيل إعتبروا جميع البشارات الواردة في التوراة وسائر أسفار العهد القديم مشيرة إلى عيسى عليه السلام بينما أبعدَ جميع علماء اليهود هذه البشارات عن حضرته ولا يعترفون أبداً بإنطباقها على ظهور عيسى عليه السلام. ولو ينظر إنسان إلى التفاسير الّتي كتبها النصارى في تفسير أسفار العهد القديم المقدّسة وينظر إلى كتاب تلمود اليهود وكتاب الأمانات والاعتقاد ات لِسعيد بن اليوسف بسعديا الفيّومي والمطبوع في مدينة كَيْدَن المحروسة ليطلع على مقصود هذا العبد ويرى بُعدَ تفاسير اليهود عن النصارى. وإذا كانت الحال هذه في اختلاف تفاسير المسلمين والنصارى واليهود حول مسألةٍ متّفَق عليها مثل حقيّة رسالة موسى عليه السلام فكيف تكون الحال في عقائد وتفاسير الزردشتيّة والبوذيّة والبرهميّة الّتي لا تتّفق في أيّة نقطة من نقاط العقائد وفي أيّة مسألة من المسائل الدينيّة مع أهل الكتاب؟ وفي هذه الحال يتّضح أنّه لا مفرّ لمن يعتبر موافقة التفاسير شرطاً لصحّة الديانة أن يلزم بترك جميع الأديان الموجودة وبالرجوع القهقرى إلى عالم البوهيميّة والتوحّش لأنّ تفاسير علماء الأديان لا تتّفق مع بعضها أبداً. والعاقل لا يرجّح أبداً شيئاً على شيئ من دون سببٍ يرجّحه ولو كان جناب الشيخ مطلعاً على القواعد العلميّة لما ناقش

التفاسير وبدلاً من أن يجشّم نفسه صعوبة التأليف والتصنيف والمناقشة والتكلّم في هذه المسائل الّتي تفضح عدم إطّلاعه كان الأجدر به أن يتكلّم في أصل الدليل والبرهان الّذي لا دليل بعده في الردّ وفي الإثبات لتكون الفائدة أتمّ والثمرة أعظم ويمتاز الحقّ عن الباطل والثابت عن الزائل. وبعد أن إتّضح مما كتبناه من الأوجه الثلاثة مقدار سخافة قول جناب الشيخ حين إشترط مطابقة تفسير الكتب السماويّة على الأقلّ مع أحد تفاسير المفسّرين السلف لننظر الآن في موضوع تفسير جناب الشيخ الآية الواردة في الإنجيل: "وَمِنْ بَعْدِ ضِيقِ تِلْكَ الأيَامِ إلخ" وحملها على الرجعة الخاصّة لعيسى عليه السلام بل أراد جناب الشيخ بعبارته "وهي كما ترى تدلّ على الرجعة الخاصّة للمسيح" أن يعتبر رؤية وشهادة مقلّديه دليلاً على صحّة إعتقاده وإستغرابه الشديد وتعجّبه من التفسير الّذي تفضّل به الجمال الأقدس الأبهي في كتاب الإيقان الشريف في بشارته على ظهور الرسول عليه الصلاة والسلام. وقد إستدلّ على عدم صحّة تفسير كتاب الإيقان الشريف بهذا الدليل وهو أنّ أحداً من مفسّري الإنجيل لم يستفد هذا المعنى من البيانات المذكورة في الإنجيل وهذه عين عبارة الشيخ: " ولم يكتب في تأويلها أحد من مفسّري الإنجيل الشريف من يوم ظهوره إلى يومنا هذا مدّة ما يقارب الألفيّ سنة. ويعتقد صاحب الإيقان أنّ كلّ الناس لم يفهموا مقصود عيسى عليه السلام وبقوا في تيهٍ وضلال" مرحىً لهذا الدليل ومرحىً لهذا الإدراك والفهم. لو كان تفسير مفسّري الإنجيل صحيحاً ولو كان فهمهم فهماً صحيحاً فلماذا بقي جناب الشيخ في دين الإسلام؟ ولماذا سمّى نفسه شيخ الإسلام؟ لأنّ كلّ إنسان يملك ذرّة من الشعور والإدراك يعرف أنّنّ سبب رفض الأمّة النصرانيّة أمر رسول الله وإعتبارها من دون شكٍّ أو ترديد حضرته والعياذ بالله كاذباً مفترياً واطمئنانها إلى يومنا هذا مدّة تزيد عن ألف وثلثمائة سنة وإتفاقها على تكذيبه عليه السلام هو نفس هذه العبارات الواردة في الإصحاح (24) من إنجيل متّى الّتي فيها نبّه عيسعليه السلام أمّته بكلّ تأكيد قائلاً: "إيّاكُمْ إيّاكُمْ أنْ يَخْدَعَكُمْ أحَدٌ بِأيِّ وَجْهٍ مِنَ الوُجوهِ لِأنَّ مُسَحَاءَ كَذَبَة وَأنبياء كَذَبَة كَثِيرينَ سَيَأْتُونَكُمْ وَسَيَخْدَعُونَ الكَثِيرينَ وَلَكِنَّ الّذي يَصْبِرُ حَتَّى نِهَايَةِ الأمْرِ سَيَنْجُو". وقد أكّد عيسعليه السلام هذه المسألة مراراً بشكل لا مزيد عليه حتى أنّه تفضّل في الآية (25) من هذا الإصحاح: "هَا أنا قَدْ سَبَقْتُ وَأخْبَرْتَكُمْ فَإنْ قَالوا لَكُمْ هَا هُوَ في البَرِّيَّةِ فَلا تَخْرُجُوا. هَا هُوَ في الْمَخَادِعِ فَلا تُصَدِّقُوا". فلمّا لاحظت الأمّة النصرانيّة هذه البيانات المؤكّدة وفسّرت مثل جناب الشيخ آية: "وَمِنْ بَعْدِ ضِيقِ تِلْكَ الأيَامِ إلخ" على الرجعة الخاصّة لعيسى عليه السلام لهذا إتّفقوا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلّم على تكذيبه من دون تردّد أو شكّ واثقين من صحّة نظرهم في أنّه عليه السلام والعياذ بالله من الأنبياء الكذبة الّذين أخبرهم عيسى عليه السلام بظهورهم. وهذه المعارضة

والمناقضة باقية إلى يومنا هذا بين النصارى والمسلمين ولا تزال أمواج الفتن والمصائب الّتي تؤدّي إلى غرق سفن الدول الكبيرة وإراقة الدماء الكثيرة بين الأمّتين في تلاطم وهياج. ولما عجز علماء الإسلام عن فهم مقصود عيسى عليه السلام في هذه الآية إضطرّوا لردّ إنتقاد النصارى إلى التمسّك بحبل تحريف الكتب المقدّسة الّذي هو أوهى من خيوط العنكبوت، وتشبّثوا بهذا الكلام الواهي الباطل: بأنّ التوراة والإنجيل الموجودة ليست كتباً أصليّة إلهيّة بل مختلقةً وموضوعة. ولكن لا يخفي على العاقل اللبيب أنّهم لا إستطاعوا إثبات إدّعائهم بدليل متقن ثابت ولا إستطاعوا ردّ الأدلّة العقليّة والنقليّة والتاريخيّة على صحّة الكتب المقدّسة السماويّة هذه. في حين أنّ حدوث التحريف في الكتب المقدّسة على النهج الّذي ظنّه علماء الإسلام لا ينفعهم أيضاً في هذا المقام لأنّ بشارات نفس هذا الإصحاح الّذي نبحثه قد صدّقها القرآن المجيد لأنّ جميع ما ورد في هذا الإصحاح قد نزل من دون تفاوت في القرآن الشريف أيضاً وإتّضح من صريح الآية: "وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الّذي بَيْنَ يَدَيْهِ"[204] والآية: "مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ"[205] أنّ البشارات المذكورة هي من العلامات الحتميّة في وقت ظهور المظاهر الإلهيّة وهي واضحة كالشمس في وسط السماء وليس المخرج من هذه المسألة المعضلة غير فهم المعاني الأصليّة في هذه الآيات لا التمسّك بحبل الشبهات الواهي أو التشبّث بذيل تحريف الكتاب. نعم لو كان مقصود علماء الإسلام بتحريف الكتاب التحريف في الترجمة والخطأ والتخبّط فيها كما تدلّ على ذلك الآية الكريمة: "وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقِلُوهُ"[206] فإنّ ذلك شيئ صحيح وواقع ولكن إن كان مقصودهم من التحريف محو آيات الكتب الإلهيّة وإبطال الوعود والبشارات الواردة في الصحف السماويّة فأنّ هذا شيئ غير معقول وفرْضٌ مستحيل الحصول لأنّ كتاب الله حجّة باقية وبيّنة ناطقة تحاسَب بها كلّ أمّة وتجازَى عليها فتنال العزّة أو الذلّة بإطاعتها أو بمخالفتها. ولهذا فهي محفوظة تحت الصيانة الإلهيّة وملحوظة بلحاظ المراقبة الربّانيّة حتى تتجدّد الدورة وتظهر أمّ الكتاب ويصدر حكمُ مَنْ إليه المآب. وهو من المسائل المبرهنة بالبراهين الواضحة ولكن لا يعرفه إلاّ أولو الأبصار والّذين أعطاهم الله البصيرة الكاشفة في الكتب والآثار. والآن لا يخرج حال جناب الشيخ عن أمرين، إما أن يكون في الواقع مثل بقيّة جماعته غير مؤمن بصحّة التوراة والإنجيل ولكنّه غضّ النظر عن شرح عقيدته وتفصيلها نظراً لظروف مقامه ومنصبه وفي هذه الحال من الأوْلى له أن يزيح هذا الغشاء الرقيق من الرياء عن عقيدته حتى نتباحث في هذه المسألة ونبرهن على صحّة ووثوق الوحي النازل في هذين الكتابين المقدّسين وإما أن

---

[204] يونس: 37

[205] البقرة: 41

[206] البقرة: 75

يكون في الحقيقة مؤمناً بهذا الإنجيل الموجود في الوقت الحاضر ويراه أصليّاً غير محرّف. ولا مفرّ له في هذه الحال إما أن يقرّ ويعترف بصحّة التفاسير النازلة في كتاب الإيقان الشريف ويعتبر مظاهر أمر الله كلّهم مظاهر حقيقة واحدة قدسيّةٍ كما صرّح عيسى عليه السلام بقوله: "أنَا الألِفُ وَاليَاءُ البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ الأوَّلُ وَالآخِرُ" ويعتبر أوّلهم عين آخرهم ولاحقهم عين سابقهم وتتحقّق بذلك الآية الكريمة: "الرَسُولُ النَبِيُّ الأمِّيُّ الّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ"[207] وإما أن لا يقرّ بالتفسير هذا كما صرّح بدهشته وإستغرابه ولا مفرّ له والحال هذه إلاّ أن يعتبر الدين الإسلامي والعياذ بالله باطلاً ورسول الله عليه الصلاة والسلام والعياذ بالله كاذباً لأنّ علماء الإنجيل بالإجماع كذّبوا رسول الله عليه الصلاة والسلام بحكم هذا الإصحاح بالذات. ومن المحال وفقاً لعقيدة جناب شيخ الإسلام أن يكون مفسّرو الإنجيل مدّة ألفي سنة على خطأ وكأنّهم بالإجماع وفقاً لعقيدة جناب الشيخ على الصواب وأنّهم فهموا المقصود من كتاب الله. [**وهذا منتهى خدمة جناب الشيخ للدين وهذا مبلغ علمه بالكتاب**]:

"أمُمُورٌرٌ تَضْـضْحَحَكُكُ السُّـ سُّففَهَهَاءُءُ مِمِنْنْهَـ ا وَوَيَيَبْبْكِكِـ ي مِمِـنْنْ
عَعَوَوَاقِقِبِبِهَهَـ____________________ا اللَّلَبِيبِـــــــــــــــــــــــــــبُبُ ".

فلمّا تمّ الإطّلاع على أنّنّ الحقّ جلّ جلاله قد فتح ختم الأنبياء السابقين بتنزيل الإيقان الشريف وفَتَحَ على وجوه عباده باب فهم الآيات المختومة في الكتب المقدّسة وبهذه الوسيلة مكّن أهل الإيمان بحكم الآية الكريمة: "وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إلَى كِتَابِهَا"[208] من الاحتجاج مع أهل كلّ كتاب مقدّس بكتابهم فأفحموا في مقام المناظرة والاحتجاج كلّ أرباب المكابرة واللجاج لذا لم تبق حاجة لنبسط المقال في تفسير آيات الإنجيل المقدّس ولنطبّقه على ظهور رسول الله وسائر المظاهر الإلهيّة الحقّة عليهم السلام لأنّ هذا التفسير والتطبيق قد نزل في كتاب الإيقان الشريف بأفصح عبارة وأتقن برهان وأشرقت وتلئلأت أنوار المعاني الرقيقة والبيانات الرشيقة من درره المنيرة لذا فإنّنا نشرع بكتابة بقيّة عبارات جناب الشيخ العجيبة ونكشف مقدار الإهانات الّتي إرتضاها لأئمّة الهدى. وهذه عين عبارته: "وبدلاً من أن يستشهد في إثبات مدّدّ عاه بنفس آيات عيسى عليه السلام وبنفس لغته الّتي تكلّم بها نراه يتمسّك بكلمات أحد أولياء الدين الإسلامي الّذين لم يسمع أهل الإنجيل أبداً بأسمه بل أنّهم يعتبرون أصل الدين الإسلامي وفرعه كذباً وباطلاً. فمثلاً يقول صاحب الإيقان إنّ المراد بالشمس والقمر في كلمات المسيح هو الشمس والقمر المعنوي بدليل ما

[207] **الاعراف: 157**

[208] **الجاثية: 28**

ورد في دعاء الندبة: "أَيْنَ الشُّمُوسُ الطَّالِعَةُ وَأَيْنَ الأَقْمَارُ الزَّاهِرَة؟" ويُفهم من عبارة جناب الشيخ أنّه تصوّر صاحب هذا الدعاء الشريف والعياذ بالله مثل أحد ملاّلاّلاّوات هذا الزمان بحيث ذكر إسمه بمثل هذا النوع من الإستخفاف والإهانة ولم يعتبر كلامه قابلاً للاحتجاج والاستدلال . نعم لو كان يعرف مقام أئمّة الهدى عليهم السلام ولو كان يفهم مقام الاحتجاج ولو كان يعرف أنّ حجّة الديانة الإسلاميّة على سائر الأديان الموجودة قائمة وبالغة لأَدْرَكَ بنفسه مقدار سخافة كلامه هذا ولإطّلَعَ على الهمّة الّتي بذلها في هدم بنيان الدين الإسلامي ولكنّ نور البصيرة مسلوب من أبصار أهل الهوى وقوّة السمع مسلوبة من الآذان غير الواعية:

"لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ولكن لا حياةَ لِمَنْ تُنادي"

"إنَّكَ لا تُسْمِعُ الموتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُعَاءَ"

وها أنّ أمثال جناب الشيخ ينكلون عن إجابة داعي الله والقائم بأمر الله حتى يروا بأعينهم كيف يؤثّر دعاء الندبة في النصارى وفي سائر الأمم الأولى كما نكل علماء اليهود والأذكياء والمنتبهين لما طلع نير الجمال العيسوي ودعا جميع بني إسرائيل بلحن الإنجيل البديع إلى الدخول في ظلّ لواء الربّ الجليل وذكّرهم بالعهود المأخوذة منهم على لسان موسى وأشعيا وسائر الأنبياء فأعرضوا عن قبول دعوته عليه السلام حتى يروا بأعينهم كيف تؤثّر أسفار أشعيا وأرميا في أمم اليونان والرومان وكيف خشعوا وخضعوا لكلمة (مسيح) الّتي لم يسمع بها أبداً أهل أوروبّا الّذين كانوا كما قال جناب الشيخ يعتبرون أصل الدين اليهودي وفرعه كذباً وباطلاً. ولكنّ العاقل اللبيب يعرف أنّه بينما كان علماء اليهود الأعلام مشغولين بهذه الأفكار ومستغرقين في غمار هذه الشبهات وَوَرِثَ الأوروبيّين نور الإنجيل ودخلوا في ظلّ ذاك اللواء الجليل ونالوا العزّة والسعادة من إشراق ذلك النور البازغ وخرج من الملكوت جميع اليهود الّذين كانوا أبناء الملكوت وأصبحوا أذلّاء مهانين وتشتّتوا في أقطار العالم من دون مأوى أو ملاذ. وهكذا رجع الحكم في المآب كما أخبر به الله في الكتاب. وكما ذكرنا سابقاً وأثبتناه إنّنّ مقصود الحقّ جلّ جلاله من الإستشهاد بكلام أئمّة الهدى عليهم السلام هو إثبات المعاني الحقيقيّة المقصودة في ألفاظ الشمس والقمر والكواكب والسماء الواردة في آيات القرآن المجيد والمذكورة في علائم ورود القيامة وظهور القائم. وإنّ الإستشهاد بكلمات الإنجيل المقدّس هو من أجل أن يدرك أولو الألباب أنّ الملل العتيقة تمسّكت كذلك بظواهر نفس هذه الألفاظ في ردّها خاتم الأنبياء عليه السلام وتشبّثت بعدم ظهور العلامات. وكذلك سبق أن أثبتنا أنّ الختم الّذي ختمه الأنبياء السالفون قد فُكَّ بنتيجة رفع النقاب عن الحقائق المكنونة في الكتاب وسَهُلَ فهم الكتب المقدّسة على أهل الإيمان وأصبح طريق إقامة الحجّة والبرهان على أهالي سائر

الأديان يسيراً لهذا فلا نحتاج في هذا المقام أن نكرّر الكلام ونكشف عن متانة قانون كتاب الإيقان المقدّس في كيفيّة إقامته البيّنة والبرهان أو نوضح توضيحاً أكثر ضعف وسخف انتقادات جناب الشيخ ولكنّنا نوجّه أنظار أرباب الفضل قليلاً نحو عبارات الشيخ الّتي يقول فيها: "ولنفرض أنّ فرقة الشيعة تسكت وتقتنع بهذا النوع من الاستدلال نظراً لإيمانها وقبولها لهذا الكلام الشريف أفهل يسكت أهل السنّة والجماعة؟ ولا سيما النصارى الّذين لا يؤمنون أصلاً بحقيقة الدين الإسلامي فكيف يؤثّر فيهم دعاء الندبة؟" انتهى (كلامه العجيب) وقد كتب جناب الشيخ في بداية رسالته الثانية الّتي طبعها ونشرها أنّه قد طرح هذه المسائل على بساط البحث حسبةً لله. ولهذا نسأل أهل الإنصاف أوّلاً إنّ انساناً يتكلّم حسبةً لله في مسائل يتوقف عليها جمع شمل الملّة والتأليف بينها لا يتحامل أبداً ولا يتعنّت إلى هذه الدرجة في كلامه. كأنّ جناب الشيخ ظنّ أن أهل السنّة والجماعة ينكرون فضل أئمّة الهدى وعلمهم وسموّهم وجلالهم وإعتبر هذه الفرقة العظيمة من المسلمين الّتي هي السواد الأعظم في الملّة الإسلاميّة أعداء أهل البيت الطاهرين لأنّه ذكر فرقة الشيعة بإسمها أنّها تعتقد بذلك وكان فحوى عبارته بل صريحها يشير إلى أنّ فرقة أهل السنّة لا تعتقد بذلك. والحال أنّ الأمر على عكس ما يتصوّره جناب الشيخ فإنّ جميع أهل السنّة يعتقدون بعلوّ مقام أئمّة أهل البيت ويعترفون بوافر علمهم ومعارفهم وقد ألّف أفاضل علماء السنّة كتباً في فضائل أهل البيت وبرهنوا على وجوب إحترام مقامهم وحفظه. ولا يستوجب الخلاف في مسألة تأسيس الخلافة أن يكون أهل السنّة منكرين لفضل أهل البيت أو في عداد المنكرين للذين فَرَضَ القرآنُ حبَّهم وخاصّة في مواطن إستعمال اللغة العربيّة مثل إطلاق ألفاظ الشمس والقمر والنجوم على المظاهر الإلهيّة حيث لا يشكّ أحد من أهل السنّة في وافر علم أئمّة أهل البيت وفصاحة كلامهم وبلاغة بيانهم. ولا شكّ أنك لو تسأل أيّ إنسان ولو كان منكراً لدين الإسلام فإنّه يعتبرهم من أعظم بيوت الفصاحة العربيّة ويعتبرهم أعلم من أعاجم القفقاس بمواطن إستعمال الألفاظ، وأمّا عبارة الشيخ : "كيف يؤثّر في النصارى دعاء الندبة؟" فإنّها أعجب من جميع عباراته السابقة كأنّه ظنّ نفسه شيخ النصارى وشيخ اليهود مثلما هو شيخ الإسلام أو أنّه يحمل وكالة عن سائر الملل. وهذه العبارة تتنافي مع ادعائه بأنّه "طرح هذه المسائل على بساط البحث حسبةً لله" بل تدلّ هذه العبارة على تحامله ومجافاته. لذا أعرض بكمال الأدب في خدمته وأقول يا سيّدي الشيخ لا عِلم أفاضل أمّة النصارى واليهود أقلّ من علمكم ولا قلمهم أعجز من قلمكم ولا لسانهم أضعف من لسانكم فإن كانت لديكم شبهة في دينكم فتفضّلوا بها واتركوا شبهات الأمم الأخرى لها. ولا تتوكّلوا على سائر

الملل ولا تحملوا همّ الآخرين حتى لا ينسب إليكم التعصّب والتعنّت وحتى يصدُق إدّ عاؤكم "حسبةً لله" فعليّاً.

15. في بيان دفع شبهة جناب الشيخ حين ظنّ بأنّ خطابات مظهر أمر الله يجب أن تكون ظاهريّة لا مجاز فيها:

ولما عُلم حال انتقادات شيخ الإسلام في المبحث السابق فقرة بعد أخرى وإتّضحت قيمتها لأولي العلم أرجو القرّاء أن يتأمّلوا كذلك قليلاً فيما كتبه: "مع أنّ كلّ مؤسّس ومقنّن يأتي بادّعاء عام لأنّه يعتبر نفسه مظهراً أظهر وأسمى للوجود المطلق وللذات البحت ويجب أن تكون خطاباته وأدلّة حقيّته عامّة تامّة وكلامه موجهاً إلى الكلّ وشاملاً للكلّ لا أنّه يخاطب مِن بين جميع الملل الساكنة على الأرض ومن بين الفرق المتعدّدة فرقةً صغيرةً ويسوق الكلام اليها نظراً لضيق معارف أغلب أفراد ها وبدلَ أن يقول [**يا أيّها الناس يا أيّها العرب ويا أيّها الفرس**] يستدلّ ببضعة أحاديث يصعب إثبات صحّتها وسقمها حتى أنّ أكثر المسلمين لا يعتقدون بها". وكأنّ جناب الشيخ قد أوجب على نفسه أن يكتب كلّ ما أوحاه قلمه سواء أكان له معنى أو كان خالياً من المعنى وسواء أهدم أركان الأديان أم لم يهدم وسواء أينطبق ذلك على الأنبياء السابقين أم لم ينطبق. ومع أنّه قد جاء في القرآن الشريف: "لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ"[209] وصرّح في الإيقان الشريف أنّهم عليهم السلام جميعهم مظاهر حقيقة واحدة ولهم حكم نفسٍ واحدةٍ وجسدٍ واحدٍ ومع ذلك لم يُبعث موسى عليه السلام إلاّ لبني إسرائيل ولم يخاطب عيسى عليه السلام غير بني إسرائيل الّذين هم أقل جميع فرق العالم مع أنّه تفضّل: "أنّا الألِفُ وَاليَاءُ البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ الأوَّلُ وَالآخِرُ" وقد ورد في الإنجيل المقدّس أنّ عيسى عليه السلام قد رأى الله غير المرئي وورد كذلك أنّه ليس في الأرض والسماء غير إسمه المبارك المخلّص. ومع ادعائه المظهريّة الكبرى لم يعترض عليه أحد قائلاً له لماذا خاطبت بني إسرائيل وحدهم؟ ولِمَ لم تستدلّ بخطاب عامّ لجميع الخلق؟ ولم يكن السبب في كلّ ذلك إلاّ أنّ الخلق كانوا يفهمون ويشعرون في الدرجة الّتي هم فيها أنّ مدّعي مثل هذا المقام لا يُحَدُّ بحدود الخلق وهو أعلم بمصالح الزمان وبمقتضيات الخطاب. وبناءً على ذلك فإنّ إنتقاد جناب الشيخ أوّلاً ينطبق على موسى وعيسى عليهما السلام إنطباقاً أكثر لأنّهما لا يملكان كتاباً غير كتابي التوراة والإنجيل. وفي هذين الكتابين لا يوجد خطاب موجّه إلاّ لبني إسرائيل. وبغضّ النظر عن أنّ إنتقاده ضعيف وباطل أصلاً ومبنيّ على أوهامه وخياله الفاسد فإنّه لا ينطبق على هذا الظهور الأعظم بأيّ وجه

[209] البقرة: 285

من الوجوه لأنّ رجلاً مثله لم يشاهد غير كتاب الإيقان وحده ولم يشاهد سائر الألواح المقدّسة كالّذي لم يشاهد من القرآن المجيد غير الآية: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ"[210] ثم ينتقد رسول الله عليه السلام من دون أن يشاهد بقيّة القرآن قائلاً لماذا خاطب رسول الله بني إسرائيل وحدهم ولماذا لم يعمّم خطابه ليشمل كلّ أهل العالم؟ لأنّه لا يخفي على المطّلعين على الكتب والألواح النازلة من القلم الأعلى كما لم يخف على أفاضل النصارى وعظماء أوروبّا أنّه قد نزل من القلم الاعلى عدد من الكتب الموجودة ما عدا ما نزل بطلب والتماس علماء الملل من الكتب المتعدّدة الموجودة، فقد نزلت ألواح كثيرة بأسماء كلّ أمّة من الأمم المذكورة على إنفراد علاوة على الألواح العديدة الموجودة الّتي خاطب بها أهل العالم. وهذه الألواح مطبوعة ومنتشرة في أكثر العواصم والبلاد الكبيرة حتى العواصم الأوروبيّة. وبغضّ النظر عن جميع ما ذكر فإنّ (كتاب العهد) الشريف الّذي نزل في السنين الأخيرة من القلم الأعلى والّذي فيه يتفضّل ببيان جميع مواطن الفلاح والنجاح هو خطاب عام لجميع أهل العالم وشامل لكافّة الأمم وهذا بعض عباراته الرشيقة وبياناته الأنيقة نوردها زينةً للكتاب ودفعاً لأوهام أهل الإرتياب. قال جلّ شأنه وعلت كلمته (ما ترجمته):

"يَا أَهْلَ العَالَمِ نُوصِيكُمْ بِمَا تَرْتَفِعُ بِهِ مَقَامَاتُكُمْ. تَمَسَّكُوا بِالصِّدْقِ وَتَشَبَّثُوا بِذَيْلِ الْمَعْرُوفِ. الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ اللِّسَانَ خُلِقَ لِلذِّكْرِ الْخَيْرِ فَلا تُلَوِّثُوهُ بِالْكَلامِ الْبَذِيءِ. قَدْ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ. فَيَجِبُ عَلى الْكُلِّ بَعْدَ الآنْ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِمَا يَنْبَغِي، فَاجْتَنِبُوا اللَّعْنَ وَالطَّعْنَ وَمَا يَتَكَدَّرُ بِهِ الإِنْسَانُ. إِنَّ مَقَامَ الإنسان عَظِيمٌ وَقَدْ ظَهَرَتْ قَبْلَ حِينٍ مِنْ مَخْزَنِ القَلَمِ الأبهي هَذِهِ الكَلِمَةِ العُلْيَا: اليَوْم يَوْمٌ عَظِيمٌ وَمُبَارَكٌ وَقَدْ ظَهَرَ اليَوْمُ وَسَيَظْهَرُ كُلُّ مَا كَانَ في الإنسان مَسْتُوراً. إِنَّ مَقَامَ الإنسان عَظِيمٌ لَوْ يَتَمَسَّكُ بِالْحَقِّ وَبِالصِّدْقِ وَيَكُونُ في الأمْرِ ثَابِتاً وَرَاسِخاً. إِنَّ الإنسان الْحَقِيقِي يُرَى بِمَثَابَةِ السَّمَاءِ لَدَى الرَّحْمَنِ: شَمْسُهَا وَقَمَرُهَا سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَأَنْجُمُهَا أَخْلاقُهُ الْمُنِيرَةِ الْمُضِيئَةِ. مَقَامُهُ أَعْلَى مَقَامٍ وَآثَارُهُ مُرَبِّيَةٌ لِعَالَمِ الإِمْكَانِ. كُلُّ مُقْبِلٍ وَجَدَ اليَوْمَ عَرْفَ القَمِيصِ وَتَوَجَّهَ بِقَلْبٍ طَاهِرٍ إلى الأُفُقِ الأَعْلَى إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ البَهَاءِ وَمَذْكُوراً في الصَّحِيفَةِ

[210] البقرة: 40

الْحَمْراء. [خُذْ قَدَحَ عِنَايَتِي بِإِسْمِي ثُمَّ إِشْرَبْ مِنْهُ بِذِكْرِي الْعَزِيزِ الْبَدِيعِ]. يَا أَهْلَ الْعَالَمِ إِنَّ دِينَ اللهِ هُوَ مِنْ أَجْلِ الْمَحَبَّةِ وَالْإِتِّحَادِ فَلَا تَجْعَلُوهُ سَبَبَ الْعَدَاوَةِ وَالْإِخْتِلَافِ. لَقَدْ نَزَلَ مِنَ الْقَلَمِ الْأَعْلَى كُلُّ مَا هُوَ سَبَبُ حِفْظِ الْعِبَادِ وَعِلَّةُ رَاحَتِهِمْ واطمئنانهم فِي نَظَرِ أَصْحَابِ الْبَصَرِ وَأَهْلِ الْمَنْظَرِ الْأَكْبَرِ وَلَكِنَّ جُهَّالَ الْأَرْضِ لَمَّا كَانُوا نَتَائِجَ تَرْبِيَةِ النَّفْسِ وَالْهَوَى فَهُمْ غَافِلُونَ عَنِ الْحِكَمِ الْبَالِغَةِ لِلْحَكِيمِ الْحَقِيقِي وَيَعْمَلُونَ بِظُنُونِهِمْ وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَوْهَامِهِمْ. يَا أَوْلِيَاءَ اللهِ وَأُمَنَائِهِ! إِنَّ الْمُلُوكَ مَظَاهِرُ الْقُدْرَةِ وَمَطَالِعُ الْعِزَّةِ وَالثَّرْوَةِ فَيَجِبُ الدُّعَاء بِحَقِّهِمْ وَقَدْ أُعْطِيَتْ عَلَى تِلْكَ النُّفُوسِ حُكُومَةُ الْأَرْضِ وَقَرَّرْنَا الْقُلُوبَ لَنَا. وَلَقَدْ نُهِيَ عَنِ النِّزَاعِ وَالْجِدَالِ نَهْياً عَظِيماً فِي الْكِتَابِ. هَذَا أَمْرُ اللهِ فِي هَذَا الظُّهُورِ الْأَعْظَمِ وَعَصَمَهُ مِنْ حُكْمِ الْمَحْوِ وَزَيَّنَهُ بِطِرَازِ الْإِثْبَاتِ أَنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ".

وتفضّل كذلك في لوح كريم ما ترجمته: "الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ التَّقْوَى هِيَ الْقَائِدُ الْأَعْظَمُ لِنُصْرَةِ أَمْرِ اللهِ وَإِنَّ الْجُنُودَ اللَّائِقَةَ لِذَلِكَ الْقَائِدِ هِيَ الْأَخْلَاقُ وَالْأَعْمَالُ الطَّاهِرَةُ الْمَرْضِيَّةُ. قُلْ يَا عِبَادِي لَا تَجْعَلُوا وَسَائِلَ النَّظْمِ سَبَباً لِلتَّشَتُّتِ وَلَا تُصَيِّرُوا عِلَّةَ الْإِتِّفَاقِ عِلَّةً لِلْإِخْتِلَافِ. وَالْأَمَلُ أَنْ يَنْظُرَ أَهْلُ الْبَهَاءِ إِلَى تِلْكَ الْكَلِمَةِ الْمُبَارَكَةِ: "قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ" فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا هِيَ بِمَثَابَةِ الْمَاءِ لِإِطْفَاءِ نَارِ الضَّغِينَةِ وَالْبَغْضَاءِ الْمَكْنُونَةِ الْمَخْزُونَةِ فِي الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ. فَتَفُوزُ الْأَحْزَابُ الْمُخْتَلِفَةُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ بِنُورِ الْإِتِّحَادِ الْحَقِيقِي إِنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَيَهْدِي السَّبِيلَ وَهُوَ الْمُقْتَدِرُ الْعَزِيزُ الْجَمِيلُ ".

وفي لوح كبير نزل باسم هذا العبد في جواب اسئلة جناب (مانكجي صاحب) الزردشتي يتفضّل:

"قُلْ يَا مَلأَ الأَدْيَانِ بِأيِّ حُجَّةٍ آمَنْتُمْ بِاللهِ مِنْ قَبْلُ وَبِأيِّ بُرْهَانٍ أعْرَضْتُمْ عَنِ الّذي إسْتَوَى بِهِ هَيْكَلُ القِدَمِ عَلَى العَرْشِ الأعْظَمِ وَنَطَقَ مُنْزِلُ البَيَانِ تَاللهِ قَدْ ظَهَرَ مَا تَزَيَّنَ بِذِكْرِهِ الزُّبُرُ وَالألْوَاحُ" وقال فيه أيضاً جلّ اسمه وعزّ ذكره: "يَا أبَا الفَضْلِ قُمْ بِإسْمِي وَقُلْ بِالْحِكْمَةِ وَالبَيَانِ يَا مَلأَ الإمْكَانِ تَعَالُوا لِأقُصَّ لَكُمْ النَّبَأ الأعظم الّذي تَزَيَّنَ بِذِكْرِهِ الزُّبُرُ وَالألْوَاحَ. تَعَالُوا يَا أهْلَ الأرْضِ لِأرِيكُمْ الأفُقَ الأعْلَى وَأسْمِعُكُمْ نِدَاءَ اللهِ رَبِّ الأرْبَابِ".

والآية المباركة الأولى الّتي يتفضّل فيها: "قُلْ يَا مَلأَ الأدْيَانِ بِأيِّ حُجَّةٍ آمَنْتُمْ بِاللهِ مِنْ قَبْلُ إلى آخر الآية" هي تعليم للدليل العقلي القاطع والبرهان الإلهي التامّ الّذي تُقطع به حجّة كلّ مكابر وتنفتح وتتنوّر به بصيرة كلّ منصف. لأنّ كلّ واحد من الملل الموجودة لو ينظر بنظر التحقيق لا التقليد في حجّة دينه ويفكّر فيها مليّاً فإنّه لا شكّ يفوز بمعرفة أصل البرهان ومن ثمّ بعرفان مظهر أمر الرحمن. وإن كان مكابراً ومجادلاً فإنّه يُفحَم ويُلزَم، لأنّ مظاهر أمر الله لمّا كانوا من حيث الذات مظهر حقيقة واحدة وكانوا كلّهم في حكم ذاتٍ واحدةٍ وروحٍ واحدةٍ وجسدٍ واحدٍ فإنّ برهانهم كذلك واحد وطريق معرفتهم متّحد وغاية ما في الأمر أنّه كلّما كان الظهور متأخّراً كانت حجّته بسبب ناموس التقدّم والإرتقاء حجّة أظهر وبرهانه أجلى. وقد أخبر القرآن المجيد بهذه الحادثة الّتي تعتبر من حوادث يوم الله بقوله تعالى: "وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أجَبْتُمْ الْمُرْسَلِينَ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمْ الأنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونْ"[211] أي لا يعرفون كيفيّة إجابة الرسل بصورة حقيقيّة ولا هم بمطّلعين على أدلّة الرسل ولا هم يستفهمون عن ذلك من أولي العلم والإطّلاع.

وهكذا ترون أنّ الحقّ جلّ جلاله خاطب عموم أهل العالم في الألواح المقدّسة وفي مواضع متعدّدة وبهذه الكلمة الجامعة: "بِأيِّ حُجَّةٍ آمَنْتُمْ بِاللهِ مِنْ قَبْل" أفحم كافّة الأمم وألزمها، لأنّه من الواضح أنّ عموم الملل لا خبر لها من حقيقة البرهان ولا إطّلاع لديها عنه وكلّهم مقتنع بما سمعه تقليداً من الآباء والأمهات ومتمسّك به. وخلاصة القول فإنّ هذا العبد لو يريد أن يدرج في هذه الأوراق جميع الخطابات العامّة في الألواح المقدّسة فعليه أن يدوّن في هذا الباب أضعاف القرآن المجيد ولكنّ ما أوردناه منها يكفي الّذين تنوّرت قلوبهم بنور الإنصاف. هذا وقد كتب جناب الشيخ في الصحيفة (36) من رسالته المطبوعة أنّه لم يقرأ كتاب البيان ولهذا فلا يحقّ له أبداً أن يكتب اعتراضاته في: "إنّ مدّعي المظهريّة يجب أن تكون خطاباته عامّة" لأنّ الّذي لم يقرأ جميع الأسفار السماويّة الخاصّة بأمّة من الأمم ويكتب مثل هذا الاعتراض ويفتح باب الإنتقاد

[211] القصص: 65

والاعتراض بالتعميم والتخصيص فإنّه يعترف بشطط أقواله وبعدم مبالاته. في حين أننا عرضنا أنّ نسبة كتاب الإيقان الشريف إلى سائر الألواح النازلة في هذا الظهور الأعظم كنسبة آية واحدة في القرآن المجيد إلى سورة منه أو كنسبة سورة منه إلى جميع سور القرآن المجيد.

16. في بيان دفع شبهة جناب الشيخ الخاصّة بصعوبة معرفة صحّة الألأحاديث الواردة في كتاب الإيقان أو سقمها:

ولما عُرِف أنّ إنتقاد جناب الشيخ ذاك مبنيّ مثل سائر انتقاداته على الوهم وعدم الإطّلاع فلننظر الآن في عبارته الّتي كتب فيها: "يستدّل ببضعة أحاديث يصعب إثبات صحّتها وسقمها حتى أنّ أكثر المسلمين لا يعتقدون بها". ويتّضح من عبارة جناب الشيخ هذه أنّه لم يفهم شيئاً من كتاب الإيقان الشريف لأنّ هذا الكتاب بعد أن حلّ غوامض الكتب السماويّة الّتي هي أقوى حائل منع الأمم العتيقة من تصديق المظاهر الإلهيّة إستدلّ بعدّة أدلّة في إثبات قائميّة حضرة الباب الأعلى عزّ إسمه، أوّلها وأعظمها هو الاستدلال بالكتاب الإلهي الّذي هو الدليل الباقي والبرهان الكافي والحجّة البالغة الإلهيّة فيما بين البريّة وعليه تقوم جميع الأديان الموجودة وترتبط بثبوته فيها. ولهذه الحجّة الرتبة الأولى في جميع الأديان. أمّا الأحاديث فلها الرتبة الثانية. وكما سبقت الإشارة إلى هذه النقطة أنّ الحقّ جلّ جلاله قد أسهب البحث في هذا الموضوع وبرهن وأوضح علوّ وسموّ هذا الحبل المتين والبرهان المبين بغضّ النظر عن سائر الأدلّة من قبيل دليل التقرير وهو دليل البقاء والنفوذ الّذين يميّزان الحقّ الثابت عن الباطل الزائل. ولكنّ جناب الشيخ غضّ الطرف عن جميع الأدلّة وتصوّر أنّ دليل هذا الظهور الأعظم هو بضعة أحاديث يصعب فهم صحّتها وسقمها على جنابه لا على أهل العلم. لأنّ السابقين من العلماء رضي الله عنهم قد وضعوا قواعد لتجريح الحديث ولتمييز غثّه من سمينه وضعيفه من صحيحه وقد دوّنوا تلك القواعد في كتب علم الحديث. وأحسن الطرق لمعرفة الأحاديث الصحيحة من الضعيفة هو تطبيقها مع كتاب الله كما شرحنا ذلك في المبحث الأوّل بصورة مفصّلة إذ بوجود الآية الكريمة: "تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ"[212] والآية "وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ"[213] والآية "مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ"[214] لو وُجد حديث يحتوي على بشارات ويطابق الكتاب الإلهي فلن يبقى شكّ في صحّته ووثوقه. ومن الطرق الأخرى إتّفاق علماء الحديث، لأنّ أهل التسنّن وأهل التشيّع الّذين إرتفع غبار إختلافاتهم إلى عنان السماء لو إتّفقوا على رواية حديث

[212] النحل: 89

[213] يوسف: 111

[214] الأنعام: 38

من الأحاديث فإنّ ذلك دليل على صحّته ووثوقه لدى أهل البصيرة. وبغضّ النظر عن جميع ما سبق فإنّ علم الرجال هو الضامن للحال والفاصل في هذا القيل والقال وفي هذه الحال يكون التمسّك بصعوبة معرفة صحّة الأحاديث عن سقمها إعتراف بالجهل لا غيره. ومن أجل دفع هذه الشبهات الواهية إستدلّ هذا العبد في هذه الفصول كما هو واضح لدى أهل البصيرة بعدّة أحاديث هي (أوّلاً) مؤيَّدة بآيات من القرآن المجيد و(ثانياً) من طرق أهل التسنّن والتشيّع و(ثالثاً) موصوفة بثقة مصادرها لعلّ تسقط هذه الانتقادات الباردة والأوهام المضحكة. وأخيراً فإنّ هذا العبد الّذي هو أقلّ عباد حضرة مالك الإيجاد –وقد رزق قطرة واحدة من كتاب الإيقان– نظراً للخطاب الّذي وجّهه إليه ربّ الأرباب والّذي سبق أن ذكرناه ، حاضراً –إذا أراد أيّ شخص من أيّة ملّة من الملل الموجودة شفهيّاً أو تحريريّاً أن ينظر في هذا الأمر الأعظم– أن أقوم بإطلاعه على حقيقة الأمر المبارك بأدلّة واضحة يثبت بها دينه نفسه. وإذا كان ذلك الشخص من أهل الفلسفة والقياسات المنطقيّة فإنّي أثبت له هذا الأمر الأعظم بالأدلّة العقليّة. وإذا كان من أهل المجادلة والمكابرة لَأُسْكِتَنَّهُ وأُلزمه بالأدلّة الإلزاميّة ليتبيّن الرشد من الغيّ والحقّ من الباطل والصحيح من العليل والله تعالى على ما نقول وكيل.

****

في الجواب على الشبهة الرابعة من شبهات شيخ الإسلام

1. الشبهة الرابعة من شبهات الشيخ في بيان تفاسير آية "ربّ المشارق وربّ المغارب" وغيرها:

وكتب جناب الشيخ كذلك في رسالته الأولى: "ثم إنّنّ صاحب الكتاب يتفضّل في بيان معنى الآيات الشريف: "رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ"[215] و "إذا السَّمَاءُ إنْفَطَرَتْ"[216] و "يَوْمَ تَبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ"[217]: إنّ المقصود بالمشارق هم مظاهر الأنوار الإلهيّة وإنّ المراد بإنفطار السماء نسخ وبطلان الدين السابق حين ظهور الدين اللاحق وكذا يراد بتبديل الأرض تبديل أراضي القلوب إلى أراضي المعرفة والحكمة. فيجب عليه لإثبات ادعائه أن يتفضّل ببيان أيّة كلمةٍ في اللغة وأيّ إستعمال وأيّ تفسير فيها وأيّة موارد من الإستعمال تشهد بأنّ السماء تعني الدين وأنّ الإنفطار يعني النسخ والبطلان حين يُستعمل بطريق الحقيقة والمجاز. وإلاّ فأنّ إستنباط المعاني لا يكون مقبولاً من دون إستشهاد ولن يُسْكِتَ أو يُقنع القارئين، في حين أنّ التجاوز على قانون اللغة في أيّ دين وكلام وفي أيّة ملّة من الملل غير جائز بل أنّ كلمات وخطابات كلّ مقنّن باللغة التي يتكلم فيها يجب أن تكون بمنتهى البلاغة والفصاحة ولذا قال عزّ مَنْ قال: "وَإنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدَنَا فَأتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ"[218].

2. الجواب وبيان معاني التشبيه والإستعارة وذكر الإستعارات الواردة في القرآن وسائر الكتب المقدّسة:

لا يخفعلى أهل العلم أنّ باب الإستعارة والتشبيه من أبواب فصاحة الكلام الواسعة التي أفاض علماء العالم في جميع اللغات في بحوثهم فيها. وزَيّنَ فصحاء الأمم وخطباؤها من كافّة الأجناس بياناتهم بها في خطبهم ورسائلهم. ومع أنّ هذه المسألة واضحة لدى أهل العلم وأنّ ميدان توضيح

[215] المعارج: 40
[216] الانفطار: 1
[217] ابراهيم: 48
[218] البقرة: 23

وتفصيل مثل هذه المسائل هو الكتب البيانيّة لا الرسائل الاستدلال يّيّة، لكنّنا من أجل أن يطّلع عوام الناس في تلك النواحي على هذه الحقائق بقدر مقدور وينتبه أولو الإدراك إلى مقدار قلّة علم المجادلين وعدم أطّلاع المكابرين والمعترضين على الله نعرض في سبيل الإختصار أنّ علماء علم البيان تفضّلوا بأنّه إذا شبّه كاتب أم خطيبٌ شيئاً بشيئ آخر بسبب مناسبة موجودة فإنّنّ التشبيه هذا يتمّ بأداة تشبيه من قبيل "مثل" و "كاف" التشبيه في اللغة العربيّة ومن قبيل كلمة "ما نند" باللغة الفارسيّة ويسمّون ذلك "تشبيهاً" مثل: "زيدُ كالأسد" في اللغة العربيّة، فشُبِّهَ زيدٌ بالأسد لوجود مناسبة هي الشجاعة وبإستعمال أداة تشبيهٍ هي "الكاف". وإذا أراد كاتب أو خطيب إطلاق كلمةٍ على معنى بسبب مناسبةٍ وبدون أداة تشبيه فيسمّون ذلك "إستعارة" كأن يقول مثلاً (رأيت أسداً) ومقصوده رؤية شخص شجاع وفي الواقع شبّه الشخص بالأسد وإكتفي بذكر المشبّه به من دون ذكر الاسم المشبّه ومن دون ذكر أداة التشبيه. وإذا ذكر كاتب أو خطيب قرينة التشبيه في كلامه سُمّي ذلك إستعارة تصريحيّة مثل "رأيت أسداً يرمي" وكلمة "يرمي" قرينة تدلّ على أنّ المقصود بالأسد رجل شجاع وإذا لم تذكر القرينة في الكلام سُمّي ذلك "إستعارة مكنية". قال صاحب (محيط المحيط): " الإستعارة مصدر "إستعار" وعند البيانيّين: "ادّعاء معنى الحقيقة في الشيئ للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبّه من البين كقولك: "رأيت أسداً" وأنت تعني به الرجل الشجاع. ثم إذا ذُكر المشبّه به مع ذكر القرينة يُسمّى إستعارة تصريحيّة وتحقيقيّة نحو: "لقيت أسداً في الحمّام". وإذا قلنا: "المنيّة أنشبت أظفارها بفلان" فقد شبهنا المنيّة بالسبع إستعارة بالكناية وإثبات الأظفار لها إستعارة تخيّليّة إلى آخر كلامه". وهذه قاعدة مطّردة في جميع لغات العالم ومرعيّة ومقبولة لدى فصحاء كلّ الأمم وبلغائها. ويحتوي القرآن المجيد على كثير من الإستعارات اللطيفة والتشبيهات الدقيقة مثال ذلك ما ورد في الآية الكريمة: "اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيئُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٌ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ واللهُ بِكُلِّ شَيْئٍ عَلِيمٌ"[219] وقد شبّه تعالى في هذه الآية النور الإلهي بالمشكوة مع ذكر أداة التشبيه وإستعمل كلمة الشجرة المباركة إستعارة لمظاهر أمر الله الّذين هم مشارق هذا النور الباهر.

[219] النور: **35**

3. في بيان إطلاق ألفاظ الغصن وغصن الربّ في الكتب المقدّسة على "الفرع المنشعب من الأصل القديم" وفي ذكر أنّ غصن الربّ يبني هيكل الأمر:

والقاعدة المطّردة بين الأنبياء والأولياء سلام الله عليهم أن يُشبَّهَ نفس مظهر أمر الله في كلّ ظهور بالشجرة المباركة و يُشبَّهَ الأولياء بالأغصان والمؤمنون بأوراق تلك الشجرة المباركة كما لاحظتم في حديث علي بن مهزيار الّذي أخبر عن ظهور أمر الله في حافّات بحيرة طبريّة الّذي ذكرناه في المبحث الأوّل في الباب الأوّل حيث تفضّل: "فِي ظِلالِ شَجَرَةٍ بَسَقَتْ أَفْنَانُهَا غُصُونُهَا فِي حَافَّاتِ البُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّة" وتفضّل عيسى عليه السلام في الإصحاح (15) من إنجيل يوحنّا: "أَنَا الكَرْمَةُ الحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الكَرَّامُ" وتفضّل في نفس الإصحاح" "أَنَا الكَرْمَةُ وَأَنْتُمْ الأَغْصَانُ" وتفضّل في سفر أشعيا في الإصحاح (12) في الإخبار عن ظهور المسيح: "وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّايَ وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ رُوحُ الحِكْمَةِ وَالفَهْمِ رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالقُوَّةِ رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ".

والمقصود بكلمة "جذع يساي" في هذا المقام أرض داود أي الأراضي المقدّسة التي هي مغرس الشجرة الطيّبة ومنبت الغصن الأعظم من السدرة المباركة وتفضّل كذلك: "وَكَلِّمْهُ قَائِلاً هَكَذَا قَالَ رَبُّ الجُنُودِ هُوَذَا الرَّجُلُ الغُصْنُ اسْمُهُ وَمِنْ مَكَانِهِ يَنْبُتُ وَيَبْنِي هَيْكَلَ الرَّبِّ" وتفضّل في الآية الأولى من الإصحاح الرابع من سفر أشعيا: "فِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَكُونُ غُصْنُ الرَّبِّ بَهَاءً وَمَجْداً". وقد أُطلقت كلمة الغصن إستعارة على "الفرع المنشعب من الأصل القديم" ويعني أنّ الغصن الأعظم في اليوم الموعود يرتفع قدّه وقامته وهو ينبت من الشجرة الطيّبة وينمو من سدرة المنتهى وتشرق أنوار المجد والعزّة الإلهيّة من وجهه المنير ويشيّد هيكل الربّ أي بيت الديانة الإلهيّة ويعمّره حتى يشرق نور التوحيد الحقيقي من جميع الآفاق وتزول ظلمة الكفر والشرك زوالاً تامّاً ويبطل النقض والنكث ويبور بواراً. وكما أُطلقت عبارة "الكلمة الطيّبة" وعبارة "الشجرة المباركة" إستعارةً على مظاهر أمر الله كذلك أُطلقت عبارة "الكلمة الخبيثة" وعبارة "الشجرة الملعونة" عن طريق الإستعارة على أعداء الله والمعارضين والمعترضين على مظاهر أمر الله كما قال تعالى في سورة بني إسرائيل: "وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا التي أَرَيْنَاكَ إلاّ فِتْنَةً لِلنَاسِ وَالشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا

يَزِيدُهُمْ إلاّ طُغْيَاناً كَبِيراً"[220] وسبب نزول هذه الآية المباركة هو أنّ خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام شاهد في رؤياه أشخاصاً كالقردة يرتقون منبره فلمّـا إستيقظ ذلكم الوجود المبارك إضطربت نفسه من هذه الرؤيا لأنّ المطّلعين على تعبير الرؤيا وتأويل الأحلام يعرفون أنّ رؤية القردة في الرؤيا نذير بخطر عظيم وخاصّةً رؤيا الأنبياء عليهم السلام التي هي بمثابة وحي سماويّ فلمّـا إضطربت نفسه المباركة وتكدّر خاطره الكريم نزلت هذه الآية المباركة وأعلمه الحقّ جلّ جلاله أنّ فتنة شديدة ستحيط بالأمّة الإسلاميّة وسوف تنتقل الخلافة النبويّة التي هي الوسيلة الأولى لتربية الأمّة وإصلاحها إلى أصل الشجرة الخبيثة أي بني أميّة وسوف يرقى المنابر الإسلاميّة أوراق هذه الشجرة الملعونة الّذين هم أتباع بني أميّة وسوف تُبتلى الأمّة بالضلال والهلاك. وقد ورد في الأحاديث النبويّة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في تأويل هذه الآية الكريمة والمدوّنة في كتب أهل التسنّن وأهل التشيّع أنّ الرئاسة الدينيّة والدنيويّة ستنتقل في يوم ظهور القائم الموعود الّذي هو يوم رجعة آل محمّد إلى السلالة السفيانيّة أيضاً وسوف يقوم على معارضة حضرته الرؤساء الّذين هم من أصل هذه الشجرة ومن فروعها مع من يتبعهم من أهل الغرور والشرور في جميع البلاد. وقد كتب الشيخ كمال الدين الدميري من أفاضل أهل السنّة والجماعة في كتابه (حيوة الحيوان) بعد ذكر تلك الرؤيا وذلك الحديث قائلاً : "فما رُؤِيَ النبي بعد ذلك ضاحكاً مستبشراً إلى أن مات". وقد ذكر عماد الدين أبو الفداء في ترجمة المعتضد بالله العباسي وشرح أمر الخلافة الّذي أصدره أنّه جاء في ذلك الأمر: "إنّ علماء التفسير قد أجمعوا على أنّ المقصود بالشجرة الملعونة هم بنو أميّة". فيُفهم من هذا أنّ القضيّيّة كانت موضع إجماع العلماء حتى ذلك الزمان.

ومن الإستعارات المعروفة إطلاق كلمة "يد الله" إستعارة عن القدرة الإلهيّة وهذه الإستعارة شائعة ومنتشرة كثيراً كما أُطلقت هذه الكلمة على يد رسول الله في قوله تعالى: "إِنَّ الّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ"[221] كما أُطلقت كلمة "وجه الله" إستعارة على وجه رسول الله في الآية الكريمة: "يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ-"[222] كما أُطلقت كلمة الأغلال في الآية الكريمة: "وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ التِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ"[223] إستعارة على العقائد السخيفة والعبادات الشاقّة في الملل العتيقة.

[220] الاسراء: 60

[221] الفتح: 10

[222] الروم: 38

[223] الاعراف: 157

4. في بيان إستعمال كلمة "السماء" للدلالة على الدين وكلمة "الإنفطار" للدلالة على نسخ الدين وأطلاق الشمس والقمر والنجوم في كتب فصحاء العرب على الأنبياء والأئمّة والعلماء:

هذا وقد كان مقصود هذا العبد من بيان هذه الإستعارات وإطالة البحث هو أن يأنس أهل تلك النواحي قليلاً بالإستعارات القرآنيّة والتشبيهات النبويّة بعد أن إبتعدوا إبتعاداَ كليّيّاً عن فهم القرآن المجيد لعلّ لا يتعجّبوا من إطلاق كلمة "الشمس" على مظاهر أمر الله لوجود مناسبة النورانيّة في كليهما ولا يندهشوا من إطلاق كلمة "السماء" على دين الله لوجود مناسبة الرفعة في كليهما وإنّ مواطن إستعمال هذه الكلمات في لغة العرب كثيرة. وليس سؤال جناب الشيخ عن مواطن إستعمال هذه الألفاظ دليلاً على عدم إطّلاعه بتفسير القرآن فحسب بل دليلاً على عدم معرفته اللغة العربيّة وقواعد فصاحتها وبلاغتها، لأنّ أوضح مثالٍ يقوله علماء البيان في مسألة الإستعارة والتشبيه هو تشبيه الإنسان بالشمس بمناسبة حسن الطلعة أو بمناسبة الرفعة في كليهما كما قال العلامة المحقّق التفتازاني في شرح تلخيص المفتاح بعد تقسيم التشبيه إلى حسّي وعقلي ومختلف: "والمختلف الّذي بعضه حسّي وبعضه عقلي كحسن الطلعة الّذي هو حسّي ونباهة الشأن الّذي هو عقلي في تشبيه إنسان بالشمس".

لاحظوا الآية المباركة: "اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ"[224] فإنّها بعد أن عبّرت عن الله تبارك وتعالى بالنور وتفضّلت بكل صراحة أنّ الله نور السموات والأرض فأيّ مجالٍ يبقى للشبهة في أنّ مشارق هذا النور الظاهر الباهر هم الأنبياء والمرسلون ومظاهر أمر حضرة ربّ العالمين؟ إلاّ أن ينكر الجاهل المكابر ويقول أنّ هذه الشمس الظاهريّة مثلاً هي مشرق الأنوار الإلهيّة أو يقول والعياذ بالله أنّ موسى وعيسى وخاتم الأنبياء عليهم من الصلاة أكملها وأبهاها لم يكونوا مشارق هذا النور الساطع ومطالع هذه الشمس اللامعة "قاتل الله الجهل والغباوة" أفيجوز أن يشبَّه الفصحاء والبلغاء السلاطين والأمراء بالشمس والقمر والنجوم وأمثالها ويطلقوا كلمة "السماء" على القصور والممالك إستعارةً كما مُلئت بذلك خطبهم ورسائلهم ودواوينهم بهذه الإستعارات والتشبيهات ثم لا يجوز التعبير عن الأنبياء عليهم السلام الّذين هم أفصح جميع البشر في مواطن البشارة بالظهور اللاحق بعد مظهر أمر الله بكلمة الشمس وعن الأئمّة بكلمة النجوم وعن الديانة بكلمة السماء أو وصفُ

---

[224] النور: 35

مظاهر النور الإلهي الساطع اللامع بكلمة "المشارق"؟ ولولا وجود حسن ترتيب الكلمات ولطائف الحسنات من إستعارات لطيفة وتشبيهات بديعة ونكات دقيقة وجمل رفيعة وحسن ترصيع ولطف تسجيع لماذا سُمّي القرآن المجيد بأفصح الكتب؟ وبأيّ دليل آخر يجب أن يكون أبلغ بيان؟ في حين أنّ القرينة الحاليّة لدى أولي النظر أقوى شاهد في إستعمال ألفاظ الشمس والقمر والمشارق والمغارب في مقام الإخبار بالحوادث الآتية للموجودات المقدّسة لمظاهر الأمر من حيث أنّ ظلمة الكفر والضلالة تزول من آفاق العالم بواسطة هذه الأنوار المشرقة وتبطل صولة الجهل والهمجيّة. أفلو فُسّرت آية: "وَالشَّمْسِ وَضُحَيهَا وَالقَمَرِ إذا تَلَيهَا"[225] بإعتبار الشمس والقمر هما روح الله النازل من السماء وفرعه المنشعب من الدوحة العليا يكون ذلك أنسبَ بفصاحة القرآن أم لو فُسّرت تلك الآية بالشمس والقمر الظاهرين الّذين لا قيمة لهما في الأمور الدينيّة؟ وهل تفسير الآية المباركة: "ربُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ" بشروق وغروب نورين ساطعين مثل يحي وعيسى عليهما أفضل التحيّيّة والبهاء أَلْيَقُ ببلاغة القرآن أم تفسيرها بالمشرق والمغرب الظاهرين الّذين لا محلّ لهما أبداً في هذا المقام؟ إنّ هؤلاء الجهلاء لا علم لهم بالفصاحة والبلاغة إلاّ بإسميهما فلو قرأوا شعر الوزير الكاتب الفقيه (أبي القاسم بن الجدّ) رحمه الله الّذي أنشده في كتاب (قلائد العقيان):

أبَا عَامِرٍ أنْصِفْ أخاكَ فَإنَّهُ وَإيَاكَ في مَحْضِ الْهَوَى أَلْمَاءُ وَالْخَمْرُ
أَمِثْلُكَ يَبْغِي في سَمَائِي كَوْكَباً وَفي جَوِّكَ الشَّمْسُ المُنِيرَةُ وَالْبَدْرُ؟
عَجِبْتُ لِمَنْ يَهْوَى مِنَ الصُّفْرِ تُوْمَةً[226] وَقَدْ سَالَ في أرْجَاءِ مَعْدَنِهِ التِّبْرُ

لَلَمَا دُهشوا من إستعمال ألفاظ الشمس والبدر والتبر إستعارةً في الرسائل الفصيحة والخطب البليغة والأشعار الرقيقة والنثر الفائق للوصف بأسمى مدارج المجد والرفعة ولكنّهم يندهشون من إطلاق ألفاظ الشمس والقمر على مطالع أمر الله ومشارق نور الله ويستغربون من ذلك ويطلبون منّا البرهان ويلحّون في العناد والاحتجاج ، مع أنّ هذه الأنوار اللامعة والشموس المشرقة الّذين يتنوّر العالم بأنوار وجوههم ويتعطّر العالم من روائحهم العطرة أقرب الناس إلى هذه النعوت وأنسبهم إلى هذه المحامد. ولو أردت أن ترى مقدار شيوع وإستحسان إطلاق كلمة السماء على الدين والشمس والقمر والنجوم على أئمّة الهدى والخلفاء فاسمع القصيدة المشهورة لدى فصحاء العرب التي أنشَدها الكميت بن زيد الأسدي وهذا مطلعها:

ألا حُيِّيتِ عَنَّا يَا مَدِينَا وَهَلْ نَاسٌ تَقُولُ مُسَلِّمِينَا

---

[225] الشمس: 1

[226] التومة حبّة الفضّة أو بيضة النعامة أو القرط

وقد نظم الكميت بن يزيد هذه القصيدة في أيّام الخلفاء الأمويّين في فضائل النزاريّة الّذين هم أجداد رسول الله عليه السلام وسائر قريش وفي تفضيل القبائل النزاريّة على القبائل القحطانيّة. ويكفي لبيان فصاحة هذه القصيدة وبلاغتها وقوّة تأثيرها أن ذكر المسعودي في تاريخه (مُروجُ الذهب ومعادن الجوهر) أنّ حروباً هائلةً وقعت بين القبائل القحطانيّة والنزاريّة بسببها وإنتهت تلك الحروب أخيراً بزوال الخلافة الأمويّة الجائرة وتأسيس الخلافة العباسيّة وفيها:

لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ تُشِيرُ إِلَيْهِ أَيْدِي الْمُهْتَدِينَا
لَنَا جُعِلَ الْمَكَارِمُ خَالِصَاتٍ وَلِلنَّاسِ الْقَفَا وَلَنَا الْجَبِينَا

ومعلوم أنّه لا يقصد القمر والسماء والنجم الظاهري التي تتساوى فيها النزاريّة والقحطانيّة بل يقصد قمر الوجود المبارك النبويّ في سماء الديانة الإسلاميّة ويقصد بالنجوم الخلفاء الراشدين والأئمّة الطاهرين الّذين جعل الله ظهورهم في القبائل النزاريّة. وقد عظُمت مكانة السلالة العلويّة بهذه الدرر الكريمة المنيرة. وكتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) الّذي كُتبت فيه هذه القصيدة موجود منه في مصر طبعة المطبعة الأميريّة وموجود منه في مدينة عشق آباد نسختان إحداهما طبعة مصر والثانية خطّية قديمة. ومقصود هذا العبد من ذكر هذا هو أنّه لو يتعذّر السفر والهجرة على جناب الشيخ ويتلو مرثيّة المسكنة فإنّه يستطيع بسهولة أن يطلب هذا الكتاب ويقرأه ليرى كيف أنّ إطلاق كلمة السماء على الدين شائع ومتداول لدى الفصحاء العرب. وقد قال الشاعر همّام بن غالب المشهور بالفرزدق في قصيدته العينيّة المشهورة:

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

ويقصد إنّا أخذنا على القحطانيّين سبيل السماء لأنّ شمس السماء وقمرها ونجومها هي لنا ومن الواضح أنّ مقصوده بالسماء في هذا البيت سماء الديانة الإسلاميّة ومقصوده من القمرين الشمس والقمر وهما كلمتان إستعملهما إستعارة لشمس النبوّة وقمر الولاية وقصد بالنجوم كواكب الإمامة ودرر الخلافة. وقد روى هذه القصيدة شهاب الدين أحمد بن عبد ربّه الأندلسي في كتاب (العقد الفريد) في المجلد الأوّل في باب النوادر. وهذه القصيدة من أشهر قصائد الفرزدق وقد إستشهد الشريف الرضي عليه الرحمة في ديباجة (نهج البلاغة) بهذا البيت منها:

أولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إذا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

وهذا العبد يتمثّل منها لإقتضاء المقام بهذا البيت:

فَوَا أسَـفاً حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي كَأنَّ أبَاهَا نَهْشَلٌ أو مُجاشِعُ

وقد كتب فضل الله الكاتب العراقي في حادثة سعد الدولة اليهودي في وزارة أرغون خان المغولي سنة (690) هجرية والتي ذكرناها سابقاً: "فإنفطرت سماؤهم وأظلمت أرجاؤهم وسَفِهَتْ أحلامهم وزلّت أقدامهم وطُمِست نجومهم وبارت قلوبهم فلا ينبت فيها إلاّ شوك المكر وحسك الخبث بما زُرِعَ فيها من بُغض أولياء الدين وعداوة النبيّين فضُربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤا بغضبٍ من الله إلى آخر كلامه".

وقد لاحظتم خطبة أمير المؤمنين التي نقلناها لكم سابقاً حيث يتفضّل فيها: "وَلَوْ ذَابَ مَا فِي أيْدِيهِمْ لَقَدْ دَنَى التَّمْحِيصُ لِلْجَزَاءِ وَكُشِفَ الغِطَاءُ وَانْقَضَتِ الْمُدَّةُ وَأُزِفَ الوَعْدُ وَبَدَا لَكُمُ النَّجْمُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَأشْرَقَ لَكُمْ قَمَرُكُمْ كَامِلاً كَلَيْلَةِ تَمٍّ. فَإذا إسْتَبَانَ ذَلِكَ فَرَاجِعُوا التَّوْبَةَ وَخَالِفُوا الحَوْبَةَ واعْلَمُوا أنَّكُمْ إنْ أطَعْتُمْ طَالِعَ الْمَشْرِقِ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ فَتَدَاوَيْتُمْ مِنَ الصَّمَمِ وَاسْتَشْفَيْتُمْ مِنَ البُكْمِ وَنَبَذْتُمْ الثِّقَلَ الفَادِحَ عَنِ الأعْنَاقِ فَلا يُبْعِدُ الله إلاّ مَنْ أبَى الرَّحْمَةَ وَفَارَقَ العِصْمَةَ وَسَيَعْلَمُ الّذين ظَلَموا أيّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبون"[227]. وقد عبّر أمير المؤمنين عن الموعود بالنجم والقمر وعيّنَ بلادَ الشرق وسماء الدين أفقاً لطلوعه ومدار سير ذلكم البدر المنير.

وقد أطلق الشيخ شرف الدين البوصيري صاحب القصيدة المشهورة بالبردة كلمة "السماء" إستعارةً على نفس رسول الله عليه السلام وذلك في مطلع قصيدته الهمزيّة:

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الأنبياء يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ

وهذه القصيدة مع شرحها المعروف ب(الفتوحات الأحمديّة) مطبوعة ومنتشرة كذلك في مصر وبلاد الشام بل وفي كافّة البلاد العربيّة.

وقد أطلق أبو الفضل بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات والرسائل التي طبّقت شهرتها الآفاق – أطلق كلمة "الأرض" على "القلوب" فقال في إحدى رسائله التي كتبها للعميد: "وَقَوْلُ الأستاذِ نعمةٌ لو صادَفَتْ أرْضاً وصَنِيعَةٌ لو أصابَتْ مَوْضِعاً" وهذه الرسالة موجودة في الصحيفة (151) من كتاب رسائله المطبوع في مصر وخصّص بهذه الإستعارة اللطيفة أراضي القلوب محالاًّ لنزول النِعم.

---

[227] الشعراء: 227

فممّا ذكرناه يتّضح أنّ إطلاق كلمة السماء على الدين والإنفطار على ضعفه وإطلاق كلمة الشمس والقمر والنجوم على الأنبياء والأئمّة والعلماء والأرض على القلوب شائع ومتداول وهو من الإستعارات اللطيفة الشائعة. وهو يجري إلى يومنا الحاضر على ألْسِنةِ جميع الفصحاء والكتّاب في جميع البلدان والممالك. وسبب إستنكار جناب الشيخ هو هبوط العلم في بلاده وضيق المعارف في تلك الأنحاء. ولولا ضيق الوقت لأوردت بعض خطب ومقالات أفاضل أوروبّا حتى يعرف أهل الإدراك أنّ هذه الإستعارات بالذات مستعملة ومعروفة في سائر اللغات وهي موصوفة باللطف والجمال.

وكذلك إتّضح من الآيات النازلة في أسفار بني إسرائيل والتي إستشهدنا بها في المبحث السابق أنّ إطلاق كلمة السماء على الدين وكلمة الأرض على القلوب وتزلزلها وإضطرابها وظلمتها وإهتزازها بل إنهدامها وإنفطارها شائع على ألْسِنَة الأنبياء السالفين.

هذا ولمّا إتّضح تماماً مقدار علم جناب الشيخ بكلمات الأنبياء وبالقواعد المرعيّة بين الفصحاء والبلغاء أنظروا قليلاً في بقيّة تحقيقاته وإنتبهوا إلى مقدار معارف القوم وتدبّروا في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام التي ناح بها مراراً بقوله عليه السلام: "لِيَبْكِ عَلى الأسْلامِ مَنْ كَانَ بَاكِياً".

****

في الجواب على الشبهة الخامسة من شبهات شيخ الإسلام

1. في ذكر شبهة جناب الشيخ حول فصاحة بيانات مظهر أمر الله ومقدّمة الجواب عليها:

كتب جناب الشيخ في رسالته الأولى: "في حين أنّ التجاوز على قانون اللغة في أيّ دين وكلام وفي أيّة ملّة من الملل غير جائز بل أنّ كلمات وخطابات كلّ مقنّن باللغة التي يتكلّم فيها يجب أن تكون بمنتهى البلاغة والفصاحة ولذا قال عزّ مَنْ قال: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ"[228]. فأعرض في الجواب أوّلاً إنّ بحث جناب الشيخ ومناقشته مسألة فصاحة كتاب الإيقان الشريف وبلاغته بعد وضوح مقدار إطّلاعه في هذا العلم من أقواله في رسالته المطبوعة أمرٌ يستوجب ألف إستغراب ويستوجب النوح والندبة على فقدان العلم والأدب "يا للعجب يا لضياع العلم والأدب". "لقد حنَّ قِدْحٌ ليس منها". وهذا العبد لا يقول أنّ جناب الشيخ لا نصيب له من المعارف ولا حظّ له فيها بل أقول أنّه لم يشمّ رائحة بلاغة البيان وفصاحة الكلام العربي والفارسي، وأرجو من أهل العلم والأدب ومن المطّلعين بدقائق فصاحة كلام العرب والفرس وأستحلفهم بحقّ الصدق والعدل والإنسانيّة أن ينظروا قليلاً وخالصاً لوجه الله في رسالة جناب الشيخ المطبوعة ويلاحظوا هل يحقّ لمؤلّف هذه الرسالة أن يتكلّم في الفصاحة والبلاغة ويبدي رأيه فيها أم لا يحقّ له؟ إذ من الواضح جدّداً إنّ إنساناً لا يعرف إطلاق كلمة السماء على الدين لوجود مناسبة الرفعة في كليهما ولا يعرف أنّ أحد الفصحاء قد عبّر عن الأنبياء والأئمّة بكلمات الشمس والقمر والنجوم مع شيوع هذه التعبيرات والإطلاقات في جميع اللغات فلا شكّ أنّ مقدار علمه بقواعد الفصاحة والبلاغة معلوم ومقدار رشاقة كلامه ومتانته معلوم أيضاً. والأحسن لجناب الشيخ أن يتكلّم في سائر القضايا العلميّة والتي يُعرف مقدار علمه ومهارته ونصيبه فيها ويترك مضمار الفصاحة والبلاغة لفرسان هذه المنازلة وشجعان هذه المبارزة. وثانياًَ حيث أنّ جناب الشيخ في هذه الرسالة وفي رسالته الثانية أيضاً لم يستطع أن يستشهد بعبارة واحدة من كتاب الإيقان الشريف فيها إخلالٌ بقواعد الفصاحة أو يستشهد بأمر يخالف قوانين اللغة فإنّنّ إنتقاده غير مقبول. إذ أنّ الادّعاء بدون دليل والإنتقاد بدون إستشهاد لا يستحقّ الإعتناء وفقاً للقوانين المرعيّة بين العلماء. لأنّ العلماء الأعلام سمّوا الانتقادات الوهميّة غير المؤيَّدة بشواهد كلاماً قارعاً، لذا فإنّنّ كلامه الذي ألقاه على عواهنه لا يليق بالمناقشة والإهتمام. ولكن حيث أنّ مسألة فصاحة الكتب الإلهيّة

[228] البقرة: 23

وبلاغتها لها أهميّتها بالذات فإنّ هذا العبد رأى من المناسب أن يبحث الموضوع بإسهاب لعلّ ينقشع من أفق أمر الله سحاب هذه الأوهام التي أدّت بسبب تفاوت الإدراكات والمفاهيم إلى مناقشات ومناظرات طويلة خلال قرون عديدة بين الأمّة النصرانيّة والأمّة الإسلاميّة وحتى تزول الانتقادات الواهية التي إنتقلت من منكري القرآن إلى منكري البيان والإيقان بحكم الآية الكريمة: " كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ "[229]. وسوف نشرع ببيان هذه المسألة نظراً لأهمّيتها في بحثٍ خاصٍّ صٍّ ونسأل الحقّ جلّ جلاله التوفيق والتأييد [إنّه خير موفّق ومعين].

2. بحث خاصّ صّ في بيان فصاحة الآيات وبلاغتها وبيان سبب اختلاف علماء الإسلام في موضوع حجيّة القرآن ونشوء القول في أنّ إعجاز القرآن هو بسبب فصاحته وبلاغته:

لا يخفي على أولي الألباب والمستبصرين في علم الكتاب أنّ علماء الإسلام لما لاحظوا أنّ الحقّ جلّ جلاله قد إستدلّ في القرآن المجيد على حقيّة وإثبات رسالة خاتم النبيّين عليه السلام بنفس الكتاب وقرّر أنّ الإتيان بسورة من مثله هو ميزان تمييز الصدق عن الكذب لذا إختلفوا في بيان سبب حجيّة القرآن إذ من المعلوم أنّ تصنيف كتاب من دون مميّز قاطع وفارق ظاهر فيه لا يمكن أن يكون حجّة وبرهانا على سائر الكتب ولا يمكن أن يَحْسِمَ النزاعَ والجدال بين المثبتين والمنكرين. فقد رأى بعض العلماء، كما ورد ذلك مفصّلا في الكتب الكلاميّة، أنّ نفس طريقة صياغة الآيات وأسلوب ترتيبها على النهج التى نزلت فيه هو السبب في إعجاز القرآن واعتبروا الإتيان بكلام بمثل هذه الطريقة من الصياغة والترتيب ممتنعاً ومستحيلاً، بينما إعتبر البعض الآخر من العلماء إشتمال القرآن على الإخبار بالأمور الآتية الذي هو في الحقيقة إخبار بالغيب سبب حجيّته وإعجازه. وتصوّر البعض الآخر من العلماء إشتمال القرآن على الحكم الغالية والفوائد النافعة والتي يرون الإتيان بمثلها فوق طاقة البشر وقوتّهم سبباً في إعجاز الآيات الإلهيّة وحجيّتها. وحيث أنّ كلّ وجه من الوجوه المذكورة ليس كافياً لدى المحقّقين من علماء الإسلام لذا فإنّ أكثرهم قال بأنّ علوّ مقام آيات القرآن المجيد في مراتب الفصاحة والبلاغة هو سبب إعجاز هذا الكتاب الشريف إذ لا فرق بين معجزة إحياء الموتى وبين المعجزة التي أقرّها الله وبها تحدّى المخالفين وذلك بإتيان كلام في درجة من الفصاحة والبلاغة لا يستطيع أحد إتيان سورة من مثله وجَعَلَ ذلك حجّته ودليله عليهم. وفي كلتا الحالتين تتمّ الحجّة على الخلق لأنّ مناط كليهما هو إظهار عجز الخلق عن الإتيان بمثلهما. وهذا التحدّي

[229] الحجر: 12

حاصل في كليهما. وقد إشتهر هذا الوجه الأخير وأعتمد عليه أغلب علماء الإسلام وخاصّة المتأخرّون منهم واعتبروا فصاحة القرآن سبب إعجازه. ومعلومٌ لدى المطلعين على حقائق العلوم أنّ هذا الرأي أُحدِثَ في القرون الوسطى ولم يكن بين الصحابة والتابعين بل وتابعي التابعين ذِكْرٌ في أنّ سبب حجّية القرآن هو فصاحة القرآن وبلاغته ولا كان ذلك شائعاً ومنتشراً في زمانهم. فلمّا إنتشرت علوم الجدل والكلام والمنطق في القرن الثالث والرابع والخامس الهجري وفُتح باب المجادلات العلميّة وبلغ العلماء في تلك القرون المنزلة القصوى في صنوف الأدب وصياغة الإنشاء والترسيل وتقدّموا في فنون الفصاحة والبلاغة وتمكّنوا من تأليف كتبٍ نفيسةٍ فصيحةٍ ونال أكثرهم مناصب عالية ومراكز مهمّة في صفوف الكتّاب في دار الخلافة وأُوكلت الوزارة والإمارة غالباً في ذلك الزمان إلى أرباب العلم والفضل وكان هؤلاء العلماء الأعلام غالباً في سعة من العيش والرفاهية واللذائذ الجسمانيّة ومتنعّمين بإستماع الأغاني والأنغام وقصص الهيام والغرام وكانوا بصيرين في دقائق الشعر والنثر. فلمّما شاهدوا أنّ فصاحة القرآن المجيد وبلاغة بيان الربّ الحميد تفوق حدود قابليّاتهم وإستغرقوا في لطائف إستعارات الآيات ودقائق صياغتها وترتيبها ولما كانوا محرومين من روح الفؤاد الذي هو من نصيب المنقطعين من العباد لذا ظنّوا أنّ سبب حجّية ودليل القرآن المجيد هو فصاحة آياته وبلاغتها وإنّ عجز الخلق عن الإتيان بمثله أو مجاراته يوجِب إعجازه عليهم. وقد إعتمدوا على هذا الوجه وقرّروا إجراء هذا البرهان بتطبيق القياس المنطقي على هذا الوجه قائلين بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم تحدّى المعارضين ولا شكّ بالقرآن المجيد وإعتبرَ الإتيان بسورة من مثله من دون إذن الله ممتنعاً ومحالاً وقرّر مجاراة القرآن أو عدم مجاراته الميزان الوحيد الصادق والكاذب وقد عجز رؤساء قريش وأمراء العرب عن الإتيان بسورة واحدة مثل القرآن وهم المعروفون بالفصاحة والبلاغة والمشهورون بالنخوة والصلابة والساعون بكل جهد وعناء لقطع حجّته وإبطال دعوته عليه السلام، لأنّهم لو لم يكونوا عاجزين لأتوا بمثله ولو أتوا بمثله لوصل ذلك إلى أيدينا وحيث أنّه لم يصل إلى أيدينا شيئ من ذلك فإنّهم لم يأتوا به. ونتيجةً لهذه المقدمات فإنّ الأمّة العربيّة عجزت عن الإتيان بمثل القرآن. ولما ثبت عجز العرب عن مجاراة القرآن فإنّ عجز بقيّة الأمم يثبت بطريقة أولى وتتمّ حجيّة القرآن على جميع أهل العالم.

3. في بيان أنّه لو كانت فصاحة القرآن وبلاغته هي سبب إعجازه فإنّ حجّته لن تكون بالغة على أكثر أهل العالم:

كانت تلك خلاصة استدلال القوم في إثبات حجيّة القرآن ولكن لا يخفي على الذين تنوّرت أفئدتهم بنور العلم الحقيقي أنّ هذا الاستدلال ناقص من عدّة وجوه:

(الوجه الأوّل): لو أنّ سبب إعجاز القرآن هو فصاحته وبلاغته فإنّ حجيّته لن تكون بالغة على الأمم كلها ولن تنطبق عليه الصفة الواردة في الآية الكريمة من القرآن المجيد: "قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ"[230] لأنّ فهم حجيّة الكتاب في هذه الحال يكون من نصيب فصحاء الأمّة وحدهم وفي متناول علماء هذا الفنّ وحدهم ويرجع الجزء الأعظم من أهل العالم الذين لا علم لهم بفصاحة كلمات العرب إلى الاعتماد على الأقليّة من العلماء بهذا الفنّ وتقليدهم وإتّباعهم في حين أنّ هذه المسألة واضحة جداً وهي أنّ التبعيّة والتقليد غير جائزة في المسائل الأصوليّة وخاصّة في مسألة معرفة المظاهر الإلهيّة وهذا أيضاً في حالة إتّفاق الفصحاء والبلغاء وعدم إختلافهم. في حين أنّ أكثر فصحاء العرب في زمان رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يذعنوا إلى إعجاز القرآن كما هو مصرّح في قوله تعالى: "لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا"[231] وكانوا يرون شعرهم وخطبهم أفصح من الآيات كما قال تعالى: "أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ"[232] وكانوا والعياذ بالله يسمّونه عليه السلام شاعراً وضيعاً موهوناً. ففي هذه الحال لو كان سبب إعجاز القرآن فصاحته فكيف تتمّ حجّته على جميع هؤلاء الناس من عرب وفرس وترك وصينيّين ورومان وأفريقيّين لا علم لهم بالفصاحة ولا يدركون الكلام الفصيح من غيره؟ وكيف تتحقّق الآية: "قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ"[233]. وقد كتب مولانا الكاشفي في كتاب (المواهب العليّة) المعروف بالتفسير الحسيني أنّ النضر بن الحارث وهو من كبار كفّار قريش والمذكور إسمه في التواريخ والسيَر كان من المعارضين والمحاربين لرسول الله عليه الصلاة والسلام وكان يسافر في التجارة إلى إيران وقد جمع بعض القصص القديمة الإيرانيّة وكتبها بصياغة القرآن. وكان يقرؤها على قريش ويقول ها إنّني أتلو عليكم مثل هذا القرآن بل أحلى وأجمل منه ولهذا نزلت الآية في سورة الانفال: " وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ "[234]. وكبار نصارى العرب إلى يومنا هذا لا يعترفون بإعجاز القرآن من حيث الفصاحة بل أنّهم ينتقدون مواضع كثيرة من هذا الكتاب المجيد كما سنذكر في الصفحات التاليّة بعض مناقشاتهم مع

---

[230] الأنعام: 149

[231] الأنفال: 31

[232] الصافات: 36

[233] الأنعام: 149

[234] الأنفال: 31

أنّ كبار المصنّفين والفصحاء والبلغاء العرب في هذا القرن قد ظهروا من الأمّة النصرانيّة أمثال الشيخ ناصيف اليازجي صاحب كتاب (مجمع البحرين) وبطرس البستاني مؤلّف كتاب (محيط المحيط) ويعقوب أفندي صرّوف صاحب مجلّة (المقتطف) المشهورة والشيخ إبراهيم اليازجي صاحب مجلّة (البيان) وخليل مطران مؤلّف كتاب (التاريخ العام) وجرجي زيدان مؤلّف كتاب (التاريخ الحديث في دول الفراعنة وملوك مصر) وصاحب مجلّة (الهلال) المشهورة وغيرهم من كبار الكتّاب والعلماء الذين تُدرَّس كتبهم في جميع المدارس العالية في الدولة العثمانيّة وإنتشر صيت معارفهم في أكثر الأقطار. ولو يريد هذا العبد ذكر أسماء المصنّفين وكبار علماء النصارى العرب الذين ظهروا في هذا القرن وكان أفق العلم مديناً لمؤلّفاتهم فإنّ هذا الكتاب لا يستوعب ذلك، ولكن ليس من البعيد أن لم يسمع جهلاء تلك الانحاء حتى الآن أنّ هناك من النصارى مؤلفاً مشهوراً أو أنّ أحدهم باقٍ في عداد الفصحاء والبلغاء. ويتّضح مما ذكرناه أنّ فصاحة القرآن لو كانت سبب إعجازه فإنّ ذلك لن يكون أبداً حجّة بالغة على جميع الأمم الموجودة في العالم ولن يحصل اليقين عن طريقها بنبوّة صاحب هذا القرآن المجيد.

(الوجه الثاني) هو أنّه لو كان سبب إعجاز القرآن وحجيّته هو بلاغته وفصاحته فأنّ تصديق نبوّة خاتم النبيّين عليه السلام يتوقّف على تعلّم ذلك العلم، لأنّ الإذعان لفصاحة القرآن قبل معرفة أصل الفصاحة كالإذعان إلى شيئ مجهول وهذا أمر غير معقول في حين أنّه لم يقل أحد من الناس أنّ تصديق الأنبياء ومظاهر أمر الله يتوقّف على تعلّم العلوم السائدة لأنّ هذا ينتهي إلى الإحراج وإلى تأخير أمر الله وإلى سقوط تكليف معرفة المظهر الإلهي وتصديقه قبل تكميل هذا الفنّ. فمثلاً كلّما يدعو جناب شيخ الإسلام أحداً من النصارى في تفليس إلى الإسلام فإنّه لا بدّ أن يطلب من جناب الشيخ حجّة في إثبات دعوته فلو يتمسّك جناب الشيخ بالمعجزات المقترحة فإنّه سوف ينكرها ويستدلّ بالآيات القرآنية على صريح ردّها للمعجزات بل نفيها الاستدلال بالمعجزات كما شوهد هذا المعنى كراراً. ولو يتمسّك جناب الشيخ بالكتاب الإلهي فإنّه لا شكّ سيسأله: "أيّة حجيّة موجودة فيه؟ وهل كلما صنّف إنسان كتاباً عربيّاً كان المصنّف نبيّاً؟ فلا شكّ أن يتكلم جناب الشيخ بنفس اللهجة التي كتبت بها رسالته ويقول له إنّ القرآن في منتهى درجات الفصاحة أي أنّه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، فيقول لجناب الشيخ: "حسناً تقول، ولكن أرجو أن تصبر بضع سنوات حتى أدرس العربيّة وأتمكّن من معرفة فصاحة العرب وبلاغتهم حتى أطّلع على صحّة أو سقم هذا الدليل وعلى صدق أو كذب هذا البرهان ولا يكوننّ إيماني بالإسلام إيماناً أعمى". ففي

هـذا الـوقت يسـقط إحتجـاج الشـيخ لأنّ الرجـل كـان منصـفاً فيمـا قـال. في حين أنّ كـثيرين مـن النصارى وخاصّة في أوروبّا قد قرأوا العربيّة وأصبحوا علماء في العربيّة وألّفوا كتباً عديدة بهذه اللغة الشريفة ومع ذلك لم يذعنوا إلى مسألة إعجاز القرآن المجيد بسبب فصاحته وبلاغته. والسبب في ذلـك أنّ الفنـون، كالرسـم والنحـت والبيـان والغنـاء وأمثالهـا، ليسـت لهـا حـدود حـتى يحكـم عليهـا الإنسـان ويقـول أنّ الحـدّ الفلاني هـو حـدّ القـوّة البشـريّة وأنّ فـوق ذلـك الحـدّ هـو القـوّة الإلهيّة. وهـذا يعني أنّ العلماء في الفنون لا يستطيعون تحديد هذا الحدّ فكيف بالجهلاء في الفنون. وبهذا لم يتّفق فصحاء العرب على إعجاز القرآن من حيث الفصاحة ولم يدرك الكثيرون إعجازه وقالوا " لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَا"[235] ولكنّ العوام من الناس غير الفصحاء أمثال أبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبلال الحبشـي قـد أدركـوا حقيقتـه وأذعنـوا إلى أنّه كلام إلهـي آمنـوا بـه لأنّ إدراك الحقـائق الروحانيّة منوط بتقديس الفطرة والفؤاد ولا يتعلّق بصناعة الإنشاء وبحسن الإنشاد.

نعـم لا شـكّ في أنّ مظاهر أمر الله أفضـل الخلق وأكملهـم في جميع الصفات لا في فصـاحة الكلام وبلاغة البيـان فحسـب بـل لـيس لهـم شـبيه في جميع المحامـد والأوصـاف ومحاسـن الأخلاق مـن العلـم والفضـل والجـود والعطـاء والجمـال والبهـاء والصـبر والحلـم والشـجاعة والفصـاحة وغيرهـا. ولكـنْ هـل يملك كلّ إنسان البصيرة الكاشفة والإدراكات السامية ليدرك هذه الأوصاف السامية وليميّز الحقّ عن الباطل عن طريق هذه الأوصاف والمحامد؟ حاشا وكلا ولو رأى علماء النصارى مراتب الفصاحة الـتي يراهـا فضـلاء المسـلمين في القـرآن لمـا أصبحت فصـاحة القـرآن وبلوغهـا حـدّ الإعجـاز موضـع الاختلاف بين الإمّتين مدّة ألف وثلثمائة سنة، ولما كان ذلك القيل والقال وميدان النزال والجدال بين فصحاء الأمّتين العظيمتين. وما يراه اليوم هذا العبد وأمثاله في كتاب الإيقان الشريف وسائر الألواح المقدّسة من العظمة ويرون الإتيان بآية واحدة من مثله خارجاً عن قدرة البشر لا يراه أولئك المحرومون من البصيرة النورانيّة والمبتلون بالأغراض النفسانيّة الذين يرون الإتيان بمثله سهلاً يسيراً ويقولون مثلما قال السابقون: "لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَا"[236] ويتجاسرون بعبارة "سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ"[237].

(الوجه الثالث) لم يرد في آيات الكتاب عن حجيّة الفصاحة والبلاغة بل لا توجد آية إشارة لهذا الموضوع. فكأنّنّه سبحانه وتعالى في نظر المتأخّرين والعياذ بالله قد ترك الاحتجاج ناقصاً في القرآن

[235] الأنفال: **31**
[236] الأنفال: **31**
[237] الأنعام: **93**

المجيدو لم يكمّم ل الاستدلال فيه. وفي حين أنّ من الواضح لدى أولي البصر أنّ الله تبارك وتعالى لم يترك شيئاً لم يذكره في الكتاب ولم يفرّط في الاحتجاج وأوضح الحجج والبيّنات من جميع الوجوه. فلمّا لم يَرِد في كتاب الله ذكر حول فصاحته وبلاغته يتّضح إذاً إنّ إعجازه ليس في هذه الناحية وإلاّ لوجب ذكرها فيه، بل لو ينظر المرء في الأحاديث النبويّة وفي كلمات الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ليرى أنّ هذا لم يذكر أيضاً لديهم ولم يقولوا بإعجاز القرآن من ناحية الفصاحة والبلاغة. فيُفهم من هذه النقطة التي أشرنا إليها كذلك سابقاً أنّ هذا القول نتاج أفكار المتأخّرين ومولود البعيدين عن المنبع العذب للأنبياء والمرسلين.

وخلاصة القول فقد ثبت من هذه الأوجه الثلاث التي عرضناها أنّ سبب حجيّة الكتاب ليس فصاحته وبلاغته، إذ لو كان الأمر على هذا لما كانت حجيّته بالغة على عموم الخلق ولأصبح إيمان الجزء الأعظم من العالم تقليداً أعمى. وأعرض مرّة أخرى أنّه يجب أن لا يُفهم من عبارتي هذه أنّ القرآن الشريف وسائر الكتب السماويّة والألواح الإلهيّة لا تشمل والعياذ بالله على فصاحة وبلاغة سامية، ولكن ليس كلّ إنسان قادراً على فهم فصاحة الكلام وبلاغة البيان حتى تكون حجّة بالغة علىالجميع وسبيلاً واضحاً لمعرفة الناس الدين الإلهي، لأنّ الفصاحة والبلاغة من الأمور الدقيقة والأوصاف الخفيّة الغامضة بحيث أنّ أغلب الكتّاب والمؤلّفين محرومين منها فكيف الأمر بالعوام وعامّة الأنام وخاصّة في القرون الأخيرة والأجيال المتأخرة التي فيها إنحطّت آدابهم بالنسبة للمتقدّمين وإنحطّطت مؤلّفاتهم إذا ما قيست بمؤلّفات السابقين. فيتّضح من هذا أنّه لا بدّ أن يكون للكلام الإلهي علامة يسهل عرفانه بها على الجميع وفيه حجيّة بالغة على العرب والعجم والعالِم والأمّي والشرقيّيّ والغربيّيّ على السواء فما هي؟ إليكم الجواب:

4. في بيان سبب إعجاز القرآن وسائر الألواح السماويّة حسب إعتقاد أهل البهاء والأدلّة على ذلك:

إنّ أهل البهاء الّذين نجوا من ورطة الأوهام والظنون بفضل تعليمات القلم الأعلى يرون أنّ غلبة أمر الله ونفوذه هو المميّز بين كلام الله وكلام الخلق ويعبرون عن هذا المعنى بكلمة الخلّاقيّة والقاهرية بإصطلاحهم. إذ من الواضح أنّ إرسال الرسل وبعثة مظاهر أمر الله هو من أجل تشريع الشرائع وهداية الخلق وحيث أنّ التأثير التامّمّ في إيجاد الشريعة الجديدة وهداية الخلق يأتي عن طريق كتاب الشارع الذي ينسبه إلى الله تعالى وتنفذ وتغلب تعليماته رغماً لأهواء وميول جميع الملل، فلا شكّ أن تنتهي تلك الغلبة والنفوذ إلى الإرادة الإلهيّة والقوّة القاهرة الغالبة الغيبيّة وترتبط بها، ولو يغمض إنسان عينيه عن هذا البرهان العقلي المتين ويتوسّل بسائر الوسائل فإنّه يتردّى في ظلمات الأوهام غير المتناهية ويُلزم بإضطرار العلّة وبإيجاب الفاعل وبتسلسل العلل التي هي أمور غير معقولة. وأقلّ مفاسد هذه الوسائل كما ذكرناه مفصلاً في الباب الأوّل هو أنّ إنكار هذا البرهان يؤدّي إلى إبطال جميع الأديان وتكذيب جميع الأنبياء. وقد كتبنا سابقاً بأنّ الحكمة الإلهيّة إقتضت دائماً أن تبعث مظاهر أمرها من بين الأمّيّين ومن غير المتعلّمين في المدارس وتبتليهم بالفقر والمسكنة وبمعاندة أرباب الجبروت وبعبارة أخرى ترفع الأمر الإلهي من دون عَمَدٍ من العلوم الظاهريّة أو الثروة والقدرة أو الشوكة والعزّة والسلطة وأمثالها حتى يفهم أهل الإدراك وحتى الفلاسفة ومتتبّعي العلل والفواعل أنّ هذه القدرة والقوّة والنفوذ والغلبة منوطة فقط بكلام الله ومرتبطة بالقوّة الغيبيّة غير المنسوبة إلى الأسباب الظاهريّة "وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ"[238]. ولو يتدبّر أولو العلم في آيات القرآن المجيد ليشاهدوا أنّ الحقّ جلّ جلاله قد إستدلّ في مواضع كثيرة على حقيّة هذا الكتاب بدليل أنّه سبّب هداية الخلق ولم يستدلّ أبداً ولو بموضع واحدٍ بدليل أنّه أفصح الكتب كما قال تعالى في سورة القصص: "فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ. قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[239] وقد فسّر بعض المفسّرين كلمة (الحقّ) في هذه الآية برسول الله وفسّرها البعض الآخر بالقرآن وإعتبرها أهل التحقيق شاملة للمعنيّين وهما كتاب التكوين وكتاب التدوين الإلهيّين نظراً للبطون السبع في الآيات. لاحظوا أنّ الله تعالى قال فيها "قُلْ

---

[238] الأنفال: 7

[239] القصص: 48-49

فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا"[240] ولم يقل تعالى " قل فأتوا بكتابٍ من عند الله هو أفصح منهما" وهكذا قال الله تعالى في أوّل سورة البقرة: "ألم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ"[241] ولم يقل تعالى " ذلك الكتاب لا ريب فيه أنّه أفصح كتب العالمين" وكذلك قال تعالى في سورة العنكبوت: "وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيات عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[242] ولم يقل "إنّ في ذلك فصاحةً وبلاغةً لقومٍ يؤمنون". وهكذا فهناك الكثير من الآيات الكريمة لا تحصى قرّر فيها تعالى حجيّة القرآن وإعجازه بنفوذ كلمة الله وبهداية الخلق وبنشر الدين وبإقامة الشرع المبين وقهر الكافرين وقطع دابر المنكرين وهذا أثرٌ واضح ظاهر باهر من القرآن المجيد يفهمه كلّ واحد من العرب والعجم والعالِم والعامّي بخلاف الفصاحة والبلاغة التي لا يفهمها إلاّ القليل من علماء هذا الفنّ الذين يعجزون عن إثباتها للقسم الأعظم من أهل العالم. لاحظوا مثلاً لو تقولون في سبيل الاستدلال لأيّ إنسان عالم أو عامّي أنّه بسبب الديانة الإسلاميّة والشريعة البيضاء التي أوجدها القرآن المجيد نجا ما يقارب نصف الكرة الارضيّة من حدود الصين في أقاصي الشرق إلى نهاية أفريقية في أقاصي الغرب من الشرك وعبادة الأوثان وفازوا بتوحيد الحقّ جلّ جلاله وبالإيمان بموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام وهذا هو الهداية التي من أجلها شُرّعت الشرائع وبدون ظهور هذا الأثر لا يسمّى النبي نبيّاً ولا الرسول رسولاً فإنّه لا يستطيع إنكار هذا ولكن لو تقولون له في سبيل الاستدلال أنّ القرآن المجيد هو على درجة من الفصاحة بحيث لا يستطيع أحد الإتيان بمثله فإنّه لا مفرّ له إمّا الإيمان بهذا الدليل إيماناً أعمى مثل علماء الشرق في أيّامنا هذه وإمّا الإنكار إنكاراً أعمى مثل علماء النصارى وإمّا أن يتذرّع بتعلّم فنّ الفصاحة والبلاغة حتى يدرك صدق هذا الادّعاء أو كذبه. نعم لقد إدّعى بعض المنكرين للإسلام والمكابرين أنّ دين الإسلام قام بسيف رجال العرب لا بتأثير القرآن وهذا إنتقاد في منتهى الوهن لأنّ جمعاً كبيراً آمنوا قبل الهجرة التي صدر أمر الجهاد بعدها وأذعنوا إلى حجيّة القرآن وفي تلك اللحظة وجدت السيوف من أثر القرآن لأنّه لو لم ينزل القرآن لاستُلّت تلك السيوف في نصرة الكفّار وتأييد الشرك بدل نصرة رسول الله وإثبات التوحيد ولكن لا يعلم ذلك إلاّ أولو الألباب.

5. في بيان أنّه لما جهل المسلمون سبب إعجاز القرآن صاروا سببا في اعتراضات

[240] القصص: 49

[241] البقرة: 1

[242] العنكبوت: 50-51

النصارى على فصاحة القرآن وبلاغته (صاحب التذييل) التالية:

فلمّا عجز علماء الإسلام عن معرفة السبب الحقيقي في إعجاز القرآن وحجيّته وتمسّكوا بحبل الفصاحة والبلاغة وإشتهر هذا القول بين المتأخرين لهذا بذل علماء النصارى منتهى الهمّة في إبطال هذا الاستدلال وخاصّة علماء البروتستانتيّة في كتب ومصنّفات ألّفوها. وذكر كلّ واحد من كبار مصنّفيهم أوجها متعدّدة في مقام الردّ والإنتقاد. ويذكر هذا العبد انتقادات واحد منهم في الصفحات التالية حتى يفهم أهل الإنصاف أنّ المعترضين على مظاهر أمر الله يتكلّمون دائماً بلهجة واحدة ويسير أعداء الله دائماً في طريق واحد "تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيات لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ"[243].

ومجمل ذلك أنّ أحد علماء البروتستانتيّة المعروف ب(جرجس صال) الإنكليزي والذي توفّيّ في سنة (1736) ميلاديّة بعد أن صرف قسماً كبيراً من عمره في تعلّم العربيّة والدين الإسلامي وعلم الفقه، كتب كتاباً عنوانه (مقالة في الإسلام) ألّفها في سيرة رسول الله، وقد كتب أحد علماء النصارى في الشام وهو (هاشم الشامي) تذييلاً على ذلك الكتاب زاد فيه في الردّ على الدين الإسلامي وأظهر منتهى الوقاحة. وقد أقدمت الجمعية الدينيّة الأمريكيّة في القاهرة على نشر هذا الكتاب سنة (1891) وطبعته في مصر ونشرته. والآن بعد أن إطّلعتم على تأليفه أسمعوا قليلاً إلى هذيانه وأسمعوا نغمة المعترضين على الإيقان من دون بيّنة ولا برهان كيف ظهرت سابقاً على لسان المعترضين على القرآن بذكر البيّنة والبرهان.

قال صاحب التذييل في الصفحة الثانية والسبعين: "ثم إنّ للفصاحة في العربيّة قواعد وأصولاً وضعوها هم أنفسهم وعدّوا في جملتها سلامة الكلام من ضعف التأليف ومن الغرابة والتنافر ومخالفة القياس. وسترى أنّ في القرآن من ذلك ما يخالف قواعدهم ونحن لا نذكر لك منه إلاّ ما كانت المخالفة فيه بيّنة لا تحتمل التأوّل على علم منّا أنّ المفسرين قد تمحّلوا لكلّ من غلطاته تأوّلاً وعَزُبَ عنهم أنّ مجرّد إحتياجه إلى ذلك هو حجّة عليه. ولو سلّمنا لهم بما حاولوه من الحذف والتقدير لِسَتْرِ غلطهِ تارة وكشف معناه أخرى لم يبق ثَمَّ من داعٍ لوضع ما وضعوه من القواعد ولأصبح كلّ لحنٍ وتأوّلُهُ بل عدُّهُ من أنواع البديع ممكناً على طريقتهم كما فعلوا في تأوّل غلطته إذ قال "قَابَ قَوْسَيْنِ" والوجه "قَابَيْ قَوْسٍ" لأنّ القوس له قابان فعدّوا هذه الغلطة من أنواع البديع وهو القلب الذي يُتْعِب القلب. وإذ تقرّر هذا، فلنشرع في تعقّب خطأه. قال في سورة البقرة (آية 176): "

[243] البقرة: 118

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" وكان الوجه أن يقول "والصابرون" لأنّه عطف على قوله والموفون لكنّ المفسّرين قالوا أنّه نصب الصابرين على المدح ولا أدري لماذا إستحقّ الصابرون هذا المدح ولم يستحقّه الموفون بعهدهم مع أنّهم مقدّمون في النسق على أولئك ومع أنّ السورة نفسها متقدّمة النزول على سورة براءة التي سُنَّ فيها نبذ العهد. وعلى سورة التحريم التي أُحلَّ فيها الحنث بالإيمان. ثمّ إنّ في هذه الآية خطأ آخر في التركيب لأنّه قال " لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ إلى آخرها" وكان الوجه أن يقول "ولكن البِرَّ أن تؤمنوا وتؤتوا وتقيموا إلى الآخر" لأنّ البِرَّ هو الإيمان لا المؤمن ولذلك لجأ المفسّرون إلى التقدير فقالوا "ولكنّ البِرَّ الذي ينبغي أن يُهتمَّ به بِرُّ مَنْ آمن بالله إلى الآخر" فلعلّ الكاتب أسقط ستّ كلمات وأذهَبَ بذلك بما في القرآن من وضوح الدلالة فقدّرها المفسّرون وإلاّ فالتركيب فاسد.

وقال في سورة النساء (آية 161) " لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا" وكان الوجه أن يقول "والمقيمون الصلاة" كما قال "وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ". هذا ما تقتضيه القاعدة إلاّ أنّ المفسّرين زعموا أنّه نَصَبَ المقيمين الصلاة على المدح أيضاً فلِمَ إستحقّ هؤلاء المدح ولم يستحقّه المؤمنون بالله واليوم الآخر مع أنّهم أحقّ به وأولى. إذ كلّ مؤمن بالله واليوم الآخر مقيم للصلاة ولكن ليس كلّ مقيم للصلاة مؤمناً بالله واليوم الآخر، إذ يُحتمل أن تكون صلاته رياءً أو خوفاً أو طمعاً أو لعلّةٍ أخرى وهي أيضاً من الطاعات الظاهرة، ولهذا يحرص المراؤون أشدّ الحرص على قضاء هذا الفرض أمّا الإيمان بالله واليوم الآخر فأمر باطن لا يقدر الناس أن يعلموه أو يطّلعوا عليه. وقصارى ما يقدرون عليه هو أنّهم إذا رأوا واحداً منهم يخون وينهب ويقتل الأسرى حتى يثخن في الأرض ساغ لهم أن يرتابوا في صحّة إيمانه بالله واليوم الآخر.

وقال في سورة المائدة (آية 69): " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " وكان الوجه أن يقول "والصابئين" كما قاله في سورة البقرة (آية 59) وسورة الحج (آية 17).

وقال في سورة الأعراف (آية 160): " وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا " فأنَّثَ العدد وجَمَعَ المعدود والوجه التذكير في الأوّل والأفراد في الثاني كما هو ظاهر.

وقال في سورة المنافقين (آية 10): " وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ" بجزم أكُنْ والوجه "وأكون" بالنصب.

وقال في سورة آل عمران (آية 58): " إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " والوجه "فكانَ"، لكنّ هذا يخلّ بالرويّ فآثَرَ الإخلال بالمعنى ليستقيم له الرويّ وإلاّ فقد ساقه إليه ما ألّفه لسانه حتى قد كرّره في ستّة مواضع من كتابه وذلك بقوله "كُنْ فيكونُ" لكنّ المعنى في تلك المواضع يقتضي الجزء الثاني من الجملة بصيغة المضارع وفي هذا الموضع يقتضيه بصيغة الماضي.

ومما أخطأ فيه مراعاة للرويّ قوله "سَلامٌ عَلى ألْيَاسِينَ" والوجه "إلياسَ" وقوله "وَطُورِ سِينِينَ" والوجه "سيناءً". وما كان من المحتمل لولا الرويّ أن يقول عن حملة العرش أنّهم ثمانية لا أكثر ولا أقلّ، وما كان لولاه وجه لقوله مراراً "جنّتان" و"زوجان".

ومن خطأه في الضمائر قوله في سورة الحج (آية 20): " هَذَانِ خَصْمَانِ إخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ " والوجه "إختصما في ربهما"، وقوله في سورة الأنبياء (آية 3) " وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا " والوجه "واسرَّ النجوى"، وقوله في سورة الحجرات (آية 9): " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا " والوجه "إقتتلتا" أو "بينهم".

ومن إتيانه بجمع الكثرة حيث يتعيّن جمع القلّة وبالعكس قوله في سورة البقرة (آية 228): " مُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ" والوجه "أقْرُءٍ" او "أقْراءَ" وقوله فيها (آية 74): "لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً " والوجه "معدودات" لأنّهم أرادوا قلّة الأيام وقوله فيها (آية 179و 180): "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ" والوجه هنا "معدودة" لأنّه أراد أيام الصيام وهي ثلاثون يوماً.

أما الكلام المبتور فهو في القرآن كثير جداً لكنّنا نقتصر من أمثلته على القليل. قال في سورة الحج (آية 25): "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي" فهذه الآية تُعاب من وجهين أحدهما أنّه عطف فيها المضارع على الماضي فقال "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ" وكان الأقعد في هذا الموطن أن يقول "وصدّوا". والثاني أنّه لم يأت بخبر "إنّ" فلم يتمّ الكلام بل بقي سامعه منتظراً شيئاً ثم أردف هذه الآية بقوله: "وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ" فهنا أيضاً كلام ناقص لأنّه جاء فيه بفعلٍ متعدٍّ وهو "يُرِدْ" ولم يأت بمفعوله ثم قال "نُذُقه من عذابٍ أليمٍ" وكان المقام يقتضي أن يقول "العذاب الأليم" أو "عاباً أليماً" بحذف "من" البعضيّة. اللهم إلاّ أن يكون المراد التبعيض فيصحّ حينئذٍ من الكلام مبناه ولكن يفسد مغزاه إذ تذهب النكتة المرادة به وهي الوعيد الشديد لمن يريد فيه بالحاد بظلم فيطمع في أنّه لا يصيبه إلاّ بعض العذاب الذي يستحقّه. وقال في سورة القصص (آية 46): "وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ " فهذا الكلام ناقص لا يفيد معنى ولذا قال المفسرون إنّ بين قوله (ولكن) وقوله (رحمةً) فعلاً محذوفاً تقديره (علّمناك) فما الذي إضطرّه إلى حذف هذا الفعل وليس فيما بقي من الكلام دليل عليه؟ إلاّ أن يُقال هذا من البيان الذي يعجز عنه البشر ويزيد معجزة القرآن وضوحاً! وقال في سورة البقرة: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ " قال المفسّرون إنّ "الذي" بمعنى "الذين" وإستشهدوا لذلك بشاهد من كلام العرب بل بكلام القرآن نفسه إذ قال: "وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا" أي "كالذين خاضوا" وهذا إحتجاج ضعيف فضلاً عن أنّه لو أراد (بالذي) في هذا الموضوع معنى (الذين) لقال "الذي إستوقدوا" كما قال "الذي خاضوا" ولكنّه قال (إستوقد) بالأفراد فبقي الكلام بعد ذلك ناقصاً لا يفيد وذلك لسقوط جواب (لما). إلاّ أنّ المفسرين لا يعجزهم شيئ من التأويل قالوا: "إنّ الجواب محذوف

للايجاز وأمْنِ اللَّبس" فأيّ إيجاز أشدّ إخلالاً بالبلاغة من هذا المحذوف لعدم الدلالة عليه فيما بقي من الكلام؟ وقد قرّر أئمّة البيان منهم أنّ ما لا يُفهم إلاّ بذكره لا يجوز حذفه ولا سيّما إذا كان هذا المحذوف ممّا يوقع في الكلام لَبْساً ويزيله عن معناه ويحيله إلى غير المراد منه فإن جاز تأوّل المفسرين لم يبق ركانة ولا سفسفة إلاّ ويمكن عدّها من الفصاحة.

وقال في سورة يوسف: "فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ"[244] قال المفسّرون إنّ جواب (لما) في هذه الفقرة محذوف وتقديره (فعلوا به ما فعلوا) وعندي إنّ "الواو" العاطفة في قوله (وأوحينا) زائدة فإن حُذفت إستقام المعنى.

أما الكلام الزائد زيادة تخلّ بالبلاغة أو تحيل المعنى إلى غير مراد قائله فهو كثير جدّاً في القرآن لكنّنا نقتصر على القليل من أمثلته. فمن ذلك قوله في سورة القيامة: "لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ" قال المفسّرون إنّ حرف النفي في الجملتين زائد فهو إذاً لغوٌ في كتاب حقّه أن يكون منزهاً عن اللغو ولكن يلزم من زيادته هنا أنّه أقسم ولم يأتي بجواب القسم فصارت الآية تُعاب بالزيادة في أوّلها وبالنقص في آخرها. ومن ذلك قوله في سورة الحديد: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ"[245] ف "لا" في قوله لئلاّ (والأصل لأنْ لا) زائدة لأنّ المفسّرين يزعمون أنّه أراد أن يقول "ليعلم أهل الكتاب إلى آخرها" إلاّ انّ الزيادة عكست معنى الكلام وأحالته إلى ضدّ مراد قائله. ثم إنّ في هذه الآية نكتة يعجز عن إدراك معناها من لم يكن من الراسخين في العلم وهي أمره الذين آمنوا أن يتّقوا الله ويؤمنوا برسوله فإنّهم إن كانوا حقيقة قد آمنوا كما دعاهم فقد إتّقوا الله وآمنوا برسوله وإلاّ فما هم بمؤمنين" **[إلى آخر كلماته السخيفة]**.

---

[244] يوسف: **15**

[245] الحديد: **28–29**

6. في بيان أنّ اعتراضات شيخ الإسلام على فصاحة كتاب الإيقان مثل اعتراضات (صاحب التذييل) على فصاحة القرآن الكريم والفرق هو أنّ (صاحب التذييل) إعترض مع ذكر الشواهد ولكنّ الشيخ إعترض بدون ذكر الشواهد:

إنّ ما سبق ذكره هو بعض اعتراضات المنكرين للقرآن ذكرناها في هذه الصفحات ليعرف أولو البصيرة والإدراك أنّ انتقادات واعتراضات جناب الشيخ على الإيقان الشريف تُشابه تماماً انتقادات سائر الملل على القرآن المجيد إلاّ أنّ (هاشم الشامي) في اعتراضات ه على القرآن إستشهد بذكر الآيات التي وجدها بإعتقاده مخالفة للغة العرب ومخلّة بالفصاحة والبلاغة ولكنّ جناب الشيخ لم يستشهد بعبارة واحدة من الإيقان الشريف لا في رسالته الأولى ولا في رسالته الثانية المطبوعة ويذكر شيئاً يخالف اللغة أو مخلاًّ بالفصاحة والبلاغة وكأنّه تصوّر أهالي تلك الجهات جهلاء أميّين إلى درجة يقبلون الكلام الفارغ ويذعنون إلى ادّعاء لا يشفعه الدليل في حين أنّ الإرادة الالهيّة شاءت أن تزول ظلمة الشبهات زوالاً تامّاً من العالم عند طلوع شمس الحقيقة فيستطيع كلّ بصر رؤية حقائق الأمور. ولكي يطّلع أولو الألباب على مقدار علم جناب الشيخ وفضله وأدبه سوف ندوّن في الصفحات التالية كلماته التي كتبها في رسالته الثانية المطبوعة في مسألة فصاحة الكلمات الإلهيّة وبلاغتها ونستميح القرّاء عذراً من إطالة الكلام الذي إبتلينا به على غير رغبتنا في ذلك. وموجز الموضوع هو أنّ جناب الشيخ كتب "إنّ التجاوز عن قانون اللغة غير جائز" فأجابه مناظره البهائي إنّ إنتقادك هذا قد سبق لسائر الملل أن وجّهوه إلى مظاهر أمر الله في حين أنّ الحقّ المنيع الذي أُحِدِثَت بكلمته جميع القواعد والقوانين لا يمكن تحديده بهذه الأقوال فإضطرب جناب الشيخ من هذا الجواب الموجز الرصين وكتب في جواب مناظره في الصفحة (...) العبارات التالية:

7. عبارات رسالة الشيخ الثانية في الاعتراض على كتاب الإيقان من ناحية القواعد:

وهذه عين عبارات الشيخ: "لقد كتب (يقصد المناظر) مقابل كلمتي التي قلت فيها: "إنّ التجاوز عن قانون اللغة في أيّ دين وكلام وفي أيّ ملّة من الملل غير جائز بل إنّ كلمات وخطابات كلّ مقنّن باللغة التي يتكلّم فيها يجب أن تكون في منتهى البلاغة والفصاحة ولذا قال عزّ من قال: " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ"[246]. كتب المناظر هذه الكلمات: "إنّ هذا النوع من الاحتجاج والإنتقاد الذي قمتم به لا يستسيغ رجال السوق أن يخاطبوا به عمّالهم أو يحدِّدوهم به وأنت تريد بهذه الأقوال وبهذه الانتقادات تحديد الحقّ المنيع الذي بكلمته أوجدت القواعد والقوانين". واعرف أنّ الكثيرين من أولي العلم والكمال يقولون لهذا العبد "إن إنساناً مغالياً إلى مثل هذه الدرجة أحسن جوابٍ له هو السكوت" ومع أنّ نصحهم هذا حقّ وفي مكانه ولكنّني أريد أن أعرض بضع كلمات في هذا الموضوع ليتجلّى لجميع الناس مقدار جهل المناظر وضلاله. فهو يقول: "إنّ جميع القواعد والقوانين قد أُوجدت بكلمته" أي أنّ ذاك الذي يدّعي المظهريّة يستطيع أن يتجاوز عن قانون اللغة لأنّه هو الواضع لكلّ قانون وقاعدة فمثلاً يشترط في اللغة العربيّة قراءةً وكتابةً أن يكون الفاعل مرفوعاً والمفعول منصوباً والمضاف إليه مجروراً ولكنّ المناظر يظنّ أنّ مظهراً من المظاهر لو يكتب أو يتكلّم خلافاً لهذا القانون فلا حرج عليه ولا يعاب على ذلك حتى أنّه يقول إنّ كلامه يجب أن يُعتبر قانوناً مهما كان ذلك في نظر سيبويه أو الأخفش خطأً فاحشاً ليس فوقه من خطأ. ومنشأ هذا الظنّ الباطل والزعم الفاسد هو أنّ المناظر المغرور لم يعرف حتى الآن واضع هذا القانون ويظنّ أنّ واضع هذا القانون هو النحويّ الفلاني أو العالم الفلاني في علم المعاني والبيان، ولهذا فإنّ الكتابة أو التكلّم بعكس القوانين التي قرّروها وخلافاً للآراء التي رأوها ليس بأمرٍ خطأٍ. كلا لقد أخطأ المناظر كثيراً في فهمه فإنّ واضع قانون اللغة هو اللغة نفسها التي كانت مستعملة آلاف السنين وقد قام جماعة النحويّين والصرفيّين والمعانيّين بتتبّع قوانينها وإستقرائها وجمعها. وخلاصة القول فإنّ اللغة ليست خاضعة لقانونها بل قانونها تابع لها ومأخوذ منها. إذاً لو يظهر مظهرٌ في وسط قوم يتكلّمون بلغة آلافاً من السنين وقد جرى قانونها على سليقتهم جرياناً طبيعياً ثم يتكلّم بخلاف قوانين تلك اللغة ويقول إنّ هذا النوع من كلامكم خطأ ويجب أن تتكلّموا بهذه الصورة وبهذه الطريقة وحتى أنّه يقول مثلاً إنّ قالَ وسَمِعَ لا تعني التكلّم والإصغاء بل تعني القراءة والكتابة فإنّ أولئك القوم لا يقبلون مظهريّته فحسب بل يعتبرونه مجنوناً سفيهاً. ومن أجل

[246] البقرة: 23

هذا قلت إنّ التجاوز عن قانون اللغة غير جائز في أيّ دين وفي أيّ ملّة وبناءً على هذا قال تعالى في القرآن الشريف: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ "[247] وقال تعالى في مقام آخر بإسلوب التحدي: "فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ "[248] [فافهم هذه النكتة التي قد كنتم عنها غافلين وأغررتم بجهلها جاهلين]". انتهى كلام شيخ الإسلام.

8. في بيان أنّ جناب الشيخ وصم مناظره بالمغالاة في وصفه صاحب الأمر المبارك بصفة "الحقّ" وبصفة "الحقّ المنيع" وجوابنا على هذا القول:

مع أنّنا كتبنا في الأبحاث السابقة في تبيين سبب حجّية وإعجاز الكتب السماويّة عامّة ما يغنينا عن الجواب على شبهة شيخ الإسلام وشكوكه الباردة وكتبنا في انتقادات المكذّبين للقرآن وفي إنطباقها على انتقادات المعترضين على كتاب الإيقان الشريف ما يجعل أهل الإيمان والإدراك منتبهين إلى منبت أشواك الاعتراض ومغرسها ومع ذلك نعرض مزيداً للتبيين وتوضيحاً لمقدار معارف المكذّبين. أوّلاً إنّ جناب الشيخ بسبب إطلاق جناب المناظر كلمة "الحقّ" أو كلمة "الحقّ المنيع" على مظهر أمر الله قد وصف المناظر بالمغالاة والمبالغة وكأنّه لهذا السبب إعتبر نفسه في مراتب المعارضة والمكابرة وجهله بآيات القرآن وعلوم اللغة. أما جهله بعلوم اللغة فإنّه ظنّ أنّ كلمة "الحقّ" أينما إستعملت يُقصد بها إسم من أسماء الله وهو الحقّ في مقابلة الخلق ولهذا فقد رأى أنّ إطلاق هذه الكلمة على البشر من المغالاة ولو كان هؤلاء البشر مظاهر أمر الله. وهذا خطأ كلّه لأنّ كلمة (الحقّ) تُستعمل للدلالة على معان عديدة كما تُطلق كثيراً على المعنى الذي يقابل الباطل، فمثلاً لو يقال أنّ عيسى عليه السلام كان حقّاً فإنّ هذا صحيح في مقابل بطلان اليهود وهكذا لو تطلق كلمة "الحقّ" على رسول الله (صلعم) فإنّ هذا صحيح نظراً لبطلان الوثنيّة والمجوسيّة، وكذلك اليوم لو تطلق على صاحب الأمر المبارك فإنّ هذا الإطلاق صحيح نظراً لبطلان المنكرين والمكابرين. قال صاحب (القاموس): "الحقّ من أسماء الله تعالى أو من صفاته والقرآن وضدّ الباطل والأمر المقضيّ والعدل والإسلام والمال والملك والموجود الثابت والصدق والموت والحزم وواحد الحقوق". وقال صاحب (محيط المحيط): "الحقّ مصدر ومن أسماء الله تعالى أو من صفاته والحقّ أيضاً ضدّ الباطل والأمر المقضيّ والعدل والمال والمِلك والموجود الثابت والصدق والموت والحزم جمعه حقوق" فيتّضح من هذا أنّ كلمة "الحقّ" كما تُطلق على المعنى الذي يقابل الخلق فإنّها تُطلق أيضاً على

[247] ابراهيم: 4
[248] البقرة: 23

مظاهر أمر الله وكتبه المقدّسة والقول الصدق وسائر المعاني المذكورة، وإستعمالها هذا شائع وليس في ذلك مغالاة. وأما جهله بالقرآن فهو أنّ القرآن المجيد أطلق كلمة "الحقّ" بصورة صريحة على رسول الله عليه السلام بقوله تعالى في سورة القصص: "وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ (وهو محمّد رسول الله) مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ "[249] وقد أُطلقت كلمة (الحقّ) في هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلّم. والآن يليق بأهل الإنصاف أن ينظروا في هذه الآية الكريمة ويعلموا مقدار مغالاة جناب الشيخ في مكابرته بل مبلغ علمه وإطّلاعه وإرتباطه بالقرآن الشريف وينتبهوا إلى سعة علم وإحاطة خير البريّة عليه من التحيّيات أطيبها وأبهاها حينما تفضّل في الحديث الشريف: "وَلَا يَبْقَى عِنْدَهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا خَطُّهُ وَزُبُرُهُ". ولا أدري لماذا لم ينسب جناب الشيخ هذه المغالاة والعياذ بالله إلى القرآن الشريف عند البشارة بظهور الموعود وإطلاق كلمة (الله) على الموعود بقوله تعالى: "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ "[250] في حين أنّه كان من السهل اليسير عليه تبارك وتعالى من أجل خاطر شيخ الإسلام أن يتفضّل "إلاّ أن يأتيهم روح الله في ظلل من الغمام" حتى لا ترفع البابيّة راية المغالاة وتطلق كلمة "الحقّ المنيع" على روح الله النازل من السماء أو يتفضّل على الأقلّ بقوله: "حتى يأتيهم إبن الإنسان في ظلل من الغمام" حتى يطابق هذا القول مع الإنجيل وتصبح حجّة جناب الشيخ في رده على الأمّة البهائيّة أقوى وأتمّ؟ ولا أدري لماذا لا ينسب المغالاة إلى الإنجيل حين يتفضّل في آخر الإصحاح (33) من إنجيل متّى بلسان عيسى عليه السلام: إِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَنَّكُمْ لا تَرَوْنَنِي مِنَ الآنَ حَتَّى تَقُولُوا مُبَارَكٌ الآتِي باسم الرَّبّ"؟ ولماذا لا ينسب هذه المغالاة إلى التوراة وسائر أسفار العهد القديم التي لم يرد فيها ذكر ظهور موعود الأمم وإصلاح العالم إلاّ وكان مقروناً باسم ظهور الله وظهور الربّ ويوم الله ويوم الربّ؟ فقد جاء مثلاً في سفر أشعيا الإصحاح (25): "وَيُقَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ هُوَذَا هَذَا إِلَهُنَا انْتَظَرْنَاهُ فَخَلَّصَنَا هَذَا هُوَ الرَّبُّ انْتَظَرْنَاهُ فَلْنَبْتَهِجْ وَنَفْرَحْ بِخَلَاصِهِ ".

---

[249] القصص: 47

[250] البقرة: 210

ولا أدري لماذا لا ينسب المغالاة إلى أمير المؤمنين عليه السلام على خطبته الطتنجيّة التي تفضّل فيها بعد ذكر علامات ظهور الموعود: "فتوقّعوا ظهور مكلّم موسى من الشجرة على الطور . فيظهر هذا ظاهر مكشوف ومعاين موصوف "؟

وليس سبب هذه الانتقادات والاعتراض ات إلاّ بعده عن كلمات الأنبياء والمرسلين وعدم معرفته بعلوّ مقام مظهر أمر ربّ العالمين وتصوّره لهم أشخاصاً مثله ونظره إلى أهل الإيمان وأصحاب الهداية بنظر الإستخفاف والإهانة كما كان شأن قوم نوح عليه السلام في قوله تعالى: "فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ"[251].

هذا ولو أنّ الكلام سيطول ولكنّني أستميح القرّاء عذراً وأرجوهم أن يمعنوا النظر قليلاً في خطبة أمير المؤمنين في نهج البلاغة لعلّ يطّلعوا قليلاً على مقام صاحب الظهور وعلى سجايا أهل الإيمان وصعوبة المشاقّ التي يتحمّلونها من أجل هداية الخلق فقد قال فيها عليه السلام: "يا قوم هذا إبّان ورود كلّ موعود ودنوّ من طلعة ما لا تعرفون . ألا ومن أدركها منّا يسري بسراج منير ويحذو فيها على مثال الصالحين ليحلّ ربقاً[252] ويعتق رقّاً ويصدع شعباً ويشعب صدعاً في سترة عن الناس لا يبصر القائف أثره ولو تابع نظره ثمّ ليشحذنّ فيها قوم شحذ القين[253] النصل. تجلى بالتنزيل أبصارهم ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح ". فلاحظوا إنّ النفس المقدّسة التي أجمع المسلمون على أنّها "باب مدينة العلم" يقول في وصف أمر القائم الموعود أنّ كلّ من يدركه منّا سوف يسير بسراجٍ منير وسوف يحذو حذو الصالحين ولم يخرج نفسه المقدّسة من عداد أتباع الموعود والمستنيرين بأنوار هذا الظهور الأعظم في حين أنّ فقهاء هذا العصر الذين يعرف كل بصير مقدار معارفهم وواضحة أخلاقهم وأعمالهم لدى كلّ مدرك يريدون ظهور مثل هذا الموعود العظيم وفقاً لميولهم المتعارضة ومطيعاً في كلامه لآرائهم المضادّة وقوانينهم المختلّة الفاسدة [فبئس ما يظنّون وساء ما يحكمون].

[251] هود: **27**

[252] **ليحل حبلاً فيه ربقة: ليفرج كربةً [نقضوا الحبال واكلوا الرباق]= نقضوا العهود**

[253] **قانَ يقينُ الحديد سوّاه والقين الحداد والقيون والاقيان جمعها. والقين والقِيان العبيد**

9. في بيان ما كتبه جناب الشيخ بأنّه وفقا للغة العربيّة يجب أن يكون الفاعل مرفوعا والمفعول به منصوبا والمضاف إليه مجرورا وجوابنا على هذا القول:

وأما ما كتبه جناب الشيخ من شروط رفع الفاعل ونصب المفعول وجرّ المضاف إليه وعدم تجويزه لمظاهر أمر الله أن يتكلّموا خلافاً لقوانين سيبويه والأخفش فأقول:

(أوّلا) إنّ جناب الشيخ يجب أن يكتب ويوضح في أيّ موضع من الإيقان جاء الفاعل غير مرفوع والمفعول به غير منصوب والمضاف إليه غير مجرور؟ وحيث أنّه لم يكتب ذلك فإنّ أولي الإدراك لا يعتنون بإنتقاده وهم يعرفون أنّ الإنتقاد بدون ذكر الشواهد خطأ وإضطراب كإضطراب رؤية الأعمش وإبصار الأخفش.

(ثانيا) ألم ينتقد (هاشم الشامي) في تذييله على كتاب (مقالة في الإسلام) بالإستثناء إلى القاعدة التي يفتخر جناب الشيخ بمعرفتها عرفاناً لفظيّاً لا حقيقيّاً الآية الكريمة كما ذكرنا عباراته سابقاً في سورة البقرة (آية 172): " لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ إلى آخر الآية" بقوله إنّ كلمة (الصابرين) جاءت منصوبة خلافاً للقواعد النحويّة في حين يجب رفعها عطفاً على كلمة (والموفون)؟ وألم ينتقد نفس هذه الآية: "وَوَلَلَكِكْنَّ الِبرَّبِرَّبِرَّ مَمَنْ آمَمَنَ بِبِاللَّهِ " فقال الصحيح وفقاً للعربيّة يجب أن يُقال: ولكنّ البرّبّرّ أن تؤمنوا بالله إلى آخر الآية" لأنّ البرّبّرّ هو الإيمان لا المؤمن؟ وألم ينتقد الآية (160) في سورة النساء: "لَلَكِكِنَّ الرَّاَّسِخُونَ فِي العِلِْلِمِ مِمِنْهُهُمْ إلى آخر الآية" بأنّ كلمة "والمقيمين الصلاة" يجب أن تكون مرفوعة ويجب أن تكون "والمقيمون الصلاة" لأنّها معطوفة على "الراسخون" لأنّها مبتدأ واجب الرفع بإتفاق النحويّين؟ وألم ينتقد الآية (37) في سورة المائدة: "إِنَّ الذِينَ آمَمَنُوا وَوَالذِينَ هَهَادُوا وَوَالصَّابِئُونَ وَوَالنَّصَارَى" قائلاً إنّ (إسم إنّ) واجب النصب ولهذا فإنّ رفع كلمة "الصابئون" عطفاً على كلمة (الذين) مخالف للقواعد النحويّة وكان الواجب نصبها لتكون "والصابئين"؟ وألم ينتقد الآية (10) من سورة المنافقين في قوله تعالى: "وَوَأَنْفِقُوا مِمِمَّا رَرَزَقْنَاكُمْ مِمِنْ قَقَبْلِ أَنْ يَيَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَمَوْتُ إلى آخر الآية" قائلاً أنّ كلمة "أَكُنْ مِمِنَ الصَّالِحِينْ " التي وردت مجزومة خلافاً للقواعد النحويّة يجب أن تكون منصوبة وتصبح (أكون) لأنّها معطوفة على كلمة (فاصّدق) المنصوبة بالحرف الناصبة ويجب نصب المعطوف هنا. أمّا جزمه فإنّه خطأ بإتفاق جميع النحويّين؟

وأ لم ينتقد الآية (52) من سورة آل عمران في قوله تعالى: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " قائلاً بأنّ الواجب أن يقول "كُنْ فَكَانَ " بدلاً من "كُنْ فَيَكُونُ " وهنا دخل في باب الكنايات الركيكة والتعريضات الخارجة عن الآداب الإنسانيّة مثل جناب الشيخ فقال "الكنّ هذا يخلّ بالروي فآثر الإخلال بالمعنى ليستقيم له الرويّ وإلاّ فقد ساقه إليه لسانه حتى قد كرّره في ستّة مواضع من كتابه ونسي أنّه إستعمل المضارع بدلاً من الماضي"؟ وأ لم ينتقد كذلك الآية: "سَلامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ " قائلاً أنّه راعى الروي وبدلاً عن (إلياس) قال (الياسين) وبدل (طور سينا) قال (طُورِ سِينِينَ) وليس من المحتمل أنّه لولا مراعاة الروي والسجع لقال في حَمَلَةِ العرش بدل كلمة (ثمانية) كلمة أخرى أقلّ أو أكثر وبدل كلمة (جنّتان) و (زوجان) في سورة الرحمن كلمة أخرى"؟ إلى آخر إيراداته السخيفة.

والآن لا أدري بماذا يجيب على هذه الانتقادات المشفوعة بالشواهد أولئك الذين يرون وجوب رعاية القواعد النحوّية التي وضعت آلافاً من السنين وبأيّ عذر يتذّرعون في هذه المخالفات الصريحة لتلك القواعد؟ ولولا أنّ هذا العبد لا يحبّ أن يلوّث قلمه بانتقادات المنكرين والمكذّبين لَدَوَّنْتُ في هذه الأوراق جميع مناقشات هذا المنكِر المعاند حتى يرى أهل الإدراك أنّ المنكرين والمكذّبين دائماً يتمسّكون بحبل واحد ويترنّمون بأغنية واحدة، ومع هذا فإنني أستميح العذر من القرّاء وأستغفر عن هذا القدر من انتقادات أرباب الإنكار الذي أُجبرت على ذكره من أجل إنتباه الأخيار والأبرار. والأعجب من هذا هو أنّ بعض علماء هذه الجهات أمثال [**الفاضل الجليل الشيخ محمّد بدرالدين الغزّي والشيخ إسماعيل الطرابلسي والشيخ أبي النصر الشامي وغيرهم من أهل العلم والفضل**] لما طبع البروتستانت (كتاب مقالة في الإسلام) ونشروه طلبوا من هذا العبد أن يكتب جواباً كافياً وافياً على هذا الكتاب وأكشف الشبهات الواردة فيه من حيث العلم والمفتريات المدوّنة فيه من حيث التاريخ حتى لا يشتبه الأمر على ضعفاء الملّة ولا ترسخ أمثال هذه الشبهات في الأذهان وكان طلبهم هذا منّي نظراً لسعة الأطّلاع الذي وهبني الله في حقائق الكتب المقدّسة والأديان العتيقة حتى يليق بشكر الحقوق المقدّسة النبويّة التي تتلئلأ أنوارها من الوجوه الناضرة في الأمّة البهائيّة. فقلت لهم عفواً أيّها السادة إذ أنّ هناك موانع كثيرة في هذا الطريق من الصعب رفعها لأنّ أسماع أبناء الأمّة الإسلاميّة قد إعتادت مدى سنين كثيرة وقرون عديدة على إستماع زخارف القول ونشأت القلوب وتغذّت على قشور المطالب، فلو تُرفع الحجب عن وجوه الحقائق القرآنيّة حتى تُرَدَّ انتقادات أرباب الشبهات فأنّ أول من يشدّ أواصر العداوة ضدّنا هم

المسلمون ويقومون على المخالفة ويرضون أن تبقى شبهات أهل الكتاب غير مردودة عن القرآن بل تُداس الملّية البيضاء تحت أرجل أهل الضلال ولا يرضون أن تَكْشِفَ حوريّات المعاني النقاب عن وجوههنّ من شرفات قصور الآيات بأثر القلم الأعلى ويبتسم الغلمان المستورون تحت ستار الإستعارات وتنحلّ عقدة الانتقادات وتنقشع السحب الكثيفة من الاعتراض ات . فمثلاً لو يقول أهل الإيمان في تفسير الآية الكريمة: "وَوَيَحْيَحْيَحْمِمِلُلُ عَعَرْرْشُش رَرَبِّبِّكَك فَفَوْوْقَقَهُهُمْم يَيَوْوْمَمَئِئِذٍ ثَثَمَثَمَانِنِيَيَة"[254] إنّ المقصود بالعرش هو قلب صاحب الأمر المقدّس وإنّ الثمانية تُشير إلى أنّ الأنوار الفائضة من عرش ربّ العالمين تتضاعف عمّا فاضته من سائر الأنبياء والمرسلين وبعبارة أخرى تكون قِوى الشارع الأعظم ضعف قِوى الرسول الأكرم لأنّ الأنبياء والمرسلين لهم قِوى أربعة هي: تنزيل الوحي، وتبليغ النداء، ورزق العباد، وقهر وإماتة أهل العناد، وكانت عروش الظهور دائماً مؤيّدة بحمَلَة العرش والملئكة الأربعة وإستعملت كلمة (ثمانية) إستعارة لتدلّ على ظهور الموعود بضعف قِوى سائر الأنبياء والمرسلين. وكذلك الأمر لو يقول أهل الإيمان في تفسير الآية الكريمة: "وَوَمِمِنْن دُوُنِهِنِهِمَا جَجَنَّتَّتَانِنْ " إلى قوله تعالى "مُمُدْدْهَهَامَّمَّتَتَانِنْ "[255] إنّ المقصود بكلمة "الجنّتان المدهامّتان" اللتان وعد الله تبارك وتعالى بظهورهما قبل ظهور القائم الموعود هما الوجودان المقدّسان والنوران النيّران الشيخ أحمد الإحسائي والسيّد كاظم الرشتي عليهما سلام الله اللذان بوجودهما المبارك فتح الحقّ جلّ جلاله باب جنّتين من المعارف الحقيقيّة على وجه عباده ورزق أولي الاستعداد فواكه لطيفة من الحقائق الربانيّة في الوقت الذي لم يكن في حديقة الملّية البيضاء ورياض الشريعة الغرّاء غير أشواك الإختلافات الباردة بين السنّة والشيعة وغير المصطلحات التافهة للفقهاء والمتصوّفين. فبشّر هذان الوجودان المحمودان الخلق بقرب ظهور الموعود وعن طريق إزالتهما لكثيرٍ من الأوهام قرّبا العباد إلى ظهور "جنّتين ذواتي أفنان". فعندما يعلن أهل الإيمان مثل هذا التفسير لدفع شبهات أمثال (هاشم الشامي) عن القرآن الشريف ويظهر ويتجلّى معنى كلمة "ثمانية" ومعنى كلمة "جنّتان" وأنّهما لم يردان في كتاب الله من أجل رعاية السجع والرويّ أو عادة اللسان وغفلة الجنان، فإنّ أوّل من يصيح "واشريعتاه! واحرباه!" هم أمثال جناب الشيخ ويكتبون علناً: "لا دين ولا غيرة ولا ناموس لكلّ من لا يعتبر البابيّة خارجة عن الإسلام ولا يقوم بتكفيرها علناً!" لماذا؟! لأنّ هذه الطائفة سمّيت الأبدان المقدّسة لمظاهر أمر الله العرش الإلهي ورجّحت جنّة وجود أولياء الله على جنّات التفاح والعنب والرمّان وفضّلت المعارف الدينيّة على اللذائذ الجسديّة وقدّمت العناية بالدين على العناية بالمدنيّة. أفهل هنالك كفر فوق هذا الكفر؟ حاشا ثم حاشا. ولا شكّ أنّ قائم آل محمّد

---

[254] الحاقة: **17**

[255] الرحمن: **62–63**

يجب أن يكون تابعاً للأخفش والناظر إلى أمر الله يجب أن ينظر بعين الأعمش ويجب أن لا يتجاوز روح الله النازل من السماء عن أوامر الفقهاء حتى لا تختلّ ضروريات الإسلام التي هي مرجع الفقهاء ذوي الإحترام.

10. في بيان ما كتبه جناب الشيخ بأنّ منشأ الخطأ لدى المناظر المغرور هو عدم معرفته واضع القانون اللغويّ وجوابنا على هذا:

ولنعد الآن إلى أصل المسألة بعد أن إبتعدنا عنها. فقد كتب جناب الشيخ: "ومنشأ خطأ المناظر المغرور هو أنّه لم يعرف حتى الآن واضع قانون اللغة ويظنّ أنّ واضع هذا القانون هو النحوي الفلاني أو العالم الفلاني في علم المعاني والبيان، ولهذا فإنّ الكتابة أو التكلّم بعكس القوانين التي قرّروها وخلافاً للآراء التي رأوها ليس بأمرٍ خطأٍ. كلا لقد أخطأ المناظر كثيراً في فهمه فإن واضع قانون اللغة هو اللغة نفسها التي كانت مستعملة آلاف السنين" إلى آخرتحقيقات الشيخ العجيبة.

(أوّلاً) لم أفهم ماذا يقصد بعبارة إنّ واضع قانون اللغة هو اللغة نفسها؟ لأنّه قد ورد في الكتب العلميّة اختلاف بين العلماء وفي هل أنّ واضع الألفاظ هو الله تبارك وتعالى أو الواضع الناس. فالآن لو أنّ جناب الشيخ يعتبر واضع الألفاظ هو الله تبارك وتعالى فلا شكّ أنّ واضع قانون إستعمال الألفاظ يكون الله جلّ جلاله أيضاً وحيث أنّ الله تبارك وتعالى قادر بواسطة مظاهر أمره على وضع الألفاظ فأنّه كذلك قادر بواسطة هذه الوجودات المقدّسة على محو القوانين الجافّة السابقة وإيجاد قانونٍ سلسٍ رقيقٍ للّغة، وإذا كان جناب الشيخ يعتبر البشر واضعين للألفاظ إذاً فلا بدّ أن يكون البشر أيضاً واضعين لقانون الألفاظ هذه ولا فرق بين واضعي الألفاظ وسائر علماء اللغة في جواز تبديل القواعد، ولكنّ جناب الشيخ كما يبدو من كلماته إذاً إعتبر واضع الألفاظ غير الله وغير البشر بل أنّ واضع قانون اللغة هو اللغة نفسها فأنّ ذلك معنى لا تستطيع إدراكه العقول السليمة والأدمغة الصحيحة غير الفاسدة. أفهل يمكن أن يوجِدَ الشيئُ نفسَهُ أو يكون هناك أثر من دون مؤثّر؟

(ثانياً) إنّ ما كتبه: "إنّ واضع قانون اللغة هو اللغة نفسها التي كانت مستعملة آلاف السنين" يهدف على ما يبدو إلى أنّ القوانين المستعملة في اللغات الموجودة اليوم كانت موجودة منذ آلاف السنين ولا يجوز تغييرها. إنّ هذا وهم كلّه وخطأ بكامله لأنّ جميع اللغات الموجودة قد تغيّرت

قوانينها وقواعدها وسوف تتغيّر أيضاً لأنّنّه لو قارن أهل اللغة الفارسيّة أو التركيّة أو العربيّة أو اليونانيّة لغتهم اليوم بلغتهم قبل ألفين أو ثلاثة آلاف سنة فإنّهم لا شكّ يجدون أنّ قواعدها وقوانينها وأساسها ومبناها قد تجدّد وتغيّر بحيث لم تعد اللغة القديمة مفهومة من دون ترجمتها ويرون أنّ اللغة القديمة جافّة لا رقّة ولا سلاسة فيها مثل اللغة الحاضرة. فمثلاً كانت لغة الايرانيّين التي يتكلّمون بها في زمان ظهور زردشت قبل ثلاثة آلاف سنة تقريباً حسب أقرب التواريخ هي اللغة الأريانيّة أو الآريّة ويظنّ أكثر المحقّقين أنّها لغة كتاب الزند التي يعتبرها الزردشتيّون لغة مقدّسة وبعد مرور ألف سنة تقريباً تبدّلت اللغة الأريانيّة، وفي أيّام الدولة الساسانيّة الكبيرة وأعني أيام الأكاسرة العظام كانت اللغة البهلويّة اللغة السائدة في إيران وبعد ظهور الإسلام وإستيلاء العرب على الفرس أدخل الكتّاب الإيرانيّون قواعد العربيّة على اللغة البهلويّة ونتجت اللغة الفارسيّة الحاليّة التي لا تشبه أبداً اللغتين السابقتين: زند والبهلويّة، وزالت جميع قواعد وقوانين اللغتين السابقتين وتبدّلت جميعها.

11 في بيان أنّ جناب الشيخ ظنّ أنّ القانون اللغويّ أبديّ غير جائز التغيير في حين أنّ قوانين اللغات العالميّة جمعاء عرضة للتغيير والتبديل:

ومجمل القول أنّ المحقّقين إتّفقوا على أنّ ثلاث لغات مختلفة القواعد والقوانين قد نشأت في إيران وسادت، وأنّ هذا التجدّد ولا شكّ نتج عن تغيير قواعد اللغة وقوانينها. وكذلك حال اللغة الهنديّة الحديثة مع اللغة السنسكريتيّة وحال اللغة اليونانيّة الحديثة مع اللغة اليونانيّة القديمة واللغة التركيّة الحديثة مع اللغة التركيّة القديمة. ولا يخفي على أهل العلم سبب إنعقاد المجالس الأكاديميّة اللغويّة في أكثر عواصم أوروبّا وخاصّة باريس ولندن لأنّ أنوار المعارف والعلوم قد إنتشرت في القرون الأخيرة في ممالك أوروبّا وقد وجد العلماء هنالك اللغات السائدة مضطربة وقواعد الإنشاء والتدوين والتأليف فاسدة عليلة لذا عقدوا مؤتمرات من كبار رجال العلم والأدب وبنوا أسساً لهذه المجالس من حيث أعضائها وأوقاتها وشروطها وآدابها على أساس ثابت راسخ متين وبذلوا جهوداً في تنقيح اللغات وتحسينها وبدّلوا القواعد القديمة الجافة إلى قواعد لطيفة جديدة وأزالوا كثيراً من الحروف والحركات والإعراب الذي كان أستعماله واجباً في السابق ووضعوا قواعد بيانيّة في التدوين والخطابة وطبّقوها حتى إكتسبت اللغات الأوروبيّة حلاوة جديدة وزالت الخشونة والقواعد السقيمة القديمة مرّة واحدة وبلغت فصاحة الكتّاب والخطباء وبلاغتهم منزلة سامية ودرجة عالية بحيث يمكن القول بأنّ القواعد الحديثة للّغات الفرنسيّة أو الأنكليزيّة أو الألمانيّة لا تشابه بأيّ وجه من الوجوه القواعد

والقوانين التي كانت قبل خمسمائة سنة، فكيف الحال بألف سنة أو ألفي سنة ["**مما لا يُرْسَلُ الكلامَ فيه جُزافاً إلاّ المغفّلون والجهّال**"].

لاحظوا اللغة العربيّة مع أنّها لغة الدين الإسلامي المقدّسة كيف غَيَّرَتْ صروف القرون والأدوار قوانينها وأساليبها. ومجمل تطوّرات هذه اللغة هو أنّه لما طُوِيت شوكة قبائل عاد وثمود وطسم وجديس المعروفة بالعرب البائدة بإرادة الحيّ القدير القاهرة جلّت عظمته وبعد أن إنقضى كذلك الدور الثاني للأمّة العربيّة المعروفين ببني قحطان وإنتقلت رئاسة الأمّة العربيّة إلى بني عدنان من أولاد إسماعيل والمعروفين بالعرب المستعربة وظهرت من أنباء عدنان المذكور قبائل كثيرة وأفخاذ عديدة أمثال أغار وأيار ومضر وظهرت من مصر كنانة وقريش وغيرها مما هو معروف لدى المؤرّخين وسكنوا أنحاء شبه الجزيرة العربيّة وحيث أنّه لم يكن للّغة العربيّة التي تعرّضت خلال هذه الفترات والأدوار إلى تغييرات طلاوة وسلاسة تأسّس قانون اللغة قبل ظهور الإسلام عن طريق إجتماع الشعراء والفصحاء في كلّ سنة في مواسم خاصّة وفي أسواق عامّة أمثال سوق عكاظ وغيره وكان الخطباء في هذه الأسواق يلقون الخطب البليغة والشعراء ينشدون القصائد الجزلة ويتناظرون في المسائل اللغويّة ودقائق القواعد الشعريّة حتى زالت قليلاً الخشونة والإضطرابات السابقة من اللغة وبلغت الفصاحة والبلاغة في القبائل الجاهليّة منزلة سامية، فلمّا ظهر الإسلام وإتّسعت الفتوحات الإسلاميّة ودخل الإسلام أمم كبيرة مثل الفرس والخزر والترك والهنود وغيرهم ونالوا مناصب مهمّة في الدولة وفي الدين وفي العلوم وإستلزم هذا الإختلاط طبعاً إضطراباً في مباني اللغة قام العلماء والأدباء مخافة سرعة تغيير اللغة ومخافة إضمحلالها بتدوين اللغة العربيّة وتأسيس قواعد العلوم الأدبيّة وألّفوا عدّة مؤلّفات في هذه العلوم حتى يصونوا بقدر الإمكان اللغة الفصحى من سرعة التبدّل والتغيير، ومع ذلك لم تنقضي بعدُ ألف سنة من الهجرة النبويّة إلاّ وتغيّرت اللغة العربيّة تغييراً كلّياً وشاعت (العربيّة العاميّة) وهي تخالف اللغة القديمة مخالفة تامّة من جميع الوجوه بحيث لم يعد أحد في هذه الأيام سواء العلماء والعوام الجهال والفضلاء إلاّ ويتكلّمون اللغة العاميّة ولا يستعملون اللغة القديمة إلاّ في التأليف بل أوجبوا إستعمال اللغة العاميّة في بعض أقسام الشعر كالزجل والموّال والدوبيت. وإنّ نظم هذا النوع من الشعر باللغة القديمة يحرمه من السلاسة والرقّة. وخلاصة القول لم يمض أكثر من ألف وثلثمائة وخمس عشرة سنة على الهجرة حتى أصبح حال اللغة العربيّة بين المسلمين كحال اللغة العبريّة عند اليهود واللغة السنسكريتيّة عند الهنود. وقد حُفظت اللغة العربيّة بسبب كونها لغة الدين الإسلامي ولكنّها لم تعُد تُستعمل عند العرب في حديثهم. فيُفهم من هذا أنّه لو تمرّ ألفا سنة او ثلاث آلاف سنة على اللغة العربيّة أين سينتهي بها الأمر نتيجة التغييرات التي هي من

مستلزمات الأمور الاعتياديّة؟ وهذه القضيّة تتّضح للذين يتحمّلون مشاقّ السفر ويطّط لمعون على التغييرات الطارئة على اللغة العربيّة بل على جميع الأمور الإعتياديّة لا الذين هم جالسون في زاوية الخمول ومتشبّثون بعادات ألف سنة أو ألفي سنة ماضية، وإذا قُقُلْتَ لأحدهم بحكم الآية الكريمة: "قُقُلْلْ سِـ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَفَـانْظُرُوا كَكَيْفَـفَ كَكَـانَ عَاقِبَـةُ الـذِينَ مِمِـنْ قَقَبْـ ـلُ كَكَـ ـانَ أَكْكْثَرُهُمْ ـمْ مُمُشْـ ـرِ ـرِ كِكِينْ "[256] أن يخرج بضعة أيام من زاوية الخمول وينظر قليلاً في الآثار والعادات السابقة كيف تغيّرت ثم يوسّع نظره قليلاً ويطّلع على الحقائق الراهنة ويصبح بصيراً في مجاري الأمور فإنّه يتذرّع بالعجز ويتلو مرثيّة المسكنة والفقر وكأنّه يعتبر الخالق القدير والعياذ بالله عاجزاً مثل عجزه عن السفر. ولو أنّ الأشخاص الذين ينظرون بنظر الحقيقة إلى الآية المباركة: "وَوَمَا أَرْسَلْنَا مِمِنْ رَسُولٍ إِلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ "[257] فإنّهم لا شكّ يدركون منها بأننا مأمورون من عند الله بحكم هذه الآية الكريمة أن نقرّب لغتنا من اللغة السائدة بين الناس ونتكلّم بلغة أشبه باللغة العاميّة مع المحافظة على الرقّة واللطافة التي هي من صفات بيانات مظاهر أمر الله وشمول الفصاحة والبلاغة التي هي من مزايا عبادات مطالع حكم الله حتى ينال الجميع نصيباً من فضله وينجذبوا إلى كلماته اللطيفة وينالوا حياة من كلماته المحيية لا أن نتكلّم باللغات القديمة ونتحدّث بالقواعد القديمة التي يحتاج فهمها إلى الترجمة ويختلف الناس في فهم كل جزءٍ من أجزائها ويتوقّف إدراكها كما ينبغي ويليق على حشر الأموات الذين ماتوا قبل ألفي سنة. ومجمل القول إنّ المقصود من ذكر هذه المواضيع هو بيان خطأ ما تصوّره أرباب الأوهام من أنّ القوانين أبديّة ولا يجوز تغييرها أبداً.

12. في بيان سعة دائرة قدرة وإختيار مظاهر الحقّ جلّ جلاله ومطالع إبداعه وإختياره وذكر مثال على تغيير اللغات كلمة (آغاي) التركيّة المغوليّة مع كلمة (خاوند) الفارسيّة قد مُسحت ثلاث مرّات وتغيّرت حتى أصبحت كلمة (آخوند) وتعني الفقيه:

---

[256] الروم: 42

[257] ابراهيم: 4

في الوقت الذي يجوز فيه لعلماء اللغة وأدبائها تغيير القواعد القديمة ووضع قوانين في الكتابة والتدوين تلائم الرقّة والسلاسة لماذا يمتنع إجراء هذا على الأنبياء والمرسلين؟ ولماذا يُسلب هذا الإلإ ختيار من مظاهر أمر الله؟ بل إنّ الإنسان لو ينظر بنظر التحقيق ليرى أنّ الأنبياء والمرسلين هم مظاهر قدرة الحقّ جلّ جلاله ومطالع إبداعه وإختياره عزّ شأنه ومع ذلك فإنّ هذه النفوس الواهمة غير الفاهمة تضيّق دائرة إختيارهم وإقتدارهم عليهم السلام بحيث أنّ ما تراه ممكناً وفي حيّز قدرتها وإقتدارها تعتبره مستحيلاً وخارجاً عن حيّز قدرتهم عليهم السلام وإختيارهم. فمثلاً لو حكم مجلس تشريعي في أوروبّا بتحريم بيع الرقيق فإنّهم يستحسنون ذلك جميعاً ويرونه في منتهى الإحسان ومن عجائب الترقّيات البشريّة وتطوّرات المدنيّة، وكذلك مثلاً لو يحلّل الفقهاء أرباح النقود باسم الهبة أو باسم الإتّفاق الذي هو عين الربا ومخالف لصريح كلام الله فإنّ الجميع يستحسنونه ويعتبرونه من دقائق المدارك الفقهيّة وكذلك لو أحلّ علماء ما وراء النهر شرب الخمر باسم المثلّث الشرعي ونسخوا آية التحريم وأشاعوا شرب المسكّرات فإنّهم يتقبّلون ذلك بكلّ رضاء وإرتياح وكذلك لو بدّلت المجالس الأكاديميّة جميع القواعد اللغويّة ووضعت قواعد جديدة في التدوين فإنّ الجميع يعتبرون ذلك إرتفاعاً إلى مستوى الذوق البشري وإلى منتهى الكمال الإنساني، ولكن لو غيّر أحد مظاهر أمر الله حكماً من الأحكام أو لو جاءت كلمة "الصابئون" في القرآن بدلاً من "الصابئين" أم لاحظوا عبارة تخالف أذواقهم السقيمة فإنّهّهّم جميعاً يطلقون أَلْسِنَةَ الإنتقاد ويصيحون "واديناه! واحرباه!" وبعبارة أخرى لا يعتبرون هذه النفوس المقدّسة مختارة في هذه الأمور فمثلاً نفس كلمة (آخوند زاده) التي هي لقب شرف جناب شيخ الإسلام، لاحظوا إنّ كلمة (آغاي) التركيّة وكلمة (خاوند) الفارسيّة قد طوتا ثلاث مراحل مدّة ستّة قرون حتى أصبحتا كلمة (آخوند) لأنّ عادة الكتّاب الفرس حتى القرنين السادس والسابع كانت جارية على تفخيم عظمائهم فيعظّمونهم بكلمة (خداوند) وهذه العادة باقية إلى يومنا هذا بين المسلمين في الهند ثم خفّفوها في القرنين الثامن والتاسع إلى كلمة (خاوند) وبعد مدّة بدّلوا كلمة (خاوند) إلى (خوند) وكانوا يدعون عظماءهم شفهيّاً وكتابيّاً بهذه الكلمة وبعد إستيلاء الأتراك المغول على إيران دخلت كلمة (آغا) إلى اللغة الفارسيّة ثم بُدِّل (الغين) إلى (قاف) وأُدمجت بكلمة (خوند) فنتج عنها كلمة (آخوند) التي تطلق اليوم على العلماء والفقهاء. ففي هذه الحال هلاّ يسأل أولو الإدراك من نفس هؤلاء الفقهاء أنّنّيه بأيّ دليل جاز لأرباب الأقلام أن يمسخوا الكلمات هذا المسخ ويتصرّفوا باللغة هذا التصرّف بينما مظاهر أمر الله يجب أن يحكم

عليهم بإتّباع كلّ أعمى أخفش وتقليد كل عَمِهٍ[258] أعمش "أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ "[259]؟ "سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ "[260] و"بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ "[261].

نعم إنّ عدداً من الأدمغة الجامدة القديمة والحديثة التي تتّصف بصفات اليهود تسعى بكل جهدٍ في حفظ العادات القديمة ولا ترضى بتغيير العادات والآداب والشرائع والأحكام ولكن حاشا للقدرة القاهرة والقوّة الباهرة مبدعة العالم ومنشئة الأمم جلّيت قدرته وجلّيت عظمته أن تعتني بميول أهل الهوى وهي القوّة التي ألبست العالم في كل قرنٍ لباساً جديداً وزينت الدنيا بدين بديع وحاشا لهذا أن تنصرف عن تجديد العالم كما وعدت بذلك في جميع الكتب المقدّسة أمام نعاق الناعقين وتشكيكات المرتابين. [فسوف ترى عوائد المستكبرين زائلة وقواعدهم ساقطة وأصواتهم خافتة وأبصارهم شاخصة وأعناقهم واقصة وترى الأرض بإذن الله بارزة بآثارها الجديدة زاهرة بالعوائد القويمة زاهية نامية بالطرائق المستقيمة] "لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا. وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا"[262].

وخلاصة القول فقد كان مقصودنا من إطالة البحث في هذه المسألة هو بيان هذه النكتة الدقيقة حتى يدرك أولو الألباب سبب إعجاز الكلام الإلهي وينظروا إلى أصل الدليل والبرهان وأن لا يحتجبوا بالعادات والقواعد الركيكة التي هي دوماً في تغيير وتبديل عن مقنن القوانين وشارع الشرائع ويضعوا هذه النقطة نصب أعينهم دائماً وهي أنّه ما دام المنكر والمكذب واقفاً موقفه من الإنكار والتكذيب فمن المستحيل أن ينظر إلى كلمات صاحب الأمر بغير نظرة الإنتقاد والاعتراض أو يتكلّم بلغة غير لغة الكلام الخشن البذئ كما لم تنقطع انتقادات اليهود على الإنجيل المقدّس ولم تنقطع انتقادات النصارى على القرآن المجيد وسوف لا تنقطع هذه الانتقادات من لسان المكذّبين على هذا الأمر العظيم كذلك، بحكم الآية الكريمة: "كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ " وسوف لن يكون هلاك السابقين سبباً في إنتباه اللاحقين. ألم ينسب المكذّبون للقرآن الجنونَ إلى خاتم النبيّين؟ وألم يقولوا عن ذلك العقل الجامع: "أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ "[263]؟ ففي هذه الحال لا عجب أن يترنّم اليوم مكذّبو البيان والإيقان

[258] [عمِهٍ = متردي في الضلال. يا ابن العماء = العماء السحاب المرتفع او الكثيف الممطر [المنجد

[259] الصافات: **149**

[260] الأنعام: **136**

[261] الاعراف: **139**

[262] طه: **107–108**

[263] الصافات: **36**

بنفس الأغنية ويتكلّموا بنفس اللهجة لأنّهم كلّهم إنطلقوا من ميدان واحد وإرتبطوا بعمود واحد ، فذَرْهم يخوضوا ويلعبوا ويمرحوا ويرتعوا حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

13. في بيان مدائح بعض كبار علماء الأمّة العربيّة وفصحائها وتصديقهم لعلوّ مقام صاحب الأمر:

فلمّا إتّضحت هذه المسألة المهمّة من جميع الوجوه وثبت وتبرهن فساد إنتقاد جناب الشيخ بالأدلّة الواضحة أرجو الآن من مطالعي هذه الصفحات أن يتأمّلوا قليلاً في النقطة التالية وهي أنّه في الوقت الذي فيه يقيم شارع هذا الأمر الأعظم في مركز الفصاحة والبلاغة العربيّة ويجالس كبار العلماء والفصحاء والبلغاء ومشاهير الكتّاب والمؤلّفين ولم ينتقد واحد منهم فصاحة وبلاغة بياناته المباركة ولم يطلقوا ألسنتهم إلاّ بالحمد والثناء عليه، ما أقبح أن يقوم على إنتقاد بياناته المباركة أعاجم سائر البلاد الذين لم يسافروا إلى البلاد العربيّة ولم يختلطوا بفصحائها وليس لهم حظّ ولا نصيب من مناحي الفصاحة والبلاغة! ثم إنّهم يقدّمون انتقادات هم على ألواحه المقدّسة من دون شواهد. وبلغ التهاون بالمكذّبين بيوم الله إلى درجةٍ أنّهم إذا شاهدوا سهواً من الناسخين نسبوه إلى صاحب الأمر. والأعجب من كلّ هذا ينتقدون من خضعت لفصاحته رقاب العجم والعرب بأوهام أطفال المدارس وينظرون إلى آيات حضرة ذي الجلال بنظر الأطفال. وأتذكّر أنّ أحد المدرّسين في مدينة سمرقند الذي يشغل منصباً في التدريس في مدرسة كوركان يشبه منصب قاضي القضاة في تفليس لما قرأ الآية المباركة في صدر أحد الألواح المقدّسة قوله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي نَزَّلَ الآيات لِقَوْمٍ يَفْقَهُونْ" قال بعد قراءتها بكلّ زهو وغرور: "إنّ هذه الآية خطأ" فقلت: لماذا؟ فقال: "لأنّ كلمة التسبيح تُقال عندما يشاهد الإنسان أمراً عجيباً أو يسمع بحادثة غريبة وإلاّ فإنّ قول هذه الكلمة بدون هذا السبب غير جائز وذكرها في غير هذه المناسبة خارج من قانون الفصاحة" وكان أثناء قراءة كلمة (سبحان الله) يغلظ صوته ويرفع يديه إلى محاذاة أذنه الشريفة حتى يوضح طريقة النطق بكلمة التسبيح ويزيدها فصاحة وبلاغة. وتجاه هذا الموقف لم ير هذا العبد أمراً أحسن من السكوت وتركه في عالمه الذي هو فيه. إذ من الواضح لدى أولي العلم أنّ من أصعب الأمور تفهيم أصحاب الجهل المركّب ومن أصعب الأمور معارضته المتخلّقين بأخلاق طلاب المدارس. ولولا وجوب إطاعة من له الأمر الذي ليست معارفي المعروضة إلاّ قطرة من بحر كرمه وليست هذه الأنوار الفائضة إلاّ من شمس عنايته فإنّ هذا العبد لن يفتح باب المناظرة مع إناس بعيدين عن مراتب الفصاحة والبلاغة ولا يكتب بقلمه في هذه المقامات. ولكنّ عنايته الواسعة ورحمته الشاملة إقتضت

أن تزول أستار الشبهات الكثيفة وشكوك الأمم الماضية من جميع الجهات وأن تخرج من وراء الحجاب وجوه الحقائق الناضرة مبتسمة في جميع المواضيع. نعم إنّ الغافلين في تلك الأنحاء ينتبهون إلى ركّة أقوالهم عندما يسافرون إلى الأقطار العربيّة ويطّلعون على جهلهم باللغة العربيّة عندما يختلطون بفصحاء العرب ساعة واحدة بالرغم من أنّ العبارات العربيّة التي كتبوها في رسالتيهم تكفي أولي العلم والفضل شاهداً على مقدار علمهم بالعربيّة. ونفس الآيات الشريفة التي إستشهدوا بها في رسالتيهم المغلوطتين برهان قويم على مبلغ إرتباطهم بالقرآن الشريف.

وها إنني أدرج في هذه الصفحات بعض بيانات فصحاء هذا العصر وعلمائه وقصائد شعراء هذا العصر التي أنشدوها في مدح هذا الذات الأقدس وأطلقوا اللسان فيها بالثناء على محامد وجوده المقدّس حتى يدرك أولو الألباب أيّ مقام وجّه إليه جهّال تلك الأنحاء النقد والاعتراض وكيف فضحوا أنفسهم لدى أولي العلم. أليس من الغريب أن يخضع في هذا المحضر الأقدس قروم وصناديد الفصاحة والبلاغة وأعلام الأدب وأئمّة العلم ويثنون على وجوده المقدّس بجميع أوصاف الكمال وينتقد الجهال في العربيّة كلماته البليغة ويعترض المجرمون من الفصاحة والبلاغة على بياناته الرشيقة؟ ["**ذلك من عجائب ذا الزمان**"].

فقد نقل الشيخ مهدي الأزهري في العدد التاسع من أعداد مجلّة (الهداية) المؤرّخ في غرة ذي القعدة سنة (1314) هجريّة مقالة كتبها جناب الفاضل المولوي وقال فيها: "طالما كان سمعي يتشوّق وفؤادي يتشوّف لرؤية رجل جوّاب للأقطار سوّاح في الأمصار أرتاحُ لمسامرته وأسرُّ بمسايرته كما يصفو لي الدهر في أرض مصر حتى ساعدتنا العناية بملاقاة رجل الفضل[264] وأفضل الرجال وكمال العلم وعلم الكمال بحرٌ تتلاطم بالحكمة أمواجه ويفيض من تاريخ العصور عذبه لا أجاجه فرأيت إسمه طابق مسمّاه فسألته عمّن إبتسم به ثغر العلم وشُرِحّ صدرُ الأدب: بابُ العدل والفتوح والنصر لكلّ ذي روح مولانا (عباس) أطال الله بقاه: هل شاهد شمائله وحلاه؟ فقال هو أشهر من ذلك ولكنْ بلّغني معارفه وعلاه، فقلت: لم أره غير مرّةٍ بها سَبَرْتُ بخده وغوره. أغنتني رؤيته عن رؤية سكان نصف الربع المسكون من هذه البسيطة. بحرٌ لا ساحل له، يتفجّر العلم من جوانبه وتنطق الحكم والسياسة من نواحيه. إستفدت منه بالجلسة الواحدة ما لم أستفده من غيره بسنين، حتى دعاني وجداني أن أقول بمسمعٍ من حضرته حفظه الله أبياتٍ تُعرِب عن بعض أنموذج أوصافه، وها هي مقدّمةً بين يدي قرّاء مجلّتنا الكرام:

---

[264] يقصد ابي الفضائل مؤلّف هذا الكتاب

مِمِتَنَنَ الصِّ ـصِّبَبَا نَنَشَـشَقَقَ أَلْلْمُمُشْـشْتَتَاقُقُ أَنْنْفَفَاسَـسَ ا أَنْنْسَـسَاهُهُ
طِطِيـــــــــــــبُ شَ ـــــــــشَـذَذَاهَهَا الرَّرَّنْنْـــــــــدَ وَوَالآسَـسَ ـــــــ سَ ا
فَفَظَظَلَّ يَيَسْسْأَلُلُ عَعَنْنْهَهَا وَوَهُهُوَوَ فِي فَفَرَحٍحٍ فُفُؤَادَدُهُ إِذْذْ
أَذْذَ ـــــــــــــلرَتْتْ مِمِنْنْـــــــــــــهُهُ بَبَرِّرِّسَـسَ ـــــــــــــ سَ ا
فَفَأَخْخْبَبَرَرَ القَقَلْلْـبُ عَعَنْنْهَهَا أَنَّنَّهَـهَا عَلِقَـتْ بِبِطِطِيـبِـبِ
عَعَكَّكَّـــــــــقَةَ حَحَتَّتَّـــــــــقَّ جَ جَلَلَـــــــــتْـتْ أَلْلْبَبَاسَـسَ ـــــــ سَ ا
فَفَسَـسَارَرَ مُمُمُمُمُمُ تَتَطِطِيـاً مَقْقَنَـتْنَتْنَ البِبِحَـحَارِرِ لَهَلَهَلَهَـلَ ا فِي
سُـ ـــــفِنِ شَـ ـــــشَوْوْقٍ وَوَيَدَ ـــــ ا لِلّهِ ـــــلّهِ مَمَ ـــــ ا قَقَاسَـسَ ـــــ سَ ا
عَعَلَلَـى هَهَـنْـدِيٍ حِحِيـنَ يَـنَ أَرْسَـسَاهَهَا بِبِسَـسَاحِحِلِلِهَهَا لَهَلَهَلَهَـلَ ا
اقْقْتَتَـنَـنَى ـــــــ ى مِ مِ ـــــ نْنْ حِحِبَبَ ـــــالِلِ الـــــرَّأْيِي أَمْمْرَاسَـسَ ـــــ سَ ا
فَفَأَمَّمَّهَهَا سَسَـايِيراً مِمِنْنْهَهَا أَكَكَابِبِرُرُهَهَا قَقَوْوْمٌ جَجَلِجِلِجِسْسْمِمِ
الْلْمَمَعَعَ ـــــــــالِيِلِي أَصْ ـــــــــ صْ بَبَحُحُوا رَرَاسَـسَ ـــــــ سَ ا
فَفَكَكَـــــــهُمْمْ قَقَضَ ـــــ ضَـ ى لَلَيْيْـــــلَلَ أَفْفْرَرَاحٍ بِبِسَـ ـــــسَاحَتِتِهِهِمْمْ
تَتَرَشَّـــــــفَـفَ مِمِ ـــــ نْنْ أَذْذْوَوَاقِقِهِهِ ـــــــ هُمْمْ كَكَاسَـسَ ـــــ سَ ا
كَكَـــــهُمْمْ جَجَلاَ خُخُطَطَـــــبَـبَ عُعُسْرٍ ـــــ سْرٍ فِي مَمَرَرَابِعِهِهِ ـــــهُمْمْ
وَوَأَسْـ ـــــسْ تَتَبْبْدَدَلَ الْهَلْهَلْ ـــــمَّ بِبِ ـــــالتَّتَوْوْفِيقِقِ أَعْعْرَرَاسَـسَ ـــــ سَ ا
وَوَبَبَيْنَنَهُهُمْمْ شَـشَامُمُ ثَثَغْغْرِرِ الفَفَجْجْرِرِ مُمُبْبْتَتَسِـماً مُمُطَطَأَطَـأَ
الـــــــــرَّأْسِ يَيَنْنْحُحُ ـــــــــو الشَّ ـــــــــشَّهْهُمُ عَعَبَّبَّاسَـسَ ـــــ سَ ا
مَمَوْوْلًى حَحَسِـيبٍ نَنَسِـيبٍ ثَثَابِتٍ حَحَذِذِ رٍ لَمْ لَمْ لَمْ لَمْ يَيَبْبْتَتَدِىِ
بِبِسَـ ـــــــــسَدِيدِدِ الـــــــــرَّأْيِي جَجَلاَّسَ ـــــــــ سَ ا
كَكَ ـــــهُمْمْ مُمُشْ ـــــشْكِكِلٍ حَحَلَّ ـــــهُهُ وَوَقَقَ ـــــادَدَ فِطِطْنَنَتِتَ ـــــهُهُ
وَوَبِالْهَلْهَلْدَايِيَ ـــــقِةِ أَصْ ـــــصْ نَنَفُفُ ـــــ الـــــوَوَرَى سَسَاسَـ ـــــ سَ ا
كَكَـهُمْمْ رَرَوَّحَحَ القَقَلْلْـبَ بِبِالبُبُرْرْهَـانِنِ مَمَشْـشْهَهَدُدُهُهُ مُحَمُحَمُحَـ ا
الضَّـــــــضَّلالَلَ وَوَأَمْمْسَ ـــــ سَى يُيُرْرْشِ ـــــ شِدُدُ النَّنَّاسَـ ـــــ سَ ا
عَعَلَلَيْيِـهِهِ ثَثَوْوْبُـبُ ووَقَقَـارٍ لا يُيُفَفَـارِرِقُقُهُهُ إِذْذْ لَمْ لَمْـ لَمْ لَمْ
يُخَيُخَيُخَـ ـــــاطِطِرْرْ بِبِ ـــــهِهِ فَفَحْحْـشَ ـــــ اً وَوَأَدْدْنَاسَـ ـــــ سَ ا
فَفَرَّجَّ عُ البَبَهَهَـ ـــــاءِءِ مَمَصْ ـــــصْدَدَرُرُ العِعِزْزْفَفَـ ـــــانِنِ مَمَ ـــــوْوْرِرِدُدُهُهُ

قُقُطْطـــــبُبُ الجَلالِلِ بِبِـــــمِهِ قَقَـــــدُّ العَلا مَمَاسَـــــسَ ا
أطَالَلَ مِمِنْنُهُ بِبِبَابِ العَعَنْدلِلِ مَمَوْوَقِقِفُفُهُ فَفَظَلْلَّ

يَيَرْرَشِـــــشِفُفُ مِمِـــــنْنَ آرَرَائِئِهِ كَكَاسَـــــسَ ا
مَمَوْوْلايَي خُخُنْذُ مِمِدَحاً مَمَا شَشَابَبَهُ غَرَضٌ بَبَلْلَ قُقُلْلْتُتُ

حَحَقِقِّـــــاً بِبِبِبَـــــا فِفِكُكُـــــمْمْ فَفَلا آسَـــــسَ ا
أجْجْرَرَيْيْتِ عَعَنِّيَنِّي نِظَظَامِمِي في مَمَدَدَائِئِحِحِكُكُمْمْ فَفَكُكُلْلُّ

قَقَلْلْـــــبٍ لَهَلَهَلَهَـــــا قَقَـــــدْ بَبَـــــاتَتَ قُقُرْرْطَاسَـــــسَ ا
لا زِزِلْلْتُتُمُ و ذَذَخْخْرَرَنَا في كُكُلِّلِّ نَنَائِبَبَةٍ وَوَفي مَمَنِيـــعِعِ

ذُذْرَرَكُكُـــــمُمْ تُتُـــــدْ فَفَعُعُ البَبَاسَـــــسَ ا

فلاحظوا أنّ جناب الفاضل المولوي وهو من مشاهير فصحاء هذا العصر تشرّف بالحضور المبارك في مجلس واحد ومع ذلك فإنّه قال: "أغنتني رؤيته عن رؤية سكان نصف الربع المسكون من هذه البسيطة. بحرٌ لا ساحل له يتفجّر من جوانبه ... وإستفدت منه بالجلسة الواحدة ما لم أستفده من غيره بسنين حتى قال دعاني وجداني أن اقول بمسمعٍ من حضرته هذه الأبيات" وهي كما رأيت تدلّ على مقدار ناسج بردها وناظم عقدها.

وأنشد الفاضل البليغ كاتب السريرة القصيدة التالية:

بِبِبِبِمَدْحِحِ ذَذَاتِتِكَ أضْضَحَحَتْتْ تَتَزْزْدَدَهِهِي الكَكَلِلِمُمُ وَوَلا يَيَفِفِي

حَحَـــــقِّقَّ مَمَـــــا تَتَسْـــــتَتَوْوْجِجِبُبُ القَقَلَلَـــــمُمُ
أنْنْتَتَ اللّذِذِي في نُنُهَهَاكَكَ العِلْلْمُمُ مُمُ دَخَرٌ وَوَبَحْبَحْرُرُ

فَفَضْـــــضْلِلِكَكَ فِفِيـــــهِهِ الْمَمَـــــوْوُجُ يَيَلْلْتَتَطِطِـــــمُمُ
لَلَمَّمَّا تَتَسَرْرْبَبَلْلْتَ بُبُرُدَدَ العِزِّ مُمُزْزْدَدَهِهِياً أضْضْحَحَى

بِبِرَرْبْعِعِـــــكَكَ شَمْـــــشَمْشَمْلُلُ الْمَمَجْجْـــــدِدِ يَيَلْلْتَتَئِئِمُمُ
سَمَسَمَسَمَوْوْتَ يَيَا بْبْنَنَ بَبَهَهَاءَ اللّٰهِ مَمَنْنْزِزِلَلَةً عَعَقْقْلاً وَوَنَنَقْقْلاً

وَوَفُفُقْقْـــــتَ النَّنَّـــــاسَسَ كُكُلّلُّهُهُـــــمُمُ
أنْنْتَتَ البَبَهَهَا وَوَابْبْنُنُهُ يَيَا حُحُسْسْنَنَ تَتَسْسْمِمِيَيَةٍ مِمِنْنْهَهَا

غَغَـــــدَدَتْتْ ظُظُلُلُمَمَـــــاتُتُ الجَجْلْجَجَهْهْـــــلِلِ تَتَنْنْهَهَـــــزِزِمُمُ
يَيَا طَطَيِّيِّبَبَ الأصْصْلِلِ مُحْمُحْمُحْمُودَدَ الخِخِلْخِخِصَصَالِلِ وَوَمَنْ

أجْجْـــــلَدَادَدُهُ الْمَمَجْجْـــــلُدُ وَوَالأَعْظَظَـــــامُ وَوَالكَكَــــرَرَمُ

إنَّ الَّلَّذِينَ لِفَضْضْلِ مِمِنْكَكَ قَقَدْ جَجَحَجَدُوا فِي أُذْنِنِ

كُكُـــــلُّ لَّ فَقَقِيـــــــهِ مِمِنْهُهُـــــــمُمُ صَـــــــصَمَمُمُ

هُهُمْ يَجْيَجْيَجْيَهَلُوْنَ مَقَقَاماً أَنْتَتَ حَحَائِزُزُهُهُ أَنْتَتَ ابْنُنُ

صَـــــصَاحِبِـبِ هَهَـــــذا الـــــــوَوَقْتِ لَلَـــــوْوْ عَعَلِمُمُـــــوا

لَلَّمَّـا رَرَأيْتُتُـكَكَ يَيَـا عَعَبَّاسِسَ مُمُتَّشِـشِحاً ثَوْبَـب

الكَكَمَـــــــالِ وَوَبِـــــــالإِجْلالِ تَتَشَّـــــــسِمُمُ

وَوَبَابُـبُ فَضْـضْلِكَكَ مَمَفْتُوحٌـحُ لِقَاصِـدِهِهِ وَوَجُـودُدُ

كَكَفَّيْـــــكَكَ مِمِنْـــــهُهُ تَخَتْخَتْجَجَـــــلُ الـــــدِّ يَمَمُ

وَوعِنْـدَكَكَ الـدِّيْنُنُ وَوَالـدُّنْيَا قَقَـدِ اجْتَمَعَعَـا وَوَ فِي

جِجِـــــوَوَارِكَكَ يُرْعَعَـــــى العَعَهْـــــدُ وَوَالـــــذِّمَمُ

أَيْقَقَنْتُتُ أَنَّكَكَ خَخَيْرُرُ الخَلْقِ قَقَاطِبَةً وَوَخَيْرُرُ

مَـــــنْ أَصْـــــصْبَحَحَتْ تَتَسْعَعَـــــى لَلَـــــهُ قَقَـــــدَمُ

وَوَقُلْتُتُ مَمَـا بَشَـشَرٌ هَهَـذا وَوَلا رَرَجُـلٌ لَكِكِنَّهُهُ

مَلِـــــكٌ تَتَـــــاهَتْ بِبِـــــهِ الأَمَـــــمُ

مَـوْلَلِيَّ أعَـادَ فِخَـارَ الأَوَّلِينَ وَوَقَـدْ أَقَـامَ

لِلْمَمَجْـــــدِ صَـــــرْحاً لَيْسَ يَنْهَهَـــــدِمُ

قَقَدْ كَكَانَ لِلْعُرْبِ حَحَقٌّ فِي الفَخَخْرِ قِقَدَمٍ وَوَالْيَوْمَ

بِبِـــــهِ اهَتْـــــتْ أَعْرَرَابُـــــهَا العَعَجَجَـــــمُ

أَعْطَظَيْتَهُمْ بِبِـهِ بِطَبِطَـلاً أكْكَرَمْ بِبِـهِ رَجُـلاً أَفْعَعَالُهُ

غُـــــرَرٌ أَقْوَالُهُ حِكَـــــمُ

فَأَقَقَتْ مَمَعْـرِفُهُ عَعَمَّتْ عَعَوَارِفُهُ لا حَحَتْتْ

لِطَائِفَـــــةٍ تَتَزْهُو وَوَتَنْتَشِـــــرُ سِمُمُ

شُمُوسُـــــهُ سَـــــطَعَعَتْ أَقْمَـــــارُهُ طَلَعَـــــتْ

آيَـــــاتُهُ لَمَمَعَـــــتْ فَأَنْجَحَـــــابَتِ الظُّلَـــــمُ

يُزَيِّنُهُ كَكَرَمٌ لا دَفَتْتْ بِبِـهِ أَلْأُمَمُ فِي كَكَفِّهِ

زَنْغَـــــمٌ فِي سَـــــيْفِهِ نِقَـــــمُ

إنِّي نِّيِّنِّيَ قَ قَرَأَرَتُتُ التُّتُّقَقَى فِي وَوَجْجْهِهِ مِهِ سُسُوُوراً آيَيَاتُتُ حَحَقٍّقٍّ

بِصُـــــــــــــــصُحُحُفِـفِ الْمَمَجْجْـــــــــــــلِدِ تَتَرْرْتَتَسِـــــــــــــسِمُمُ

مَمَنْنْ رَرَامَمَ قَقَرْرْناً لَلَهُهُ هَهَيْيْهَهَاتَتَ يُيُدْدْرِرِكُكُهُهُ مَمَا كُكُلُّلُّ مَمَـا

طَـــــــــــــارَرَ فِي جَجَـــــــــــــوِّوِّ العُعُلا رَرَخَـــــــــــــمُمُ

يَيَا كَكَوْكَكَباً تَتَخْخَتَتَجِجِـلُلُ القِقِمَمَـارُرُ طَلْلْعَعَتَتَـهُهُ وَوَيَيَـا

سَـــــــــــــسَحَحَاباً عَعَطَطَايَيَـــــــــــــاكَكَفُّفُّـــــــــــــهُهُ نِنِعَعَـــــــــــــمُمُ

قَقَدْدْ شَشَرَّرَّفَفَ اللّٰهُهُ قَقَوْوْماً أَنْنْتَتَ سَسَيِّيِّدُدُهُهُمْمْ يَيَا مَمَنْنْ بِبِهِهِ

امْمْتَتَـــــــــــــزَزَتْتْ الأَقْقْـــــــــــــدَدَارُرُ وَوَالقِقِيَيَـــــــــــــمُمُ

أُهْهْدِيدِيكَكَهَهَا كَكَلِلِمَمَاتٍتٍ فِيفِكَكَ صَصَادِدِقَقَةً وَوَلَلَسْسْتُتُ

أَنْنْشُـــــــــــــشُدُدُهَهَا مِمِـــــــــــــنْنْ شَـــــــــــــشَحْحْمِمِهِهِ وَوَرَرَمُمُ

قَقَصِـصِيدَدَةٌةٌ بِبِنْنْتُتُ لَلَيْيْـلِ قَقَدْدْ حَحَـوَوَتْتْ دُدُرَرَراً فَفَرَرَائِئِداً

بِبِسُـــــــــــــسُلُوُكِكِ الفَفَخْخْـــــــــــــرِرِ تَتَنْنْتَتَظِـــــــــــــمُمُ

زَزَفَّفَّتْتْ إِلَيْيْكَكَ قُقُرُوُمُمُ الْمُمُهْهْـرِرِ عَعَـنْنْ ثِقَقَـةٍ مُمُهْهْـرُرُ

الْتَتِفَفَـــــــــــــاتٍتٍ وَوَعَعَطْطْـــــــــــــفٍ أَيُّيُّـــــــــــــهَهَا العَعَلَلَـــــــــــــمُمُ

مَمَوْلايَيَ لا أَبْبْتَتَغِغِي إِلاّ رِضِـضَاكَكَ جَـزاً وَوَعُعُـرُرُوْوَةُ الـرِّرِقِّقِّ

عِعِنْنْـــــــــــــدِدِي لَلَيْيْـــــــــــــسَسَ تَتَنْنْفَفَصِـــــــــــــصِمُمُ

إِنِّي نِّيـنِّيَ فَ فَتَى مَمَـدْحُ أَهْهْـلِلِ الفَفَضْـضْلِلِ شِـشِيمَمَتُتُهُهُ وَوَلَلَيْيْسَسَ

يَيَـــــــــــــدْدْرُرُكُكُنِيِنِي فِي مَ مَـــــــــــــدْدِحِهِهِمْمْ هَهَـــــــــــــرَرَمُمُ

أَقُقُولُ ذَذا وَوَبِبِعَعَجْجْزِزِي جِجِئْئْتُتُ مُمُعْعْتَتَرِرِفاً أَرْرْجُجُوكَكَ عَعَفْفْواً

أَيَيَـــــــــــــا مَمَـــــــــــــنْنْ طَطَبْبْعُعُـــــــــــــهُهُ الْحِلْحِلْمُمُ

لا زِزِلْلْتَتَ فِي ذُذُرْرُوَوَةِ العَعَلْلْيَيَاءِءِ مُمُرْرْتَتَقِقِياً بِبِالعَعِزِّزِّمِمِ وَوَالْحِلْحِلْمِمِ فِي زَزَمْمِ

الأَرْرْضِـــــــــــــضِينِنِ تَتَحْحْتَتَكِكِـــــــــــــمُمُ

وَوَدُدُمْمْتَتَ تَتَرْرْفُفُلُلُ فِي ثَثَوْوْبِبِ الْهَهَنَنَا عَعَجَجَباً مَمَا رَنَّحَنَّحَتْتْ

فِي رَرَوَوَابِبِي رَرَوْوْضِـــــــــــــضِكَكَ النَّسَـــــــــــــسَمُمُ

وأنشد الفاضل البليغ أمين فارس مدرّس المدرسة الإنجيليّة في سوريّة القصيدة التالية في التهنئة بعيد الصيام في حضور مولى الأنام سمّاها (بهاء الثناء):

أفْفِـلَدَى مُمُهَهـاةً رَرَأَيْيْنَنَـا مِمِـنْنْ مَمَعَعَانِيهَهـا   بَبَـلْدْراً وَقِمْشَمْشَمْ ـسـاً

سَمَـــسَمَسَمَتْتْ تَتَـــاهُهُ النُّنُهَهَـــى فِفِيهَهَـــا

لَلَمْمِيَيَاءُءُ مِمِـنْنْ آلِ قَقَحْحْطَطَـانَانَ لَلَقَقَـدْدْ خَخَلَلَبَبَـتْتْ   لُلْبِجِي بَي

مُحَمُحَمُحَاسِـــسِنِهَهَا بَبَـــالرُّرُوحِ أفْفْـــلِدِيهَهَا

هَهَيْيْفَفَـاءُءُ تَتَزْزْرِرِي بِبِغَغَضِّ ضِّ البَبَـانِ قَقَامَمَتَتُهَهَـا   تَتَكَكَـادُدُ رِرِيحُحُ

لِصَـــصِبَبَا كَكَالغُغُصْـــصُنِنِ تُتُثْثْنِيهَهَـــا

حَحَسْـسْنَنَاءُءُ لَلَوْوْ نَنَاجَجَتِـتِ النُّنُسَّسَّاكَكَ لاحْحْتَتَرَرَمُمُوا   طِطِـبَبَـبَ

الكَكَـــرَى وَوَنَنَسُـــسُوا تَتَنْـــسْبِيحَحَ بَبَارِيهَهَـــا

وَأَصْصْ بَبَحُحُوا هِيمـاً فِي حُحُسْـسْنِهَهَا أَبَبَـداً   يَيَتْتَلُلُونَنَ آيَيَاتَتِ

حُحُسْـــسْنٍ مِمِـــنْنْ مَمَثَثَانِيهَهَـــا

نَجْنَجْ لاءُءُ فَفَـاتْتْرَرَةُ الأجْجْفَفَـانِ إنْنْ نَنَظَظَـرَرَتْتْ   تُتُعْمَمَـي

قُقُلُلُـــوبَ الـــوَوَرَى طُطُـــرّاً وَوَتُتُغْغْرِيهَهَـــا

اللهُ أَكْكْبَبَرُرُ قَقَـدْدْ جَجَـاءَءَتْتْ كَكَبَبِيِّنَنَـةٍ   لِلْلْكَكَـافِرِينَنَ

عَعَلَلَـــى أَوْوْصَـــصَافِفِ مُمُبْبْـــلِدِيهَهَا

فَفَإنَّنَّهَهَـا آيَيَـةٌ فِي الحُحُلْحُحُسْـسْنِ أَبْبْـدَعَعَهَهَا الْلْ   مَمَـوْلَى

فَفَكَكَبِّبِّرْرْ وَوَقُقُـــلْلْ سُـــسُبْبْحَحَانَ مُمُعْعْطِيهَهَـــا

(إلى أن قال)

قَقَـدْدْ زُرْرْتُتُهَهَـا وَوَالقَقَنَنَا غَغَابٌ تُحَتُحُحِيطُـطُ بِهَهَـا   وَوَاللَّيْيْلُلُ وَوَاجٍ

وَوَأُسْـــسُدُ الغَغَـــابِ تَحَتَحْتَحْمِيهَهَـــا

فَفَحِـينَنَ زَرَزَحْزَحْـتُتُ سُـجُفَ الخُخِلْخِلْ بِيْمَمَـتِهِ انْنْكَكَشَـشَفَفَتْتْ

شَمْـشَمْشَمْسُ تُتُنِيرُيرُ الـــدُّدُجَى مَمَـا الشَّـــشَمْسُسُ تَحْتَحْتَحْكِيهَهَـــا

فَفَعَعَـانَقَتْ أسَـسَداً مِفِيهِيَّ وَ وَمُمُلْلْتُتُ عَعَلَلَـى   غَغَزَزَالَـةٍ

مَلأتْتْ أَبْبْصَـــصَارَرَ رَرَائِيهَهَـــا

ثُمُثَمَّـــثُمَّ انْنْتَثَنَيْيْتُتُ عَعَفِفِيـــفَ العُعُـــرْرْضِ مَمَـا جَجَنَحَحَـتْتْ

نَفْنَفْسِـــسِي إلى مُمُنْكَكَـــرٍ بِبِـــاللُّؤْمِ يَيَرْرْمِيهَهَـــا

وَوَجِـلْلْـــتُتُ أشْـــشْهَهَدُ أنَّ الحُحُلْحُحُسْـــسْنَ أجْجَمْجَمَ عَعَـــهُ

لَلَــــــــــهُ العُلَلَـــــــــــى بِبِعُلُلُــــــــــوٍّ وٍّ في أعَاالِيهَهَــــــــــــا

شَشَهْهُمْ أبُبُوهُ بَبَهَاءُءُاللّٰهِ فِفِيهِ بِهَبِهَبِهَ ا مَمَنَاقِبُبُ نُنُورِرِ

شَمْــــــــــــــــــــــــشَمْشَمْ سٍ لا يُضَــــــــــــــــــــــاهِهِيهَهَا

ذُذُ و رِرِفْفْعَةٍ مِمِنْنْ بَيَخِيِي الأعْ عْجَجَامِمِ مَمَ ا رُرُفِفِعَعْتَتْ مَمَنَنَزِلِزِلُ

الْلْمَمَجْجْــــــــــــــدِ إلاَّ ووَهُهُــــــــــــــوَ بَبَانِنِيهَهَــــــــــــــا

حَحَبْبْرُرُ الفَفَضْــــضَائِلِ بَحْبَحْبَحْــــرُرُ الفَفَضْــــضْلِلِ لَلَــــوْوْ عَعَقِقِلَلَــــتْتْ

بَحْبَحْبَحْ لَرُرُزَنَــــــــــالجَلجَلجَلِ تَنَتَتِــــــــــيهِ الــــــــــدُّ دُرُرٌ أيَيَــــــــــلِدِيهَهَا

تَتَاجُجُ الكِكِرَرَامِمِ فَفَرِيدُدُ العَعَصْصْرِرِ مَمَا حَحَظِيَتْتْ بِبِبِبِبِشِشِلِلِهِ

الخَلخَلخَلْ لَلْــــــــــقُقُ دَدَانِنِيهَهَــــــــــا ووَقَقَاصِــــــــــصِيهَهَا

قَقَـلَدْ شَـشَادَدَ في صَـصَنْدْرِرِهِ لِلْلْفَفَضْـضْلِلِ أبْبْنِنِيَيَـةَّةَ شَـشَمُّمُ

الجِلجِلجِلْ بَبَــــــــــالِلِ الرَّرَوَوَاسِــــــــــسِي لا تُتُسَــــــــــسَاوِوِيهَهَا

لَلَـهُهُ مَمَنَنَايَارَاتِتِ عِعِلْلْمٍمٍ في الجُجُحَـحَى سَـسَطَعَعَتْتْ تَمَتَمْتَمْحُحُـ و

الجَلجَلجَلْ هَهَالَلَــــــــــقَةَ مِمِــــــــــنْنْ أذْذْهَهَــــــــــانِنِ أهْهْلِلِيهَهَــــــــــا

ألْلْعَلَمُلَمُلَمُ العَعَامِمِلِلُ الْلْمُمُبْبْدِدِي لَلَنَنَا دُدُرَرَاً في النَّنَظْظْمِمِ ووَالنَّنَثْثْرِرِ

قَقَــــــــــلَدْ جَجَلَــــــــــتْتْ كَكَمُمُنْنْشِــــــــــشِيهَهَا

أقْقْوَوَالُلُهُ حِحِكَكَمُمْ أفْفْعَعَالُلُهُ نِعَـمُمْ آرَرَاؤُؤُهُهُ أنْجُجُمُنْجُمُ

ضَــــــــــــــــــــــضَاءَتْتْ لِلِرَرَائِئِيهَهَــــــــــــــــــــــا

أقْقْلامُمُهُ مَمَاثَثَلَلَتْتْ أسْسْيَيَافَفَهُ فَفَكِكِلا هُمُهُمُهُمُ ا يُبِيبِيدُدُ

صُـــــــــــــــــــــصُعُعُوبَبَاتِتِ ووَيَيُفْفْنِنِيهَهَــــــــــــــــــــــا

في شَشَخْخْصِصِهِ الدِّلِيِنُنُ ووَالدُّدُنْنْيَيَا قَقَلِدِ اجْجْتَتَمَمَعَعَا أوْوْصَـصَافُفُ

ألطَلَــــــــــافِفِيهِ رَرَاقَقَــــــــــتْتْ كَكَحَحَاوِوِيهَهَــــــــــا

لِلِعَعَكَّكَةَ اليَيَوْوْمَمَ حَحَقَّقَّ التِّتِيهِ مِمِنْنْ طَطَرَرَبِ لأنَنَّهُهُ قَقَلَدْ

ثَنَــــــــــــوى أسْمَــــــــــــسَمْسَمْ ى مَمَثَثَاوِوِيهَهَــــــــــــا

لَلَوْوْلا الـذي تَتَرْرْهَهَـبُـبُ الأفْفْلاكُكُ سَـسَطْطْوَوَتَتَهُهُ لَقَقُلْلْتُـتُ ذَذَ ا

ابْبْنُنُــــــــــنِ إلَلَــــــــــهِ جَجَــــــــــلَّ تَتَشْــــــــــشْبِيهَهَا

فَفَاسْـسْعِدْ بِبِعِيِـدِ حَحَبَبَاكَكَ اللهُ بَبَهْهْجَجَتَتَـهُهُ ووَاقْقْبَبَلِلْ

مُمُعَعَايَيَــــــــــلَدَةً بِلِشِّشْعْرِرِ أهْهْــــــــــلِدِيهَهَا

وَوَ لَرْتَتَعْ بِجَبِجَبِجَ تَّآتِتِ سَرَسَعْدٍ في أجَجَ لِرعِيهَا تَجْتَجْتَجْتَجَ رِبِي نُنُهُورٌرٌ

صَـــــــــصَفَفَتْ دَدَامَهَ ـــــــــتْتْ مُجَمَجَمَجَ لِريهَا ـــــــــ ا

وَوَجَجَ دِّدِّدِ اللْمَمَجْجَ لَدَ مَمَ ا الأعْعَيْـادُدُ عَعَ ائِئِدَةٌةٌ وَوَاقْقْطِطَفَـفْ

ثِمْثِمْثِمْ ـــــــارَ الهَهُلهُهَ ـــــــا رَرَاقَق ـــــــتْتْ مُجَمَجَمَجَ انِيهَا ـــــــ ا

فَفَالعِعِيدُدُ لَلَوْلاكَ لَمْ لَمْ لَمْ تَحْتَحْتَحْسُسُنْ مُحَمُحَمُحَاضِضِ رُرُهُ وَوَالنَّنَاسُ

لَلَ ـــــــوْوْلاكَ لَمْ لَمْ ـــــــ لَمْ لَمْ تَتَشْ ـــــــ شْرُرِ فُفْ أَرَاضِ ـــــــ ضِيهَا ا

خُخُجِنْذُهَا عَعَرُوسَ قَقَرِيضِ لَمْ لَمْ لَمْ تُتُلاقِق كَكَفِي إلاّ عُعُلاكَ

عَعَلَلَيْيْ ـــــــ ـلِكَ الفِفِكْكْ ـــــــ رُرُجَجَ الِيهَا ـــــــ ا

مَمَ ا زِزِلْلْتُتُ أمْمْنَنَعُعُهَا عَعَمَّمَنْنْ يُضُ صَاهِهِرُنِي نِي فَفَأهْهْ لَدَ أ

بِبِعَعَ ـــــــ لَنْذُ رَرَاءِءِ فِفِكْكَ ـــــــ رِي جَجَ ـــــــ اءَءَ يَيَهْهْ ـــــــ لِدِيهَا ا

فَفَاسْ سْلَلَمْهْ وَوَدُدُمْهْ في الوَوَرَى كَكَالشَّ شَّمَمَسِ مَمَ ا قَقَلِلِيَتْتْ آيَاتُتُ

حَحَ ـــــــ قِقِّ هَهَهَهَ ـــــــ جِجَ الحُحُلحُلحُسْ ـــــــ سْنِنِ تَتَالِيهَا ـــــــ ا

وفي سنة (1309) هجريّة عندما سكت صرير القلم الأعلى بتقدير الحيّ القدير وركد نسيم الجنّيّة العليا وصعد إلى المقرّ الأقدس في الأفق الأعلى مُنزل الكتب وشارع الشرائع، أنشدَ أحدأ المسلمين وصلحائه المعروف بالحاج محمّد أبو الحلق القصيدة الغرّاء في مناسبة المصيبة العظمى وأوفدها إلى الحضور الأقدس حضرة مولى الورى أضاء الله بضياء غرّته آفاق الأرض والسماء، ومن المعروف لدى المسلمين في بلاد الشام أنّ هذا الفاضل في منزلة رفيعة من الزهد والورع بحيث لم يمدح أحداً من أولي الجاه واليسار طمعاً بماله أو خوفاً منه وهذه هي قصيدة تعزيته الغراء:

يَيَا مَمَنْ تَتَسَامَمَى بِبِالْمَمَعَ لِرِفِ وَوَالنُّهُهَى وَوَسْسْتَأسَسَرَرَ

العُعُقَقَلاءُءُبِجِبِجِبِجِ كَكْمَمَ ـــــــ قِةِ عَعَقْقْلِلِ ـــــــ بِهِ

لا يَخْيَخْيَخْفَفَ عَعَلَلْيَاكَ التي سَمَسَمَسَمَتِتِ اللْمَمَ لا فِفِهْهْ مما

دُتُقْقْ ـــــــ رُرّ الكَكَائِئِنَنَ ـــــــ اتُتُ بِبِفَفَضْ ـــــــ ضْ لِلِهِ

إنَّنَّ الـوَوَرَى جَجَ نَنَذَعَعَتْتْ عَعَلَلَى فَفَقْقْدِدِ (البَبَهَهَ آ) جَجَزْزَعا

تَتَزَزَعْزَعْعَ ـــــــ ـتِتِ القُقُلُلُ ـــــــ وبُبُ لِهَلِهَ ـــــــ وْوْلِهِ

قُقُطُ ـــــــ بُبْ تَتَبَبَرْرَزَخ فَفَاسْ ـــــــ سْتَتَوَوَى فَفَوْوْقَ السَّ ـــــــ سَّمَمَ آ

لاهُهُ ـــــــ وتُتَهُهُ كَكَيْيْمَمَ ـــــــ ا يُيُعَعَ ـــــــ ادُدُ لِأَلِأَصْ ـــــــ ضْ لِلِهِ

وَوَلِلْتَذَا بَبَكِيْتُتُ دَدَماً عَعَلَى العِلْلْمِمِ الـذي مَمَا عَعَ ادَدَ

يَيَأْتِيْنَنَ ـــــــــا الزَّمَمَ ـــــــانُنْ بِمِبِمِبِمِثْلِلِـــــــهِ

وَوَأَتَيْتُتُ فِي نَظْظْمِمِ الرِّرِثَاءِءِ مُعْعَتَزِّياً وَوَمُمُنْذَكِّرَاً إِنِّي نِّي

أَقُقُ ـــــــولُلُ لِأَلِأَلِأَهْلِلِـــــــهِ

صَبْبَرَاً عَ عَلَلَى هَهَذا الْمُمُصَصَابِ وَوَإِنْ يَيَكُكُنْنُ شَ شَمُمُ

الرَّوَوَاسِ ـــــــسِي لا تَتَقُقُ ـــــــومُمُ بِجَبِجَبِجَمْمِلِـــــــهِ

فَلَصَّ ـــــــصَبْبَرُرُ أَجْجَ ـــــــمَدَرُرُ بِبِ ـــــــالخُلْخُلْخُطُوبِ مَمَكَكَانَنَ ـــــــةً

حَحَتَّتِّ ـــــــتِّ وَ وَأَلْلَيَ ـــــــقُقُ بِبِالْفَفَقِيِ ـــــــدِ وَوَنَنَسْ ـــــــسْلِلِهِ

وَوَلَرُرُبَّبَّ يَيَوْمِمٍ فِيـــهِ قَقَدْ عَعَظُظُمُمَ البَلا وَوَرَرَمَمَ ى

قُقُلُلُ ـــــــوبَبَ بَنِي ـــــــنِي الكِ ـــــــرَامِ بِبِنُنُبْلِلِـــــــهِ

فَفَلْيُكْكِثِرُونَنَ مِمِنَنَ التَّتَأَسِّي دَدَائِئِمَاً بِمُمُصَصَابِ

مَمَ ـــــــنْنْ خُلِلِ ـــــــقَقَ الوُجُجُ ـــــــودُدُ لِأَلِأَجْلِلِـــــــهِ

وفي تلك الأيام التي طوَت فيها أنامل القضاء دفتر اللقاء وتلت أمّ الكتاب آية الأياب إلى مقرّ الغيبة والإغتراب نظم أمين زيدان أحد فصحاء الأمّة النصرانيّة هذه القصيدة الغرّاء في هذه المصيبة العظمى والرزيّة الكبرى وعرضها في الحضور الأقدس الأعلى وهذه هي قصيدته الغراء:

يَيَا إِمَمَامَمَ الهُهُدى وَوَنُورَرَ البَبَهَهَاءِءِ أَيُّيُّ لَلَفْفْظِ

يَيَفِفِيكَكَ حَحَقَّقَّ العَعَزَزَاءِءِ

لَلَيْتَتَ شِشِعْعْرِي مَمِنْنْ لِي لِي بِ بِلَلَفْظِظِ يَيُّيِّ يِّي فِفِيهِهِ

تُرْتُرْ ـــــــى عَعَلامَمَ ـــــــةُ الأَنْبِبِيَ ـــــــاءِءِ

سَسَيِّدٌ كَكَانَنَ بَبَعْثُتُهُ لِلْلْبَبَرَرَايَا خَخَيْرَرَ غَغَوْثٍثٍ

مِمِ ـــــــنْنْ وَوَاسِ ـــــــعِ الآلاءِءِ

بَبَثَّثَّ رُوحَحَ الرَّرَشَشَادِدِ بِالخَلْخَلْخَلْقِ طُطُرّاً هَهَادِدِ يا

لِلْلْحَحَقِيقَقَ ـــــــةِ الغَغَ ـــــــرَّرَّاءِءِ

وَوَمُمُنْذْ اسْسْتَتَكْكَمَمَلَ الرِّرِسَالَلَةَ فِفِيهِهِمْمْ صَصَعَعَدَتْتُ

رُوحُحُ ـــــــهُ لِأَلِأَعْلَلَ ـــــــى السَّ ـــــــمَمَاءِءِ

ظَظَهَهَرَتْتُ مُمُعْعْجِجِزَزَاتُتُهُ تَتَتَالأْلأْ بَبَيِّيِّنَنَاتٍتٍ

كَكَالْلبَدْرِ في الظُظُلَلَمَاءِ

فَفَاهْهْتَتَدَدَى كُكُلُّلُّ عَعَاقِقِلٍلٍ بِبِسَنَنَاهَهَا وَوَأَحَحَاطَطَ

الضَّضَلاَلُلُ بِبِالجُلْجُلْجُلْجُهَهَلاءِ

هَهَكَكَذَا الشَّشَمْمُسُسُ لا يَيَفُفُوتُتُ ضِضِيَاهَهَا غَغَيْيْرُرُ

وَوَغْغْدٍ ذِذِي مُمُقْقْلَلَةٍ عَعَمْمْيَيَاءِ

عَعَرَرَفَفْتُتُ فَفَضْضْلَلَهُهُ الْلمُمُلْلُوكُكُ وَوَخَخَرَّرَّتُتْ

نَحْنَحْوَوَهُهُ سُسُجَّجَّداً بِبِدُدُونِنِ رِرِيَيَاءِ

وَوَاعْعْتَتَرَرَى الأَرْرْضَضَ هَهَزَّزَّةٌةٌ يَيَوْوْمَمَ أَوْوْدَدَى فَفَهَهَوَوَتْتُ

حُحُزْزْنَاً أَنْجُجُنُمُمُ الجَلْجَلْجَلْوْزَزَاءِ

وَوَبَبَكَكَى الفَفَضْضْلُلُ فَفَقَقْدَدَ أَعْعْظَظَمِمِ كُكُنِنِ مِمِنْنْ ذَذَوِوِيهِهِ

الكِكِرَرَامِمِ وَوَالفُفُضَضَلاءِ

وَوَعُعُيُيُونُنُ السَّسَخَخَاءِ سَسَحَحَتْتُ عَعَلَلَيهِهِ أَدْدْمُمُعاً مِمِثْثْلَلَ

فَفَضْضْلِلِهِهِ بِبِالسَّسَخَخَاءِ

مَمَنْنْ يُيُرَرَى بَبَعْعَدَدَهُهُ لِلرَرَفْفْدِدِ اليَيَتَتَامَامَى وَوَغِغِيَيَاثِثِ الفَفَقِقِيرِيرِ

وَوَالضُضُّعَعَفَفَاءِ

وَوَإِذَذَا مَمَا الشَّشَمْمُسُسُ النَّنَيِّيِّرَرَةُةُ غَغَابَابَتْتْ لَلَنَنَا مَمَنْنْ

بَبَعْعَدَدَهُهُ بِبِنَنَشْشْرِرِ الضِّضِيَيَاءِ

هَهَانَنَ وَوَاللهِ بَبَعْعَدَدَهُهُ كُكُلُّلُّ خَخَطْطْبٍبٍ وَوَتَخَخَيَّيَّرْرْنَنَا

الْلمَمَوْوْتَتَ فَفَوْوْقَقَ البَبَقَقَاءِ

يَيَا عُعُيُيُونَنَ القَقَرِيرِضِضِ سُسُحِّحِّي عَعَلَلَيهِهِ بَبَدَدَلَلَ

الحِلْحِلْحِلْبِرْبِرِ أَدْدْمُمُعاً كَكَالدِّدِّمَمَاءِ

غَغَابَابَ مَمَنْنْ كَكَانَنَ لِلنُّنُبُبُوَّوَةِ أَهْهْلاً غَغَابَابَ مَمَنْنْ

كَكَانَنَ (كَكَعْعْبَبَةُةُ الفُفُضَصَحَحَاءِ)

فَفَكَكْتَتَسَسَى العِلْلْمُمُ بَبَعْعَدَدَهُهُ بِجُبِجُبِجُ لَدَدَادٍدٍ وَوَارْرْتَتَدَدَى

بِبِالسَّسَوَوَادِدِ خَخَيْيْرَرَ رِرِدَدَاءِ

مَمَا تَتَأَخَّخَّرَرْتُتُ عَعَنْنْ رِرِثَثَاهُهُ لِلعُعُذْذْرٍ غَغَيْيْرَرَ دَدَاعِعِي

الآسَسَى وَوَفَفَرْرْطِطِ البُبُكَكَاءِ

(إلى أن قال)

أَنْنْتِـَتَ مِمِنْنْهُـمْمْ وَوَفَفَوْوْقَقَهُهُـمْمْ يَيَا مَمَلاذِذِي بِبِعُعُلُلُومِمِ
وَوَحِـكْـكْمَمَ ____________ قِةٍ وَوَذَذَكَكَ ____________ اء
وَوَلِهَلِهَ لِـلَذَا فَفَلا يَيَلِيلِـقُـقُ بِبِيِبِشْثْلِلِـيَ أَنْنْ يُيُعَعَزِّزِّـكَـكَ فِي
مَمَقَقَ ____________ امِمِ الرَّرِّنَنْ ____________ اءِءِ
أَنْنْـتِـتَ أَدْدْرَرَى مِمِتَّـتَّـا وَوَأَوْوْسَـ سَعُعُ عِعِلْلْمـاً فِي حَحَيَيَ اةٍ
مَمَصِ ____________ صِ يِيرُرُهَهَا لِلِلْلْفَفَنَنَ ____________ اءِءِ
مَمَ ـا مُمُثْثُ وِلِيلِي أَمَ مَ ـامَمَ عَعَرْرْشِشِـ شِكَـكَ إِلاَّلاَّ لِأَلِأَدَ دَاءِءِ
الفُفُ ____________ رُوُضِـضِ بَبَعْعْ ____________ ضَـضَ الأَدَدَاءِءِ
فَفَإِذَذَا مَمَا سَـسَلِلِمْمْتَـتَ لِلِـدَّهْهْرِرِ ذُذُخْخْرِراً سَـسَلِلِمَمَ الـدَّهْهْرُرُ
مِمِ ____________ نْنْ خُخُطُطُ ____________ وبِبِ اللَّبَلاءِءِ

وكذلك في أيام افول شمس الهدى وسكون حفيف سدرة المنتهى أنشد الألأ ديب المجيد (جاد عيد من خيرة شباب الملّة الفخمة المسيحيّيّة في المحضر المبارك بحضور قاضي عكّاء والمرحوم على أفندي المفتي الأزهري وجماعة من أعيان البلدة كلمة في الرثاء هي من عيون النثر الفاخر ثمّثمّ قدّم إلى الحضور الأقدس الأعلى نسخة منها وهذه هي كلمته:

"تنازل يا مولاي يا فخر الندى وأمير المكرمات وتقبّل من مفتون آدابكم عباراتٍ يبعُدُ نُطقها عن رقيق معانيكم كبُبُعد الأرض عن نور السماء. حاول أن يأتي على ذكر صفة من صفات مولاكم الجليل وسيّدكم النبيل وبدركم الساطع وكوكبكم اللامع. حاول أن يصف خطباً ذهلت لديه بصائر أولي الحكمة وحارت عقول أصحاب العلم والفهم:

خَخَطْـبٌ أَلَمَّ أَلَمَّ بِبِكُكُـلِّلِّ قَقَطْطْـرِرٍ نَنَعْعْيَيَـهُهُ كَكَـادَدَتْتْ لَلَـهُهُ
شِـ ____________ شِيَيَمُمُ الجِجِلْجِلْبَبَ ____________ الِ تَتَزُزُولُ

حاول أن يصف مصيبة كسفت لها شمس الضحى وأفل بدر المكرمات وكبا زناد المجد وإنفصمت عُرى العلياء وشُوّه وجه الحزم والعزم وغاضت ينابيع المعارف وتنكّرت سبلها وإقفرّت ربوع المسرّة ودُدُ رست معاهدها. حاول أن يصف خطب فقيد تقوّضت لمنعاه الأضالع وإرتجّت لوقعه القلوب

وأُستكت المسامع فشاهدنا الكرامة تندب حظّها والسيادة تبكي حامي ذمارها والعلى يؤبّن إبن نَجْدَته والجود يرثي راعي حرمته.

حَحَتّىّتّىّ خِ خِلْلْنَنَا مِمِنَنَ الأَسَسَى كُكُلِلَّلَّ طِطِفْفْلِلٍ نَنَائِئِحاً قَقَبْبْلَلَ أنْنْ
يُيُتِتِ ـــــمّ الرِّضّ ـــــضَاعَاعَ ا

وقام مفتونو بهائه يبكونه عدد إنعامه وعدله وهبّت قلوب أبنائهم تنتحب عليه بمقدار ما زرع فيها من حبّه وفضله. كيف لا وهو الراحل الذي تولّت المكرمات برحيله والواعظ المرشد الذي هداهم بواسع علمه وجزيل فضله. فأيّ آثاره لا يندبون بعده وهم لا يطلبون محمدةً وعدلاً إلاّ وجدوهما عنده. أآثار علمه التي خزنها في صدورهم؟ أم واسع فضله الذي شمل به كبيرهم وصغيرهم؟ أم أثيل مجده وجزيل حكمته؟ أم عظم نبله وشريف كرامته؟ ولسنا بعد رياسته عنّا وعلوّ مقامه ورفعة شأنه لنستطيع الإتيان بجزءٍ من الواجب في تعداد صفاته وحسناته ولو جمعنا في رثائه جميعَ ما قيل في الدنيا من رثاء الملوك والأمراء وأفاضل الناس فلا محاسن فضله تدرك ولا مآثر عدله تُعدّ ولا فيوض مراحمه توصف ولا غزارة مكارمه تُحصر ولا كرم أعراقه ككرم أعراق الناس. فإنّ كلّ هذه الصفات التي كان فيها آية الله في خلقه لم تكف بوصف بعثته الشريفة فهو الإمام المنفرد بصفاته والحبر المتناهي بحسناته ومبرّاته، بل هو فوق ما يصف الواصفون وينعت الناعتون، الراحل الذي لم يترك للناس زاداً غير أكباد ملتهبة ودمعٍ مصبوب فكيف يسوغ وصفَ من جلّيت صفاته عن التغيير بل كيف يليق أن يُخزن الدمعُ بعد فَفَقْقْدِ هذا السيّيّد الخطير ولقد:

جَمْجَمُجَمُجَمُ ـــلَدَ الْلْمَمَ ـــاءُءُ رُرُعْعْبَبَ ـــةًةً وَوَلرْرْتِتِيَيَاعـــاً وَوَجَجَ ـــرَرَى
الصَّ ـــــصَّخَخَرُرُ أَنَنَّ ـــــةً وَوَالْلْتِتِيَيَاعَاعَ ـــــا
وَوَضِضِ يِيَاءُءُ لَهَلَهَلَهَنَنَا اسِسْتَتَحَحَالَلَ ظَظَ لامـاً وَوَإلى الْلْمَمَحْحْ وِوِ
مُمُطْطْلَلَقَ ـــــاً قَقَ ـــــدْدْ تَتَ ـــــدَدَاعَاعَ ا
مُمُنْنْذْ هَهَوَوَى مِمِتَنْنْ أَعَعَالِيلِي الفَ فَضْضْلِلِ طـودٌ رَرَاسِسِخُخٌ جَجَ لَوَوَزَ
السِّ ـــــمَمَاكَكَ ارْرْتِتِفَفَاعَاعَ ـــــا

وإنا لنجلّ هذا البدر عن أن يغور في القبور وهذا النجم أن يبيت تحت الثرى. إنما هو نجمُ بهاءٍ لم يكن لينتقل إلاّ في بروج سعده ويقترن بمنازل عزّه ومجده.

حَحَاشَـشَا عُعُلاهُهُ مِمِـنَنَ الْمَمَمَمَاتِـتِ وَوَإِنَمَنَمَّا ـا   هِهِـيَيَ نَنَقْقَلَلَـةٌ
فِفِيهَهَ ـا الْمُمُنَىنَى وَ وَالسُّ ـسُّؤَّلُ

ولقد ناداه من أحبّبِّه فأجاب بعد أن ترك آثاراً تُذكر متمّما بعثته الشريفة وبعد أن أوجد في هذا الوجود معادن لطفٍ وجودٍ كفي بوجودهم عزّاً وشرفاً. فسيادتكم مولاي وأشباله الكرام أصحاب المآثر الحميدة تجدّدون بنور حكمتكم وعلمكم ما سنّه نجم بهائكم المتنقّل في بروج مجده وإنْ أحزنَكُمْ وأحزنَ الجميع بنقلته فقد سَرَّ ملائكَ دارِ النعيم حيث مقرّره السعيد.

فتقبّل أيها السيّد السند من عاجزٍ عن إدراك سرّ معجزاتك ومقصّر عن إداء حقّ الواجب نحو كرامة عنصرك أنت يا من زرعت في قلوبنا بذور المحبّة واستملتنا بكلّيتنا إلى عشق صفاتك: مراسيم التعزية التي نجهل والله كيف يليق الإتيان بها. فباهرُ علمك وواسعُ حلمك يدركان سرّ قصورنا وتقصيرنا. أدام الله بقاءكم وحضرات إخوتكم الكرام بالعزّ والإسعاد" (الفقير جاد عيد سنة 1892).

وفي سنة (1313) هجريّة لما كان كاتب هذه الكلمات مقيماً في بلاد سوريّة نظم يعقوب بن بطرس اللبناني من بني غانم وهو قسّيس فاضل لغويّ في الأمّة النصرانيّة ومقيم في مدينة عكّاء الأبيات التالية التي قدمها إلى الحضور المبارك وتفضّل بنسخة منها إلى هذا العبد للذكرى:

مَمَا بَيْنَيْنَ لُبْنَانٍ وَكَرْمِلَ بَبَهْجَةٌ   فِفِيهَا مَمَقَامُمُ بَبَهَـاءِ
ذِذِي الألاءِ
السَّـسَّيِّدُ الْمُمُخْتَتَـارُ مُمُصْـصْبَاحُ الْهُهُدَى   وَوَبَبَهَـاءُ
شَمْـشَمْسِ حَحَقِقِيقَقَـةِ الاسْـسْمِ اءِ
فِفِيهَـا ابْتِهَـاجُ قُقُلُوبِ أَتْتْبَـاعٍ لَلَـهُ   وَوَجَلاءُ أَبْصَـصَارٍ
وَوَنَيْـلُ رَرَجَاءِ
بِبُوُجُوهِ طَطَـابَتْ مِمِيَاهُهُ وُوُرُودِهَـا   وَوَكَـا هَهَـوَا عَعَكَّـاءَ
وَوَالأَرْجَاءِ

وفي هذه الأبيات إشارة إلى ظاهرة تأثير الوجود الأقدس الأبهي في مدينة عكّاء لأنّ هذه البلدة كانت معروفة برداءة مائها وهوائها وملوحة مياه آبارها ونتانة هوائها الموبوء حتى أصبحت سجناً للعصاة على الدولة ومنفي للمحكومين بالسجن المؤبّد في الحكومة. وكان الأهالي فيها دائماً مبتلين

بأمراض مزمنة وهم صفر الوجوه نحاف الجسوم من أثر الهواء الفاسد فيها. وعندما أصبحت هذه المدينة مكان إقامة الوجود الأقدس غدت مياهها المالحة حلوة وتحوّل هواؤها الموبوء نقيّاً بحيث صار هذا القسّيس النصراني الذي لا تقلّ رئاسته في الأمّة النصرانيّة عن رئاسة جناب الشيخ في الأمّة الإسلاميّة يذكر هذه الألطاف والمواهب المبارطة بدافع الإنصاف ولم يرض بكتمان هذه الكرامة وإنكار هذه المحمدة مثل أكثريّة المتعصّبين.

[وفي العام الماضي لما إنتشر نعي الملك المرحوم ناصر الدين شاه طيّب الله مثواه وبلغ خبر هذه الحادثة الهائلة إلى القاصرة المعزيّة حاضرة الممالك المصريّة قابلتُ يوماً من تلك الأيام حضرة الفاضل خليل أفندي مطران كاتب جريدة (الأهرام) وصاحب التصانيف المشهورة والرسائل المأثورة وتجاذبنا أطراف الحديث وتغلغل بنا الكلام في تاريخ حياة هذا الملك الهمّام حتى انتهى إلى حوادث ظهور البابيّة وكيفيّة نفي بهاء الله من مدينة دار السلام إلى مدينة عكّاء من ثغور الشام فلمّا إطّلع بخفايا هذه الحوادث ودخائل هذه الكوارث بدت على وجهه آثار الإندهاش وظهرت على جبينه إمارات الإنذهال فبقي برهة من الزمان ناكس الرأس متغرّرقاً في بحار الفكر ثم رفع رأسه وقال: "يا أبا الفضل ما أنا من السذاجة والغباوة بدرجةٍ أعتقد إنّ إنساناً يصعد إلى السماء أو هبط منها ولكنّي أرى فضل الرجال في محامد الصفات وعظائم الأعمال وأنا تربّيت في الممالك الأوروبيّة ورضعت لبان المعارف في مدارسها الكليّة ورأيت فيها من أعاظم الفلاسفة وكبار الرجال من تُضرب به الأمثال وتُشدّ اليه الرحال. وقبل أن يساعدني الدهر بالمثول بين يدي هذا السيّد العظيم والوفود على جنابه الكريم كنت معتقداً بأنّ أفضل رجال العالم علماً وفضلاً وكرامةً هم فلاسفة أوروبّا ونخبة هذه القطعة المنوّرة الذين بهم تحرّرت الأمم وإنقشعت غيوم الجهالة والإستعباد عن أفق العالم. ولكن بعد أن سُرُّ عدت بلقاء بهاءالله ورأيت فيه من العلم والفضل والوقار والمهابة وجمال الصورة وفصاحة اللسان وحبّ الخير لنوع الإنسان على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ما لا يفي اللسان حقّ وصفه، فلا فلاسفة أوروبّا وعلماء أمريكا بل ولا أحد السابقين وأولي العزم من الأنبياء والمرسلين بلغ هذا المبلغ من جميل الصفات وكريم الأخلاق وجليل الخلال وطيب الأعراق. ولقد دار بيننا من الحديث ما لو أفصحنا عن بعضه لتنصدع منه قلوب المكابرين وتنشقّ مرائر المتعصّبين وتندكّ جبال أوهام المتوهّمين، وقد أُدرج في تلك الأيام طرفٌ منها في أعداد (الأهرام) وثارت به عواصف الأحقاد الكامنة في صدور اللئام].

وخلاصة القول فقد ثبت مما أوردناه من أقلام كبار العلماء والفصحاء والمؤلّفين من أفاضل المسلمين والنصارى بل من بعض الفلاسفة والحكماء الذين تشرّفوا بالحضور المبارك وشاهد كل واحد بعينه أمواج بحر معارف ذلك الوجود الأقدس أنّ أولي الإنصاف يستطيعون أن يدركوا كيف أنّ أقوال أولئك البلهاء الذين لا نصيب لهم من الفصاحة ولا حظّ لهم من العربيّة ولا تشرّفوا بالحضور المبارك بعيدة عن الحقيقة وينقصها ميدان العدل والنصفة. وإلى يومنا هذا ما شوهد في الظهورات السابقة إنسان يشهد بفضل مدّعي مقام شارعيّة دين جديد لا يعتقد هو بصحّحّ ته، أو يذكر إسم ناسخ دينه من دون إهانةٍ وإستخفاف. لاحظوا مثلاً أنّه مرّت ألف وثمنمائة سنة على ظهور الديانة المسيحيّة وما ذكر أحد علماء اليهود إسم عيسى عليه السلام بشيئ من التفخيم والتعظيم في كتابه. وكذلك إنقضت ألف وثلثمائة سنة على ظهور الإسلام وما ذكر أحد من علماء النصارى إسم خاتم النبيّين عليه السلام بالإجلال والإحترام لا قولاً ولا كتابةً. ولكنّ إحدى مميّزات هذا الظهور الأعظم أن شهدت الأجانب على جلالة قدره وإعترفت بسعة بحار فضله. ولو يذكر هذا العبد في هذه الصفحات جميع ما أنشده تروم الأدباء والفصحاء في حمد نيّرِ السعادة وما كتبه صناديد العلم والفلسفة في الثناء على ذلكم الوجود الأعظم فإنّه لا شكّ يتعد أوّلاً عن مقصوده وينتهي الأمر أخيراً بتأليف كتب كبيرة ومجلّدات عديدة. ومن الواضح جدّاً إنّ إعتراف هذه النفوس الفاضلة بعلوّ مقام صاحب الأمر لم يكن في دوافعه الخوف أو الرهبة أو الطمع والرغبة، لأنّ هذه الوسائل مفقودة في هذا المقام وكانت الأخطار العظيمة ماثلة أمام من يقترب من حضرته بل كان الدافع فيها هو أنّ أدباء هذه البلاد فهموا معنى الفصاحة وعرفوا المقصود من البلاغة ولم يكونوا محرومين من العلم والمعرفة وحريّةِ الضمير والنصفة إلى هذه الدرجة بحيث ينتقدون دون أن يفهموا وينتقدون من دون ذكر شاهدٍ وينكرون الفضائل الباهرة من دون تعصّبٍ ويُظهرون أنفسهم بمظهر الإعتساف أمام أولي الإنصاف.

14. في بيان بعض اغلاط جناب الشيخ في رسالته المطبوعة:

ولو كان مقصود هذا العبد المناقشات اللفظيّة لا القضايا العلميّة وكشف سبل الأدلّة العقليّة والنقليّة لذكرت في هذا المبحث بعض أغلاط جناب الشيخ وهفواته الإنشائيّة حتى يطّلع أولو الإدراك على مقدار علمه ويعرفوا مقدار فصاحته وبلاغته في صناعة الإنشاء. ولكنّنّ مقصود هذا العبد من تأليف هذا الكتاب كشف غوامض القضايا العلميّة لا بيان المباحث اللغويّة. ومع ذلك فإنني أذكر بعض عباراته العربيّة ليكون ذلك سبباً في إنتباه الناس لأنّ أغلاط الفارسيّة تفوق حدود الإستشهاد

ويجلّ عنها مقام الإنتقاد بل لو رفعتَ من رسالتيه عبارات الإيقان الشريف التي إقتبسها لم يبق منها غير العبارات الركيكة والجمل الفاسدة كما نقلنا بالأصل في الأبواب السابقة لتكون برهاناً على قوتّه في الإنشاء وترسيل البرهان وشاهداً على مقدار علمه في الفصاحة والبلاغة. فمثلاً بعد أن أوضح بزعمه تحقيقاته الدقيقة في قوانين الألفاظ كتب العبارة التالية إظهاراً لقدرته في اللغة العربيّة وبها ختم كلمته: "فافهم هذه النكتة التي قد كنتم عنها غافلين وأغررتم بجهلها جاهلين". وهذه العبارة بغض النظر عن ركّية كتابتها وقبح أسلوبها مغلوطة بصورة واضحة لأنّ كلمة (أغررتم) ليست موجودة في اللغة العربيّة والفعل (غرَّ) الثلاثي لا يتعدّى على وزن (إفعللّ) المزيد ويجب أن تكون العبارة: "وغرّرتم لجهلكم بها الجاهلين" حتى لا يصبح الكلام الركيك في عبارته والقبيح في أسلوبه مغلوطاً أيضاً.

وكذلك ورد في كتاب جناب شيخ الإسلام العبارة التالية: "بعث الأنبياء لهداية العباد وإرشادها إلى طريق الحقّ والرشاد وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة والبيّنات الباهرة فبلّغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده الخلق سيّما بعث نبينا في آخر الزمان" فلا يأتي الفعل في اللغة العربيّة بعد (سيما ولا سيما) من دون ضرورة بل يليها مصدر لإسمٍ من الاسم اء ويكون آخر ذلك الاسم محرّكاً بحركات ثلاثة كما ورد في كتب اللغة.

وكذلك ورد في نفس هذه الخطبة: "وكمّل إيماننا بتصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وتوقين ما نص به من إمامة الائمّة الطاهرين". وليس في اللغة العربيّة كلمة (توقين) ولم يرد من مادة (يقين) الوزن تفعيل. وهذا القدر القليل من البحث يكفي لبيان مبلغ علم جناب الشيخ باللغة العربيّة ولا نحتاج إلى أن نعلّق على كلماته في هذه الخطبة أيضاً في عباراته التي كتبها في تمجيد الله بقوله: "مستجمعٌ لجميع الصفات الكماليّة الجماليّة ومنزّه عن الأوصاف النقيصة والجلاليّة" فكأن آية "ذي الجلال والإكرام " لا يعتبرها جناب الشيخ من الاسم اء والصفات الإلهيّة وأخشى أن يكون جناب الشيخ قد وجد وجوهاً من التمدّن جديدة يصف بها الحقّ جلّ جلاله وينزّهه عن صفة الجلال. ولكنّنا لا بدّ أن نعفي جناب الشيخ من هذا الإنتقاد لأنّ الشخص الذي في رسالته عند إستشهاده بالآية المباركة: "فأتوا بسورة من مثله "[265] يسمّي الآية مصحفاً وينزّه الحقّ جلّ جلاله من الصفات التي نطق بها القرآن فلا عتب عليه لو يمسح اللغة العربيّة أو يقوم بهذه اللغة الركيكة والبضاعة المزجاة من علمه على إنتقاد "من خضعت له أعناق الفصحاء ". هذا وإنّ أهل البهاء لو يشكرون الحقّ جلّ جلاله بدوام الأرض

[265] البقرة: 24

والسماء فإنّهّم لا يفون حقّ موهبته هذه التي جعل بها المعترضين على ربّ العالمين والمكذّبين بيوم الدين يدوّنون للذكرى في مدوّناتهم وكتبهم شبهاتهم الواهية وانتقادات هم الباردة وعباراتهم الركيكة لعلّ عندما يزول بقدرة الحيّ القدير سحاب الجهل والغباوة الكثيف من أفق العالم وتتنوّر القلوب والأبصار في جميع الأقطار والأمصار بأشعّة أنوار المعارف لا يقول أهل الارتياب إنّهم كانوا متمسّكين في إعتراضهم وإعراضهم بحبل متين ومتشبّثين بركنٍ مكين وليرى الجميع ماذا قال المعترضون على الحقّ وماذا كتبوا وكيف أنّ أهل الإيمان إبتلوا بمعارضة أشخاصٍ كهؤلاء إذ إنّ أصعب الأشياء وأشقّ الأمور مناظرة أولي العلم القليل ومعارضة الأشخاص المحرومين من الشعور ولقد أجاد من قال:

(وَومِـن الْبَبَلِلِيَّـةِ عَعَـدْلُ مَمَـنْنْ لا يَيَرْعَـوِوي   عَعَـنْنْ غَغَيِّـهِهِ
وَوَخِطَطَـــــــابِبِ مَمَـــــــنْنْ لا يَيَفْفْهَهَـــــــم)

هذا وقد انتهى هذا المبحث البديع بعد بحث طويل والأمل أن يعذرنا أولو الإدراك لأنّ مسألة فصاحة الكتب السماويّة وبلاغة الكلمات الإلهيّة لم يجر بحثها بين علماء الإسلام والأمّة البهائيّة فحسب بل إنّ هذه المسألة كما ظهر لكم من "التذييل" على كتاب "مقالة في الإسلام" كانت موضع مناظرات مدّة مديدة بين الأمّة الإسلاميّة وأمّة النصارى وكانت ميداناً للجدال والنزال بين كبار الأمتين ولهذا فقد قام هذا العبد بكتابة جميع وجوه هذه المسألة بصورة مفصّلة ومشروحة حتى يطّلع أولو البصيرة على السبب الأصلي في حجيّة الكلام الإلهي وليقفوا على أساس إيرادات وانتقادات أرباب الشبهات سواءً أكان المنتقد (جرجيس صال) الإنكليزي أو (إبن الآخوند) التفليسي.

****

في الجواب على الشبهة السادسة من شبهات شيخ الإسلام

1. في ذكر عبارات جناب الشيخ بخصوص آية الإنجيل "حينئذ تظهر علامات إبن الإنسان في السماء":

كتب جناب الشيخ في رسالته الأولى: "وكذلك يتفضّل المصنّف المذكور في تفسير القول "تظهر علامة إبن الإنسان في السماء إلى آخره" أنّ نجماً يظهر في السماء الظاهرة قبل ظهور كل نبي. فقد أخبر الكهنة قبل ظهور خليل الرحمن بظهور نجم في السماء وكذلك الأمر في زمان الكليم والمسيح وخاتم النبيّين حتى وصل الأمر إلى هذا الأمر البديع المنيع فقد أخبر أكثر المنجّمين في هذا الزمان بظهور نجم في السماء الظاهرة وكذلك بشّر على الألأرض النوران النيّريّريّان أحمد وكاظم قدّس الله تربتهما ببشارة ظهوره وما ذكرناه مختصر لكلمات الإيقان. والآن نسأل هذا السؤال بأيّ دليل وبرهان ثبت أنّه من الضروري ظهور نجم في السماء عند ظهور كلّلّ نبي؟ ولماذا هذه الضرورة؟ وإذا لم يظهر نجم في السماء أليست الملائكة مكلّفةً بالإيمان به؟ وأليس لعرفانه غير ظهور الكوكب؟ ومع كلّ هذا لو كان هذا الخبر صحيحاً فإنّه ينطبق بحقّ إثنين أو ثلاثة من الأنبياء، لا أنّنّه ينطبق بحقّهم جميعاً إستناداً على أخبار الكاهنين والمنجّمين الذين يخبرون عن الحوادث بالظنّ والحدس فقط فإنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً"[266] إذاً فمن العجيب أن نرى صاحب الإيقان، وهو الذي يطعن ويلوم في كتابه مراراً أولئك الذين يتّبعون الظنّ، يقوم بالاستدلال بأخبار الكهنة والمنجّمين ويعتبرها موثوقة. وهذا لا يتلائم أبداً مع إسم كتاب الإيقان. وعلاوة على ذلك يتفضّل في حقّ خليل الله "إنّ شخصاً ظهر في الأرض يبشّر الناس بظهور حضرته". تُرى من كان ذلك الشخص المبشّر بين أهالي بابل والملّة الصابئة الذين كانوا كلّهم عبدة أوثان؟ أرجو بيان إسمه وعلاماته ولو بمستند من أقوال أحد المؤرّخين. ومَن هم المنجّمون الذين أخبروا الناس في زمان ظهور الأمر البديع بظهور نجم في السماء؟ أرجو بيان أسمائهم وعلاماتهم وطائفتهم ومكانهم. وكذلك أرجو بيان عبارات الشيخ أحمد والسيّد كاظم رحمهما الله التي دوّنوها في مؤلّفاتهم الشهيرة. [**هذه دلائل لا تشفي المريض**

266 يونس: **36**

ولا ترفع الشبهات عن القلوب سيّيّما عن القلوب التي لم تعتد على إستماع تلك الأقوال الواهية العارية عن الدليل والبرهان]." إنتهى.

2. الجواب وبيان أنّه لما كان إصلاح العالم منوط بقيام روح الله وورود يوم الله فإنّ جميع أشراطه وإماراته قد نزلت في الكتب السماويّة:

لا يخفي على أولي الألباب أنّ سنّة الله جرت رأفةً بعباده ورحمةً على خلقه في أيّيّام طلوع شموس الحقيقة ومواقيت تجديد وإبداع الشرائع المقدّسة السماويّة أمثال ظهور إبراهيم والكليم وعيسى وخاتم النبيّين عليهم آلاف التحيّة والبهاء، على أن تنبّه الخلق عن طريق ظهور علامات أرضيّة وسماويّة ودينيّة تشير إلى قرب ظهور الموعود وتجعل القلوب الصافية مترصّدة ومستعدّة لإجابة الداعي إلى الله والإيمان بمظهر أمر الله. فعندما ينقشع غمام الغيبة الغليظة ويطلع جمال الموعود المنير ويرتفع نداء حضرة المعبود تؤمن بحضرته نفوس طيّبة وتقبل إلى ساحته وجودات زكيّة وتنجوا أمم عظيمة من الهلاك والدمار التام "سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً"[267]. وحيث أنّ إرادة الله شاءت أن يتجدّد عالم الدين بقيام روح الله وورود يوم الله كما سبق لنا أن عرضناه بصورة مفصّلة، وتزول إختلافات الأمم وتتحقّق في هذا الظهور المبارك إصلاحات عظيمة منصوصة في جميع الكتب لهذا فإنّ جميع العلامات والإشارات المبشّرة بقرب ميعاد ظهور الموعود والوفاء بعهود ووعود حضرة المعبود قد ذُكرت في جميع الكتب المقدّسة السماويّة والأحاديث الصحيحة النبويّة قبل ورود هذا اليوم الكريم وقبل ظهور هذا الموعود العظيم. وهذه الكتب والأحاديث موجودة عند جميع الملل وباقية لدى جميع النحل ولكنّ شيئاً من علامات وإشارات ظهور الأنبياء السابقين أمثال نوح وهود وصالح وإبراهيم عليهم السلام أو شيئاً من أديانهم وكتبهم لم يبق إلاّ شذرات متفرّقات بين طيّات الأحاديث وأخبار الأديان الموجودة على سبيل الإجمال أو في بيانات مظاهر أمر الله على سبيل التشبيه والعبرة والإنذار.

3. في أنّ كثيرا من الأخبار الواردة في كتب النبيّين لا توجد في كتب المؤرّخين مثل قصص هود وصالح وذي القرنين وأمثالهم:

وبسبب ما عرضناه قد يحدث أن يذكر مظهر أمر الله في سبيل تذكير الأمم ونصحها شيئاً غير موجود في التواريخ عن كيفيّة رسالة أحد الرسل ولا مرجع لذلك الخبر غير كتابه نفسه. فمثلاً لو

[267] **الفتح: 23**

يسأل أحد النصارى من جناب شيخ الإسلام عن خبر ظهور ناقة صالح وإعراض قوم ثمود الوارد في القرآن المجيد وعن مكان تدوينها في أحد تواريخ اليهود أو اليونان أو الرومان أو الفرس أو يسأله عن حكايات ذي القرنين وحوادثه المعروفة وعن المؤرّخ الذي دوّنها في كتابه فلا شكّ أنّ جناب الشيخ يعجز عن الجواب لأنّ هذه القصص المذكورة وكثيراً غيرها من أمثال قصة موسى والخضر والنملة وسليمان وإحياء حمار العُزيْر وغيرها لم ترد أبداً في أيّ تاريخ من التواريخ المؤلّفة قبل ظهور رسول الله عليه السلام ولم يشر إلى هذه القصص أحد من كبار المؤرّخين أمثال (يوسيفوس) و (هيرودتس) و (ديودوروس) و (أسترامون) و (زنفون) الذين سجّلوا تواريخ الأمم الشرقيّة والغربيّة بصورة مفصّلة. ولا يظنُنَّ القارؤون أنّ كاتب هذه الصفحات يفترض هذه النكتة إعتباطاً بل أنظروا في الكتب التي كتبها علماء النصارى في الردّ على القرآن الشريف أمثال (مقالة في الإسلام) التي كتبها جرجيس صال الإنكليزي وكَتَبَ (التذييل) عليها باللغة العربيّة هاشم الشامي و(كتاب ميزان الحقّ) الذي ألّفه فاندر النمساوي في الردّ على الإسلام وغيرهما من الكتب المطبوعة المنتشرة في الشرق والغرب حتى تدركوا باليقين المبين بأنّنّه كما تشبّث جناب شيخ الإسلام بالحوادث التاريخيّة في الاعتراض على حضرة العزيز العلاّم كذلك تشبّث المعاندون للإسلام بنفس هذه الشبهات في الاعتراض على سيّد الأنام. وإني لذاكرٌ لكم عين عبارات صاحب (التذييل) على (مقالة في الإسلام) حتى يطّلع أولو البصيرة على أنّ شوك الاعتراض ات ينبت في تربةٍ واحدةٍ وأنّ شجرة الإعراض تُعطي [بدوام الأرضين والسموات] نوعاً واحداً من الثمرات.

4. في ذكر كلمات (صاحب التذييل) في انتقادات هـ التاريخيّة للقرآن الشريف:

قال صاحب التذييل في الصفحة (49): "ثالثاً إنّ غلطه في الحوادث التاريخيّة وأسماء مشاهير رجالها وجهله في أمور الطبيعة ما لا ينبغي جهله. كلّ ذلك يدلّ على أنّنّه ليس من الله في شيئ لأنّ الخطأ مستحيل في موضع العصمة والجهل ممتنع على من أحاط بكلّ شيئ علماً. فقد زعم مصنف القرآن أنّ كتابه "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ "[268] وإنّنّه جاء مصدّقاً لما بين يديه من الكتب المنزلة أي ما تقدّمه من التوراة والإنجيل لكنّه خالفهما في مواضع كثيرة، فدعا أبا إبراهيم آذر وهو في التوراة (تارخ) ودعا مريم العذراء بنت عمران وأخت هارون وهي في الإنجيل (بنت الياقيم) وأين مريم من عمران أبي موسى وهو متقدّم عليها بألف وستّمائة سنة؟ ومن غلطه أيضاً أنّه جعل (هامان) وزيراً لفرعون ولم يكن أحدهما من الآخر في شيئ لأنّ (هامان)

[268] فصلت: 42

متأخّر عن فرعون بزهاء ألف سنة وكان وزيراً لأحشورش في بابل لا لفرعون في مصر. ومن ذلك قوله خطاباً لموسى : "قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ"[269] وأراد بذلك أنّ هذا السامري هو الذي صنع عجل الذهب لبني إسرائيل ودعاهم إلى عبادته لما كان موسى غائباً عنهم وأنت تعلم أنّنّه لا يمكن أن يكون في بني إسرائيل سامري على عهد موسى لأنّ هذا النعت لم ينعت به أحداً إلاّ بعد موسى بقرون عديدة أي بعد جلاء بابل. ومن ذلك ما جاء في سورة البقرة من قوله: "فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ " (الآية 249) فقد عزا هذا إلى شاؤول وقومه ما جاء في التوراة عن جدعون وقومه (سفر القضاة 7:5–7).

ومن ذلك أنّه تعرّض لتاريخ الإسكندر فدعاه ذا القرنين وقال عنه أنّه بلغ قوماً لا يفقهون قولاً وأنّه بنى سدّاً من زبر الحديد وغير ذلك مما لا حقيقة له أصلاً إذ تاريخ الإسكندر معروف وقد كتبه الثقات قبل القرآن بكثير وليس فيه ذكر لهؤلاء القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً ولا للسدّ". إلى أن قال أخيراً "ويترتّب على ما مرّ من التناقض والغلط والجهل أنّ القرآن كلام البشر لا كلام الله وأنّه تصنيف رجال مختلفي المقاصد والمذاهب من عرب ومجوس ونساطرة ويهود وإنّ بعضهم كان أميّاً لا معرفة له في شيئ فلذلك كان فيه الغثّ والسمين وكثر تلوّنه حتى لم يبق له لون" إنتهى.

وعندما ينظر أولو البصيرة في انتقادات جناب الشيخ للإيقان الشريف وينظرون في انتقادات هذا المعاند للقرآن المجيد يجدوت أنّ شوك الاعتراض ات على مظاهر أمر الله ينمو دائماً بشكل واحد في أراضي القلوب الميّتة الجرزة وإنّ نعيب الإستهزاء بكلمات الأنبياء يُسمع على وتيرة واحدة "أَشْبَهُ مِنَ الصّيْعْلِ بالصّيعل أو النّعلِ بالنّعلِ". نعم إنّ الفرق الوحيد بين انتقادات هذين المنتقدين هو أنّ قصص ذي القرنين وحكايات بناء السدّ وطالوت والنهر ووزارة هامان وغيرهما ممّّا هو وارد في القرآن الشريف لا يمكن في الحقيقة إيجاده في أيّ تاريخ من التواريخ بينما الحوادث التاريخيّة النازلة في الإيقان تنطبق تماماً مع الكتب التاريخيّة الموثوقة الموجودة في العالم وغاية ما في الأمر هو أنّ جناب الشيخ الذي لا نصيب له من المعارف التاريخيّة وسائر المعارف الأخرى قد تمسّك بهذه الشبهات

[269] طه: 58

وظنّ مثل هاشم الشامي أنّ تصديق مظاهر أمر الله وتكذيبهم يتوقّف على موافقة الكتب التاريخيّة أو مخالفتها أو على إنطباق كتبهم على الأفكار الطبيعيّة أو عدم إنطباقها عليها.

5. في بيان كيفيّة طلوع النجم في ميلاد الأنبياء:

لقد نزل في كتاب الإيقان الشريف في تفسير الآية: "حينئذٍ تظهر علامة إبن الإنسان في السماء"، وهي الآية التي تفضّل بها عيسى عليه أطيب التحيّة والبهاء في علائم الظهور التالي، ما خلاصته: "إنّ المقصود بالسماء هو السماء الظاهريّة والمعنويّة فقبل ظهور كلّ واحد من مظاهر أمر الله (كما يظهر في السماء الظاهريّة نجم ليبشّر أهل السموات بطلوع ذلك النيّر) يظهر على الأرض شخص ليبشّر أهل الأرض بظهور ذلك الوجود المسعور. فمثلاً في زمان نمرود حينما أخبر الكهنة بطلوع نجم يبشّر بولادة حضرة خليل الرحمن كان هناك شخص يبشّر الناس بقرب ظهور حضرته وكذلك في زمان فرعون لما أخبر كهنة مصر بطلوع نجم يدلّ على ميلاد موسى عليه السلام كان هناك شخص يبشّر بني إسرائيل في الليالي ويسلّيهم. وفي زمان عيسى عليه السلام جاء عدد من المجوس من الشرق إلى الأراضي المقدّسة وبشّروا الناس بطلوع نجم حضرته وكان هناك في الأرض يحيى عليه السلام يبشّر الناس بقرب ظهور المسيح. وفي زمان ظهور خاتم النبيّين عليه من التحيّات أطيبها وأبهاها لما بشّر بعض الرجال بطلوع نجم في السماء يبشّر بظهور نبي عظيم كان هناك في الأرض أربعة أشخاص أخبروا الناس أحدهم بعد الآخر بظهور حضرته. ومنهم سَمِعَ سلمان الفارسي بخبر الظهور وتشرّف بالحضور الأقدس وبسعادة الإيمان حتى انتهى الأمر إلى هذا الظهور الأقدس الأعظم فأخبر المنجّمون بظهور نجم في السماء وكان هناك النوران النيّران الشيخ الأكبر أحمد الاحسائي والسيّد الأمجد كاظم الرشتي عليهما أفضل التحيات وأطيب البركات يبشّران الخلق بقرب ظهور القائم الموعود ويطمئنان أهل الأرض بإنقضاء الأجل المحدود.

فلمّا شاهد جناب الشيخ هذا التفسير ظنّ أنّه وجد باباً واسعاً للانتقادات وتصوّر أنّ هذه الحوادث غير مذكورة في الأحاديث النبويّة والكتب التاريخيّة الموثوقة، وظنّ أنّ الكتب التاريخيّة إنْ لم تثبت قول المظاهر الإلهيّة فإنّ ادّعاء هم عليهم الصلاة والسلام يكون باطلاً. ولو طُلب إلى أهل السماء أن يؤمنوا مثل أهل الأرض فإنّ طبقات السماء مثلاً سوف تنفطر ولهذا وضع إنتقاده التالي بشكل سؤال فقال: أوّلاً بأيّ دليل وبرهان ثبت أنّنّه من الضروري ظهور نجم في السماء عند ظهور كل نبي؟ ولماذا هذه الضرورة؟" وقد كتب جناب المناظر في جواب جناب الشيخ "إنّيه لم يُذكر في الإيقان

شيئ حول الضرورة ولكنّ جناب شيخ الإسلام إخترعها وألصقها بكتاب الإيقان الشريف ومع أنّه في الصفحة (32) من رسالته المطبوعة قد لعن الكاذب المفتري فإنّه نفسه قد إبتلى بهذه الورطة الواضحة لأنّ مظاهر أمر الله والمؤمنين بهم لا ينسبون إلى الحقّ جلّ جلاله أمراً عن طريق الضرورة والإجبار. وبعبارة أخرى لا يقولون من باب التحكّم مثل الفقهاء: "يجب أن يكون كذا ويجب أن يعمل صاحب الأمر كذا" ولا يعتبرون الله تبارك وتعالى مُلزماً بمتابعة إرادة إنسان ومشيئته بل يعتبرونه بحكم الآيتين الكريمتين: "يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ "[270] و"يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ "[271] فاعلاً لما يشاء وحاكماً على ما يريد ويرونه بحكم الآية الكريمة: "يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ "[272] قادراً على محو كلّ شيئ وإثبات كلّ شيئ ولا يقولون أبداً لماذا إختار الله هذه العلامة من سائر العلامات؟ ولماذا إنتخب هذه الآية من بين الآيات؟ "لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ "[273].

ولو ينظر الإنسان نظراً دقيقاً في عبارات جناب الشيخ التي كتبها هنا بأسلوب الإستهزاء وأدخلَ بذلك نفسه في عداد المشمولين بالآية الكريمة: "يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ "[274] ليشاهد أنّ هذا الإنتقاد في الحقيقة (أوّلاً) وبالأصل يرجع على عيسى عليه السلام لأنّ حضرته وعدَ بظهور علامة في السماء الظاهريّة قبل ظهور حضرة الموعود لتذكير الخلق بقرب ظهوره، (ثانياً) يرجع إلى الأئمّة وعلماء الإسلام لأنّهم إعتبروا ظهور النجم في السماء إحدى العلامات الكليّة لظهور الأنبياء ودوّنوا ذلك في كتبهم وأحاديثهم. فانظروا في كتاب (المواهب اللدنيّة) تأليف العلامة القسطلاني وهو من الكتب الإسلاميّة الموثوقة المعروفة والتي فيها روى بضعة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "ومن عجائب ولادته ما أخرجه البيهقي وأبو نعيم عن حسان بن ثابت قال إني غلامٌ إبن سبعِ سنين أو ثمانٍ أعقِلُ ما رأيت وسمعت إذ يهوديّ يصرخ ذات غداة يا معشر اليهود. فإجتمعوا إليه وأنا أستمع. قالوا: "يا ويلك ما بالك؟ قال طلع نجمُ أحمد" وقال أيضاً: "كان مولده عليه الصلاة والسلام عند طلوع الغفر وهو ثلاثة أنجمٍ صغارٍ ينزلها القمر وهو مولد النبيّين عليهم السلام". ومولانا جلال الدين البلخي صاحب المثنوي الذي تستغني شهرته عن مدح هذا العبد والذي

[270] الحج: 18
[271] المائدة: 2
[272] الرعد: 42
[273] الانبياء: 23
[274] يس: 30

إستشهد جناب الشيخ كذلك كثيراً بأشعاره قال في باب النجم هذا البيت من الشعر وترجمته: "كلّ نبيٍّ يتكوّن في عالم الأرحام، يطلع نجمه في الفلك". وواضح أنّ الأساس الذي يستند إليه هؤلاء العلماء الأعلام في هذا الباب هو الأحاديث التي وردت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو الذي سمّاهم القرآن المجيد باسم الرسل وأنصار الله قد أيّدوا صدق هؤلاء المنجّمين ودوّنوه في الإنجيل المقدّس ليكون علامة على صدق ادّعاء حضرته.

وقد أدرك أولو الإنصاف مما ذكرناه أنّ ضرورة ظهور النجم في ميلاد كل واحد من مظاهر أمر الله قد جاءت في كتب الإسلام وأحاديثه لا في كتاب الإيقان المقدّس. وكلّ ما في الأمر إنّ كتاب الإيقان فسّر آية الانجيل الشريف وشرح العلامة التي قرّرها عيسى عليه السلام من علامات الظهور التالي.

6.في أنّ عجب جناب الشيخ من ظهور مبشّر وسط الصابئين ناشئ عن جهله بحقائق الأديان:

وبخصوص ما نزل في الإيقان الشريف من أنّ شخصاً ظهر على الأرض قبل ظهور إبراهيم الخليل عليه السلام وبشّر الناس بظهوره المبارك كتب جناب الشيخ: " تُرى من كان ذلك الشخص المبشّر بين أهالي بابل والملّة الصابئة الذين كانوا كلّهم عبدة أوثان؟ أرجو بيان إسمه وعلاماته ولو بمستند من أقوال أحد المؤرّخين".

(أوّلاً) يُفهم من عبارة جناب الشيخ كأنّه إعتبر الله الذي كان قادراً على أن يبعث بين الوثنيّين والصابئين العرب رسولاً مكرماً مثل رسول الله عليه السلام حتى لا ينسد باب الهداية على وجه الخلق ولا تنقطع وشائج التوحيد والعياذ بالله غير قادر على أن يبعث بين الوثنيّين في بابل مبشّراً يبشّر الناس بظهور خليل الرحمن عليه السلام، وإلاّ فإنّه لو إعتبر الله تبارك وتعالى قادراً وإعتبره دائماً هادياً للعباد فما هو مجال عجبه وإستغرابه وما هو مجال شكّه وإرتيابه؟

(ثانياً) إنّ سبب إشتباه جناب الشيخ هو نفس الظنون السابقة التي برهنّا وكشفنا بطلانها وهي أنّه ظنّ أنّ ديانة الصابئين لم تكن في أساسها ديانة إلهيّة ولم يشّرعها الأنبياء والرسل وأنّ أساسها في الأصل مبنيّ على الوثنيّة وعبادة الأصنام وأنّ وشائج التوحيد مفقودة فيها وقد أوضحنا وكشفنا

سابقاً بطلان هذه العقيدة وأثبتنا أنّ جميع الأديان الموجودة تأسّست في أصلها بتشريعٍ ووضعٍ إلهي قام به الأنبياء عليهم السلام وليست عبادة الأوثان إلاّ بدعة من بدع الضلال التي دخلت دائماً إلى الأديان الإلهيّة بسبب سوء تصرّف العلماء والحكماء أو بسبب أغراض الملوك والأمراء السياسيّة ومع وجود هذه العبادات الباطلة وسيادتها لم تنقطع وشائج توحيد الله وعبادته إلى يوم ظهور رسول جديد ودين جديد. وحيث أنّ مستوى المعارف والعلوم بين فقهاء القفقاس قد إنحطّ إلى درجة بحيث صاروا ولا علم لهم فيها عن حوادث زمانهم ووقائعه فكيف الأمر بمعرفة التواريخ القديمة والحوادث الماضية لذا سوف نذكر أقوال بعض كبار المؤرّخين في عقائد الصابئة لعلّ يطّلع أهل الاستعداد على الحقائق العلميّة وينتبهوا إلى مقدار أوهام فقهاء هذا العصر الباطلة.

قال المؤرّخ الشهير عماد الدين أبو الفداء الحموي في ذكر أمة السريان والصابئين: "أمّة السريان: هي أقدم الأمم وكلام آدم وأولاده بالسريانيّة وملّتهم هي ملّة الصابئين ويذكرون أنّهم أخذوا دينهم عن شيت وإدريس ولهم كتاب يعزّونه إلى شيت ويسمّونه صحف شيت يذكر فيه محاسن الأخلاق مثل الصدق والشجاعة والتعصّب للغريب وما أشبه ذلك ممّا يأمر به ويذكر الرذائل ويأمر بإجتنابها. وللصابئين عبادات منها سبع صلوات منهنّ خمس توافق صلوات المسلمين والسادسة صلاة الضحى والسابعة صلاة يكون وقتها في تمام الساعة السادسة من الليل. وصلاتهم كصلاة المسلمين في النيّة وفي أن لا يخلطها المصلّي بشيئ من غيرها. ولهم الصلاة على الميّت بلا ركوع ولا سجود ويصومون ثلاثين يوماً وإنْ نقص الشهر الهلالي صاموا تسعاً وعشرين يوماً وكانوا يراعون في صومهم وإفطارهم الهلال بحيث يكون الفطر وقد دخلت الشمس في الحمل ويصومون من ربع الليل الأخير إلى غروب قرص الشمس. ولهم أعياد عند نزول الكواكب الخمسة التي تختلف مطالع إشراقها، وهي زحل والمشتري والمرّيخ والزهرة وعطارد. ويعظّمون بيت مكّة ولهم بظاهر حرّان مكان يحجّونه. ويعظّمون أهرام مصر ويزعمون أنّ أحدها قبر شيت بن آدم والآخر قبر إدريس وهو حنّوخ والآخر قبر صابي بن إدريس الذي ينتسبون إليه، ويعظمون يوم دخول الشمس برج الحمل فيتهادون فيه ويلبسون أفخر ملابسهم وهو عندهم من أعظم الأعياد لدخول الشمس برج شرفها. قال إبن حزم "والدين الذي إنتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث فبعث الله تعالى اليهم إبراهيم خليله عليه السلام بالدين الذي نحن عليه الآن" إنتهى. فيُفهم من هذه العبارة أنّ ما عرضناه سابقاً من أنّ شارعي جميع الأديان هم الأنبياء عليهم السلام كان في منتهى الصحّة والإتقان ولولا خوف التطويل لذكرنا أقوال سائر علماء هذا الفنّ حتى يتّضح لأولي

الإدراك أنّ دين الصابئين كان أعظم دين إلهي على الأرض وأنّ أكثر عباداته مستعمل اليوم في الإسلام من قبيل الصلاة والصوم وحجّ البيت والوضوء والغسل والجنابة وهي في الأصل من شرائع ذلك الدين وقد أبقاها الله جلّ جلاله في الإسلام. وممّا ذكرناه يتضّح تماماً بطلان أوهام أمثال جناب الشيخ في بناء هذا الدين على الوثنيّة وإنقطاع وشائج التوحيد فيه. ولنفرض أنّ جناب الشيخ لم يشاهد الكتب المشهورة الموثوقة وليس له نصيب من المعارف التاريخيّة أفلم يقرأ القرآن المجيد الذي إعتبر الله فيه الصابئين في عداد الأديان الحقّة وبشّر الصالحين منهم بالنجاة في قوله تبارك وتعالى في سورة المائدة: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"[275]؟ وألم يشاهد قول أمير المؤمنين عليه السلام ذلك القول الرصين في نهج البلاغة: لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً أَوْ خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ "؟ وألم يقرأ قوله عليه السلام أيضاً في نهج البلاغة: إِنَّ اللهَ تعالى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ آلَاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ مِنْ فِكْرِهِمْ وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ "؟ نعم إنّ جناب شيخ الإسلام لم ير هذه البيانات الصريحة والكلمات البليغة وإن كان رآها فإنّه ما فهمها وإلاّ لما تعجّب وإستغرب قائلاً مَنْ هو ذلك المبشر الذي بشّر وسط الوثنيّين بظهور خليل الرحمن؟ وليس مقصودنا هنا بيان هذه النكتة ليتّضح ويتجلّى عدم علم جناب الشيخ وأمثاله لأنّ ذلك من الأمور الواضحة. ونفس رسالته شاهداً على مقدار علم مصنّفها وفضله بل مقصودنا كما أشرنا سابقاً هو أن يدرك أولو الفراسة والإدراك أنّ هذا التشبيه بالديانة الوثنيّة من مخترعات الطائفة البروتستانتيّة التي تريد بهذا الاستدلال محو نفوذ الدين الإسلامي وبقائه وإبطال دليل التقرير الذي هو أعظم برهان على حقيّة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وليطلع أهل الإيمان وأولو الإدراك على مكامن الشبهات وليدركوا خاطرات القلوب الميّتة التي تنبعث منها روائح التشكيكات النتنة وليعلموا يقيناً أنّ ظهور مظاهر أمر الله كان ولا يزال على نهج واحد ولم تنقطع أبداً عن الأرض روائح حجج الله الطيّبة ونفحات أوليائه المعطّرة. [**هذا هو الحقّ وما بعد الحقّ إلاّ الضلال**].

---

[275] **المائدة: 69**

7. في بيان إخبار المنجّمين بطلوع نجم عند الميلاد المبارك وبيان معنى كلمة (كاهن):

وبعد أن تمّ الإطلاع على أنّ إستغراب جناب الشيخ من ظهور مبشّر بين الصابئين نشأ عن عدم إدراكه بكيفيّة ظهور الأنبياء وتجدّد الشرائع أنظروا الآن في أصل سؤاله الذي قال فيه: "ومَن هم المنجّمون الذين أخبروا الناس في زمان ظهور الأمر البديع بظهور نجم في السماء؟ أرجو بيان أسمائهم وعلاماتهم وطائفتهم ومكانهم". لهذا كتب جناب المناظر البهائي في الجواب عليه: "إنّ ظهور النجم وإخبار المنجّمين نمرود بميلاد خليل الرحمن عليه السلام مدوّن في كتاب (روضة الصفا) وكتاب (نفحات الأزهار) وكتاب (الكامل لإبن الاثير) وهي كتب فارسيّة وتركيّة وعربيّة تشمل على هذا الحادث. وفي مثنوي مولانا جلال الدين الرومي ذكر طلوع النجم في ميلاد موسى عليه السلام. وفي الإنجيل المقدّس ذكر طلوع النجم في ميلاد عيسى عليه السلام. وفي أكثر التواريخ الإسلاميّة ذكر ميلاد خاتم النبيّين كما أيّدت ذلك الأخبار".

وفي الإجابة على سؤاله الثاني عن المنجّم الذي أخبر بطلوع النجم الجديد في هذا الظهور البديع كتب: "إنّ تيمور الخوارزمي من أحفاد تيمورلنك المشهور ومن سكّان مدينة أصفهان ومن مشاهير المنجّمين في ذلك الزمان أخبر أنّه سيحدث في العالم حدث بين سنة (1230) وسنة (1250) هجريّة بحكم إقتران نجوم الفلك وهذا الحدث يسبّب إنقلابات كلّيّة. وكذلك أخبر المنجّم الأصفهاني الميرزا قاخان من سكّان نصر آباد والذي كان رئيس المنجّمين لدى معتمد الدولة منوجهرخان والي اصفهان ومستخرجاً للتقاويم السنويّة أنّه سيظهر في العالم شخص تتجدّد بظهوره قوانين الديانة لأنّ نجمه قد ظهر في السماء الظاهرة، يعني أنّ أعظم العلامات والإمارات الفلكيّة قد تحقّقت. وكان يذكر هذا الموضوع في مجالس علماء أصفهان وأعيانها وكان يؤكّد على صحّة نظره حتى شاهد الذين بقوا أحياء حتى سنة (1269) هجريّة غرائب الحوادث الجديدة وكان بعض الأعيان يسأله: أيّ أمرٍ غريبٍ سيظهر؟ فكان يقول لا بدّ أن يظهر شخص مثل موسى وعيسى ورسول الله عليهم السلام ويشرّع ديناً جديداً".

وإنّ أحد المنجّمين في ذلك الزمان قال إنّ لكلّ كوكب من الكواكب السيارة السبعة المعروفة لدى الشرقيّين دورةً تختصّ به تبتدأ من كوكب زحل وتنتهي إلى القمر وإلى يومنا هذا يسمّي

الفلكيّيون والأدباء الدورة الأخيرة بدورة القمر. وبعد إنقضاء دورة القمر تظهر دورة جديدة تتعيّن تواريخها الشهريّة والسنوية ب (19) ويتعيّن بها إنقضاء الدورة القمريّة وبلوغ تجدّد الدورة الفلكيّة بطلوع نجم وظهور علامات جديدة سماويّة".

وبعد أن كتب جناب المناظر البهائي بهذه الرشاقة والدقّة جواب جناب الشيخ وأوضح جهل جناب الشيخ بالحقائق الدينيّة والتاريخيّة مع أنّ جناب المناظر من أصحاب الحرف والتجارة لا من أرباب القلم والصحافة، سأل جناب الشيخ قائلاً: "لماذا لم يوجّه جناب الشيخ هذا الإنتقاد الى الإنجيل المقدّس الذي جاء في الإصحاح الثاني من إنجيل متّى بصورة صريحة فيه: "وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ إذا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إلى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ"؟ ولماذا لم يكتب أبداً أين يوجد هذا الموضوع وفي أيّ كتاب تاريخ ورد؟ وما أسماء أولئك المجوس؟ وإذا وجب رفض ما يخبر به مظاهر أمر الله في كتبهم لمجرّد عدم وجودها في تواريخ الآخرين وإعتباره دليلاً على بطلان مظاهر أمر الله فلماذا لم يوجّه هذا الإنتقاد أوّلاً إلى القرآن الشريف؟ لأنّه ليس في كتب اليهود والنصارى وحتى في كتب اليونان والرومان والهنود أبداً ذكر لصالح وهود وهذا ما ينتقد به علماء تلك الملل القرآن الكريم إلى يومنا هذا ويتّخذونه مثل جناب الشيخ وسيلة لتكذيب مظهر أمر الله".

وكان جواب المناظر البهائي هذا قويّاً إلى درجة وجد جناب الشيخ نفسه عاجزاً عن مجابهة مناظره، لهذا أطلق لسانه بشنيع السباب والشتائم في رسالته الثانية جرياً على عادته وظنّاً منه أنّ بذئ القول يستر ضعف شبهاته أو أنّ السبّ والشتم يمنع كلمة الله من النفوذ أو تلبس الشبهة الباطلة حلّة الحجّيّة وتنال لياقة الدلالة عن طريق التوجيهات العديدة والتقريرات المتنوّعة، وقد غفل عن أنّ العقلاء قد قالوا إنّك لو توجّه خطأً واحداً ألف توجيه فإنّه يتحوّل إلى ألف خطأٍ وواحدٍ وإنّك لو ألبست القبيح حلل الجمال فإنّه يبقى على نفس تلك المِسخة المنحوسة والخِلقة المكروهة.

وخلاصة ما كتبه جناب الشيخ في رسالته الثانية بعد حذف زوائدها: "(أوّلاً) لماذا استند في الإيقان الى أقوال المنجّمين والكهنة وإستدلّ بها؟ و(ثانياً) هل أنّ العالم مقصور على إيران وحدها؟ ولماذا

لم يخبر سائر علماء البلاد بطلوع نجم؟". وعندما ينظر العاقل اللبيب إلى شبهة جناب الشيخ هذه يرى أنّها ساقطة من درجة الإ لإ عتبار من عدّة وجوه:

(الوجه الاول) إنّ جناب الشيخ لم يفهم الفرق بين علامات الظهور وبين براهين صاحب الظهور وتصوّر تفسير العلامات نفس الأدلّة والبيّنات، فمثلاً جاءت في التوراة بشارة ظهور المسيح وقد بيّن أنبياء بني إسرائيل بضع علامات لظهور حضرته وواضح أنّ العلامات هي غير الأدلّة والبراهين التي وهبها الله جلّ جلاله لنفس المسيح وبتلك البراهين والأدلّة أثبت تعالى المسيح عليه السلام. فالآن لو ينظر الإلإنسان العاقل إلى الإلإنجيل المقدّس وإلى ذكر طلوع النجم فإنّه لا يستطيع أن يعتبر ذلك من الأدلّة والبراهين على حقيّة حضرة المسيح ويرفع راية المجادلة والإلإ نتقاد قائلاً إنّ عيسى إعتمد على أقوال المنجّمين أو إستدلّ على حقيّته بأقوال أهل النجوم الذينهم في نظر جناب الشيخ ليسوا أهل ثقة لألأنّ حضرة المسيح نصر أمره بقوّة الآيات التي بها نفذ أمره وغلب، وبنفس هذه الآيات استدلّ وإحتجّ على حقيّة حضرته وإذا كان قد جاء في الإلإ نجيل ذكر ظهور النجم فإنّما جاء لبيان إتمام العلامات قبل الظهور حتى لا يقول أمثال جناب الشيخ إنّ العلامات لم تظهر وإنّ شرائط طلوع شمس الحقيقة لم لم تكمل وتتحقّق. ومن المعلوم أيضاً أنّ معرفة تحقّق العلامات والألأ شراط تتعلّق بمعرفة مصدر تلك العلامات والألأ شراط، فمثلاً لو جاءت في كلمات بني إسرائيل أنّ إحدى علامات ظهور المسيح هي خراب مدينة بابل فلا شكّ إنّ معرفة تحقق هذا الخبر تتعلّق بتصديق المؤرّخين لذلك الخبر وكذلك في طلوع النجم تتعلّق بتصديق المنجّمين. والآن أنظروا قليلاً إلى مصائب مظاهر أمر الله العظيمة، فمع أنّهم يظهرون بالآيات الظاهرة والبيّنات الباهرة فإنّهم إنْ لم يبيّنوا تحقّق العلامات يصيح جهلاء الألأ رض قائلين: "إنّ العلامات لم تظهر وشرائط الظهور لم تتحقّق" وإنْ بيّنوا العلامات وعيّنوا مصادر ظهورها فإنّ أولئك الجهلاء يصيحون أيضاً قائلين: "إنّه يعتمد على أقوال المنجّمين وإنّه يستدلّ بالأدلّة الخياليّة" "قُتِلَ الإنسان مَا أَكْفَرَهُ"[276] أفهل يتوقّع جناب الشيخ أنّ صاحب الظهور حينما يولد يأتي ويدقّ الألأبواب وخاصّة أبواب تفليس باباً بعد باب في حالة رضاعته ويخبر جناب الشيخ قائلاً له "أنظر لقد طلع نجمي وتحقّقت علامة الظهور" حتى لا يحتاج حضرته إلى تصديق المنجّمين؟ والحال أنّ جناب الشيخ على فرض المحال لو شاهد ذلك النجم ودوّنه في كتابه فإنّه سيحكم كما توقع الميرزا آقا خان حينما قال "سيظهر بعد خمسين سنة شيخ

---

[276] عبس: 17

أسلام آخر وسيقول بكل وقاحة "لقد اخطأ مَنْ قال إنّ هناك أخبار وردت عن طلوع نجم وعن ظهور مجدّدّ دٍ للدين".

وبعد أن تفضل عيسى عليه السلام: "حِحِينَئِئِذٍ تَتَظْهَهَ رُرُ عَعَلامَمَ ةُةُ إِبْنِنِ الإِلإنسان في السَّسَّمَمَاءِءِ " وبعد لَ تفضّضّ ل أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الطتنجيّيّة: "أَلا وَوَإِنَّ لَلَكُكُمْمْ بَبَعْعْ دَلَدَ حِحِينِ- طَطَرْرْفَفَةٌةٌ (أيْيْ نَجْنَجْمٌمٌ) تَتَعْعْلَلَمُمُ ونَنَ بِهَبِهَا بَبَعْعْضَضَ البَبَيِّيَانِنِ وَوَتَتَنْنكَكَشِفُفُ لَلَكُكُمْمْ صَصَنَنَائِئِعُ الْلْبُبُرْرْهَهَانِنِ عِعِنْنْدَدَ طُطُلُلُوعِ بَهْرام وكَيْوانَ عَعَلَلَى دَدَقَقَائِئِقِ الإلإ قْتِقْتِرَرَابِبِ "، يتوقّقّع جناب الشيخ لَ يغيّريّر الله جلّ لّ جلاله قضاءه فيمحو ذكر العلامات من أجل خاطر شيخ الإسلام حتى لا يحتاج الى تصديق المنجّجّ مين وحتى لا يتعرّرّض إلى لعن المؤمنين وشتمهم مع ٲنّنّ الميرزا أقا خان قد قال قول الحقّقّ في كلامه الذي نقلناه.

وكلمة (طرفة) الواردة في خطبة أمير المؤمنين إسم كوكب من الكواكب: قال صاحب القاموس "الطرفُ العينُ لا يُجمع لأنّنّه في الأ صل مصدرٌ أو إسم جامع للبصر لا يثنّى ولا يُجمع وقيل أطراف وكوكبان يقْدُمان الجبهةَ سُمِّيا بذلك لأنّهّما عينا الأ سد ينزلهما القمر". وقال البستاني في محيط المحيط: "الطرفة الْمَرَّةُ ونجمٌ" فيفهم من هذا ٲنّنّ أمير المؤمنين قدّدّ ر ظهور النجم من العلامات المحقّقّقة وقام جناب الشيخ فرفع راية المجادلة بسبب قلّلّة إطّ لاعه، في حين ٲنّنّ الحقّقّ جلّلّ جلاله بسبب شدّدّ ة مجادلة وإعراض واعتراض ومكابرة أمثال جناب الشيخ قد إستدلّلّ بأقوال الأ جانب. فقد قال تعالى مخاطباً خاتم النبيّيّين: "فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ"[277]. ولو يكون الإلإنسان مجادلاً ومكابراً فإنّنّه يقول: "تُرى لأ يعتمد رسول الله على قوله جلّلّ جلاله حتى يحتاج إلى الذهاب إلى اليهود والنصارى ويسألهم حتى يطمئنّنّ إلى صحّحّ ة القرآن ويثق به ويزول شكّكّ ه؟".

ولهذا فقد إتّتّضح ٲنّنّ القرآن المجيد اذا قال: "فاسأل الذين يقرأون الكتاب" أو إنّ الإيقان الشريف إذا قال: "إنّنّ المنجّجّ مين أخبروا بطلوع نجم" فليس ذلك إعتمادٌدٌ على أقوال اليهود وأ المنجّجّ مين بل دفع لأ قوال المجادلين. وخلاصة القول إنّنّ أهل الإ دراك يجب أن يفهموا ٲنّنّ حجّجّ ة مظاهر أمر الله كانت وستكون الآيات الإلهيّة والبينات القطعية السماوية كما شرحناه في المبحث الاول من

[277] يونس: 94

هذا الكتاب وما عداه دفع لشبهات المتمسكين بالشبهات ودفع لاوهام المنتظرين اكمال العلامات حتى يفهموا الفرق بين الآيات والبيّنات وبين دفع الشبهات وظهور العلامات وحتى لا نقع في حفرة الألأ وهام التي وقع فيها جناب الشيخ حين إعتبر دفع الشبهة دليلاً على حقيّة صاحب الأمر.

(الوجه الثاني) إنّ جناب الشيخ قد ظنّ إستناداً إلى تعريفات بعض اللغويّين والمؤرّخين الذين كانت دائرة معارفهم أضيق من قلوبهم أنّ كلمة (كاهن) تعني شخصاً يُخبر بالغيب ويعتمد غالباً على الحدس والتخمين في حين أنّ هذا الظنّ ناشئ أيضاً عن عدم علم جناب الشيخ وأمثاله بالمعاني الحقيقية لكلمة (كاهن) وبأصل منشأها، لأنّ كلمة (كاهن) المعرّبة عن كلمة (كوهين) العبريّة تطابق تماماً في معناها كلمة (إمام) في العربيّة وأنّ منصب (الكهنوت) هو منصب الرئاسة الدينيّة التي أنعم بها موسى عليه السلام بأمر الله تعالى على هارون عليه السلام وأولاده وهو منصب الإمامة والوصاية التي تختصّ بأمير المؤمنين وبأولاده عليهم السلام. فانظروا في الإصحاح (28) من سفر الخروج وهو من أسفار التوراة المقدّسة حيث تفضّل: "وَقَرِّبْ إِلَيْكَ هَارُونَ أَخَاكَ وَبَنِيهِ مَعَهُ مِنْ بَيْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَكْهَنَ لِي. هَارُونَ نَادَابَ وَأَبِيهُو وَأَلِعَازَارَ وَإِيثَامَارَ بَنِي هَارُونَ وَاصْنَعْ ثِيَاباً مُقَدَّسَةً لِهَارُونَ أَخِيكَ لِلْمَجْدِ وَالْبَهَاءِ وَتُكَلِّمُ جَمِيعَ حُكَمَاءِ الْقُلُوبِ الذِينَ مَلأْتُهُمْ رُوحَ حِكْمَةٍ أَنْ يَصْنَعُوا ثِيَابَ هَارُونَ لِتَقْدِيسِهِ لِيَكْهَنَ لِي". ومن عبارات هذه الآلآ ية يمكن فهم معنى الحديث النبويّ الصحيح: "أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاّ أَنَّهُ لا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِي" فهماً صحيحاً وكانت الرئاسة الدينيّة لبني إسرائيل ومنصب الكهانة متوارثة في ذرّيّة هارون عليه السلام نسلاً بعد نسل حتى زمان النبي صموئيل الذي كان كاهناً معاصراً للنبي داود عليه السلام وحسب أمره إستقرّت شؤون السلطنة في بني إسرائيل ونال السلطنة بتنصيصه شاؤول أوّلاً وبعده داود ثانياً [كما نزل في القرآن الشريف في سورة البقرة]: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[278] إلى آخر الآيات النازلة في كيفيّة تأسيس الملك في بني إسرائيل وكان جميع هؤلاء الأنبياء الذين حُفظت أسفارهم في العهد القديم من سلالة هارون ومن هؤلاء الكهنة إلى أن وصلت الكهانة إلى زكريّا النبي والد يحيى في زمان عيسى عليهم السلام وقد جاء في إنجيل لوقا في ذكره: "كَانَ أَيَّامَ

[278] البقرة: **247**

هيرودس ملك اليهوديّة كاهن اسمه زكريّا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون واسمها أليصابات. وكانا كلاهما بارّين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرّبّ وأحكامه بلا لوم. ولم يكن لهما ولد إذ كانت أليصابات عاقراً وكانا كلاهما متقدّمين في أيّامهما. فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرّبّ ".

وقال صاحب (محيط المحيط) في بيان كلمة (مسيح): "المسيح أيضاً لقب الرّبّ يسوع وهو بالعبرانيّة مشيح وبالسريانيّة مشيحاً وباليونانيّة خريستس ومعناهنّ ممسوحٌ سُمّي به لأنّه مُسح من الله كاهناً ونبيّاً وملكاً". ولا يزال يسمّى منصب الإمامة والرئاسة الدينيّة في الأمّة النصرانيّة إلى يومنا هذا باسم الكهنوت وهو منصب الحبر الأعظم الروماني وسائر كبار الأساقفة ويعتبرون أنفسهم في هذا المنصب ورثة عيسى عليه السلام. ويؤخذ من تاريخ هيرودتس اليوناني أنّ كلمة (كاهن) لقب عام لُقّب به الأئمّة والرؤساء الروحانيّون في ذلك الزمان وكانت إحدى وظائفه غالباً حفظ التاريخ.

وخلاصة القول أنّه لا يخفي على من له اطّلاع بفلسفة اللغة وكيفيّة الاشتقاقات اللغويّة أنّ كلمة (كاهن) في الأصل من اللغة الساميّة التي اشتقّت منها اللغات العبريّة والسريانيّة والعربيّة والكلدانيّة وهي تطابق تماماً في معناها كلمة (إمام) في العربيّة. وكما أنّ كلمة (إمام) أُطلقت في الإسلام أوّلاً على الأنبياء عليهم السلام وثانياً على الخلفاء ثم أُطلقت تدريجيّاً على رؤساء المذاهب وأئمّة الفقه ثم انحطّت شيئاً فشيئاً إلى أن صارت تُطلق على كبار العلماء في كلّ فنّ أمثال الإمام فخر الدين الرازي وإمام الحرمين الجويني والإمام الغزالي وفي الأيّام الأخيرة صارت تُطلق على أئمّة الجمعة والجماعات، فكذلك كانت تُطلق كلمة (كاهن) أوّلاً على الأنبياء وثانياً على الرؤساء الروحانيّين وكبار المتألّهين والرجال الإلهيّين والمتبحّرين من أهل العلم والأدب حتى صار كلّ فقيه والرئيس الديني في كلّ قرية أو كلّ خادم في كنيسة ومعبد يُلقّب بهذا اللقب. وفي أواخر أيّام كلّ ملّة عندما تطلع شمس الحقيقة وتتجدّد الشرائع يقوم هؤلاء الرؤساء الذين بيدهم زمام الناس على الإعراض عن أمر الله والاعتراض على مظهر أمر الله ويكونون سبباً

في أعراض الخلق وإعتراضهم. وهم على الأغلب يخدعون العوام الذين لا نصيب لهم من العلم والمعرفة ويصلون إلى مناصب دينيّة عن طريق التقرّب إلى الحكّام وأولي السلطة. لذا فقد إنحطّ إسم (كاهن) في ظهور الإسلام من مراتب عزّته ومجده إلى دركات الهوان والذلّة وصار يوصف هذا الاسم على لسان أئمّة الدين الإسلامي وفي مؤلّفاتهم بأحطّ الاسماء. ولو يعلم المغرورون بمناصبهم الدينيّة أنّ سنّة الله التي لا تغيّرها أوهام المبطلين وأحلام المرتابين سوف تُرجع هذه الاسماء العالية الحاضرة وهذه الهياكل المنصوبة والأصنام المنحوتة الإسلاميّة عطفاً على السابقين إلى الفناء وتلحقهم بالهالكين فإنّهم لا شكّ يسكتون عن ذكر السابقين وينتبهون قليلاً إلى مآلهم شديد الإضطراب والإهتزاز ولكن "أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ"[279].

فيُفهم مما ذكر أنّ جناب الشيخ ظنّ أنّ كلمة (كاهن) تعني الإخبار بالأمور الآتية عن طريق الحدس والتخمين والإعتماد على هذا الظن أيضاً عطفاً على سائر شبهاته الناشئة عن عدم علمه وعدم إطّلاعه بمعنى الكاهن وبمقام الكهنة لأنّه كان بين هؤلاء القوم كما صرّح بذلك أمير المؤمنين عليه السلام أشخاص يهدون الخلق في حالك ظلمات الوثنيّة إلى نور الهداية الوحدانيّة وخاصّةً مثل تلك النفس المقدّسة التي بشّرت بظهور خليل الرحمن عليه السلام والذي كان قلبه منوّراً هو وأمثاله بمثل هذه الأخبار السماويّة.

(الوجه الثالث) إنّ ما كتبه جناب الشيخ: "لماذا يجب أن يرى هذا النجم أهل إيران وحدهم؟ وهل أنّ العالم ينحصر بإيران وحدها؟" إنّما هو شبهة ترجع على الإنجيل المقدّس وعلى أئمّة الإسلام لأنّ فلاسفة اليونان ومصر وممالك أوروبّا التي كانت تُسمّى حينذاك باسم روميّة كانوا في زمان الظهور أي زمان ميلاد حضرة عيسى عليه السلام وكانت لهم منتهى الشهرة في المعلومات الفلكيّة وعلم الهيئة بحيث أنّ فلاسفة أوروبّا في الوقت الحاضر يعترفون بفضلهم ويغترفون من رشحات معارفهم. وكما يقول جناب الشيخ لماذا يجب أن لا يروا نجم عيسى عليه السلام ويراه مجوس إيران وحدهم؟ وهل كان العالم في ذلك الوقت مقصوراً على إيران؟ أو كانت مدارك الإيرانيّين أكبر من فلاسفة اليونان؟ أو كان تعمّقهم أكثر؟ وكذلك الأمر في ميلاد رسول الله عليه السلام لماذا يجب أن لا يرى نجم خاتم النبيين جميع الرواقيّين في مصر والمشّائين في اليونان والفلاسفة في روما ويراه رجل يهوديّ لا إسم مع الأسف مذكور عند اليهود ولا مسطور في كتب المسلمين أنفسهم؟ وهل كان العالم في ذلك الوقت مقصوراً على المدينة المنوّرة أو كانت أشعّة مدارك اليهود أشدّ إختراقاً للأجواء الفلكيّة من فلاسفة مصر وروما؟ ولكنّ الحقّ

---

[279] البقرة: 285

يقتضي أنْ نُعفي جناب الشيخ من الإجابة ونتأمّل ونتدبّر في المعاني المكنونة في الآية الكريمة: "سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا"[280].

وإني أرجو الآن من أهل البصيرة أنْ يمعنوا النظر قليلاً في معنى الآية المباركة لأنّها آية قرآنيّة ووعد محتوم من ربّكم الديان وقد صرّح الحقّ جلّ جلاله في هذه الآية الشريفة بأنّ المتكبّرين في الأرض سوف يُعرضون عن جميع الآيات الإلهيّة وسوف يرجّحون سبيل الغيّ والضلال على سبيل الرشد والهدى وفي هذه الحال لا أدري هل أنّ الأشخاص الذين يعرضون عن الكتاب الإلهي لأنّه لم ينزل حسب أذواقهم السقيمة والذين يشيحون بوجوههم عن نصوص رسول الله وبشارات أئمّة الهدى لأنّها تخالف أهواءهم وآراءهم والذين يعتبرون العلامات الفلكيّة باطلة لأنّ المنجّمين قد أخبروا بها والذين يعتبرون نداء الداعي إلى الله غير واجب سماعه لأنّ فلاسفة أوروبّا اشاحوا بوجوههم عنه والذين يجلسون في بيوتهم ينتظرون أن يأتي قائم آل محمّد إليهم ويتشرّف بحضورهم والذين لا يبحثون عن الألواح المقدّسة لأنّهم يرون أنّ مناظرهم مجبور على إرسالها لهم والذين يعتبرون إكتساب المدنيّة أقدم من تكميل الدين ويرون الآلات الحربيّة ألزم من تهذيب الأخلاق والنفوس وأنّ القتل بالمدافع والرشاشات أسهل من السهام والسيوف – لا أدري هل هؤلاء هم المتكبّرون الذين أخبر بظهورهم تعالى؟ أم يجب أن ننتظر حتى يظهر من الفقهاء تكبّر وتجبّر أكثر ويكون إعراضهم عن الآيات وإتّباعهم للشهوات أوضح وأظهر؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار.

8. في بيان بشارات النورين النيّرين الشيخ الإحسائي والسيّد الرشتي سلام الله عليهما عن قرب ظهور الموعود:

فلمّا إتّضحت هذه المسألة وعُرف أنّ إنتقاد وشكوك جناب الشيخ حول طلوع النجم في ميلاد الأنبياء ومظاهر أمر الله كان في الحقيقة إنتقاداً وتكذيباً للأنبياء والأولياء والأئمّة السابقين، نشرع الآن في النظر في السؤال الذي سأله جناب الشيخ عن بشارات النورين النيّرين الشيخ الأجلّ أحمد الإحسائي والسيّد الأمجد كاظم الرشتي قدس الله تربتهما، وقد قال جناب الشيخ: "وكذلك أرجو بيان عبارات الشيخ أحمد والسيّد كاظم رحمهما الله التي دوّنوها في مؤلّفاتهم

[280] الاعراف: 146

الشهيرة". وقد أجابه جناب مناظره حول هذه المسألة قائلاً: "الجواب الأأ ول: هو ثّنّ حضرة الشيخ أحمد في جواب سؤال السيّد كاظم قدّس الله تربتهما عن مآل الأمر الإلهي قال: "لا بدّ لهذا الأمر من مقرّ 'وَلِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ'"[281] ولا يجوز الإفصاح بالتعيين 'وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ'"[282] وهذه إشارة إلى الآية الكريمة 'إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ'"[283] ومعروف لدى أولي العلم ثّنّ مقصود الشيخ أحمد من كلمة "ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ" هو حضرة الأأ على روح ما سواه فداه ومقصوده من كلمة 'بَعْدَ حِينٍ' " هو ظهور هذا الأمر الأعظم في سنة (1269) هجريّة. والجواب الثاني: هو ثّنّ حضرة السيّد كاظم كان يذكر مراراً موضوع الفراق ويخبر بقرب زمان وفاته وإنقضاء أيّام حياته وقد أظهر بعض أحبّائه حزنهم من هذا الخبر المحزن فأجابهم حضرته: "ألا تريدون أن أذهب ويظهر صاحبكم الحقيقي؟" وقال بأصرح بيان لأأ حبّائه الصادقين وأصحابه المخلصين: "لا تستقرّوا بعدي بل إبحثوا طلباً عن معدن العلم الإلهي لأأ نّه موجودٌ ولا بدّ أنّه سيظهر". ولهذا لم تستقرّ النفوس الموقنة المقدّسة بعد وفاة حضرة السيّد كاظم قدّس الله تربته الشريفة بل ساروا في الأأ رض حتى فازوا بمقصودهم ونالوا قصب السبق وشاهدوا الآيات الإلهيّة بأمّ أعينهم وصدّقوا" إلى آخر كلام المناظر.

ويظهر من عبارات جناب المناظر أنّه كان رجلاً بسيط القلب صافي الضمير وتصوّر ثّنّ جناب الشيخ صافي الضمير وسالم النيّة أيضاً وظنّ واهماً ثّنّ مقصوده التحقيق العلمي والمجاهدة الدينيّة وأنّه متتبّع لأأ حاديث أهل البيت ومتضلّع في تفسير غوامض آيات القرآن المجيد بحيث يدرك المقصود بمجرّد الكلام ومن دون ذكر الشواهد والقرائن ويعتمد على مجرّد الرواية الشفهيّة في ثّنّ حضرة السيّد كاظم تفضّل بكذا وكذا وغفل جناب المناظر عن ثّنّ جناب شيخ الأأ سلام من أهل المجادلة لا المجاملة وثّنّ مقصوده كتابة هجر القول والهذيان لا إتيان الدليل والبرهان ولهذا فقد إغتنم فرصة إجمال كلام حضرة الشيخ أحمد الإحسائي قدّس الله تربته وبعد أن فسّر الآية الكريمة: 'وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ' " خلافاً لما أراد الله شرّع جرياً على عادته السابقة ببذئ القول وبإلقاء الكلام على عواهنه. وحيث ثّنّ المقصود بتأليف هذا الكتاب هو تكميل طرق الاستدلال لا الإتيان بمثل هذيان أهل المراء والجدال لهذا نختتم هذا البحث بذكر

[281] الأنعام: 67
[282] ص: 88
[283] يس: 69

بيان من البيانات المباركة لحضرة السيّد أفاض الله على تربته وابل الرحمة حتى ينتبه الذين لم تذهب بأبصارهم الأغراض إلى مقصود الإيقان الشريف ويطّلعوا على كيفيّة بشارات النورين النيّريّرين بهذا الظهور الأعظم. إنّ السيّد الأجلّ عليه أفضل الثناء وأطيب التحيّة والبهاء في كتاب شرح القصيدة في طيّ شرحه قول الناظم:

(بِضَجِيجِ حَضْرَتِكَ الجَلِيلِ وَدُمُحَمَّدٍ وَحَفِيدِهِ

وَهُوَ__________وَ الإِمَامُ الأَفْضَلُ__________ضَلُ)

قال: "إنّ له صلّى الله عليه وآله وسلّم إسمان: إسم في الأرض وهو محمّد وإسم في السماء وهو أحمد. الاسم هو الظهور. يعني: له ظهوران: ظهور في العوالم الظاهريّة ممّا يتعلّق بظواهر الأبدان من أحكامها وأفعالها وصفاتها وكينوناتها ومظهر هذا الظهور وموقع هذا النور المسمّى بمحمّد. وله ظهور في العوالم الباطنيّة والأسرار الغيبيّة ومظهر ذلك الاسم هو المسمّى بأحمد. ولمّا كان الخلق في القوس الصعودي وكلّما قرب من هذا القوس كان غليظاً وكثيفاً وكلّما بعد وقرب إلى المبدأ كان رقيقاً لطيفاً. ومن عهد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في رأس كلّ مائة سنة كان يظهر من يروّج الأحكام المناسبة لذلك المقام. ولمّا كان مبدأ القوس كانت التربية لظهور الأحكام بالظواهر والمروّج في كلّ مائة سنة كان يروّج الشريعة على مقتضى ظواهر الرعيّة. ولمّا كان البدن الظاهري له مقامان مقام يتعلّق بالاختلاف وعروض الأحوال وتغيّر الموضوعات ومقام لا يقتضي ذلك ولمّا كان كلّ مقام إنما يَكمل في ستّة أطوارٍ كما بيّناها سابقاً كانت الأحكام الظاهريّة التي هي مقتضى ظهور إسم محمّد إنما يتمّ في إثني عشر مائةٍ في كلّ مائةٍ مَنْ يروّج الأحكام ويعيّن الحلال والحرام ويظهر ما كان مخفيّاً ويفصّل ما كان مجملاً في المائة السابعة ويبيّن ما كان مبهماً فيها. وبالجملة فذلك العالِم الكامل والفاضل يروي غصن الشريعة ويخضرّ عودها إلى أن بلغ الكتاب أجله وتمّ إتمام المائة الثانية عشر وإذاً في هذا الوقت ظهر بعض الكاملين وأظهر بعض البواطن للبالغين الواصلين ممّا كان مخفيّاً وتلك المطالب كانت مطويّة كما فعله الشيخ الأكبر وجعل حقائق المطالب مستورة وخزنها تحت الألفاظ والعبارات وأودع تلك الدرر المكنونة في أصداف الإشارات حتى يكون عوناً لمن يروّجها وذخيرة لمن يبرزها ويتقوّى بها. فلمّا تمّت المائة الثانية عشر وتمّت الدورة الأولى المتعلّقة بالظواهر لشمس النبوّة والإثنتا عشرة دورةً لقمر الولاية من حيث التبعيّة فتمّت الدورة وتمّت مقتضياتها. والكرّة الثانية والدورة الأخرى لبيان أحكام ظهور البواطن والأسرار المخفيّات والمخبيّات تحت الحجب والأستار. وعبارةٌ أخرى الدورة الأولى لشمس النبوّة كانت لتربية الأبدان والأرواح المتعلّقة بها: مثالة

الجنين في بطـن الأمّ. والكـرّة الثانيـة لتربيـة الأرواح القادسـة والنفـوس المجـرّدة الغير المرتبطـة بالأجسام: مثالة تربية الأرواح بالتكليف في هذه الدنيا.

فلمّا تمّت الدورة الأولى لشمس النبوّة التي هي متعلّقة بتربية الظواهر التي هي مقتضى ظهور إسم محمّد أتت الدورة الثانية لشمس النبوّة لتربية البواطن. والظواهر في هذه الدورة تابعة كما أنّ الدورة الأولى لتربية الظواهر والبواطن كانت تابعة. فكانت هذه الدورة الثانية فيها إسم رسول الله الذي في السماء وهو أحمد. فكان المروّج والرئيس في رأس هذه المائة الأخيرة المسمّى بأحمد (أي الشيخ أحمد) ولا بدّ أن يكون من أعذب أرضٍ وأحسن هواءٍ" إلى آخر كلامه قدّس الله تربته وأعلى الله مقامه في حظائر القدس وكرّم الله وجهه بلقائه في محافل الأنس.

وهذه النغمة الملكوتيّة على رغم أنف كلّ جاحد مكابر هي نفحة من الجنّة ونسيم رحمةٍ يمنح قلوب أهل الاستعداد فرحاً ونشاطاً. ويقصد حضرة السيّد كاظم قدّس الله روحه بكلمة "ظهور البواطن والأسرار المخفيّات" ظهور بواطن آيات القرآن وسائر الكتب السماويّة التي على كشفها لهذه المعاني وإظهارها لهذه المفاهيم يتوقّف ترقّي عقول البشر وتقدّم النوع الإنساني وبروز وظهور نتائج ذلك في عالم الظاهر وبحكم الآية الكريمة: "هَلْ يَنْظُرونَ إلاّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتي تَأْوِيلُهُ يَقولُ الّذينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ"[284] والآية الكريمة: "بَلْ كَذَّبوا بِما لَمْ يُحيطوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْويلُهُ"[285] يتوقّف ظهور ذلك على ظهور قائم آل محمّد وقيام روح الله جلّ ذكرهما وعزّ إسمهما كما سبق لنا أن شرحنا ذلك بكلّ تفصيل.

فالآن أرجو من أهل العدل والإنصاف أن يتأمّلوا قليلاً بكلّ دقّة وإمعان في هذه البيانات العالية التي تشهد وحدها على سموّ مقام قائلها ليروا كيف أنّ حضرة السيّد كاظم أخبر بإنقضاء أجل الشريعة النبويّة وإنتهاء الدورة الإسلاميّة بعد إنتهاء القرن الثاني عشر من القرون الهجريّة وكيف أنّه قرّر القرن الثالث عشر الهجري ميعاداً لظهور حضرة الموعود وهذا ما ينطبق تماماً على البشارات القرآنيّة والاحاديث الصحيحة عن رسول الله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام كما شرحنا ذلك في المبحث الأوّل.

---

[284] الاعراف: 53

[285] يونس: 39

ولكنّ ما يضحك منه المرء "وشرّ البلية ما يُضْحِكُ" أنّ جناب الشيخ لما علم من بيانات حضرة المناظر أنّ بشارات حضرة الشيخ الأكبر والسيّد الأجلّ أنار الله برهانهما غير قابلة للإنكار تمسّك بحبل آخر وزاد في نغمات الاعتراض نغمة أخرى وهي أنّه كتب في رسالته الثانية: "أنّ رتبة المبشّر الشريفة هي رتبة تختصّ بالأنبياء العظام والأولياء الكرام" ويعني أنّ النورين النيّرين لم يبلغا رتبة النبوّة ولم يصلا درجة الأولياء ولهذا فإنّهما ليسا أهلاً لرتبة المبشريّة ويجب أن يكون المبشّر نبيّاً أو وليّاً كما يجب عليهما لبلوغ هذه المرتبة أن يأذن على ذلك أيضاً جناب شيخ الإسلام وإلاّ فإنّ الرتبة تسقط من مقام الإعتبار وقد غفل عن أنّ حقيقة الأنبياء والأولياء لو تتعلّق على قبول الفقهاء فإنّه لن تثبت في العالم نبوّة أيّ نبي وجلالة قدره أبداً لأنّه لم يشرق أبداً نيّر في وسط سماء النبوّة ولم تطلع رسالةٌ إلاّ وكان سحاب معارضة الفقهاء أوّل حائل دون أنوارها ولم يطلع بدر من أفق العهد والولاية المنير إلاّ وحجَبَ ضياءه دخان حسد أهل اللجاج وعنادهم كما نزل في السفر الكريم: "فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ"[286]. وفي الحقيقة يجب أن لا يتوقّع العاقل إعترافاً من أمثال جناب الشيخ بفضل النورين النيّرين قدّس الله تربتهما لأنّ الذي ينكر ظهور مظاهر أمر الله فمن الأولى والأسهل عليه أن ينكر ظهور المبشّرين. وواضح أنّ اليهود لم ينكروا أمر حضرة المسيح فحسب بل أنكروا كذلك أمر حضرة يحيى عليه السلام المبشّر بظهور حضرته [ولكن ما أضرّوا إلاّ بنفوسهم وما إنقضت صواعق التتريب من غمام التكذيب إلاّ على رؤوسهم. فلا فضائل يحيى أُخفيت بإنكارهم ولا آثار عيسى إندرست بتكذيبهم. فلنودّعنّ هذا المبحث بتلاوة الذكر الحكيم ليزيد المؤمن سروراً وحبوراً] "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا"[287].

9. في نقد جناب الشيخ ما ورد في الإيقان الشريف حول كتاب إرشاد العوام:

كتب جناب الشيخ في رسالته الاولى: "ولا تظننّ أنّ الاستدلال الواهي والإستشهاد غير الكافي الوارد في كتاب الإيقان يقتصر على هذا فحسب. كلاّ بل يمكن العثور فيه على أعجب من ذلك. مثال ذلك ما تفضّل به حول كريم خان وحول كتابه المسمّى إرشاد العوام وهذه عبارة

[286] الدخان: 10

[287] الأنعام: 112

الإيقان: "ولما كان هذا العبد (ويشير بهذا إلى نفسه) قد سمع كثيراً عن ذكره أردت أن أتصفّح قليلاً في رسائله رغم أنّ هذا العبد ما كان له ميل للإقبال على النظر في كلمات الغير ولن يكون (تذكّر هذه العبارة لأنّنا سنحتاج إليها فيما بعد[288]). إلاّ أنّه لما سأل جمعٌ عن أحواله وإستفسروا عنه لهذا صار لزاماً علينا أن ننظر قليلاً في كتبه ونجيب السائلين بعد الإطلاع والمعرفة. والخلاصة إنّ مؤلفاته باللغة العربيّة لم يتّفق وقوعها في يدنا حتى أخبرنا شخص ذات يوم بأنّه يوجد في هذا البلد كتاب له يسمّى بإرشاد العوام، ولو أنّه تُشتمّ من هذا الاسم رائحة الكبر والغرور حيث فرض نفسه عالماً والناس جهلاء. وفي الحقيقة قد عُرفت جميع مراتبه من إسم هذا الكتاب وثبت أنّه سالك سبيل النفس والهوى وساكن في تيه الجهل والعمى". أفترون كم من معان فهمها من مجرد إسم كتاب؟ فإنّه يستشمّ رائحة الكبر والغرور من إسم كتابٍ كتبه آخرون باسم كتاب إرشاد العوام مع أنّ أغلب الناس في كل زمان ومكان وفي كل أمّة كانوا من العوام وقد صُنّفت كتب كثيرة لإرشادهم ولكن من كتابه الذي كتبه باسم كتاب الإيقان لا تشمّ مشامه الشريفة منه رائحة الغرور والاستكبار وكأنّ نفحاته سوف تسوق جميع الناس من عالم الظنّ إلى عالم اليقين. و أبداً لا يسمع نغمة الإستكبار تعلو من عباراته التي أوصيتكم سابقاً بتذكّرها وهي: إنّ هذا العبد ما كان له ميل للإقبال على النظر في كلمات الغير ولن يكون" ولكنّه من إسم كتاب إرشاد العوام يعرف جميع مراتب صاحب الكتاب ويحكم قطعيّاً على أنّه سالك سبيل النفس والهوى وساكن في تيه الجهل والعمى. مرحى لهذا الاستدلال والاستنتاج وليلاحظ أولو العلم والإنصاف أيّ إسم في الكتابين يدلّ على الإستكبار؟ وهل الشخص الذي سمّى كتابه إرشاد العوام متكبّر ومغرور أم الذي تفضّل بتسمية كتابه باسم الإيقان وليس له ميل للإقبال على النظر في كلمات الغير ولن يكون؟" إنتهت عبارة جناب الشيخ عافاه الله.

10. الجواب وبيان أنّ المعترضين على مظاهر أمر الله لم يعترضوا إلاّ بسبب غفلتهم عن معنى الروح القدس المتجلّي في تلك الأبدان المقدّسة وبسبب تصوّرهم بأنّ أولئك السلاطين، سلاطين الوجود، أشخاص محدودون مثلهم:

لا يخفى على اولي القلوب الصائبة والبصائر الكاشفة أنّه لم يقم إنسان من أوّل ما أبدع الله الخلق حتى الآن على معارضة الأنبياء والمرسلين وتكذيب مظاهر أمر حضرة ربّ العالمين إلاّ بسبب جهله معرفة أصل الدليل والبرهان الذي به يمتاز الحقّ عن الباطل والصادق عن الكاذب وبسبب

[288] لقد استعمل جناب الشيخ في الاصل كلمة آنفاً (العربية) وكان يقصد بها خطأً (فيما بعد)

غفلته عن مقام العزّة والسلطنة الإلهيّة والقدرة والغلبة الروحانيّة الموجودة في تلك النفوس القدسيّة المختفية وراء أستار الصورة البشريّة والمظلوميّة الظاهريّة. وعندما يقوم أمثال أولئك الناشئين في الظهور السابق والذين مثّلهم حضرة السيّد الأجلّ قدّس الله سرّه "بأطفال قبل الفطام" أو كما مثّلهم عيسى عليه السلام "بأجنّة محبوسة في الأرحام" عندما يقوم هؤلاء المرتبطون بأرحام الجاهليّة أو النائمون في مهاد الطفولة فيتصورون أولئك السلاطين، سلاطين الوجود ومطالع قدرة وسلطنة حضرة المعبود، أشخاصاً محدودين مثلهم، يطلقون ألسنتهم في إنتقادهم وهم وسائط الخلق والإيجاد فيسمّون أحياناً مظاهر كمال العقل والرزانة مجانين ينطقون بالأشعار ويقولون "أئنّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون "[289] وأحياناً تغرّهم مناصبهم أو علومهم أو ثروتهم أو عزّتهم ويقولون: أنؤمن كما آمن السفهاء"[290] ويترنّمون بقولهم: " وما نراك اتّبعك إلاّ الذين هم أراذلنا بادي الرّأي"[291] وأحياناً يتّهمون تلك الشموس المنيرة لسموات الأديان بمخالفة الضروريّات الدينيّة وهدم أساس الشرائع الإلهيّة وينشدون أنشودة إنّي أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد"[292] وأحياناً ينكرون براهين حضراتهم البيّنة إنكاراً تامّاً وينادون ما جئتنا ببيّنة"[293] كما إنتقد جناب الشيخ جميع هذه الانتقادات على هذا الظهور الأعظم بحكم الحديث الصحيح: "لتسلكنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع" وأحيا في رسالته المطبوعة جميع سنن الاعتراضات الماضية. وخلاصة القول أحدهم سمّاه شاعراً وآخر ساحراً. أحدهم اتّهمه بالتعلّم وبالدرس وآخر بطلب الملك وحبّ الرئاسة وقال هذا "لماذا عمل كذا؟" وقال ذاك "لماذا قال كذا". وكما إمتلأت به بطون الكتب ومتون الصحف لم يبق إنتقاد لم ينتقدوه أو اعتراض لم يبدوه ولم يكن هناك سبب لكلّ هذه الانتقادات وهذه الاعتراضات وهذا اللجاج والعناد الشديد إلاّ أنّ هذه النفوس الواهية الساهية وهذه الذوات السافلة اللاهية كانت قد غفلت عن مراتب القدرة والعلم والإحاطة والسلطنة الروحانيّة القدسيّة التي كانت متجلّية ظاهرة في تلك الأبدان القدسيّة وذهلت عن مشاهدة تلك الأنوار الصافية المتلألئة والمضيئة وبقيت تجهل معرفة أصل الدليل الذي يجب أن تنظر إليه لا أن تنظر إلى ما يوافق أو يخالف أهواءها الباطلة. ونظرت بنظر الطفولة إلى المنظر الأكبر وظنّت مدارك من ينظر في القلوب مثل مداركها الضعيفة وتصوّرت مقنّن القوانين وشارع الشرائع محكوماً ومحدوداً مثلها.

---

[289] الصافات: 36
[290] البقرة: 13
[291] هود: 28
[292] غافر: 26
[293] هود: 53

وبعد إطّلاعكم على هذه المقدّمة يتّضح لكم سبب عجب جناب شيخ الإسلام وإستغرابه كيف أنّ الجمال الأقدس الأبهي عزّ إسمه الأعلى أوضح من كلمة واحدة (إرشاد العوام) جميع مراتب صاحبها ولماذا شمّ رائحة التكبّر والغرور من هذه الكلمة. نعم قد جاء في حقّ مظاهر أمر الله: "عَيْنُ اللّه النّاظِرَة" وجاء في أعداء الله: "وَعَلَى أبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ"[294] وقد عُرف عن هؤلاء العلم الذي جاء في الآية: "عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى"[295] ووُصف أولئك في الآية بصفة: "إنْ هُمْ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ سَبِيلاً"[296] لذا فلا عجب أن يرى الناظر بعين الله والمؤيّد بشديد القوى من كلمة واحدة مراتب يعجز عن إدراكها أولو البصائر المحجوبة والأبصار المطموسة والأفكار المنحوسة. فمثلاً لاحظوا إنّ الحقّ جلّ جلاله خاطب رسول الله عن المنافقين بالآية الكريمة: "وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ"[297] أي إنّك ستعرف المنافقين من لهجتهم وتعرف مكنونات قلوبهم من أقوالهم في حين لو نطق منافق مثلاً في حضور خاتم الأنبياء عليه وآله أطيب التحيّة والبهاء بشهادة "أشهد أنّك رسول الله" وأدرك حضرته من هذه الشهادة نفسها جميع مراتب نفاقه وخداعه فلا شكّ أنّ المنكرين لحضرته يستغربون ويعجبون ويطلقون ألسنة اللوم والتقريع قائلين كيف كشف نفاق باطنه من كلمة واحدة هي في الظاهر تصديق نبوّته عليه السلام ورسالته؟ وكيف كشف منها جميع مكنونات قلبه؟ ولكنّ المؤمنين بحضرته ينظرون إلى أصل الدليل ولا يشكّون أبداً في صحّة حُكم حضرته بل يشاهدون في انفسهم بنتيجة أشعّة إيمانهم وإيقانهم عين هذه القوّة الباصرة والرؤية الصحيحة كما حدث مراراً في هذا الظهور الأعظم حين جاء أهل النفاق إلى أصحاب الوفاق وأظهروا إيمانهم وإيقانهم ومجاهدتهم وإجتهادهم في منتهى الخدعة والإحتيال ولكنّ عباد الله من أوّل وهلة إنتبهوا إلى نفاقهم بحكم الحديث: "إتَّقُوا فَرَاسَةَ الْمُؤمِنِ فَإنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ" وعرفوا من كلماتهم مكنونات قلوبهم ولكنّ هذه البصيرة والنورانيّة ليست من المواهب العامة التي يظنّ كلّ إنسان أنّها موجودة في نفسه ويعتبر خياله الفاسد من المدارك العالية، إذ من الأمثال السائرة أنّ الغراب إذا أراد أن يتعلّم مِشية القطاة فإنّه ينسى مِشيته ويقع في ورطة الأغلاط الفاضحة ويفضح نفسه لدى طيور حدائق العلم والعرفان.

11.في بيان معنى كلمة (إيقان) وإثبات خطأ جناب الشيخ في فهم معناها:

---

[294] البقرة: 7

[295] النجم: 5

[296] الفرقان: 45

[297] محمد: 30

هذا وإنّ جناب الشيخ لما شمّ رائحة التكبّر من كلمة (إيقان) ومن عبارة عدم إقبال مظهر أمر الله على النظر في كلمات الغير فإنّه لم يقع في ورطة التشبيه والتمثيل الذي لا ينطبق على القياس مع الفارق فحسْب بل فضح جهله باللغة وبرهن على عدم علمه بمواطن إستعمال الألفاظ لأنّ كلمة (إيقان) لم ترد أبداً بمعنى يفيد اليقين ولا تستعمل بمعنى ساق الخلق من عالم الظنّ إلى عالم اليقين كما حسب جناب الشيخ فقد قال البستاني: "أيقن الأمر إيقاناً وتيقّنه وإستيقنه وبه إستيقاناً: عَلِمه وتحقّقه" ويتّضح من تنصيص علماء اللغة هذا أنّ جناب الشيخ قاصر عن إدراك ظواهر الألفاظ ولهذا السبب قاس قياساً باطلاً. وغاية الأمر هو أنّ كلمة (إيقان) تدلّ على أنّ مضامينه قد نزلت من عالم اليقين لا من عوالم الظنّ والشكّ والتخمين، وكذلك إذا لم يُقبل مظهر أمر الله على مطالعة الكتب فإنّ ذلك ليس من باب الكبرياء والغرور بل لكي لا يكون ذلك الإقبال على الكتب سبباً في إرتياب أرباب الشكّ والريب ويُنسَبُ اكتساب العلوم إلى أمطار معارفه الهائلة في حين أنّ آفاق العالم قد تعطّرت من نفحات طيب أخلاقه الكريمة وإشتهرت وداعته ورأفته في كافّة الأنحاء والأطراف وقد نزل في كتاب سلوك (الوديان السبعة) الذي نزل في جواب أحد كبار المشايخ في المقام الرابع منه قوله جلّ شأنه بصورة صريحة: "لا أحبّ إظهار الأقوال السابقة كثيراً لأنّ ذكر أقوال الغير دليل على العلم الإكتسابي لا على الموهبة الإلهيّة" إنتهى. فيُفهم من هذه العبارة بكل صراحة أنّ مقصود مظاهر أمر الله هو حفظ قلوب العباد من أن يتطرّق إليها الشكّ والشبهة كما نزل في حقّ خاتم النبيّين عليه السلام: "وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ "[298] حتى ينقطع لسان إنتقاد أرباب العناد ولا يُنسب نزول القرآن الشريف إلى التعلّم والتكسّب. ولكن ويا للأسف مع كلّ هذا لم ينقطع لسان الخصم اللجوج ولم ينسدّ باب المكابرة، لأنّ أمثال جناب الشيخ من اليهود والنصارى الذين كلّما ازداد ردّ مظاهر أمر الله يزيدهم شأناً ومقاماً قد نسبوا إلى خاتم النبيّين عليه السلام التعلّم في كتبهم التي كتبوها في الردّ على الإسلام ونسبوا نزول القرآن إلى مساعدة الغير وإكتساب المعلومات منهم كما يتّضح من إنتقادات هاشم الشامي وجرجيس صال الإنكليزي. ولكن سبق لي أن عرضتُ أنّ جناب الشيخ يجب أن يُعفي في هذه الأغلاط لأنّ الشخص الذي يبني كلمة (توقين) من باب (يقين) خلافاً لتصريحات اللغويّين ويقول في خطبة كتابه عبارة "وتوقين ما نصّ به من إمامة الائمّة" فلا عتب عليه أن يخطئ

[298] العنكبوت: 48

في فهم معنى كلمة (إيقان) أيضاً ويبني على هذا الخطأ الفاحش قياساً باطلاً **[تعرف الألأ شجار من أثمارها والنفوس من آثارها]**.

12. في بيان بعض مآثر كتاب الإيقان الشريف:

نعم نحن أهل البهاء بعناية مَن أضاء ببهاء وجهه آفاق الأرض والسماء نعتقد إنّنّ هذا الكتاب المبين والسفر الكريم يبدّل الظنّنّ باليقين ويسوق الخلق من الجحيم إلى النعيم لا من حيث أّنّ كلمة (إيقان) تدلّ على هذا المعنى أو تدلّ مثل كلمة (إرشاد العوام) على رشاد المؤلّف وجهل العوام بل من حيث أّنّ المباحث النازلة في هذا الكتاب الشريف ترفع حُجُبَ الظنّ الغليظة وتفيد أدلّة وبراهين واضحة يقينيّة، ولا مجال لإلإنكار فضل هذا الألأ ثر الباهر حيث أّنّ نفوساً لا تحصى وردت به من عالم الظنّنّ والتقليد إلى عالم اليقين والتحقيق وصعدت من حضيض الشكّك والترديد إلى أوج الإيقان والإلإ طمئنان الرفيع بحيث فدوا أرواحهم حين هبوب عواصف الإلإ فتتان وهياج زوابع الإلإمتحان التي فيها يمتاز الثابت من الزائل والحقّق من الباطل وتسربلوا بدمائهم ولم يرضوا بكتمان مبدأهم ومشربهم مثل أسرى الجاه والمناصب ولم يركعوا ولم يسجدوا مثل عبيد الثروة والشهود عند من يعاندونهم في الباطن ويخضعون لهم في الظاهر ولقد أجاد وأحسن من قال:

(لَيْيْسَسَ لِلِلدَلّ حِجِيلَلَةٌ في نُنُفُوسٍ[299] يَتَيقّنُ الْقُعْهَالْقَبَاءِ)

ومن الآثار الباهرة لهذا الكتاب المقدّس بالذات وسائر الألواح المقدّسة أن إستطاع أهل الإيمان حلّ رموز جميع الصحف السماويّة وفهم بطون الآيات الإلهيّة وإستطاعوا بهذه الموهبة تأليف قلوب الألأمم المتباعدة المتباغضة وتبديل العداوات الراسخة القديمة إلى محبّبة ووداد وإتّفاق وإتّحاد حتى تتحقّق بشارة: "يَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ " ويكون في حكم الواقع نبأ: "يَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِلِّ وَيَمُدُّ الفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى حُجْرِ الأُفْعُوَانِ ".

ومن الآثار الباهرة لهذا الكتاب المقدّس وسائر الألألواح المقدّسة أّنّ آلاف الألأميّين العوام الجبناء البكم الصمّم الذين لا خبر لهم من دينهم ولا علم لهم بحقائق سائر الكتب والألأديان قد تبدّل جهلهم إلى علم وجبنهم إلى قوّة وشكّكهم إلى اليقين من أثر الأنوار الساطعة من هذه

---

[299] بمعنى ليس للدلال سبيل الى نفوس

الآيات الإلهيّة وصاروا في مجالس أهل الإلا ستبداد يتغنّيون كالطيور المغرّدة بحمد وثناء مالك يوم المعاد وينطقون بالحجج القويّة والأدلّة الواضحة في ثبات حقيّة أمر حضرة ربّ العباد حتى تتجلّى حقيقة الإيمان اليقيني غير التقليدي وتتحقّق بشارة: "يُمُسْـسِ ي الرَّجُجُـل لُ جَجَـاهِ لاً جَجَبَلْنَاً بَجَبَجَبَجَيلاً فَفَيُصُصْ بِجُحُ عَعَالِماً شُشُجَجَاعاً كَكَرِيماً".

وإنْ أغمض المكابرون والمكذّبون أعينهم عن جميع الآثار الباهرة للألواح المقدّسة فكيف يستطيعون إنكار هذا الأثر الظاهر وهو أنّ آلافاً مؤلّفة من الغلاة واليهود والزردشتيّة والهنود الذين لم يكونوا مؤمنين بعيسى عليه أطيب التحيّة والبهاء وبخاتم النبيّين عليه أزكى التسليم والثناء ولا بأئمّة الهدى ولا بالكتب النازلة من السماء قد آمنوا بتلك الأنوار المقدّسة بنتيجة هذا الكتاب المقدّس بالذات وأقرّوا واعترفوا بعظمة شأنهم وجلال قدرهم بل قاموا بقوّة الاسم الأعظم رغماً للذين يرون نعمة الله ثمّ ينكرونها على هداية سائر الأمم وإرشادها وتحقّقت البشارة الكريمة: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ"[300] ولم نشاهد مثل هذا التأثير الباهر من كتب علماء الإسلام الحاضرين الذين ينطبق في حقّهم حكم "أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ"[301] بل لم يُشاهد ذلك أيضاً من كتبهم في أوّل الأيّام التي كان ينطبق بحقّهم حكم الحياة والإيمان. [**والتاريخ أحسن شاهدٍ بين الفريقين والأثر أكبر فارقٍ بين الكلمتين**].

13. في بيان أنّ اعداء الله والمنكرين للأنبياء يكفّرون أهل الإيمان في كلّ زمان:

نعم لو يسأل إنسان من الذين قنعوا من الدين والإيمان والعلم والفضل بالاسم قائلاً: "مَمَنْ الذي بدّلته كتبكم من الضلالة إلى الهداية حتى يصدق بحقّها اسم الإرشاد ولا يبقى فقط إسماً بلا مسمّى؟" فإنّهم يعجزون عن الإجابة ويحوّلون المناظرة العلميّة إلى محاربة دينيّة ويشرعون بالسبّ واللعن والتكفير ويوقدون نار التعصّب بين العوام ويحرّ

كون عِرق العداوة بين الأقارب والأقوام كما تمسّك جناب الشيخ في هذا الموضوع بعد عجزه

القصص: 6 [300]

النحل: 21 [301]

عن الإجابة على جناب مناظره بحبل التكفير وآوى إلى كهف الهذيان وبذئ الألأ قوال وسمّى مناظره كافراً وملحداً بدليل ألّنّ جناب المناظر إعتبر مظاهر أمر الله عروشاً إلهيّة وإعتبر منزلتهم مقدّسة عن الإلإمكان ومَنْ في الإلإ مكان وإعتبر كتاب الإيقان الشريف أعلى وأتقن من جميع الكتب كأنّ جناب الشيخ لم يسمع الحديث الصحيح: "قَلْبُ الْمُؤْمِنِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ" ولم يشاهد البيان المتين: "لا تَسَعُنِي أَرْضِي وَلا سَمَائِي وَلَكِنْ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنْ". وفي الوقت الذي فيه سُمِّيت قلوب المؤمنين عروشاً إلهيّة بسبب إستواء روح الله على هذه القلوب المقدّسة لماذا لا يجوز إطلاق كلمة (العرش الأعظم) على قلب موسى أو عيسى أو خاتم النبيّين أو الجمال الأقدس الأبهي ؟ وكأنّ جناب الشيخ لا يزال (مع أنّه يعشق بالاسم علوم المتمدّنين) يؤمن بترتيب الألأفلاك السبعة والكرسي والعرش ويتمسّك بخرافات السابقين في أبحاث الفلك وكأنّه ظنّ أنّ فلك الألأفلاك الموهوم المسمّى بالفلك التاسع والفلك الألأطلس هو العرش الأعظم الإلإلهي وعليه يجلس الحقّ جلّ جلاله. وإلاّ فإنّ الإنسان الذي يؤمن ببطلان علم الفلك القديم كيف ينكر عرشيّة أبدان مظاهر أمر الله؟ وإذا كان جناب الشيخ في الواقع مطّلعاً على بطلان علم الفلك القديم وصحّة علم الفلك الجديد فليتفضّل ويقول ما هو المقصود بالعرش المذكور في جميع الكتب السماويّة حتى نؤيّد نحن صحّة نظره ولا نسمّي الهياكل المقدّسة عروشاً إلهيّة؟ ولم يعرف جناب الشيخ أنّ كلّ ما قيل في حقّ مظاهر أمر الله إنّما كان بسبب إنتسابهم إلى ذات الله تبارك وتعالى لا بسبب شخصيّاتهم وخصوصيّاتهم. فمثلاً في حادثة البيعة تحت الشجرة يتفضّل في القرآن المجيد: "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ"[302] فهل هذا الإلإتّحاد المفهوم من هذه الآلآية الكريمة يدلّ على أنّ رسول الله عليه الصلاة والسلام إعتبر نفسه الذات الإلهيّة وواجب الوجود لأنّ بيعته نفس بيعة الله ويده عين يد الله؟

ولا تظننّ ايها القارئ الكريم أنّ جناب الشيخ أوّل إنسان كفَّرَ أهل الإيمان وإعتبر مطالع التوحيد والإيقان ضالّين مرتدّين، حاشا وكلاّ فإنّ هذا شأن المكذّبين في الصميم وسجيّة قديمة في المنكرين. فانظر في الآية (63) من الإصحاح (27) من إنجيل متّى لترى أنّ اليهود بكلّ دناءة سمّوا وجود عيسى عليه السلام مضلاًّ ونسبوا مطلع نور الهداية ذاك إلى الضلال وإن إعتبر المسلمون مثلاً الإنجيل كتاباً غير مقدّس فلينظروا الآية الكريمة في سورة المطفّفين حيث قال تعالى:

[302] الفتح: 10

"إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ. وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ. وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ"[303].

14. في بيان أنّه لا إعتبار لتصديق الفقهاء أو تكفيرهم ولا يترتّب على هذا غير إنهدام الممالك مع ذكر بعض الشواهد التاريخيّة:

لاحظوا أنّ تكفير المؤمنين كان من الشعائر القديمة في المجرمين ووصلَ بالوراثة إلى اللاحقين (ليظهر في الحديث ما إندرس من الشعار الرثيث) ولكنّنا نحن عباد هذا الظهور الأعظم أضاء الله بأنواره أرجاء العالم نستهزئ بهذه التكفيرات ونعتبر ذلك فخراً لنا بحكم الحديث الصحيح: "إِذَا ظَهَرَتْ رَايَةُ الْحَقِّ لَعَنَهَا أَهْلُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ" ونعتبرها من علامات حقيّة هذا الأمر الأعظم لأنّ التصديق أو التكذيب الذي لم ينزل من قلم إلهي ولم يصدر من لسان إلهي ولم يسطر في كتاب الله ليس أهلاً للإهتمام ويزول ويضمحلّ مع المكفّرين أنفسهم بحكم المثل السائر: "كلّ ما جاءت به الريح يذهب أدراج الرياح" بل يؤثّر خسران ذلك في أولئك المكفّرين وفي ذريّاتهم. ولو يفكّر المرء قليلاً في التكفيرات التي حدثت بين أهل السنة وأهل التشيّع ويطّلع على نتائجها يعترف بصدق هذا القول ويشهد بعظمة خسرانهم وسوف أذكر في هذه الصفحات إحدى هذه الحوادث المشؤومة حتّى ينتبه أولو الأبصار قليلاً إلى هذه النكات ويطّلع على عواقب الخادعين والمكفّرين ["**لعلّ الله يهديهم إلى سواء السبيل**"].

عندما طلع نجم الدولة الصفويّة من البلاد الشرقيّة في أوائل القرن العاشر الهجري وإستولى مؤسّس هذه الدولة الشاه إسماعيل الصفوي على بلاد شيروان أوّلاً وبعدها على آذربيجان وأراك وأكثر بلاد إيران، كانت الدولة الأزبكيّة في ذلك الوقت من الدول القويّة. وكان محمّد خان الشيباني الأوزبكي يعتبر نفسه فاتح الآفاق ويعتقد نفسه مالكاً متصرّفاً في الممالك الشرقيّة بالإستحقاق لذا ثار غبار الحرب بين الملكين حول الإستيلاء على خراسان وعصفت الحرب الضروس على حدود مدينة مرو، وبنتيجة الحرب قُتل محمّد خان وإستولى الشاه إسماعيل على خراسان وعندما فتحت الدولة الصفويّة بلاد خراسان راجت سوق السبّ والرفض والطعن واللعن وفي هذا الوقت كان يسكن مدينة هرات شمس الدين محمّد القهستاني الذي كان من أئمّة القوم ومن أفاضل العلماء المعدودين وحيث لم يستطع تحمّل سماع سبّ الخلفاء الراشدين توارى في زاوية الإختفاء حتّى رجع الشاه الصفوي إلى

[303] **المطففين: 29-32**

أراك وتوجّه عبيد الله أوزبك أمير بخارى مرّة ثانية نحو هرات ليثأر لدم محمّد خان وليستولي على بلاد خراسان فإستولى على هرات وخرج شمس الدين المذكور من زاوية الإختفاء وشملته عواطف أمير بخارى وعناياته فشرع بتكفير الشيعة الإثني عشريّة علناً وإعتبر محاربتهم أهمّ الفرائض الدينيّة فلمّا سمع الشاه إسماعيل بأخبار خراسان وإستيلاء الأزبكيّين عليها مرّة أخرى عزم على فتح البلاد الشرقيّة وإخضاع القبائل الأوزبكيّة مرّة أخرى ووجّه جيوشه نحو بلخ وهرات وعندما سمع أمراء الأزبكيّة بذلك ولم يروا في أنفسهم قوّة مقاومته إنهزموا نحو بخارى وسائر بلاد ما وراء النهر، ولما شاهد شمس الدين المذكور إقامته في هرات من المستحيلات رافق موكب عبد الله خان متوجّهاً نحو بلاد توران وحطّ عصا الرحال في مدينة بخارى وإغتنم علماء ما وراء النهر فرصة وجوده فيما بينهم وإعترفوا بفضله وتقدّمه عليهم وإغترفوا من أنهار معارفه وإفتخروا بالتلمذة عليه حتّى نال في بلاد تاتارستان الواسعة الأطراف صيتاً كبيراً ونفوذاً واسعاً وشهرةً ومقاماً عليّاً فتحرّكت الضغائن المذهبيّة مرّة أخرى وحرّكت عِرقَ عصبيّته وجعله حبّ الإنتقام لا يرى عواقب الإسلام وأخذ قلم الظلم وسجّل به تكفير الإيرانيّين بأشنع العبارات. وكما قلنا أنفاً إنّه إعتبر محاربة الشيعة أفضل أنواع الجهاد وسمّى بلاد إيران الجبهة الحربيّة وحرّض أمراء التاتار الذين إعتادوا النهب والسلب والذين كانوا ينتظرون صدور مثل هذه الفتوى للإنتقام لدم محمّد خان على حرب الشيعة. وكذلك ظهر أنّ علماء الشيعة ليسوا بأقلّ من علماء السنّة في هذا الميدان فنسبوا الغيّ والضلال لأهل السنّة والجماعة بل خطوا خطوة أكبر فكفّروا كبار المهاجرين ورفضوا السابقين الأوّلين وكتبوا الفتاوى في وجوب لعن الخلفاء الراشدين والتبرّأ منهم حتّى إشتعلت نار الحرب الضروس بين الأمّتين وراجت سوق السلب والنهب بين الترك والفرس وكم بِيعَ أسرى الأيرانيّين في أسواق بخارى وسمرقند بَيْعَ الأغنام في سوق البيع والشراء وقُسِّم أسرى الترك والتتار في بلاد إيران تقسيم غنائم الحروب والأسلاب فتخرّبت البلاد الشرقيّة العامرة وصارت مدن عامرة مثل جرجان ونسا ودرون وأبيورد ومرو وغيرها من البلدان التي كانت أعظم العواصم ومراكز العلوم والمعارف قاعاً صفصفاً وتبدّلت مراكز العلم والمدنيّة إلى معارك الجهل والهمجيّة. وحيث أنّ القبائل التركمانيّة كانت منذ البدائة تسكن الصحارى الشرقيّة والبلاد الخوارزميّة الراسخة في تسنّنها فإنّها كانت واسطة عِقد هذا النهب والسلب والسيف المسلول في هذه الحروب الطاحنة وكان أمراء خراسان المعروفون بتشيّعهم والموصوفون ببسالتهم وشجاعتهم يكيلون لها الصاع بصاعين بل كانوا يزدادون عليها أضعافاً مضاعفة في أساليب القلع والقمع والردع والمنع ويتظاهرون

بذلك لدى رجال الدولة الإيرانيّة لذا فقد إنتهت حال القبائل التركمانيّة إلى أمور عجيبة محزنة وحالات غريبة مدهشة لأنّ القبائل التركمانيّة التي حُرمت من الزراعة بسبب هجمات أمراء خراسان أضحت في ضَنَكٍ من العيش شديد ولم تذق طعم الراحة ليلاً ولا نهاراً وإضطرّت في سبيل تحصيل قوتها إلى إلقاء نفسها في المهالك وكانت تجتاز الحدود الايرانيّة للسلب والنهب لعلّها تصطاد أسيراً وتعيش بثمن بيعه. وإذا وقع أفراد هذه القبائل بيد الخراسانيّين إبتلوا بأنواع البلايا والتعذيب فيُشقَّون نصفين وعيونهم مفتوحة ترى ذلك التعذيب ويصلخون جلود بعضهم وهم أحياء ويقطّعون أيدي وأرجل البعض الآخر ويشدّون بعضهم في فوّهات المدافع ويقذفونهم منها شذر مذر ويرسلون رؤوسهم إلى عظماء البلاط الشاهنشاهي في طهران، حتّى توجّهت القبائل التركمانيّة من شدّة فقرها وإحتياجها من إفتراس الشيعة إلى إفتراس السنّة وصاروا ينهبون ويسلبون إبناء مذهبهم في حدود بلخ وأفغانستان ثم دبّ النهب والسلب أخيراً إلى بخارى نفسها ورجعت نكاية فتوى شمس الدين القهستاني وعلماء بخارى إلى نحورهم أنفسهم. وكما كتب الميرزا شمس البخاري في كتابه الذي ألّفه سنة (1276) هجريّة وطبعه في بطرسبرغ كان ألفان وثلاثة آلاف من الخيّالة في زمان إمارة حيدر التركماني على مدينة (أوركنج) يهجمون على أطراف بخارى ويأسرون النساء والأطفال ويرجعون بهم إلى (أوركنج) بحيث إجتمع فيها خلال ثلاث سنوات ما يقارب الخمسين الفاً من الأسرى في بلاد التتار الواسعة ويقولون أنّهم شيعة أو نصارى وكلّما صرخ هؤلاء المساكين قائلين والله نحن من أهل السنّة المسلمين كان المشترون القساة لا يصدّقونهم عمداً. وقد قصَّ لكاتب هذه الصفحات الطبيب (باي زركر) السمرقندي سنة (1308) عندما كان الكاتب مقيماً في سمرقند الحكاية التالية: "كان أحد النخاسين التركمان وتجّار بيع العبيد صديقاً لعائلتنا سنين طويلة وكلّما جاء إلى سمرقند لبيع العبيد نزل في دارنا وكنا نرّحب به ترحيباً حارّاً ونكرّمه منتهى الأكرام ونسعى في راحته وكان هو يشوّقنا كثيراً على السفر إلى البلاد التركمانيّة لمشاهدة المدن الخوارزميّة وكان يقول دائماً ليتكم تشرّفونا بقدومكم لنقوم بخدمتكم ولنتلافيمتاعبكم السنين الطوال. ولكنّ بُعد المسافة كان يمنعنا دون إجابة دعوة الضيافة حتّى إضطررت يوماً إلى السفر إلى جهات (آموي) و (جهارجوي) وصادفت صديقنا العزيز في تلك المدينة فلمّا شاهدنا رحّب بنا بكلّ بشاشة وتكريم ودعانا بكلّ إلحاح إلى زيارة قبيلته فإضطررت إلى قبول دعوته وتوجّهت معه إلى منازل التركمانيّة التي كانت عبارة عن بضع عرائش في الصحارى الواسعة والسهول الرمليّة الشاسعة، فلمّا وصلنا وإسترحنا يوما ويومين دعانا إلى زيارة قبيلةٍ أخرى باسم الضيافة فيها وقبلت الدعوة تبعاً لحسن ظنّي فيه وأظهرت سروري لذلك وما كنت أدري أنّ شباك إقتناصي قد نُصبت هناك، وهناك

بُسطت لي مائدة الذلّة والهوان وعلى كلّ حال فقد وصلنا تلك القبيلة المعهودة بعد قطع مسافة بعيدة وتحمّل مشاقّ شديدة وأقمنا بضعة أيّام ثم إستأذن مني بالذهاب لقضاء شغل مستعجل لديه والرجوع إليّ حالاً ليأخذني إلى المدينة (جهار جوي) وعند وداعه إلتمس العذر بمنتهى الخداع وقام بتوصية المضيفين برعاية خدمتي حتّى يعود وبعد سفره بيوم أو يومين شاهدت أنّ الأوضاع قد تبدّلت وأنّ سلوك المضيفين نحوي قد تغيّر كثيراً وعرفت أنّ ذلك الدنئ قد باعني إليهم وإنهزم فصحتُ ونحتُ وبكيتُ وقلت والله إنّني معروف من أهالي سمرقند وأنا حرّ لا عبد ومسلم لا شيعي وكلّما زدت في الصراخ زادوا في حراستي وأخيراً قالوا: "لا تهذي ولا تُهلك نفسك فإنّ ذلك الرجل لدينا أمينٌ وقال لنا إنّك عبده وباعك لنا بيعاً شرعيّاً لقاء أربعين توماناً والآن يجب أن تدفع هذا المبلغ وتحرّر نفسك من الأسر أو تبقى في الأسر حتّى تموت". فبقيت في الأسر والعبوديّة أربع سنين قضيتها في خدمة تلك القبائل الوحشيّة في منتهى الذلّة والمسكنة إلى أن مرّ بنا ذات يوم أحد علماء كابل الذي كان يعرفنا وإطّلع على حالي وذلّي وهواني ورقّ لحالي فإشتراني منهم وأطلقني من أسر العبوديّة".

وخلاصة القول فقد إستمرّ هذا الهرج والمرج والقتل والنهب مدّة أربعمائة سنة في البلاد الشرقيّة ولم تُنبّه طول أناة الصبر الإلهي أهل السنّة والتشيّع حتّى طلعت شمس سطوة الدولة الروسيّة البهيّة من آفاق الممالك الشرقيّة وخفقت الأعلام القيصريّة في فضاء الممالك التتاريّة الوسيعة وأخيراً إنحلّ عِقدُ إستقلال القبائل التركمانيّة في أطراف (كوك تيه) ببسالة القائد أسكوبلاف الروسي وإنقضى عهد شراسة هذه القبائل الوحشيّة على يد جيوش الدولة الروسيّة البهيّة وركدت أرياح الفتن بفضل عدالة تلك الدولة في تلك الممالك الفسيحة وجرت مياه الأمن والإستقرار في كافّة تلك الأقطار الواسعة وصارت صحراء خوارزم التي إرتوت أعشابها بدماء المظلومين أمناً لكلّ مظلوم وتحوّلت تلك الصحارى، التي أُسر في ظلّ أشواكها المظلومون، مأوى وملاذاً لكلّ ملهوف وتبدّلت شراسة علماء ما وراء النهر إلى اللطف والرقّة وتبدّل غرورهم وكبرياؤهم إلى رأفة وأناة وصار الذين لا يستطيعون رؤية منكري الخلفاء يركعون ويسجدون تحت أقدام من ينكر النائب والمنوب عنه وصار أولئك الذين لا يستطيعون سماع إسم أحد غير إسمهم خاضعين متواضعين أمام من لا يعرف الفرع والأصل. ولا أنسى مشهد أحد علماء سمرقند الذي رأيته ينحني حين مرور موكب الوالي بحيث أنّ جبينه إلتصق عند الإنحناء بركبتيه وصار كُمّ ردائه موطئ نعل الأمير الروسي، وللآن في خلوتهم يلعنون كلّ قطرة

من مداد شمس الدين القهستاني ويذكرون بالذلّة والإهانة روحه المسؤولة اليوم عن الدماء المسفوكة والأعراض المهتوكة والبلاد الخربة المسلوبة والأسلاب المنهوبة.

هذه خلاصة آثار الردّ والتكفير التي تصدر من أقلام الفقهاء ولا نتيجة لها غير ذلّة أولادهم وهوان أعقابهم ولو عرف الظالمون ما قدّره الله لهم لناحوا على سوء عواقبهم بدلاً من كتابة التكفير والتسفيه وبدل النوح على أمورٍ ليسوا هم مسؤولين عنها ينوحون عن أعمالهم الوخيمة التي هم مسؤولون عنها "فَفَاصْصْبِرْبِرْبِرْ عَعَلَلَى مَمَا يَيَقُقُولُلُونَنَ وَوَسَسَبِّبِّحْحْ بِحَبِحَبِحَمْمْدِدِ رَرَبِّبِّكَكَ "[304] و "ذَذَرْرْهُهُمْمْ يَخُيَخُيَخُوضُضُوا وَوَيَيَلْلْعَعَبُبُوا حَحَتَّتَّى يُ يُلاَقُقُوا يَيَوْوْمَمَهُهُمْمْ النِذِي يُيُوعَعَدُدُونَنْ "[305].

15. في إنتقاد آخر أورده جناب الشيخ حول إرشاد العوام:

كتب جناب الشيخ في رسالته الأولى أيضاً: "والخلاصة فلا تظنّوا بأنّكم سوف لا تجدون إستدلالاً أعجب من هذا. كلا بل ستسمعون أمثال هذه الاستدلال ات وهو ما سنذكره بالأصل فإنّه يقول في حقّ كريم خان مؤلّف كتاب إرشاد العوام: "وأمّا عن مراتب علمه وجهله وعرفانه وإيقانه فقد ورد ذكرها في الكتاب الذي ما فُرِّط فيه من شيئ قوله تعالى: "إِنَّ نَّ شَشَجَجَرَرَةَةَ الزَّزَقُّقُّومِمِ طَطَعَعَامُمُ الأَلأَ ثِيمِمِ "[306] ثم يتفضّل بذكر آية اخرى حتّى ينتهي بهذه الآية: "ذُقْق إِنَّنَّكَكَ أَنْتَتَ العَعَزِيزُزُ الكَكَرِيمُمُ "[307] فانظر كيف أنّ وصفه مذكور في محكم الكتاب بغاية الوضوح والصراحة. ومن عجيب هذا الشخص أنّنّه يدعو نفسه في كتابه من باب خفض الجناح بأنّنّه العبد الألأ ثيم. أثيم في الكتاب، وعزيز بين الأنعام، وكريم في الاسم ". فانظروا كيف يستدّل على إستقرار مصنف كتاب إرشاد العوام في جهنم وأيّة دلائل قويّة ومتينة يأتي بها على إثبات عصيانه وطغيانه وكأنّ هذه الآيات الشريفة قد نزلت منذ ألف ومائتي سنة في حقّه وبيّنت حال خسرانه ومآله، والواقع لا يوجد أوضح من هذه الأدلّة ولا أقوى من هذه الحجج فإسمه كريم وفي كتابه سمّى نفسه العبد الاثيم وتوجد في القرآن كلمتان كريم وأثيم ..."

16. الجواب على إنتقاد الشيخ السالف:

---

[304] طه: **132**
[305] الزخرف: **84**
[306] الدخان: **43**
[307] الدخان: **49**

يعلم أولو الفطنة أنّه لو كان فهم بطون الآيات القرآنيّة وإدراك دقائق تأويلات الكتب السماويّة والتوصّل إلى قرائن الإستعارات النبويّة سهلاً يسيراً يستطيع إدراكه كلّ إنسان وتلتذّ كلّ أذنٍ بسماعه لما كان هناك معنى للآية الكريمة: "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ"[308] ولا لزوم للآية الكريمة: "وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ"[309] ولا يخفى كذلك على أولي البصائر أنّ أئمّة الهدى وورثة معارف خاتم النبيّين عليه وعليهم أزكى الثناء وأبهى البهاء أعتبروا دقائق التأويل من إختصاصهم وستروها في أغلب الأحيان عن أخصّ أصحابهم وخاصّتهم وأوكلوا كشفها وإظهارها إلى زمان ظهور الموعود، وقد علمتم أنّ حضرة السيّد الأجل قدّس الله تربته شبّه عشّاق الظواهر بالأطفال الرضّع وشبّه حضرة المسيح أعلى الله كلمته كلّ واحد من المتوقّفين في الدين السابق بالجنين الوضيع. وفي هذه الحال لا غرابة أن يكون أمثال جناب الشيخ قاصراً عن فهم تأويل القرآن أو يندهش حين سماعه وفي الواقع إنّ الحقّ جلّ جلاله قد أظهر في الأديان السابقة والأمم العتيقة أمثال هذه الحوادث ودوّنها في الكتب السماويّة حتّى يُسكت بذلك إحتجاج أرباب العناد وتزول ظلمة الشبهة بأنوار السراج الوهّاج. لاحظوا مثلاً الإصحاح (17) من إنجيل متّى لما سأل تلاميذ حضرته منه إنّ كتّاب اليهود وعلماءهم يعتقدون أنّه يجب أن يظهر إيليّا النبي أي إلياس قبل ظهور المسيح وكانوا يقصدون بهذا السؤال إنك إن كنت المسيح الموعود فلماذا إذاً لم ينزل إيليّا من السماء؟ وكان إقتراحهم هذا مبنيّاً على الوعد الإلهي الصريح في الإصحاح الرابع من سفر ملاخي بأنّ إيليّا النبي ينزل قبل ظهور الموعود حتّى تستبشر القلوب ببشارة قرب الظهور، ولهذا فإنّ تلاميذ عيسى عليه السلام لما كانوا يدعون الله إلى ظهور المسيح الموعود كان يجيبهم اليهود حاشا أن يكون المسيح ظاهراً لأنّ أكبر علامات ظهور المسيح لم تظهر ولم ينزل إيليّا النبي الذي صعد إلى السماء وكيف يظهر المسيح والوعود الإلهيّة لا تزال ناقصة؟ ولهذا لما تكرّر هذا البحث والجدال سألوا عيسى عليه السلام قائلين إنّ علماء بني إسرائيل يقولون كذا ويلزموننا عند الاستدلال بنزول إيليّا النبي ويفحموننا فتفضّل حضرته نعم إنّ إيليّا سوف ينزل ويصلح جميع الأمور وأقول لكم إنّ ذلك الوقت قد تمّ ولكنّهم لم يعرفوه وعملوا به كلّ ما أرادوا وكان حضرته يقصد بذلك يحيى بن زكريا عليه السلام الذي ظهر قبل ظهور عيسى عليه السلام وبشّر الناس بقرب ورود اليوم الموعود، ولكنّ الناس الجهلاء الذين لا يعلمون معاني السماء والأرض والشمس والقمر والصعود والنزول لم يعرفوا ذلك الوجود المبارك وفرّوا من إجابة دعوته وسفكوا دمه الطاهر إستجابةً لرجاء إمرأة زانية. والآن لاحظوا كيف لا يندهش علماء اليهود من ذلك التفسير كما إندهش جناب الشيخ من تفسير الآية الكريمة: "ذُقْ إِنَّكَ

---

[308] آل عمران: 7

[309] الحاقة: 11

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ "[310]؟ ولماذا لا يطلقون ألسنتهم بالسخرية والإستهزاء؟ كما وأنّهم قد بقوا إلى يومنا هذا على عقيدتهم الواهية وينتظرون ناظرين إلى السماء متى ينزل إيليّا من السماء ويبشّر الناس بظهور المسيح وبعده يظهر المسيح الموعود وفقاً لآمال اليهود ويجبر أهل العالم على قبول الشريعة الموسويّة المؤيّدة بالضروريّات الدينيّة. وكذلك يتفضّل في الإصحاح (11) من إنجيل متّى نفسه بعد أن وصف يحيى عليه السلام بأنّه أعظم من جميع النبيّين والمرسلين: "وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا فَهَذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ " فانظروا بنظر دقيق في هذه الآية التي يقول فيها عيسى عليه السلام "إنّ مَنْ له اذنان فليسمع" فلو كانت آذان اليهود لائقة لسماع هذا التفسير لما بقوا أبداً مدّة أكثر من ألف وثمنمائة سنة غافلين وجاهلين ولهذا السبب أمر كبار الأولياء الناس بتبديل آذانهم لعلّهم بعد تبديل آذانهم ينتبهون ويصبحون أهلاً لسماع النداء الإلهي. وما لم يبيعوا أذن الإعراض وما لم يبدّلوا الآذان الموقودة بآذان واعية لن ينسدّ باب الإنتقاد على الكتب الإلهيّة، لأنّ ذوق أهل الحقّ لا يتفّق أبداً مع ذوق أهل الباطل. وقد عرضنا في بحث معرفة المعجزات أنّ اليهود إستغربوا من تفسير الآية الكريمة: "الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[311] كما إستغرب جناب الشيخ من مطالعة تفسير الآية الكريمة: إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ "[312] والآية: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ "[313] لأنّ اليهود لما إرتفع نداء خاتم النبيّين تشرّفوا بحضوره المبارك وعرضوا أنّ العادة الإلهيّة جرت معنا أن لا نؤمن لنبي إلاّ أن يذبح لنا قرباناً وتنزل من السماء نار تحرقه. وإقتراح اليهود هذا كان مبنيّاً على قصّة قربان هابيل إبن آدم عليه السلام وعلى قصّة محاكمة إلياس النبي مع الأنبياء الوثنيّين المذكورة في الفصل (18) من كتاب الملوك الأول من كتب العهد القديم وهي أنّ إلياس عليه السلام في حضور الملك (آحاب) تعاهد مع أنبياء البعل أحد أوثان السامرة أن يذبح كلّ واحد ذبيحة يضعها على المذبح ويسألون الله تبارك وتعالى أن ينزل من السماء ناراً ويحرق ذبيحة الصادق وأخيراً كما هو مذكور في الكتاب قُبل قربان إلياس النبي ورفضت قرابين الأنبياء البعل وثبت كذبهم بظهور هذه المعجزة. هذا ولما طلب اليهود هذه المعجزة من خاتم النبيّين تفضّل في الجواب: "إنّ الأنبياء السابقين قبلي قد جاءوا بنفس هذه المعجزة فلماذا قتلتموهم؟ ولو كنتم صادقين

[310] الدخان: 49
[311] آل عمران: 183
[312] الدخان: 43
[313] الدخان: 49

لآمنتم بتلك المعجزة". فالآن أنظروا قليلاً وتفكّكّروا في هذا الجواب لتروا كيف إعتبر خاتم النبيّين يهود زمانه قتلةً للنبي إلياس عليه السلام ولسائر الأنبياء وبأيّيّة مناسبة نسب إليهم هذه النسبة فلا هو كان نبيّياً في زمان إلياس النبي عليه السلام ولا هم الذين أنكروا نبوّوّته ولا إلياس عليه السلام بعقيدة اليهود والنصارى قد قُتل حتّى تصدق بحقّقهم تهمة القتل ولا كان اليهود من القبائل السامريّيّة الذين تنطبق عليهم هذه التهمة من حيث القوميّيّة. وقبل ألف وخمسمائة سنة رفض السامريّيّون إلياس عليه السلام وقتلوا أنبياء الله وبعد ألف وخمسمائة سنة يتّهم يهود المدينة المنوّرة بهذه التهمة ويؤاخذون عليها. فهل هذا عجيب أم ما نزل في كتاب الإيقان الشريف من أنّ المقصود من كلمة "الألأ ثيم" و "الكريم" هو شخص معين وإسم أشدّ أعداء قائم آل محمّمّد يذكر بمثل هذا الأسلوب الحلو اللطيف وبراعة إستهلال؟ نعم لو تسأل سؤالاً من المكابرين بأيّيّ دليل تقبلون من عيسى عليه السلام ان المقصود بنزول إيليّا من السماء هو ظهور يحي عليه السلام؟ وبأيّيّ برهان تقبلون من خاتم النبيّين أنّ اليهود في زمان حضرته هم قتلة الأنبياء السابقين؟ وبأيّيّة حجّجّة لا تقبلون من الجمال الأقدس الأبهي أنّ المقصود بالآية الكريمة: "ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ"[314] إسم أول معرض عن جمال حضرة المعبود وإشعارٌ باسم أشدّ اعداء القائم الموعود؟ فلا جواب لديهم ولا يستطيعون إقامة البراهين إلاّ أن يقولوا إنّهم سمعوا تلك الاسماء منذ طفولتهم من والديهم وإعتادت آذانهم عليها وإنّ بقاء مناصبهم يتوقّف على أعزاز تلك الاسماء وإنّ حفظ مقاماتهم يتوقّف على إجلالها، ولكنّ أسماعهم لم تتعوّد بعدُ على الاسماء المقدّسة في هذا الظهور الأعظم ولم تتوقّف مناصبهم على هذا بل حاشا ثمّ حاشا أين الإرتباط والمناسبة كما شهد به القلم الأعلى؟ فالجزير يُحصّل عليه من تلك وفداء الروح مقدّر في هذا وبعيدٌ عن عاقل مثل جناب الشيخ أن يلقي بأيديه إلى التهلكة وأن ينصرف عن منافع التمدّن إلى فوائد التدين ويضيّع وقته في فهم كلمات الأنبياء ويسدّ باب منافعه الشخصية الجليلة ويجعل نفسه عرضة لشماتة الخلق بتصديقه ظهور حضرة الموعود وهدفاً لتحمّل العار بين الخاصّ والعام. هيهات هيهات هذه الخفّة والطيش منه وإن شئت قل الجنون والجنون فنون وهو ما نختصّ به نحن أهل الإيمان الذين صرفنا النظر عن العيش الرغيد وقدّمنا الدين على الدنيا وإعتبرنا إقامة دعائم الدين وتعميم الشريعة الإنسانيّة ألزم بمراحل كثيرة من البلوغ إلى المناصب والوصول إلى الرواتب وتكثير المكاسب:

[314] الدخان: 49

﴿فَفَهَـانَتْ عَلَيْنَـا فِي الْمَعَـالِي نُفُوسُـنَا وَمَـنْ خَطَـبَ
الْحَسْـــــــــــــــنَاءَ لَمْ يُغْلِــــــــــــــهِ الْمَهْـــــــــــــرُ﴾

والعجب في عبارة جناب الشيخ: "وكأنّ هذه الآيات الشريفة قد نزلت منذ ألف ومائتي سنة في حقّه وبيّنت حال خسرانه ومآله" تُرى لو جاء في القرآن الشريف ذكر حوادث ألف ومائتي سنة تالية فكأنّ ذلك بعقيدة جناب الشيخ يخالف شأن القرآن ويتنافى مع إحاطة خاتم النبيّين العلميّة وإلّا فما موقع تعجّب جناب الشيخ من ذكر ألف ومائتي سنة وإندهاشه من خسران أهل الضلال ومآلهم؟ ولنفرض مثلاً أنّ هذا الظهور الأعظم ليس بظهور القائم الموعود أفلا يُستقى من القرآن الكريم وصف أعداء القائم الموعود في أيّ وقت يظهر؟ ونختم هذا المبحث بذكر ما قاله أمير المؤمنين في وصفهم كما ورد في نهج البلاغة حيث قال عليه من التحيّيات أطيبها ومن الصلوات أتمّها: "لتشكو من معشر يعيشون ضلّالاً ويموتون جهّالاً ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته ولا أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه".

****

1. في ذكر عبارات الشبهة السابعة من شبهات الشيخ وهي آخر شبهاته وتختصّ بإعتراف الإيقان الشريف بكمال الشريعة الإسلاميّة:

كتب جناب الشيخ في رسالته الأولى: "فلمّا وصلتُ في مطالعة كتاب الإيقان إلى هذا النوع من الاستدلال الذي لا يخدع إلاّ الأطفال لم تسعفني الرغبة لإكمال مطالعته فأختم بحثي ومناقشتي الآن حول العبارة التي ذكرها صاحب الإيقان نفسه وهي قوله: "ذلك الكتاب الذي وضعه الله تعالى بعبارة "مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ" وهي عبارة كما ترونها تدلّ بصراحةٍ بل تنادي على أنّه لم يُترك في الكتاب شيئ غير مذكور في كلّ ما يجب الإ بتعاد عنه بصورة باتّة كما أيّد ذلك نفس مصنّف الإيقان ولهذا نسأل جناب المصنّف: "ما دمنا نملك مثل هذا القانون فما حاجتنا إلى شخص يأتينا بقانون جديد؟ وأيّة أوامر وأحكام سوف يتضمّنها ذلك القانون والتي لا نملكها نحن؟

2. الجواب على شبهة جناب الشيخ السالفة:

لايخفي على أولي الالباب أنّنا برهنا في المباحث السابقة ببراهين واضحة وأدلّة جليّة أنّ ظهور القائم الموعود هو ظهور شارعيّة كلّي وتجلّي ربوبيّ خاصّ بحيث أنّ بظهوره المبارك تنطوي سموات الأديان العتيقة وترتفع السماء للدين البديع لا كما ظنّ أطفال هذا الزمان وجهّال هذا العهد والمفتونون بالأوهام والمغرورون بأضغاث الأحلام بأنّ الظهور المبارك هو ظهور نيابة وقيام حضرته قيام وصاية ولهذا فقد أغنتنا تلك البراهين الواضحة والأدلّة الجليلة عن إبطال أوهام شيخ الإسلام هنا مرّة ثانية أو إيضاح سخافة رأيه أو الكشف عن وهن ظنونه ولكن حيث أنّ جناب الشيخ ظنّ أنّه وجد دليلاً محكماً على عدم لزوم تجدّد الشرائع وأظهر منتهى البطولة والبسالة في هذه المبارزة وتمسّك بعبارة كتاب الإيقان الشريف على كمال القرآن الكريم ومخافة أن ينسى ذلك المستمعون أوصاهم أن يسجّلوا هذه النقطة لديهم حتّي لا ينسوها. ولهذا نعرض في خدمة أولي البصائر تكميلاً للحجّة وتتميماً للبيّنة ودحضاً لشبهاته وإيضاحاً لهفواته بأنّ عبارة الشيخ تتضمّن بوضوح عدّة مواضيع في منتهى الغرابة: (أوّلها) إنّ جناب الشيخ ليس له خبر من

الكتب السماويّيّة عن ميقات تجديد الشرائع الإلهيّة فحسْب بل أنّيه لم يقرأ أيضاً القرآن الشريف الذي يفتخر بإسمه ولم يفهم آيات هذا الكتاب المجيد التي منها يحصل على معيشته [أنظروا سورة الألأعراف المباركة التي تشهد بكمال الشريعة الموسويّة وبتعظيم التوراة المقدّسة قوله تعالى: "قَقَالَ لَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَ بِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينْ . وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الألْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا. سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينْ "[315] وكذلك تفضّل في سورة الأنعام المباركة: ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونْ "[316] لاحظوا أنّ هذه الآيات الكريمة تنادي بأعلى النداء بنداءٍ بلغ إلى عنان السماء ولكن ما بلغ إلى الآذان الصمّاء والاسماع الموقرة بخرافات أهل الشقاء أنّيه قد نزل في التوراة المقدّسة كلّ ما يلزم للهداية والسعادة وفُصّلت جميع وسائل النجاح والفلاح وسُطرت جميع الشريعة الإلهيّة فيها وفُصّل كلّ شيئ فيها تفصيلاً. فإذا كنّا بناءً على إعتراف كتاب الإيقان الشريف بأنّ جميع لوازم النجاح والفلاح مذكورة في القرآن المجيد ولا نحتاج إلى الشريعة البهائيّيّة فكذلك يجب أن لا نحتاج إلى الشريعة الإسلاميّة بسبب إعتراف القرآن بأنّ التوراة جامعة لجميع وسائل الهداية والسعادة إتّباعاً للقانون العقليّ المعروف بأنّ الترجيح من دون وجود المرجّح أمر قبيح وإرسالاً للمثل المشهور: "إنّ إجتماع الشتاء والصيف على سطح واحد غير صحيح" ولهذا بناءً على هذا الأساس الذي وضعه جناب الشيخ بكلّ تعقّل ورشاد يجب على أتباعه أن يتركوا الشريعة الإسلاميّة ويلتمسوا سبيل النجاة من الديانة اليهوديّة رجوعاً إلى القهقرى كما يحتجّ علماء اليهود على المسلمين إلى يومنا هذا [**بما إحتجّ به جناب شيخ الإسلام على أهل البهاء**] ويقولون إنّ التوراة وفقاً لإعتراف القرآن لم تترك شيئاً لم تذكره حتّى نحتاج إلى القرآن ولم يقصّر موسى عليه السلام في تبليغ أمر الله تقصيراً حتّى يأتي محمّد لتكميله. والعيب هنا هو أنّ المكابرين بسبب شدّة وقر آذانهم لا يسمعون غير أصواتهم لفسهم وبسبب شدّة ضعف مداركهم وإفهامهم لا يفرّقون حُسن الكلام وقبحه. (ثانياً) إنّ جناب الشيخ لم ينتبه إلى أنّ اختلافالأحكام في الكتب والأديان يتمّ تبعاً لتغيّر مقتضيات الزمان في جميع العصور والأعصار لا إلى أنّ الله جلّ جلاله والعياذ بالله قد فرّط في كتاب التكوين والتدوين ونزّل مثلاً

[315] الاعراف: **144**
[316] الأنعام: **154**

في القديم كتاباً ناقصاً وشرّع شريعةً غير كافية ثمّتمّ أكملها في الظهور التالي إذ أنّ العدالة الإلهيّة وصريح الآية الكريمة: "مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ "[317] تستلزم أن لا يفرّط الحقّ جلّ جلاله في كتاب الخلقة ولا يختصّ قوماً بشريعة كاملة وآخرين بشريعة ناقصة ولم ينزل تعالى إلاّ كتاباً كاملاً وشريعة وافية لأنّ مثل الخلقة لدى أرباب البصائر كمثل خلق إنسان فكما أنّ الشرائع والقوانين الطبيعيّة تختلف باختلاف سنّ الطفولة والشباب وسنّ الشيخوخة والإنحطاط فكذلك الشرائع الدينيّة تتغيّر وتتجدّد بالنسبة لتقدّم العالم واختلاف أحوال الأمم، فمثلاً لو يُشغِل المعلّم في المدارس الإبتدائية التلاميذ والصبيان ساعة بالألعاب الرياضيّة ويردع المدرّس في الكليّات طلاّبه عن الحركات الصبيانيّة ويأمرهم بآداب فوق عالم الطفولة فلا يمكن القول بأنّ المعلّم الأوّل قد قصّر في حقّ تلاميذه أو كانت شريعة التدريس ناقصة لديه لأنّ هذه الإختلافات تقع بسبب اختلاف المقتضيات ولا ترجع إلى كمال أو نقص القوانين والتشريعات. وهذا يصحّ في الشرائع والآداب البشريّة التي يجوز أن يقع شارعها في الأخطاء فكيف بالشرائع الدينيّة التي يكون فيها الشارع معصوماً ويكون واحداً في جميعها. إذاً فلو أمر موسى عليه السلام بحفظ السبت وخرق عيسى عليه السلام ذلك الأمر أو تحليل خاتم النبيين الجهاد وتحريم الجمال الأقدس الأبهي الحربَ والقتالَ فليس ذلك والعياذ بالله من نقص الأوّل وكمال الثاني أو من قسوة الأوّل ورأفة التالي بل إنّ ذلك تمّ في جميع الأحيان وفقاً لتغيّر مقتضيات الزمان ومستلزمات حفظ الهيئة الإجتماعيّة. وبناء على هذه المقدّمة فإنّ عقيدتنا أهل البهاء هي إنّ جميع الشرائع الإلهيّة شُرّعت كاملة وإنّ جميع الكتب السماويّة نُزّلت جامعة وكان تغيير الشرائع يجري وفقاً لتغيّر المقتضيات: "آمَنَّا بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ . لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ "[318] (ثالثها) إنّ ما كتبه جناب الشيخ: "أيّة قوانين لا نملكما؟" فإنّ هذا لا يدلّ فقط على غفلته عن آيات القرآن المجيد وعدم إطّلاعه على إنذارات خاتم النبيّين وأئمّة الهدى بحكم الحديث المتّفق عليه: "سَيَأتِي زَمَانٌ عَلَى أُمَّتِي لا يَبْقَى مِنَ القُرْآنِ إلاّ رَسْمُهُ وَلا مِنَ الإسْلامِ إلاّ إسْمُهُ يُسَمَّوْنَ بِهِ وَهُمْ أبْعَدُ النَّاسِ مِنْهُ. مَسَاجِدُهُمْ عَامِرَةٌ وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدى. فُقَهَاءُ ذَلِكَ الزَّمَانِ أشَرُّ الفُقَهَاءِ تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ مِنْهُمْ خَرَجَتِ الفِتْنَةُ وَإلَيْهِمْ تَعُودُ" وكثير غيره من الأخبار التي تخبر بعدم بقاء دين أو قانون بينهم غير الاسم الذي يُسَرّون به ويفرحون بأنّنا مسلمون وأنّنا أمّة خاتم النبيّين بل يدلّ أيضاً على أنّ جناب الشيخ كما يُفهم من عبارته غير مطّلع في الأمور الحاضرة ولا يفهم سوء حال الأمّة

---

[317] الأنعام: 138

[318] البقرة: 285

المسكينة وإضمحلالها وقُرب زوالها. ويجب أن نسأل جناب الشيخ ماذا بقي من الآداب الحسنة لديكم؟ وهل إنّ الأركان الأوّليّة في الدين لا تزال قويمة؟ وهل إنّ مجالس القضاء وحفظ الحقوق لا تزال فيكم سليمة؟ وهل لا تزال باب هدى الخلق مفتوحة عليكم؟ وهل لديكم سعادة علوّ الكلمة ونفوذ القول؟ فلا يرى أحدكم قواعد لتعميم المعارف ولا قانون لتسوية الحقوق. فلا أمور الزواج لديكم محترمة ولا الحقوق المتبادلة بين الأزواج والزوجات منتظمة ولا منزلة الملوك والأمراء محترمةلديكم ولا حظّ للفقير والصعلوك من رئاستكم. لا الأجنبي لديكم مطمئنّ من خوف رِدّة الأمر عنه وبراءتها منه ولا الفرد فيها مرعيّ الجانب محفوظ الحقوق. وخلاصة القول كما عرضنا سابقاً لم يبق من الملّة البيضاء والشريعة الغراء غير آثار مدروسة وأعلام منكوسة وأسلاب منهوبة وقوانين معيوبة وخرافات كثيرة وآمال بعيدة وإذا لم تصدّق بقولنا فارجع إلى كتاب الله وأحاديث أئمّة الهدى لترى بأمّ عينك أنّ ما عرضه هذا العبد ويعرضه مسطورٌ فيها بأجلى عبارة ومذكورة فيها جميع أحوال الأمّة المرحومة وشقاء عاقبة الأمّة المسكينة ببلغ بيان ولم يتفضّلوا في بيان علاج ذلك إلاّ بظهور القائم الموعود ولم يبيّنوا ملجأ للفرار من الشدائد التي تنتظرها إلاّ الشريعة المقدّسة. نعم إنّ الله جلّ جلاله لو يستشير أمثال هذا العبد وجناب الشيخ عندما يريد تشريع شريعة جديدة فإنّ ذلك يكون أمراً طيّباً ولا شكّ أنّنا لن نرضى بتغيير شريعتنا القديمة ولا ندع ديننا الذي نفتخر به إسماً لا فعلاً يفلت من أيدينا ولمنعناه بأيّة وسيلة كانت من تشريع دين جديد ونسخ دين قديم، ولكن وللأسف إنّه جلّت عظمته وجلّت قدرته لا يستشيرنا في مثل هذه الأمور ولا يعتني بميولنا الفارغة وأحلامنا الكاذبة التي رتّبناها باسم الضروريّات الدينيّة ولا يمنع تهديدنا ووعيدنا مظاهر أمر الله عن تشريع الشرع الجديد.

(وَمَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لا تَشْتَهِي السُّفُنُ)

ولا شكّ أنّك أدركت من آيات القرآن وأحاديث الرسول وأخبار أهل بيته الطاهرين أنّ الإرادة القاهرة الإلهيّة جرت على خلاف أحلام قصّار النظر الصبيانيّة وآمالهم الوهميّة وهي أن يظهر الوجود المبارك لقائم آل محمّد بكتابٍ جديد وشرع جديد وقضاء سماويّ وآيات إلهيّة ويبطل العقائد القديمة العتيقة ويزيل العادات البالية الفاسدة "قُضِيَ الأَمْرُ وَجَفَّ القَلَمُ" وبقول الشاعر الفارسي (ما ترجمته) "ما دامت الأُذُنُ أُذنك وما دامت الصرخة صرختنا فلن يصل صراخنا إلى أيّ مكان". نعم إنّ جناب الشيخ وفقاً للمثل المشهور "ما دامت الجذور في الماء فلا يزال هناك أمل" قد تنبأ في رسالته الثانية وتحدّث بأمور غيبيّة آتية وبشّر أعوانه بأنّ أمر البابيّة

سوف ينقرض وسوف تنطفئ هذه النار المشتعلة ولكنّه ربط ذلك الألأ مل البعيد بحبلٍ طويل بأن يفتح أعوانه مدارس ويبذلوا الجهد في نشر العلوم حتّى تنفتح عيون الناس وآذانهم ولا يقعوا في حبال البابيّيـة ولا يخرجوا عن سواء السبيل وليس لدينا جواب عليه في هذه الحال إلاّ أن نعرض في خدمته: "مرحىً مرحىً لعقلك بعيد النظر هذا ومرحىً مرحىً لنظريّتك القصيرة "قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ"[319] ولكنّ جناب الشيخ يجب أن ينتبه قليلاً إلى أنّ تعميم المعارف لو كان يهدم أبنية فإنّه أوّل ما يهدم الألأ بنية القديمة المتداعية لا الألأ بنية الجديدة القويّة، فمثلاً لو جرى سيل علم الجغرافية فإنّه يهدم أولاً مدينة جابلقا وجابرصا. ولو أشرقت شمس العلوم الفلكيّة فإنّها تُزيل ظلمة إمكانيّة الصعود إلى السماء أو النزول منها ولو إتّسعت رقعة العلوم الطبيعيّة فإنّها تُظهر بطلان بناء عقيدة الرجعة الخاصّة الكبرى التي يعتقد بها العوام. ولو إنتشرت العلوم الألأ دبيّة فإنّها تطمر الإعتماد على قواعد ألف أو ألفي سنة سابقة، ولو فاحت نفحات المعارف الدينيّة المعقولة فإنّها تزيل نتانة العقائد غير المعقولة في العبادات. وحمداً لله الذي ما جعل أساس أمره الأعظم مبنيّاً على رمال الألأ وهام حتّى نخاف من جريان سيول المعارف ولم تكن مسيرة أهل البهاء في ظلمة العقائد الواهية التعبّديّة حتّى يزلزلها إشراق شمس الفهم والدراية. والعجب إنّ أفاضل أوروبّا يعتبرون الألأ مّة البابيّة الألأ مّة الوحيدة بين الملل الشرقية التي تسعى في تعميم المعارف بينما يبشّر جناب الشيخ أعوانه بزوال البابيّة عن طريق تعميم المعارف **[سبحان من قسّم العقول والألأ حلام وفرّق بين المدارك والألأ فهام]**.

3. في ذكر عبارات جناب الشيخ في ختام رسالته الأولى بقوله: "من الحيف في هذه الأيام أن ينصرف المرء عن منافع المدنيّة وينشغل بما لا يسمن ولا يغني:

وكذلك كتب جناب الشيخ في ختام رسالته الأولى: "وفي الواقع إنّ ما ينافي الإنصاف أن نشغل أذهاننا وأفكارنا بهذا النوع من الخيالات والشبهات في هذا العصر عصر المدنيّة وإنتشار المعارف الدينيّة والدنيويّة والترقّيات الفنيّة التي بواسطتها كم من إكتشافات وإختراعات ظهرت في العالم فخدمت ثروة النوع البشري ورفاهيته وقوّت همّه ووسّعت دائرة الصناعة والتجارة ونحرم أنفسنا بهذه الواسطة من تحصيل الفنون والعلوم التي أوصلت البحار ببعضها وفصلت بين الألأ راضي وفتحت في الجبال العالية طرقاً وأذابت الحديد والفولاذ ذوبان الدهون وجعلت المخابرات والمواصلات التي كانت سابقاً تتمّ بشقّ الأنفس خلال بضعة أشهر وبضعة أسابيع فجعلتها تتمّ في ظرف

---

[319] الاعراف: 70

يوم وساعة ودقيقة بطريقة أسهل وأسرع وبهذه الطريقة نكون منكوبين تنهبنا سائر الألأمم المتمدّنة، وإنّ الذي يعرض عن تفهيم الناس ويغمض عن تعليمهم ما يحتاجون إليه إنّما هو عدوّ الدين والشعب فيبحث بما لا يغني ويسبّب تفرقة الألأمّة وتجزءتها والسلام على من إتّبع الهدى (عبد السلام)".

4. الجواب على الشبهة السالفة وعلى شكوى جناب الشيخ من البابيّة في موضوع تأخّر المسلمين وبيان أنّ الشرائع الإلهيّة لا تخالف التمدّن وخاصّة الشريعة البهائيّة ثم بيان بعض مآثر الأديان الإلهيّة:

لو كانت وسائل لإستطلاع الأحوال ولإستعلام الأخبار صعبة في هذا القرن مثلما كانت في القرون الماضية ولو كانت أسباب تدهور الأمّة الإسلاميّة مجهولة ومخفيّة فإنّ كلّ من يطالع كلمات جناب الشيخ الأخيرة ويسمع نوحه وندبته على فقدان الإستقلال والمدنيّة ليظنّنّ بأنّ الطائفة البابيّة سلّمت مملكة القفقاس إلى أيدي الدولة الروسيّة وأنّها هي التي نكبت الشيخ المسكين والأمّة المسكينة وجعلتها نهباً للأمم المتمدّنة ظلماً وعدواناً، وأنّ اختلاف ألف ومائتي سنة بين المذاهب الإسلاميّة وإشتعال نار الحروب الداخلية والخارجية من نتائج ظهور البابيّة وأنّ الدماء المسفوكة بين المسلمين والنصارى وبين أهل التسنّن والتشيّع تقع مسؤوليتها في رقبة الأمّة البهائيّة. ولننسى الماضي فكأنّ الطائفة البابيّة هي التي منعت المسلمين اليوم من التمدّن والتقدّم وأعاقت جناب الشيخ عن تأسيس المدارس وإنشاء المجالس وتصنيف الكتب وكتابة الصحف وتعليم الأطفال وتهذيب الأخلاق. يا ليت يعرض إنسان بالنيابة عن هذا العبد في حضور جناب الشيخ عبد السلام بكلّ إحترام ويقول له: يا سيّدي الشيخ إن كان أسلافك قد تهاونوا في إكتساب المعارف والعلوم وإكتمال الصنائع والفنون فما ذنب البابيّة؟ وإذا حُرمت سلالة أجدادك من نعمة الإستقلال بسبب ظلم أولئك الأجداد للناس فما تقصير البهائيّة؟ فلقد جرت سنّة الله على أنّ كلّ أمّة تشغل بلذائذها الدنيويّة وتشيح بوجهها عن الفضائل العلميّة والدينيّة وتدوس بأقدام الظلم والإستبداد على حقوق العباد وتتّخذ اختلاف العقائد وسيلة لدسّ الدسائس والمفاسد فإنّ الحقّ جلّ جلاله يسلبها نعمة الإستقلال ويعرّيها عن رداء الفضيلة ويعطي حكومة أرضها إلى ملوك عادلين ورئاستها إلى أمراء فاضلين "إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"[320] يا سيّدي الشيخ! ممّ شكايتكم هذه؟ وممّن تنبعث نوحتكم المريرة وآهاتكم؟ أفهل أسّستم مدرسة وأغلقها البابيّون؟ ومتى أسّستم صناعة وأضاعتها هذه الطائفة؟ فطريق المدنيّة مفتوح وسبيل التقدّم عريض ويا ليتكم تعلّمتم فضيلة واحدة من هؤلاء المتمدّنين الذين تنشدون في مدحهم هذه القصائد والملحمات وهي أنّهم يمنحون حرّيّة العقيدة لكلّ الملل على السواء ويحترمون جميع الأديان ويصرفون وقتهم وهو الثمين

[320] الرعد: 11

لنشر العلوم وتعمير البلاد لا على نشر الفتنة والفساد بين الناس وتكفير العباد، ولو فهمتم هذه النكتة الوحيدة على الألأ قل لظهر منكم أيضاً أثر باهر حتّي لا يجد الخصم فيكم مجالاً للطعن ولا ينطبق عليكم المثل السائر: "مِثْلَ القَرْعَاءِ التي تَتَفْتَخِرُ بِشَعرِ جَارَتِهَا". وكأنّ جناب الشيخ للمسكين يريد بشكايته من البابيّة أن يطهّر عِرضه من دنس القصور في العلم والمدنيّة أو يمنع الناس في البحث في الدين والاهتمام بأمره عن طريق السبّ واللعن الذي هو طريق كلّ جاهل عاجز وإلاّ فما مجال المغالطة بالإلإتيان بالمقدّمات المدنيّة والإلإكتشافات العلميّة والصناعيّة في معرض المناظرة الدينيّة؟ نعم إنّ التمدّن ولا شكّ ممدوح وبدونه لا تبقى الهيئة الإلإجتماعيّة سالمة ولا يتقدّم البشر في وسائل العيش ولكنّ جهلاء هذا العصر قد نسوا مآثر الدين وفضائله لأنّهم لم يقرؤا التاريخ ولم يعرفوا من الدين إلاّ أسمه ولا من القرآن إلاّ رسمه فأحوال الألأمم الغابرة مسطورة في متون الصحف وكلّ ما محاه الحقّ جلّ جلاله من الألأ عمال الفضيحة والعادات القبيحة بواسطة الألأديان أمر غير مستور. ولولا موهبة ظهور الألأ ديان لبقيت لُم القفقاس وسكّان البحر الألأسود تسمّى بأكّالة القماميل ولولا ظهور الشرائع الإلهيّة لبقي أهالي سوريّة أحفاد الفينيقيّين المتمدّنين إلى يومنا هذا يقدّمون أولادهم وهم أحياء قرابين للألأوثان. ولولا موهبة ظهور الرسل لبقي المصريّون إلى يومنا هذا يعبدون العجل أبيس ويسجدون للتمساح الخسيس ولولا إشراق أشعّة الدين لبقي العرب إلى يومنا هذا يدفنون بناتهم أحياء ولبقت عفيفات اليونان يسلّمن أعراضهنّ المصونة للهتك في جزيرة قبرص في سبيل آلهة الجمال ولبقي الهنود يحرقون الألأحياء مع الموتى سويّةً ولبقي الألأوربيّون والفرس يلتمسون الفلاح والنجاح من عبادة النيران. وما ذكرناه قليل من كثير من نيران البوهيميّة التي إنطفأت بنزول أمطار الديانة وأُصلحت بفضل ظهور مظاهر أمر حضرة الألأحديّة وقلوأكل الحقّ جلّ جلاله تحقيق ما يحتاج إليه العالم لتكميل النقائص وإصلاح المفاسد وإزالة القبائح ومحو الفضائح أكثر ممّا أصلح سابقاً إلى ظهور القائم وقيام روح الله النازل من السماء حتّي تتحقّق البشارة النبويّة: "يَزَعُ اللهُ بِهِ مَا لا يَزَعُ بِالقُرْآنِ"[321] تحقّقاً كاملاً وتتنوّر جميع الآفاق بأنوار المدنيّة الحقيقيّة في ظلّ الكلمة الإلهيّة بحكم الآية الكريمة: "وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا"[322].

وواضح لدى أولي البصائر أنّ الديانة والمدنيّة الحقيقيّة كلاهما شيئ واحد لا فرق بينهما ولو إختلف الاسمان ولا تتحقّق السعادة والنجاح الألأبديّ إلاّ بعد فهم تلك النكتة المعقولة لأنّ

[321] انظر الحديث صفحة (...) من هذا الكتاب

[322] الزمر: 69

الدين عبارة عن قانون يكفل حفظ الهيئة الاجتماعيّة البشريّة وإنّ الخلافة والسلطنة هي القوّة التنفيذيّة لهذا القانون في أفراد الأمّة وإنّ رعاية هذين الجانبين وحفظهما يكفل حصول الحضارة الممدوحة ويوصل إلى المدنيّة المحمودة. ويُعرف عند فهم هذه النكتة أنّ جناب الشيخ لو كان يملك شعوراً لائقاً وإدراكاً فائقاً لَفَهِمَ أنّ أساس الحضارات والمدنيّات هو الشرائع الإلهيّة وأنّ سعادة الأمم وشقاءها منوط بإتّباع الكتب السماويّة أو عدم إتّباعها وأنّ جميع الشرائع من دون إستثناء مبنيّة على ركنين: العدل والاحسان، وهما أسّا المدنيّة العالميّة وأنّ جميع الأديان من دون تفاوت مبنيّة على المكافأة والمعاقبة وهما منبع سعادة الأمم وشقائها وخاصّة الشريعة المقدّسة البهائيّة التي جعلت تعلّم العلوم والمعارف فرضاً من فروضها الحتميّة وجعلت الإشتغال بالمهن والصنائع من الواجبات الدينيّة فيها حتّى لا يبقى ثمان وتسعون في المائة من أهل البهاء كالمسلمين أميّين ولا يتّسع باب البطالة وحتّى يشتغل كلّ فرد بعمل نافع وحرفة لائقة وحتّى تتحقّق الآية الكريمة: "لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ"[323] وقد إعتبرت العالم وطناً واحداً والناس أوراق شجرة واحدة حتّى تزول نظرة الفرقة والتباعد وتتبدّل كلّ العداوات المكنونة في صدور الأحزاب إلى المحبّة والوداد. كما أوجبت إطاعة الملوك والأمراء و إحترام أرباب الفضل والعلماء حتّى يبقى مقام الأكابر مصوناً من تعرّض الأصاغر وتنسدّ أبواب الفساد بعد الإصلاح وقد فرّقت بين المعاملات والعبادات حتّى يسهل تطبيق القوانين القضائيّة وفقاً لمقتضى الأوقات وحتّى يستحفظ الهيئة الإجتماعيّة بالقوانين التشريعيّة على أساس مكين وقد سَدّت باب تأويل الكتاب ومنعت الإعتماد على الأحاديث والأخبار الشفهيّة حتّى ينسدّ باب الأدلّة الظنيّة والإعتماد على الآراء الاجتهادية وحتّى لا تصبح الشريعة الإلهيّة ملعبة بأيدي كلّ آخوند (فقيه) ومنعت الحرب والقتال حتّى يحفظ جناب شيخ الإسلام من هجوم البابيّة ويطمئنّ خاطره ويتفرّغ باله إلى تكميل الفنون العلميّة وتحصيل المآرب المدنيّة وحَرّمت حمل السلاح لئلا يضطرب قلب جناب الشيخ ويرتبك عقله لرؤية بابيّ مسلّح وحتّى لا يمنعه ذلك من خرق الجبال وتوصيل البحار وتسهيل وسائط النقل والأخبار. وخلاصة القول إنّ جميع أحكام هذا الظهور الأعظم مبنيّة على أساس المدنيّة وملائمة لحفظ الجامعة الإنسانيّة ولم أعرف أيّ أحكام هذا الأمر تمنع من الإستزادة من المدنيّة والحصول عليها حتّى يتشكّى جناب الشيخ هذه الشكوى المريرة ويعتبر البابيّة سبب سقوط الأمّة في هاوية الذلّة وعلوّ للدين الإلهي.

[323] عبس: 37

5. في بيان أنّ بعض الأوروبيّين يعتبرون الشريعة الإسلاميّة مناهضة للتمدّن الأوروبي وبعضهم يعتبر جميع الأديان مناهض للمدنية وقيام كبار الكتّاب للردّ على هذه الشبهة:

نعم لقد سمعنا وقرأنا حتّى اليوم ان جماعة كبيرة من فلاسفة أوروبّا والمتطرّفين في تلك القارة البيضاء يرون الديانة الإسلاميّة مخالفة للمدنيّة الأوربيّة ويعتبرون سبب سقوط الأمم الشرقيّة في هاوية الذلّة والشقاء تمسّكها بالشريعة الغراء والملّة البيضاء. ومن الحوادث الشهيرة التي دوى صوتها كالرعد القاصف في جميع الآفاق الحادثة التي فيها رفع المستر كلادستون رئيس وزراء إنكلترا القرآن الشريف بيده في البرلمان حيث إجتمع وزراء الدولة وعظماء الأمّة وقال مخاطباً لهم: "ما دام هذا الكتاب باقياً في العالم فمن المستحيل إنتشار المدنيّة في العالم ونجاة الأمم الشرقيّة من شرور الهمجيّة والتوحّش".

ولقد بلغت هذه الفكرة القائلة بأنّ الدين الإسلامي مخالف للمدنيّة إلى درجة أنّها رسخت أخيراً رسوخاً كليّاً في أذهان الكثيرين من كبار المسلمين الذين يعشقون بسرعة العروض الدنيويّة الزائلة إلى أن قامت أخيراً جماعة من كبار كتّاب الأمّة وفصحاء القوم من قبيل عبدالله النديم الإدريسي وغيره على منع رسوخ هذه العقيدة في أذهان البسطاء وعلى إثبات محاسن الأحكام الإسلاميّة وموافقتها للقوانين المدنيّة وكتبوا مقالات رنّانة ورسائل شهيرة ولكنّ ذلك لم ينفع وإزدادت هذه العقيدة رسوخاً في أذهان الجهلاء بحقيقة الأديان يوماً فيوماً حتّى إتّفقت في هذه السنة جماعة من كبار كتّاب العصر وأفاضل هذا القرن من قبيل عبدالله بن القائد عمرو من أهل الجزائر ومحمّد أفندي مسعود صاحب جريدة (منفيس) من أهل مصر والشيخ علي يوسف صاحب جريدة (المؤيّد) الشهيرة ومحمود أفندي أسعد المستشار الشرعي في نظارة الماليّة في الآستانة العليّة مع بعض أفاضل أوروبّا مثل المسيو (جوبار) والمسيو (مرسيّيه) من مدينة قسطنطينيّة في الجزائر والمسيو (بودان) في الآستانة والقسّ الفاضل (لوزان ياسنت) من باريس والمسيو (فاندربرج) في هولندة وبرئاسة المسيو (أوجين كلافل) لمّسوا مجلة علميّة باسم (الإتحاد الإسلامي) تصدر باللغتين العربيّة والفرنسيّة في كلّ شهر مرّتين وتُرسل إلى جميع الكلّيات لعلّ تخرج من الأذهان هذه الشبهة بأنّ الدين الإسلامي يخالف المدنيّة وتتآلف قلوب المسلمين على محبّة الإسلام. ولكنّ أعداد هذه المجلة ويا للاسف لم تتجاوز السبعة والثمانية حتّى إختفت وراء

الحجاب وإطفأ سراج هذا المجمع غير المتناسب في الأعضاء من هبوب عواصف الأهواء المتباينة إنطفاءً سريعاً ولا رادّ لقضائه ولا مانع لحكمه. بلى كما يقول الشاعر الفارسي (ما ترجمته): "لا يستطيع أحد أن يتشبّث برداء السعادة بالقوّة فذلك جهد لا فائدة منه وصبغٌ لحاجبيْ رجل أعمى". وقد غالى في هذه العقيدة بعض المتطرّفين والطبيعيّين وخاصّة أتباع داروين والمعتقدين بنظريّة النشوء والإرتقاء الذين يزداد عددهم بكثرة فاعتبروا الأديان على الإطلاق وكلّ السيطرات والرئاسات مخالفة للمدنيّة والحرّيّة واعتبروا كلّ الحكومات سواءً أكانت دينيّة أم زمنيّة ألدّ أعداء الإنسانيّة.

6 في بيان أنّ مناظر جناب الشيخ لمّا لاحظ أنّ تأخّر المسلمين لا يرجع سببه إلى الطائفة البابيّة إستنتج أنّ جناب الشيخ كالإشتراكيّين والفوضويّين يعتبر الأديان مناهضة للمدنيّة:

وبعد أن اطّلعتم على هذه المقدّمات ستشاهدون عجائب غريبة جدّاً لو نظرتم قليلاً في المناظرات التي وقعت بين جناب الشيخ وحضرة مناظره، وستطّلعون على مراتب أدب وشعور الطرفين المتناظرين وترون أنّ البعد بين تاجرٍ من تجّار أهل البهاء وشيخ للإسلام وقاضي القضاة في الملّة البيضاء كالبعد بين الأرض والسماء. ومجمل ذلك هو أنّ المناظر المذكور شاهد بأنّ انتقادات جناب الشيخ في قضيّة المدنيّة لا تنطبق بأيّ وجه من الوجوه على الطائفة البابيّة وأنّ إنحطاط الأمّة الإسلاميّة لا يرجع سببه أبداً إلى أهل البهاء، فقد نظر بكلّ دقّة في أطراف وأكناف هذه المسألة وهل أنّ البابيّة كانت السبب في إنحطاط العلوم والمعارف مدّة ستّمائة سنة بين المسلمين؟ وهل أنّ البابيّة قسّمت الأمّة الإسلاميّة إلى إثنين وسبعين فرقة؟ وهل أنّ البابيّة أشعلت نيران الحروب الأهليّة بين الأمم الشرقيّة؟ وهل أنّ البابيّة سلّمت للأمم المتمدّنة ممالك الأندلس والهند والتتار والقفقاس؟ وهل أنّ البابيّة علّمت الدول الشرقيّة قواعد الظلم والإستبداد؟ حاشا وكلاّ أن يرجع للبابيّة أيّ أمر من هذه الامور. ثمّ نظر جناب المناظر وفكّر في الأحوال الحاضرة وهل أنّ الحروب البابيّة منعت المسلمين من فتح المدارس وتأسيس المجالس العلميّة وهل أنّ هجوم البابيّة شغل بال جناب الشيخ؟ وهل أنّ أيّ تعليم من تعاليم هذا الدين يخالف الترقّيات العلميّة؟ وهل أيّ حكم من أحكام هذا الأمر يخالف القواعد

والقوانين المدنيّة؟ حاشا وكلاّ من هذا أيضاً لأنّ طائفة تعتبر تعليم الاطفال من الذكور والإناث فرضاً من فرائضها الدينيّة وتعتبر الحرب والقتال من المحرّمات الحتميّة إنّما هي طائفة مأمونة الجانب ومطمئنّة العواقب. ثم لاحظ أيضاً هل أنّ جناب الشيخ فاقد للشعور إلى درجة لم يفهم هذه المواضيع؟ وهل أنّه قليل الإدراك إلى درجة لا يعرف أنّ تأخّر المسلمين لا يرجع سببه إلى البابيّة وأنّ الشريعة البهائيّة لا تمنع نشر المعارف؟ حاشا وألف حاشا من ذلك أيضاً، فإنّ أطفال المهد يهربون من تجويز هذا الإفتراء وبعيد من مجانين العصر أن يدركوا هذه الأمور البديهيّة فكيف بجناب الشيخ عبد السلام الذي هو بعقيدة الكثيرين عالم عامل وفاضل كامل، وبعقيدة هذا العبد مبارز باسل ومناظر قويّ الدلائل يعتبر عدم وجود إسم المبشّر بحضرة الخليل دليلاً من أدلّة بطلان هذا الأمر الجليل ويحسب أخبار كهنة مصر عن ظهورٍ محقّقٍ مثل ظهور موسى عليه السلام من الأدلّة الظنّية للجمال الأقدس الأبهي ويطلب حضور القائم الموعود إلى مدينة تفليس وينكر وجوب الهجرة والمجاهدة وينكر دلالة الشهادة ويضع المقتولين في محبّة يزيد وسائر الأشقياء في مصاف شهداء صفّين وكربلاء ويعلن عجزه عن التفريق بين نداء الحقّ ونداء الباطل ويفتخر بهذا العجز ويسمّي ذلك دليلاً وبرهاناً ويتغنّى أخيراً بنغمة المنكرين السابقين ويسمّي الآيات الإلهيّة أساطير الأوّلين. وأرجو أن لا نبعد عن المقصود فإنّ جناب المناظر كلّما حاول أن يتوصّل إلى محمل صحيح يحمل عليه كلام شيخ الإسلام في مشكاه من البابيّة في تأخّر المسلمين في المدنيّة وفي تسميته ظهور القائم الموعود الذي هو أهمّ الفرائض الدينيّة باسم (لا يسمن ولا يغني) لم يجد وجهاً صحيحاً يحمل عليه كلام الشيخ إلاّ أن يعتبره من أتباع الإشتراكيّة ومن الشيعة الداروينيّة الذين يقولون بأنّ الأديان على الإطلاق مخالفة للمدنيّة وبأنّ التمسّك بالشرائع مانع دون الوصول إلى المقاصد والمآرب النفسانيّة،ولكنّ الذي منعه عن المجاهرة بهذه العقيدة وكشفه النقاب عن وجه مقصوده إنّما هو حفظ مركزه ومنصبه وخوفه من كبار رجال الدين والدولة ولهذا وجّه التقريع والتوبيخ لأهل البهاء الذين لا معين ولا ناصر لهم غير الحقّ جلّ وعلا وأظهر عقيدته في غضون معارضته وردّه للبابيّة وهو أمر ترضاه العامّة والجهّال ومقصوده الأصليّ أن لا يتكلّم أحد حول الدين ولا ينطق بشيئ عن الأنبياء والمرسلين ويوجّه الجميع همّهم كلّه نحو التمدّن ويبذلوا كلّ جهودهم في موضوع الحريّة حتّى تعطي أبقارهم الحليب مثل أبقار أوروبّا وتسير بنات الهوى في الأزقّة والأسواق مهتوكات الحجاب ومسلوبات النقاب. وخلاصة القول لما إستنتج جناب المناظر هذه الموضوعات من عبارة جناب الشيخ كتب بغاية الأدب واللطف موضوعاً في جواب جناب الشيخ مجمله أنّ من الحيف

أن يتشبّث جناب شيخ الإسلام بأقوال الدهريّين ومنكري الشرائع الإلهيّة ويتمسّك بعقائد اللادينيّين والمعاندين للأنبياء في حين أنّ المدنيّة التي لا تُبنى على التديّن تنتهي إلى الإضطراب وتعود في العاقبة إلى الإنهدام كما أدرك فضلاء أوروبّا هذه النكتة وهم اليوم حملة أعلام المدنيّة وعرفوا أنّ الحضارة والمدنيّة لا تستقرّ بغير الأمانة والديانة ولا ثمرة تُجتنى منها، وحيث أنّ القوانين الاصليّة للديانات قد غيّرها ما في أيدي الأمم والأقوام في هذا اليوم وانحرفوا بذلك عن الصراط المستقيم ولهذا لو أراد صاحبُ الأديان ومالكها وموجدها الجالس على عرش "يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ "[324] ويَحْكُمُ مَا يُرِيدُ "[325] أن يُظهر حقيقتها فمن ذا الذي يجرأ أن يقول له لِمَ وبِمَ أو يفتح شفتيه بعبارة كيف ولماذا. وخلاصة القول فإنّ حضرة المناظر تفضّل في هذا الخصوص ببيانات لو لم تكن مشام المعارض مزكومة بروائح الغرض النتنة لإستنشقت من رقّة ولطافة تلك النفحات قلباً مطهّراً وفؤاداً منوّراً وروحاً معطّرة. وإنّ هذا الكاتب سوف يبادر بذكر عبارات حضرة المناظر في هذه الأوراق لتكون تذكاراً لحضرته وتزييناً لهذه الأوراق ثمّ يذكر كذلك جواب جناب الشيخ عليها حتّى يدرك أهل الأدب الفرق بين المناظرين في الأدب وتظهر مكنونات قلب كلّ واحد منهما من عباراتهما وبحوثهما.

7. في ذكر بعض عبارات المناظر تزيينا لهذا الكتاب وتمييزا بين المناظر وبين جناب الشيخ:

وهذه عبارات المناظر بعينها: "وأمّا ما كتبه في قوله: "وأيّة أوامر وأحكام سوف يتضمّنها ذلك القانون والتي لا نملكها نحن؟" فإنّ هذا القانون هو نفس الأوامر والأحكام الإلهيّة التي نزلت في كلّ عهد وعصر في الكتب السماويّة وإنّ العباد بتمسّكهم بها قد أوصلوا أنفسهم إلى رضوان الإخلاص والتقى وجنان القرب واللقاء وحُرِم المتمرّدون والمبغوضون منها وقُهروا في جحيم الإعراض والإنتقاد، وإنّا نسأل الحقّ جلّ وعلا أن يوفّق جنابك على إجراء هذا القانون الإلهي الذي هو مُراد جميع الأنبياء والمرسلين ولا تبقى محروماً من نسيم رحمة الرحمن وعنايته الذي يهبّ اليوم من رضوان قدس ألطافه. وما أبدع ما قيل في هذا المقام:

(وعند هبوب الناشرات على الحمى تميل غصون البان لا الشجر الصلد)

[324] الحج: 18
[325] المائدة: 2

وقول الشاعر الفارسي ما ترجمته: "كلّ شيئ تراه يَجيش جشياناً بذكره ومن أجل سماع هذا لا بدّ من أذن قلب لتسمعه".

يا جناب الشيخ إنّ أهل العالم ليس لهم إطّلاع بما هم فيه فكيف يستطيعون أن ينتقدوا الأحكام الإلهيّة والإرادة السماويّة ومثلهم مثل إنسان من رعايا السلطان المقتدر المحيط يسكن في إحدى المدن ومشغول بنفسه وبمعيشته وليس له خبر عن أمور الحكومة وإدارة المملكة ويسمع أنّ حاكماً جديداً قد جاء من جهة ذلك السلطان الحقيقي وجاء بأمر بديع يدعو الناس إليه ويأمرهم بتنفيذ إرادته فإذا قال : "إنّ هذه الإرادة السلطانيّة عبث لا فائدة منها وإنّ الإرادة السلطانيّة التي في أيدينا هي أوامر السلطان فما حاجتنا إلى حكم جديد وأمر جديد وبعيدٌ عن الإنصاف في هذا الوقت الذي راجت فيه سوقنا أن يصغي أحد من التجار إلى هذا الكلام بمجيئ حاكم جديد جاء بأمر بديع" فماذا سيقول الحاكم والمطّلعون على أمور التنفيذ بل العظماء والعقلاء في حقّ هذا الإنسان وكيف يعاملونه؟ وهل يحسبونه في زمرة الناس أولي الإحساس والإدراك او يصغون إلى هذيانه؟ لا والله. بل رحمةً به يقولون له أيّها المسكين لو أنّ جميع العظماء والوجهاء الذين يملك كلّ واحد منهم الألوف من الأعوان والخدم مثلك لو أرادوا الاعتراض على أوامر السلطان الحقيقي وأحكامه فإنّهم يُقهرون ويُكبون كما رأيته في الأزمنة القديمة من أمر شداد ونمرود والفراعنة واليهود والرومان والسولاق وقريش والأحزاب قد قُهروا لمعارضتهم الحقّ جلّ جلاله مع عظيم سطوتهم وغرورهم بل إنعدموا وزالوا فكيف بك أنت الذي لا ذكر لك والمكتوب عليك أنّك في سجل المعدومين ويا أيّها المسكين إنّ هذه الأوامر والقوانين هي نفس تلك الأوامر التي كانت سبب سعادة الأقوام ورقيّ العلوم والمعارف والفضائل وسبب حفظ الجامعة البشريّة وراحتها واطمئنانها. ولو إنقطعت عنايتها دقيقة واحدة لإضطربت جميع هذه العلوم والمعارف والصناعة والتجارة والزراعة فالملك ملكه والحكم حكمه والإرادة إرادته [**له الأمر والحكم وإليه ترجع الامور**]" إنتهى.

فيُفهم من عبارات حضرة المناظر هذه أنّه إعتبر الحضارة والمدنيّة أمراً محموداً ولكنّه أناط إستقرار قواعدها وإستقامة دعائمها بالتمسّك بالشرائع الإلهيّة كما إتّضح سابقاً من عقائد أهل البهاء أنّهم يعتبرون مظاهر أمر الله مظاهر حقيقة واحدة وكلّهم في حكم ذات واحدة وروح واحدة ونفس واحدة وكذلك إعتبر جناب المناظر الشرائع الإلهيّة في حكم شريعة واحدة وإعتبر إختلافات الأحكام نتيجة لتجدّد الظهور ومقتضيات الزمان. ولو تتأمّلون قليلاً في الآية المباركة في سورة

الشورى فإنّكم تدركون مقصود جناب المناظر فقد قال تعالى فيها: "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ. كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ"[326]. فلاحظوا كيف أنّ الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة إعتبر جميع الأديان اليهوديّة والنصرانيّة والإسلاميّة الموجودة ديناً واحداً بل إعتبر الدين الإسلامي عين دين نوح عليه السلام، وأَمَرَ ابراهيم وموسى وعيسى وخاتم النبيّين بإقامة حقيقة واحدة وهي عبارة عن إجراء الإرادة الإلهيّة وتنفيذ الأوامر الربانيّة. ولقد إطّلعتم على حسن تمثيل جناب المناظر الحقّ جلّ جلاله بسلطان مقتدر مطلق التصرّف وإعتباره الدين بمثابة إرادة ذلك السلطان وإعتبر مظاهر أمر الله كولاة منفّذين لإرادته فلا تتعدّد الحقيقة المقدّسة الواحدة بتعدّد المظاهر ولا يختلف الدين الإلهي باختلاف الأحكام وليس لأحد غيره جلّ وعزّ بقادرٍ على تجديد الظهور وتشريع الشرائع [**ولا معنى للتوحيد إلاّ الإعتراف بهذا الأمر السّديد. والباقي شرك المشركين وأوهام المريبين**].

8. في ذكر عبارات جناب الشيخ في الجواب على مناظره:

وبعد إطّلاعكم على كلمات جناب المناظر تأمّلوا قليلاً الآن في جواب جناب الشيخ الذي كتبه في رسالته الثانية لتعرفوا الفرق بين إدراك الطرفين ولتطّلعوا على مقدار آداب وأخلاق وفصاحة وبلاغة كلّ واحد منهما.

وإنّنا لنذكر جواب جناب الشيخ بخصوص الموضوع الأوّل وهو أنّ أهل الأديان لما بدّلوا القوانين الإلهيّة التي بين أيديهم لهذا شاء المقنّن أن يُظهر حقيقتها وهذه عبارات جناب الشيخ في جواب مناظره: "الله أكبر كبيراً كبيراً حاشا أن يوجد إنسان من أهل العناد على هذه الدرجة بين قوم

[326] الشورى: **13**

ثمود وعاد وشدّد اد. يا أيّها المسكين لا يستطيع أحد أن يفهم من كلماتك غير الادّعاء والمكابرة. ادّعاء ثم ادّعاء ثم ادّعاء. فحين يقولون أنّنا غيّرنا القانون الإلهي وانحرفنا عن الصراط المستقيم نطرح هذا السؤال: "بأيّ دليل تُثبتون إدّعائكم الكاذب هذا؟ وأيّ قانون إلهي غيّرناه؟ فهذا زعم فاسد منكم ولو فرضنا أنّنا غيّرنا فلا يشكّ أحد في أنّنا نكون في درجة من العصيان أحطّ وأطأ من درجة شِرك أهل الهند وكفر أهل اليابان الذين يعبدون أصنامهم المنحوتة، وفي هذه الحال يكون الواجب في عنق مدّعيكم أفْرَضَ وأوْجَبَ أن يسحب بساطه إلى تلك الأنحاء لعلّه يهدي تلك الجموع من النفوس الضالّة لا أن يسعى لإلا صطيادنا نحن المسلمين الذين يمتدح أهل أوروبّا حقائقنا الدينيّة وقواعدنا الشرعيّة ويطبّقونها عندهم. وعلاوة على ذلك مَنْ هو ذلك المالك والصاحب والحاكم الجالس على عرش "يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ"[327]؟ فإنْ كان مرادك مولاك فقد أخطأت لأنّه ليس الله تعالى فقد نطقت بالصحيح لأنّه لا يستطيع أحد أن ينتقد إرادته أو يسأله عنها لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ "[328]ولكنّ تلك الإرادة الإلهيّة بأيّة واسطة تظهر في عالم الشهود؟ فإنْ إعتبرت الواسطة مولاك فهذا أيضاً خطأ وادّعاء كبير ولا يمكن التسليم به من دون دليل وبرهان كما عرضنا ذلك سابقاً ونعيد تكراره الآن ونقول ما دمتَ لم تثبت مظهريّة مولاك بالبيّنات الباهرات فإنّ جميع أقاويلك وادّعاءاتك في عداد أساطير الأوّلين لدى أولي العلم وعلاوة على هذا فإنّه بخصوص عبارتي: "وفي الواقع إنّ ممّا ينافي الإنصاف أن نشغل أذهاننا وأفكارنا بهذا النوع من الخيالات والشبهات في هذا العصر عصر المدنيّة" يقول: "إنْ كان مقصودكم بكلمة الخيالات والشبهات هو الأوامر الإلهيّة وأبحاث الكتب المقدّسة الصمدانيّة فإنّك بهذا الاعتراض تعترض على جميع الأنبياء والكتب النازلة عليهم لا على هذا الأمر البديع المنيع فحسب"،كلاّ أيّها المناظر إنّ مقصودي لم يكن ولن يكون الأوامر الإلهيّة وأبحاث الكتب المقدّسة الصمدانيّة لأنّ مثل هذه الجسارة بعيدة عن هذا الحقير وبعيد منه أن يسمّي الأوامر الحقيقيّة الإلهيّة وأبحاث الكتب الربّانيّة خيالاً بل كان مقصودي أمركم أنفسكم وأبحاثكم الموضوعة التي جئتم بها ووضعتموها في الميدان من دون بيّنة ولا برهان وجعلتم الأمر يشتبه على الناس وألقيتموهم في الضلال واتّخذتم مثل هذا الجواب بلا صواب دليلاً وقاعدة كلّيّة فتجيبون كلّ إنسان ينتقدكم قائلين بأنّ مثل هذه الاعتراضات قد قيلت أيضاً في حقّ الأنبياء السابقين ولكنّكم تغفلون عن أنّ مثل هذا الجواب يستطيع أن يقدّمه أحكم الكاذب فبأيّ دليل ستتغلّبون عليه؟ كما ذكرنا سابقاً وبصورة مفصّلة حول هذا الموضوع لئلاّ تتذرّعوا بعد ذلك

---

[327] الحج: 18

[328] الانبياء: 23

بذريعة غير مقبولة مع أنّني بغير هذا الدليل وهذه الذريعة أُطمئنكم بأنّه لن يصدّق ذلك أحد فقد قال الشاعر الفارسي ما ترجمته: "لقد ظهر قبحك وإفتضح لأنّ إنتكاستك كانت من مكان عليّ" وأخيراً سأل جناب الشيخ مناظره هذا السؤال وبه إختتم كلامه قائلاً: "لو صحّت أقوالكم بأنّ هذا القانون هو عين القوانين والأحكام السماويّة السابقة فنفس ذلك القانون موجود بحمد الله ومنّته كما أقررتم بذلك فمن المحال تحصيل الحاصل وإيجاد الموجود ومن المستحيل إظهار ما ظهر وأمّا سؤالك من الحقّ أن يوفّقني على تنفيذ هذا القانون فإنّني لست مطمئنّاً من أنّ دعاءكم سوف يُستجاب لأنّ الله تعالى قال في محكم كتابه: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ "[329]. انتهى كلام الشيخ.

[329] المائدة: 27

9. الجواب على انتقادات جناب الشيخ لمناظره وإثبات أنّه لم يبق من الشريعة الإسلاميّة إلاّ إسمها طبقا للأحاديث النبويّة:

ولو أنّنا عرضنا بالتفصيل بعبارات واضحة وبراهين جليّة جواب انتقادات جناب الشيخ بما لا يحتاج إلى التكرار وكان مقصودنا من ذكر جناب الشيخ والمناظر كما أشرنا إلى ذلك سابقاً وهو أن ينظر أولو الأبصار في مراتب علم المتناظرين وفضلهما وأدبهما وفصاحتهما وأحدهما تاجر من تجّار الأمّة البهائيّة والآخر فاضل من علماء الملّة الإسلاميّة بل شيخ الإسلام وقاضي القضاة في ممالك القفقاس، وأن يشاهدوا الفرق بين الشمس وبين الظلّ لكنّنا سوف نعرض بإختصار جواب انتقاداته مرّة ثانية حسب القول المعروف "هو المسكُ ما كرّرته يتضوّعُ". فأمّا إنكار جناب الشيخ تغييرهم القوانين الإسلاميّة فمعلوم أنّ كلّ أمّة من الأمم العتيقة لو تعرف أنّها غيّرت أحكام دينها الأصليّة التي بها تناط عزّتها ومجدها ونفوذ قولها وعلوّ كلمتها وبذلك إنحرفت عن طريق الحقّ فإنّها لا تُعرِض عن الأنبياء ولا تبقى من الجاهلين ولكنّ جناب الشيخ إذا لا يقبل معروضاتنا ولا يسمع أقوالنا فإنّه لا محالة ناظر إلى آيات القرآن وإنذارات خاتم النبيّين التي يعترف بها لفظاً وتقليداً لعلّه يوقن بهذه المسألة وينجي نفسه وأمّته التي هي على شفا الزوال والإضمحلال والذلّة والهوان وسوء المآل. ولقد عرض هذا العبد سابقاً ما فيه الكفاية من الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة المقبولة لدى أهل السنّة والشيعة لو كان السامع من أهل الإنصاف. يا سيّدي الشيخ ليست الآية الكريمة: إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ "[330] من أقوال البابيّين وليست الآية الكريمة: "وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ "[331] من أقوال البهائيّين. فالحديث الصحيح: يَجِيءُ بِأُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَلاءٌ شَدِيدٌ مِنْ سُلْطَانِهِمْ لَمْ يُسْمَعْ بَلاءٌ أَشَدُّ مِنْهُ " هو أقوى إنذارات خاتم النبيّين عليه السلام. وإنّ الخبر الموثوق بسنده: "سَيَأْتِي زَمَانٌ عَلَى أُمَّتِي لا يَبْقَى مِنَ الْقُرْآنِ إِلاّ رَسْمُهُ وَلا مِنَ الإِسْلامِ إِلاّ إِسْمُهُ" هو أعظم تخوفات سيّد المرسلين وقد عرضنا سابقاً ونعرض الآن لاحقاً أنّ جميع أحوال الأمّة الإسلاميّة ودرجات تأخّرها وإنحطاطها وجهلها وذلّتها وهوانها التي تصيبها جاءت صريحة في آيات القرآن والأحاديث الصحيحة، وأنّ طريق إصلاحها

---

[330] الرعد: 11

[331] مريم: 39

الذي ظنّيه جناب الشيخ يتمّم عن طريق التمدّد ن المذكور في نفس القرآن والألأ حاديث وموكول بظهور القائم الموعود ومنوط بالإيمان بحضرته،ولكنّ شدّد ة للمعاندة واللجاج التي قاوم بها رؤساء الأمّة وكبارها أمر الله من المحال ئ تترك الأمّة غير مبتلية بالذلّ والهوان كاليهود والمجوس أو تجعلها لا تكون مِصداق الآية الكريمة: "وَأَحَلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ "[332]. وإنّ ما كتبه جناب الشيخ بقوله: "ولو فرضنا أنّنا غيّرنا القانون الإلهي فلا يشكّ أحد في أنّنا نكون في درجة من العصيان أحطّ واوطأ درجة من شرك أهل الهند وكفر أهل اليابان" ناشئ عن عدم علمه وعدم إطّلاعه بحقائق القرآن والحديث، وإنّ هذا العبد لا يعرض الآن أيّة ملّةٍ عند الله أعدل وأتقى وأيّتها أضلّ وأطغى لأنّ معرفة هذه الحقائق موكولة إلى علم الله تبارك وتعالى لا إلى أهواء أُولي النفس والهوى والآمال،ولكنّ الذي يرجع إلى الإلا نذارات الإلهيّة والبشارات النبويّة يرى أنّ الله ورسوله لم يخاطبا أبداً أمّة الصين واليابان بخطاب: "حِينَئِذٍ تَنْزِلُ اللعْنَةُ عَلَيْكُمْ "و لم يصفهم بعبارة: "فُقَهَاؤُهُمْ شِرَارُ خَلْقِ الله". والعجب من أمّة إفتتحت كتاب أعمالها بقتل سيّد أهل العالم الحسين بن علي وإختتمت سجلّ أحوالها بشهادة قائم آل محمّد:

(يَا أُمَّةَ السُّوءِ لا سَقْياً لِرَبْعِكُمُ يَا أُمَّةً عَجِبَتْ مِنْ
فِعْلِهَ ______________ ا الأمَمَ ______________ هُمُ)

ولعمر الله يصعب علينا نحن أهل البهاء ويحزّ في نفوسنا أن نرى أغصان الدوحة الإسلاميّة بسبب بُعدها عن مشرب الحياة العذب يابسة وتُقطع من حديقة أمر الله وتُقلع وتُغرس في مكانها أغصان الأمم البعيدة والملل العتيقة وتنشأ وتترعرع وتكسب نضرة وجمالاً ولكن ما العمل وقد جرى قضاء الله بإبتعاد القريبين عن ساحة حضرة إحديّته بسبب كبرهم وغرورهم وبإقتراب البعيدين إلى مقرّ عزّته بسبب تواضعهم وخضوعهم ولا رادَّ لقضائه ولا مانع لفضله. فانظر فيما رواه المجلسي في مجلد (الغيبة) من كتابه (بحار الأنوار) في باب سِيَرِ القائم وخصائصه عن ابي عبد الله أنّه قال: "إذَا خَرَجَ القَائِمُ خَرَجَ مِنْ هَذَا الأمْرِ مَنْ كَانَ يَرَى أنَّهُ مِنْ أهْلِهِ وَيَدْخُلُ في سُنَّتِهِ عَبَدَةُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ" وفي هذه الحال لا يشكّ جناب الشيخ أنّ القضاء المبرم الإلا لهي سينجّي أمم الصين واليابان من شرك الوثنيّة ويحرم من فضله وموهبته الألأشخاص الذين يسمّون أنفسهم علماء وفضلاء وبسبب جهلهم لم يقرأوا شيئاً.

---

[332] ابراهيم: 28

10. في ذكر جامع مختصر لأدلّة أهل البهاء وبراهينهم:

وأمّا ما كتبه جناب الشيخ بقوله: "ما دمت لم تثبت مظهريّة مولاك بالبيّنات الباهرات فإنّ جميع أقاويلك وإدّعاتك في عداد أساطير الأوّلين لدى أولي العلم" فشاهدٌ ناطق على أنّه لم يفهم من البيّنة والبرهان شيئاً وأنّه إكتفي بتقليد الآباء والأمّهات في إدراك معاني الآيات والبيّنات، فأيّ برهان يحمله جناب الشيخ في يده لإثبات دينه أمام النصارى واليهود ويعجز أهل البهاء عن الإتيان بمثله أمام جناب الشيخ. ولو أنّنا أوضحنا وكشفنا في المبحث الأول براهين هذا الظهور الأعظم التي هي أكمل وأتمّ من حجج وبراهين الظهورات السابقة وبذلك تمّمنا الحجّة في بيان الأدلّة والبراهين ومع ذلك فإكمالاً وتكميلاً للبيّنة نسأل جناب الشيخ في هذا المقام أيضاً: "ما هو مقصودكم بالبيّنة والبرهان؟ لو تعتبرون آيات الكتاب والوحي السماوي حجّة فليس لدينا اعتراض على هذه الحجّة فنحن نعتبر الكتاب الإلهي أعظم الأدلّة وأكمل البيّنات وهو الحجّة البالغة والمعجزة الكافية وحينما نقبل من "إبن العربيّ" الناشئ في قريش ثلاثين جزءاً من القرآن ونعترف بأنّها كلمات الله كيف لا نقبل أضعاف القرآن من "إبن العجميّ" الذي لم يدرس دروساً ولا دخل مدرسة ولا كانت ولادته في بيت علم وفقهٍ وهو أمّي بإعتراف أعدائه؟ ولماذا نظهر من دون سبب بمظهر المعرضين والمنكرين وإذا كان خاتم النبيّين عليه وآله أطيب التحيّة والثناء يتفضّل متحدّياً: "فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ"[333] فإنّ النقطة الأولى عزّ إسمه الأعلى تفضّل في مقام التحدّي والإعجاز: "فَأْتُوا بِآيَةٍ مِنْ مِثْلِهِ" وقهر جميع أهل العالم بتحدّيه إيّاهم بآية واحدة. والسبب في هذا كما عرضناه في المبحث الأوّل أنّ قدرة الله جلّ جلاله والعياذ بالله لم تُسلب ولم تأخذه سِنَةٌ ولا نوم ولم ينسى تعالى وعوده حتّى يستطيع كاذب أن يُلفّق بإسمه تعالى كلاماً ويختلق شريعة وينتشر كلامه في العالم وتنفذ شريعته تلك بين الخلق: "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً"[334].

ومن العجيب أنّ جناب الشيخ إستشهد أحياناً في غضون رسالته بالآية الكريمة: "لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ"[335] ونسي أنّ هذه الآية الكريمة هي أعظم شاهد على حقّيّة هذا الأمر الأعظم لأنّ هذا الأمر المبارك لو كان والعياذ بالله باطلاً فإنّ كذب القرآن يثبت لأنّ الله جلّ جلاله يتفضّل في هذه الآية الكريمة أنّ الباطل لا يأتي قبل القرآن ولا يأتي بعده. والواقع لم يستطع أحد الفلاسفة والعلماء وكبار المؤلّفين والكتّاب مع

[333] البقرة: 23
[334] الاسراء: 43
[335] فصلت: 42

شدّة عنادهم ومعاداتهم للإسلام من يوم وفاة خاتم النبيّين عليه السلام إلى طلوع شمس جمال النقطة الأولى أن يأتي ولو بصفحة واحدة ويسمّيها كلام الله وتبقى في العالم مع أنّ كثيرين من الذين دُوِّنت أسماؤهم في الكتب التاريخيّة قد إدّعوا الشارعيّة وسمّوا أنفسهم بالنبوّة والرسالة والألوهيّة وأمثالها ولكنّهم إضمحلّوا بكلّ سرعة وفُقدوا في أقلّ ضربة فلا ظهرت منهم أمّة ولا بقي منهم كتاب فتحقّقت الآية الكريمة: "لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ "[336] تحقّقاً تامّاً. ولو نفرض الآن أنّ هذا الأمر المبارك ليس على حقّ فهلّا يقف المنكرون للإسلام في وجه المسلمين ويقولون والعياذ بالله :ها إنّ الباطل قد جاء بعد القرآن وظهر من بعده وإنتشر في جميع أقطار الأرض ووضح كذب القرآن"؟ كذلك يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ "[337] وكذلك يهدمون أركان دينهم وهم لا يفقهون. إذاً فلا مفرّ إلّا الأعتراف بأنّ كتاب البيان المقدّس وكتاب الإيقان الشريف وسائر الألواح المقدّسة تنزيل سماويّ وكتب إلهيّة والإقرار بأنّه لا يستطيع أحد غير الحقّ جلّ جلاله تنزيل الآيات ولا يستطيع أحد غير مظاهر أمر الله تشريع الشرائع حتّى تصدق الآية الكريمة: "لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ "[338]وتكون الحجّة بالغة على جميع الخلق.

وإذا كان مقصود جناب الشيخ من البيّنات هو المعجزات والآيات المقترحة كأن يقول إنسان مثلاً لمظهر أمر الله: "إن كنت من جانب الله فأنطق لنا هذا الحجر أو فأحيي لنا هذا الميّت أو فجّر الماء لنا من هذا الينبوع أو فاصعد إلى السماء أو ليجلسنّ مثل جناب الشيخ في تفليس ولتُحْضِر لخدمته صاحب الأمر حتّى يُظهر له كلّ ما تشتهيه نفسه ولا يكلّف الشيخ العزيز مشقّة الأسفار"، فقد علمت أنّ القرآن الشريف قد أبطل جميع هذه الأحلام بل إنّ الإنجيل المقدّس أزالها جميعها. وقد أثبتنا بآيات واضحات أنّ خاتم النبيّين عليه السلام لم يُظهر أيّة معجزة تجاه إقتراحات الأعداء وحتّى أنّه لم يعطهم وعداً بذلك. أمّا في هذا الظهور الأعظم فقد إعترف الأجانب بالمعجزات وبخوارق العادات التي ظهرت من الوجود المبارك كما سبق أن ذكرنا في المبحث الأول شهادات بعض كبار أولي العلم والفضل الذين لا يزالون اليوم على قيد الحياة وهذه هي إحدى ميّزات هذا الظهور الأعظم الأعلى التي لم تكن موجودة في الأديان السابقة وإحدى أوصاف الجمال الأقدس الأبهى الخاصّة التي لم تكن مشهودة في مظاهر أمر الله من قبل.

---

336 فصلت: 42
337 الحشر: 2
338 فصلت: 42

وإذا كان مقصود جناب الشيخ من البيّنات هو البشارات السابقة وأخبار الكتب المقدّسة كالإخبار بظهور المسيح في التوراة وكالإخبار بظهور خاتم النبيّين في الإنجيل وكالإخبار بظهور القائم الموعود في القرآن وفي الحديث فقد برهنّا على هذه المسألة سابقاً وأثبتنا أنّه لم يُذكر خبر لأيّ ظهور في كتب السابقين بمثل هذه الصراحة التي ذُكرت بها أخبار ظهور هذا الأمر الأعظم فيها وقد ذكرنا سابقاً أنّه لما كان إصلاح العالم وإتّفاق الأمم مَنوط في علم الله بورود هذا اليوم الأعظم لذا فإنّ الله جلّ جلاله قد أخذ عهد هذا اليوم في جميع الكتب المقدّسة بلسان جميع الأنبياء والمرسلين حول زمانه ومكانه وعلائمه وآثاره بكلّ صراحة وعيّن زمان ومكان وأدلّة وبرهان صاحب هذا الأمر الأعظم بصورة مؤرّخةٍ معيّنةٍ بحيث لو ينظر إنسان محايد في الكتب المقدّسة المذكورة لَيرى أنّه ليس في تلك الكتب بعد ذكرها الحدود والأحكام غير ذكر بشارات ورود يوم الله ويوم الملكوت ولا يُسمع في حدائق صحفها وأوراقها غير تغنيّات طير القدس في فراق مالك يوم التلاق.

وإذا كان مقصود جناب الشيخ من البيّنات نفوذ الكلمة وسرعة إنتشار الدين فإنّه لم يسبق لأيّ ظهور سابق أن نال مثل هذا النفوذ وعلوّ الكلمة وسرعة الإنتشار التي نالها هذا الظهور الأعظم بحيث أنّ صيته قد طبق الآفاق خلال خمسين سنة مع شدّة أصحاب البطش والسلطة ومقاومة أرباب الجاه والشوكة فقد نفذ في جميع الملل. ومن أمثلة سرعة نفوذه أنّ جناب الشيخ إضطرّ إلى تأليف رسالة في الردّ عليه ونَسِيَ أنّ كلّ هذه الشكاية وتأليف الرسائل وإنشاء المقالات هو دليلٌ لدى العقلاء على سرعة إنتشار الأمر ونفوذه لا دليل على إضمحلاله وفنائه. نعم إنّ بعض الجهّال الذين لا علم لهم بالتاريخ وبكيفيّة إنتشار الديانات يظنّون أنّ عيسى عليه السلام لما ظهر إستجاب جميع أهل العالم لأمره المبارك أو أنّ خاتم النبيّين عليه السلام لما ظهر إعتنقت جميع الأمم أمره بكلّ فخرٍ وإعتزازٍ ولو عرفوا أنّ أمر حضرة المسيح لم يجد رواجاً في مدّة مائة سنة بحيث أنّ المؤرّخين لم يدوّنوا له ذكراً في تواريخهم ولو عرفوا كذلك أنّ أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام في مدّة قرن واحد لم ينفذ في القفقاس بحيث يفتخر عشرة من أهل القفقاس بشرف الإسلام لَعرفوا معنى نفوذ كلمة الله وإنتشار دين الله. نعم إنّ كلمة الله في الظهور المبارك العيسويّ قد نفذت في تلك الأقطار ولكن بعد ثلثمائة سنة وبمعاضدة قياصرة روما وإنّ صيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد بلغ تلك الأقاليم ولكن بعد مائة سنة وبحدّ سيوف الخلفاء الأمويّين. وخلاصة القول فإنّي لا أدري أيّة بيّنة يملكها جناب الشيخ لإثبات دينه ولا يملكها أهل البهاء؟ وما هو المستند الذي يملكه ولا نملكه نحن؟

وفي سنة (1309) هجريّة لما ورد إلى عشق آباد حضرة الفاضل القائين (النبيل الأكبر) قدّس الله تربته وكان هذا الكاتب مقيماً في تلك المدينة حينذاك، ولما كان المرحوم الملاّ محمّد القاضي السابق لمدينة عشق آباد قد سمع في أيّام شبابه ودراسته بصيت فضائل حضرة النبيل لذا فقد أظهر إشتياقاً لا يوصف للقائه حتّى إتّفق لقاؤهما في إحدى ليالي رمضان المبارك في السنة المذكورة في مجلس في بيت جناب يحيى بك من أعيان المسلمين في المدينة ومن كبار موظّفي الدولة الروسيّة البهيّة فيها وكان المجلس يغصّ بالحاضرين من العلماء والعوام وتزيّن صدر المجلس بوجود المسلمين والنصارى بينما جلس العوام في مؤخّرة المجلس على عادة الجلوس في المساجد والجوامع وكان قاضي عشق آباد الحالي جناب السيّد إبراهيم القراباغي حاضراً في هذا المجلس أيضاً وقد رجع إخيراً من زيارته لمدينة مشهد المقدّسة وكانت تبدو على وجهه آثار الحقد والإنقباض وتظهر من حركاته وسكناته آثار الإضطراب والهيجان ومن دون سابق كلام عن الإختلافات الدينيّة إفتتح باب المناظرة وخاطب حضرة النبيل وهذا العبد وبهذا السؤال قائلاً: "إنّ هذا الأمر الجديد الذي جئتمونا به ما هو دليله وبرهانه؟ وإنّي لا أقبل الاستدلال بآيات القرآن والأحاديث بل أريد دليلاً عقليّاً في إثبات صحّة هذا الأمر" فتحيّر جناب النبيل من إستماع هذا الكلام وأحاطت بهذا العبد الحيرة أيضاً كيف أنّ جناب السيّد وهو من أفاضل الأمّة الإسلاميّة ومن السلالة النبويّة لا يجعل القرآن الشريف فصلاً للخطاب ولا يعير أهمّية في هذا المقام للحجّة البالغة الإلهيّة ولا يرضى بها في الاستدلال ؟ ولما لاحظت أنّ مقصود جناب السيّد هو المجادلة والإفحام لا الفهم والإستفهام ولاحظت أنّ الشيخ المجادل يحتاج إلى دليل الزامي وإلى إظهار جهله بالمقابلة بالمثل توجّهت نحوه وعرضت قائلاً: "يا سيّدي إنّ أدلّة مظاهر أمر الله متشابهة وبراهين حقيقة الأديان متماثلة وها هو القائد الروسي المعظّم جناب ألكسندر تومانسكي حاضر في هذا المجلس وهو ينكر حقيقة دين الإسلام فتفضّل جنابك أوّلاً واثبت للقائد بدليل عقليّ حقيقة الدين الإسلامي كما تريد منّا إثبات ديننا بالدليل العقلي حتّى نطّلع على دليلك ونقيم نفس البرهان على إثبات حقيقة هذا الظهور الأقدس الأعلى بإسلوب أتمّ وأجلى. فبُهت جناب السيّد من سماع هذا القول وحيث لم يكن له قابليّة الاستدلال أظهر ضجراً ومللاً وكان صاحب البيت بحسن أخلاقه يطفئ نار خشونة السيّد ورعونته ويخمدها بزلال رأفته وملاطفته وبشاشته حتّى إنفضّ المجلس وذهب كلّ واحد إلى سبيله. ومقصودنا بهذه الحكاية أن ينتبه أولو الإدراك إلى أنّ المكابرين لو عرفوا معنى البيّنة والبرهان وتفكّروا قليلاً في براهين حقيقة الدين الذي يؤمنوا به إيماناً

تقليدياً فإنّهم يعترفون بكمال برهان هذا الظهور الأعظم ويغترفون من ماء مَعينٍ بيان الإيقان الشريف. [ولطالما أفحمت هذه الآيات المباركة النازلة من القلم الأعلى جنود الضالّين المكذّبين: "قُلْ بِأَيِّ حُجَّةٍ آمَنْتُمْ بِاللّهِ مِنْ قَبْل؟ هَاتُوا بِهَا يَا مَلأَ الكَاذِبِين "].

11. في بيان أنّ جناب الشيخ أجاز التمسّك بشبهات الكفّار في الملل السابقة وفي ذلك من الغرابة ما لا يخفى:

وبعد أن طأطأتم على الأدلّة والبراهين تأمّلوا قليلاً في عبارات إبن الآخوند حيث كتب: "وإنّ اتخذتم مثل هذا الجواب بلا صواب دليلاً وقاعدة كلّية فتجيبون كلّ إنسان ينتقدكم قائلين بأنّ مثل هذه الاعتراضات قيلت أيضاً في حقّ الأنبياء السابقين ولكنّكم تغفلون عن أنّ مثل هذا الجواب يستطيع أن يقدّمه لحكم الكاذب فبأيّ دليل ستتغلّبون عليه؟" ويظهر من عبارات جناب الشيخ أنّه لم يستطع أن ينكر أنّ شبهاته هي نفس الشبهات التي قالها إخوانه سابقاً في ردّ الأنبياء والمرسلين ولكنّه أجاز وإستحسن التكلّم بكلمات الكفّار السابقين وإحياء سنن المكذّبين الأوّلين بالدليل الذي سبق فرضه وتوهّمه قائلاً لنفسه إنّ إنسانين يظهران يكون أحدهما حقّاً والآخر باطلاً وأحدهما يظهر في مكّة والآخر في الهند ثمّ بعد هذا الفرض الأوّل فرض فرضاً ثانياً وهو أنّ الباطل يتكلّم بالكلمات التي يتكلّم بها الحقّ ويتمسّك بأدلّة ثمّ بعد هذين الفرضين الموهومين يُبدي جناب الشيخ حيرته وينوح ويتلو المراثي قائلاً: "فنحن المساكين إلى عتبة أيّهما نتوجّه؟ وبأيّ إستطاعة وقدرة نستطيع القيام بالأسفار للتمييز بين الحق والباطل؟" (إلى آخر فروضه المضحكة التي ذكرناها فيما مضى من هذه المقالة). وقد سبق أن عرضنا الجواب وقلنا يا شيخنا الجليل إنّ الباطل لا يمكن تشبيهه بالحقّ وإنّ المدّعي الكاذب لا يستطيع أن يتمسّك ببراهين المدّعي الصادق وإلاّ فإنّ دلالة الدليل سوف تسقط وسوف تبطل حقيقة الشخص الأوّل الذي فرضتَ أنّه هو الحقّ وكتاب الله هو الحاكم بيننا وبينك وميزان الله هو الفاصل بين الحقّ والباطل.فأيّ مجال يُبقي بعد هذا الفرض الموهومات والتمسك بالشبهات؟ فإنّ الله جلّ جلاله قد أنزل جميع علامات وإمارات وآيات وأطوار الحقّ والباطل في الكتاب الذي وصفه بقوله تعالى: "تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ"[339] وقد قام رسول الله وأئمّة الهدى عليهم السلام بتبيين مجملاتها وتفسير معضلاتها وبيّنوا جميع دقائق يوم الظهور ودقائق حقائقه من

[339] النحل: 89

حيث الزمان والمكان والدليل والبرهان حتّى لا تبقى اليوم حائراً ولا تنوح وتتلو مراثي المسكنة ولا تتمسّك بشبهات الكفّار ولا تحيي سنن الهالكين. وخلاصة القول قد أجبنا سابقاً سؤال جناب الشيخ وأوضحنا بطلان هذا الفرض الموهوم بما ينبغي ويليق والآن أوضحناه مرّة ثانية بصورة أكمل لأنّ مجرّد الفرض بأنّه يتمسّك إنسان باطل بهذه الأدلّة لا يجيز لأي إنسان وبأيّ قانون أن يكرّر كلمات الكفّار السابقين ويحيي سنن السلف المكذّبين ويسلك في سبيل الهالكين وإنّي لا أدري إلى أيّ حدّ تصوّر جناب الشيخ أهالي تلك الحدود جهلاء بلهاء بحيث تجرّأ على كتابة مثل هذا الكلمات من دون مبالاة واعتبر غرس مثل هذه الأوهام في آذانهم أمراً يسيراً؟ والحال إنّ هذا العبد عند مروري بممالك القفقاس شاهدت أكثر اهالي تلك الحدود منوّرين بأنوار الفراسة والفطنة وموصوفين بفضائل الكياسة وحسن الإدراك. وفي هذا القرن المبارك قرن النورانيّة والإنسانيّة وقرن العلم والفضل والمعرفة وقرن إشراق شمس الحقيقة وقرن زوال ظلمة التقليد والتبعيّة لا أظنّ أنّ مثل هذه الأباطيل تترسّخ في الأذهان لأنّها تؤدّي إلى الرجوع القهقرى إلى حال الأمم الهالكة وإلى التمسّك بشبهات الملل العتيقة.

وخلاصة القول فإنّنا بحكم الآية المباركة النازلة في الإنجيل "تعرف الأشجار من أثمارها" وبحكم الآيه الكريمة في القرآن: "كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ"[340] نعرف كلّ شجرة من أثمارها ونميّز القلوب الحيّة والميّتة من الكلمات المنبعثة منها فقد ظهر الجمال الأقدس الأبهي عزّ إسمه الأقدس الأعلى ببراهين جميع الأنبياء وحججهم ونطق المعرضون عن جماله بشبهات السابقين فلم يبق هناك من شكّ أنّ حضرته في مصاف المرسلين السابقين وإنّ هذا المعرض أخ المكذّبين الأوّلين فذاك الموعود في الآية "يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"[341] وهذا المعرض هو المقصود في الآية "كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ"[342]. نعم إنّ الشوكَ شوكٌ في أيّ مكان ظهر والوردَ وردٌ في أيّ مكان نبت [وإن تعدّدت الأسماء وتغيّرت السبل].

[340] البقرة: 118
[341] المطففين: 6
[342] الحجر: 12

12. في بيان أنّ مناظر جناب الشيخ دعا في حقّه وأنّ الشيخ لم يفهم الفرق بين قبول الأعمال وبين إستجابة الدعاء:

ويضحك الإنسان من مطالعة عبارات جناب إبن الآخوند فإنّ حضرة المناظر لما دعا في حقّه ولتمس من الحقّ جلّ جلاله أن يوفّقه على تنفيذ هذا القانون الذي هو مقصود جميع الأنبياء والمرسلين إضطرب جناب إبن الآخوند وغمرته الدهشة وكأنّه من كثرة علمه وقوّة عرفانه بعلم اللغة لم يفهم الفرق بين قبول العمل وبين إستجابة الدعاء وظنّ أنّ الآية الكريمة: "إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ"[343] تعني أنّ الله جلّ جلاله لا يستجيب دعاء غير المتّقي وإليك عني عبارة جناب الشيخ في جواب دعاء المناظر فقد كتب: "وأمّا سؤالك من الحقّ أن يوفّقني على تنفيذ هذا القانون فإنّني لست مطمئناً من أنّ دعاءكم سوف يُستجاب لأنّ الله تعالى قال في محكم كتابه: "إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ"[344] وهذه العبارة تدلّ على مقدار علم جناب إبن الآخوند لأنّه لو كان يعرف الفرق بين قبول العمل وبين إستجابة الدعاء لعرف أنّ الحقّ جلّ جلاله لا يستجب أحياناً دعاء الأتقياء فحسب بل دعاء الأنبياء كذلك ولكنّه لم يردّ أعمال الأتقياء والأنبياء فإنّ دعاء إبراهيم عليه السلام: "وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ"[345] لم يُستجَبْ كما خاطب تعالى خاتم النبيّين بهذا الخطاب: "إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ"[346]. لكنّ أعمالهم عليهم السلام بل أعمال المؤمنين بهم مقبولة في محضره الأقدس وفائزة بسعادة الرضاء ولا يدري جناب إبن الآخوند أنّ جناب المناظر إذا دعى في حقّه فإنّ ذلك كان منه بأمر من الحقّ جلّ جلاله أن ندعو بحقّ أعدائنا ونلتمس الخير لهم ولا تجري على ألسنتنا كلمة لعن أو عبارة سبّ وطعنٍ حتّى لا ينتهي الأمر بالملّة البهائيّة إلى المنافرة مع أهل العالم كما انتهى بالفرق والشيع الإسلاميّة إلى أن جعلت عداوة وبغضاء الملل رُكناً من أركان الدين وجعلت لعنتها غذاءها في أيّامها. ولقد فاحت بعون الله تعالى نفحات المحبّة والوداد من جميع الآفاق وزالت من كافّة الأطراف بتعليمات القلم الأعلى نفثات الحقد والعناد حتّى يصبح العالم جنّة الأبهي وتصبح الدنيا روضة غنّاء [**وما ذاك على الله بعزيز، وهنا نختم البحث في الباب التالي ونسأل الله تبارك**

[343] **المائدة: 27**

[344] **المائدة: 27**

[345] **الشعراء: 85**

[346] **التوبة: 80**

وتعالى في خاتمة القول أنّ يؤيّدنا وحضرة الشيخ على ما يحبّ ويرضى ويقدّر لنا ولهم خير الآخرة والأولى].

****

(خاتمة الكتاب)

في ذكر بعض غرائب انتقادات جناب الشيخ

1. في أنّ أوّل الغرائب هو أنّ الشيخ بالرغم من مطالعته لكتاب الإيقان الشريف لم يفهم عقيدة أهل البهاء في حقّق النقطة الأولى جلّ إسمه الأعلى:

لا يخفي على المتصفّحين لهذه الأوراق أنّنا قرّرنا في بداية الكتاب تخصيص الخاتمة لذكر موضوعات جناب الشيخ التي لا ترتبط بأصل الدليل والبرهان وبعبارة أخرى إنّنا نكشف ونوضح في الخاتمة كلّ ما ليس دليلاً وإعتبره هو دليلاً أو كلّ ما لا يتعلّق بالاحتجاج والإستبدال وإعتبره هو متعلّقاً. ولكن حيث أنّنا ذكرنا أكثر هذه الموضوعات بحكم إرتباط الكلام في الأبواب السابقة وكتبنا بصورة مفصّلة جواب شبهاته بعبارات واضحة ظاهرة المعنى فإنّنا نخصّص هذا الباب لذكر بعض موضوعات جناب الشيخ التي لم نذكر في الأبحاث السابقة ولم نبد عنها الملاحظات في تلك الصفحات ليتمّم البحث من جميع الوجوه ونختم الكتاب على ما يرام. وحيث أنّ كلّ واحد من هذه الموضوعات هو في مكان من الغرابة بحيث لا يوجد مثلها في أيّ كتاب مهما كان المصنّف ضحلاً في علمه ولم تُعرف حتّى اليوم عن أيّ كاتب مهما كان مكابراً، ولهذا نصف كلّ موضوع منها باسم "ومن الغرائب" حتّى تتميّز فصولها ويجلب العنوان نظر القارئ الذي يتصفّحه ومن الله التوفيق.

(وفاتحة هذه الغرائب) التي تدلّ دلالة واضحة على مقدار فهم جناب الشيخ وإدراكه ومنها يطّلع القارئ على درجات علمه وفضله وهو أنّه بالرغم من مطالعته لكتاب الإيقان الشريف وفهمه حسب زعمه له فإنّه شكّ في معتقد أهل البهاء في حقّ حضرة الباب الأعظم النقطة الأولى عزّ اسمه الأعلى، ولهذا إستفسر في رسالته الأولى هل تعتبر الطائفة البابيّة مقامه مقام النبوّة والرسالة أم مقام الإمامة والنيابة أم مقام القائميّة والمهدويّة مع أنّه صرح في هذا الكتاب الشريف فأفصح خاطباً إنّ حضرته هو القائم الموعود الذي أخبر الله جلّ جلاله بظهوره المبارك في القرآن المجيد وبشّر بوروده المسعود خاتم النبيّين عليه آلاف التحيّة والثناء، وإنّ ظهور القائم الموعود هو ظهور مقام الربوبيّة والشارعيّة لا ظهور مقام الوصاية والتابعيّة. ومهما كان الإنسان بليداً قليل الإدراك ولا يفهم جميع عبارات هذا الكتاب الشريف فإنّه لا محال يفهم من الأحاديث التي

لِيستدلّ بها هذا الكتاب المقدّس أنّ هذه الطائفة تعتبر حضرة القائم الموعود وظهوره المبارك ظهور المهدي المذكور في الأخبار والنصوص. فهل يمكن أن يشاهد الإنسان هذا الاستدلال بالحديث الشريف في كتاب الإيقان الكريم: "إذا ظهر راية الحقّ لعنها أهل الشرق والغرب" ولا يفهم ما هو إعتقاد البابيّة في حقّه؟ وهل يُتصوّر إنّ إنساناً يقرأ في هذا السفر المجيد الحديث الشريف: "إنّ في قائمنا أربع علامات من أربعة من الأنبياء" ويبقى لا يعرف ما يعتبر أهل البهاء مقام حضرته؟ ولو يقول جناب الشيخ أنّه لم ير هذه الأحاديث لأنّ (رغبته لم تسعفه لإكمال مطالعة الكتاب) فإنّ هذا عذر باطل وتعليل مخجل لأنّ ردّ الدليل بدون تلاوته عمل إنسان عامّي جاهل والحكم ببطلان الحجّة بدون تلاوتها شأن كلّ هزيل خامل الذكر. وكما يتذكّر أرباب الفطنة ما كتبه جناب الشيخ بخصوص الأحاديث الواردة عن طريق أهل البيت الطاهرين ومن ذلك يعترفون أنّه قرأ الأحاديث الواردة في كتاب الإيقان الشريف وحكم بصعوبة فهم صحّتها وسقمها وإلّا فإنّه لو لم يقرأها ويفهمها فإنّ إصداره مثل هذا الحكم منتهى التلاعب بالدين المبين ومنتهى التهاون بوعود حضرة ربّ العالمين.

وأعجب من هذا إنّ جناب الشيخ لمّا شاهد أنّ جناب المناظر ترك الجواب على هذه المسألة عطف عنان جوابه على شبهاته ظنّ جناب الشيخ أنّ عدم تعرّض المناظر إلى تعيين مقام حضرة الباب دليل على عجزه عن الجواب، ولهذا وجد مجال المجادلة فسيحاً وشاهد مسرح الشناعة والوقاحة وسيعاً فكتب مرّة ثانية صفحتين وثلاث صفحات من التشنيع والتقريع وها نحن نذكر بعضها في هذه الصفحات لتبقى تذكاراً لحضرته حتّى يرى أهل الفضل والأدب مقدار فصاحته وبلاغته ويعرفوا المنكرين لفصاحة الإيقان الشريف. وهذه عين عباراته: "لماذا تتعلّلون في بيان ادّعاء المدّعين وترمون أنفسكم إلى اليمين واليسار وتهربون من الطريق المستقيم؟ وبدلاً من الإجابة على انتقاداتنا بالدلائل والبراهين تتجاسرون مرّة بالنصيحة ومرّة باللوم. وإعلموا علم اليقين أنّ تشبّثكم بهذه الحشائش الأرضيّة لا ينجّيكم أبداً من الغرق والهلاك بل يجب أن تأتوا فقط بالحبل المتين والبرهان القويّ: "هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"[347]. وإطمئنّوا إنّكم بهذه الأجوبة التهرّبيّة لن تفلتوا أبداً من مخلب خصم قويّ. والآن أكرّر مرّة أخرى بكلّ وضوح مقصودي وأطالبكم حتماً بالجواب المبين." إنتهى.

فلمّا إطّلع هذا العبد على مقدار مدارك جناب الشيخ الغالية ولاحظتُ أمره حتماً بالمطالبة بالجواب لذا إمتثالاً لحكمه العالي كتبت في المبحث الأول بعبارات ظاهرة المعنى (وقبل الشروع

[347] البقرة: 111

بذكر الأدلّة والبراهين) لإعتقادات هذه الطائفة في حقّ النقطة الأولى والجمال الأقدس الأبهى جلّ ذكرهما وعزّز إسمهما، وبيّنت مقام هذين الظهورين المقدّسين وفقاً لمصطلحات أهل التشيّع وأهل التسنّن بل وفقاً لمعتقدات اليهود والنصارى حتّى ننجي حضرة المناظر الضعيف من مخلب جناب الشيخ القويّ لعلّ جناب الشيخ يستعمل هذه القوّة في تعميم التمدّن ويوصل بحر قزوين بالمحيطات ويقرّب الكرة الأرضيّة إلى القمر وينجّي الأمّة المسكينة التي إبتلتها البابيّة بذلّ الرقّ من عبوديّة الأمم المتمدّنة.

2. في بيان أنّ من الغرائب إنتقاد جناب الشيخ لبعض عبارات مناظره بأنّها لو تُرجمت إلى لغة أجنبيّة لظهر جفاف معانيها وإقتراحنا على جناب الشيخ ترجمة بعض آيات القرآن الكريم إلى الفارسية:

... فكتب جناب المناظر: "إنّ جناب الشيخ يقصد بذلك أنّ علمه وفضله ظاهر ولا يحتاج لإظهار علمه وفضله إلى كتابة رسالةٍ رديّةٍ على البابيّة ولكنّنا لم نرى من آثار قلمه أنّه إستطاع أن يجعل إنساناً وثنيّاً واحداً موحّداً أو يجعل يهوديّاً واحداً أو زردشتيّاً واحداً مؤمناً ولم نر من آثار فضله غير إضاعته الأوراق والمداد. وقد رأينا آثار القرآن والإيقان ولكنّنا لم نشاهد مثل آثارهما من أقلام الآخرين: "قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[348]. فكتب جناب الشيخ في الإجابة على عبارات مناظره الكلمات التالية في الصفحة (12) من رسالته المطبوعة وفيها يقول: "إنّنا لا نصدّق ..."

(ومن الغرائب) أنّه لما كتب مناظر جناب الشيخ العبارات التي ذكّره فيها أنّه من مطالعة رسالة جناب الشيخ يُفهم أنّ مقصوده ليس الإستفادة والإستفهام بل مقصوده إظهار العلم والفضل وإعتبار نفسه في عداد المعارضين لهذا الأمر الأعظم في حين أنّ جناب الشيخ يجب أن ينتبه ويعلم أنّه قد مضى حتّى الآن ما يقارب الخمسين سنة على هذا الأمر كُتبت فيها رسائل ردّية عديدة في معارضته بحيث تضيع رسالة جناب الشيخ إذا قورنت بها وبعضها موجود إن أراد إرساله إليه. وكان مقصود جناب المناظر من هذه الكلمة أن ينتبه جناب الشيخ إلى أنّ الرسائل الردّية لن توقف نفوذ الكلمة الإلهيّة كما كُتبت رسائل عديدة في عرض هذه الخمسين سنة لم تمنع أمر الله من النفوذ، فكتب جناب الشيخ في جواب ذلك: "إنّنا لا نصدّق المظهريّة الإلهيّة لمدّعيكم ولا

348 القصص: 49

نصـدّق برهانـاً أو دليلاً أو آيـات أو بيّنـات ظـاهرة أو باطنـة. ونسـمع فقـط بضـعة إصـطلاحات جديـدة يابسـة لم نسـمعها في أيّ ديـن ومـذهب: الأمـر الأعظـم، الأمـر الالهـي، قلـم عـزّ جمـال القدم، الهياكل القدسيّة وغير ذلك. فما معنى هـذا التفنّن بالألفاظ وما ثمرته؟ وما معنى: قلم عزّ جمال القدم؟ فإنّك إن ترجمت هذه العبارت إلى إحدى اللغات الأجنبيّة رأيت حينذاك كيف أنّها عديمة المعنى وعديمة الحقيقة وعديمة الروح. ولماذا "قلم عزّ جمال القدم" هذا لا يُسكتنا ويقنعنا بآثاره الظاهريّة أو يلقي بقوّته الروحانيّة الباطنيّة شعاعاً من أنوار هدايته على قلوبنا المظلمة حتّى نسلك في الصراط البابيّ أو البهائيّ ؟ فلا يفيد أيّ عاقل كلّ هذه الإطالة في البحث وتكرار النصيحة والموعظة كما أنّ خداع عميان هذا الزمان يكون بنقل عبارة "قالوا" و"يقولون" وإشغال المهرّجين والحمّالين بنقل عجوز "كان" وبذلك يُفرحون أنفسهم. ويليق التحقير بالمناظر المغرور لا بالمناظر الطالب للحقيقة" (إلى آخر كلامه عافاه الله).

ونقول في الجواب عليه: يا أيّها الناظر في هذا الكتاب إعلم، هداك الله وإيّانا إلى محجّة العلم وطريق الصواب، أنّ جناب الشيخ قد إنتقد مناظره في هذا المقام بإنتقادين كلّ واحد منهما غريب في حدّ ذاته وبعيد عن منهج أرباب العلم والإدراك: (الإنتقاد الأوّل) هو أنّ هذه الألفاظ التي كتبها جناب المناظر في رسالته لمثال الأمر الأعظم والأمر الالهي وقلم عزّ جمال القدم والهياكل القدسيّة وغيرها ألفاظ لم يرها جناب الشيخ في سائر المذاهب والأديان ويقول هذا العبد عنها إنّ عدم رؤية جناب الشيخ بها لا يكون دليلاً على عدم وجودها بحكم القاعدة : [**عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود**"] بل أعرض إنّ معنى الدين الجديد والظهور البديع هو أن تلبس جميع الأشياء حلّة بديعة وتظهر جميع الآداب والعادات والمصطلحات والعقائد في صورة جديدة فليس في الكتب المقدّسة من التوراة والإنجيل أيّ ذكر لأسماء يوم القيامة غير إسم يوم الله ويوم الربّ ويوم الملكوت ولم يسمع اليهود والنصارى قبل ظهور رسول الله أسماء: الصاخّة والقارعة والحاقّة والغاشية والساهرة. وكذلك كلمات: "خَاتَم النَبِيِّيْنَ" و"الْحُورُ العِينْ" و"أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفىً وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ"[349] وكثير من أمثالها وإلى يومنا هذا ينظرون إلى هذه الألفاظ نفس النظرة التي ينظرها جناب الشيخ إلى ألفاظ "الأمر الأبهي" و"الأمر الأعظم" و"الهياكل المقدّسة". وإنّي لا أعلم إنّ الأمر الذي عظّمه القرآن الكريم

[349] محمّد: 15

بكلمة "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ "[350]لو يسمّيه المؤمن البهائي الأمر الأعظم فأيّ ذنبٍ يرتكبه؟ وإنّ القلم الذي أقسم به الله تعالى في السورة الكريمة: "ن، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ "[351]لو سمّاه كاتبٌ باسم القلم الأعلى أو قلم القدم أو قلم عزّ جمال القدم فأيّة معصية يرتكبها؟ وإذا سمّى إنسان أبدان مظاهر أمر الله، التي كلّ شعرة منها أغلى وأعزّ من مائة ألف شخص منّا، عروشاً إلهيّة أو هياكل قدسيّة فأيّة مخالفة إرتكبها؟

وخلاصة القول لما لم يجد جناب الشيخ إنتقاداً قانونيّاً على هذه الألفاظ ولم يستطع بعبارة أخرى إثبات خطأها بالقوانين اللغويّة تمسّك بهذا الحبل الواهي بقوله: "إنّك إن ترجمت هذه العبارة إلى إحدى اللغات الأجنبيّة كالروسيّة أو الفرنسيّة أو الإنكليزيّة وغيرها لرأيت حينذاك كيف أنّها عديمة المعنى وعديمة الحقيقة وعديمة الروح" وهذا الإنتقاد إنتحله جناب الشيخ من كتاب أحد دعاة التمدّن الذي يدعو إلى تقبيح الإنشاءات الإسلاميّة ونقلها من هناك إلى هنا كالببّغاء التي تحكي الصوت ولا تعرف المعنى وقد غفل عن أنّ الحقائق في هذا اليوم لا تبقى مخفيّة وراء ستار التمويه والتدليس وليس كلّ ما يعشقه ويُفتن به مقبول لدى أولي العقول السليمة لأنّ الفصاحة هي وصف الكلام وعبارة عن حسن ترتيب الألفاظ التي يكتبها الكاتب ويلقيها الخطيب ولا علاقة لها بأوصاف الكلام المعنويّة حتّى يتّضح عدم معناها حين ترجمتها من لغة إلى لغة أخرى، لأنّ علماء البيان عرّفوا فصاحة الكلام بخلوّه من ضعف التأليف ومن تنافر الكلمات وبفصاحة مفرداته واعتبروا فصاحة الألفاظ المنفردة بسلامتها من تنافر الحروف ومخالفة القياس اللغويّ .

فيُفهم من هذا أنّ صحّة الألفاظ وسقمها وفصيح الكلام وركيكه يرجع إلى نفس اللغة ولا دخل للترجمة في ذلك ولا يعرف ذلك من الترجمة. وإذا لم يستطع المترجم أن يترجم عبارة من لغة إلى لغة أخرى بإسلوب فصيح أو لم تكن العبارة ممكنة الترجمة إلى لغة أخرى فاللوم يقع في ذلك على المترجم لا على صاحب العبارة الأولى والنقص منشؤه هنا اللغة المترجَم إليها لا اللغة المترجم عنها. لأنّ فنّ الترجمة من الفنون البديعة الصعبة لا يستطيعها كلّ كاتب وليس كلّ فصيح متمكّن من حسن ترجمة كلّ عبارة. فكم صادف أن تكون العبارة في غاية الفصاحة والعذوبة والرقّة تكون ترجمتها إلى لغة أخرى ركيكة غير فصيحة ولا يستسيغها الذوق السليم. ولو ينظر الإنسان إلى تراجم التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها ليدرك صحّة ما عرضنا ويشهد على أنّه لا علاقة لصحّة الكلام وسلاسته أو سقمه وركاكته بترجمته إلى سائر اللغات. وحيث سبق أن عرضنا أنّ الدلالة الحلّيّة يستحيل أن تكفي الشخص الذي له غرض ويجادل ويكابر في ستر الحقائق أو تجعله يعترف بخطأه،

---

[350] النحل: 1

[351] نون: 1

ولهذا من أجل إيضاح هذه المسألة إلى أرباب الاستعداد نرجو بكلّ خضوع من جناب الشيخ أن يترجم للفارسيّة الآية الكريمة: "الحَاقَّةُ مَا الحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ" وكذلك الآية الشريفة: "يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا"[352] وكذلك الآيات المباركة: "وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ"[353] وكذلك الآيات الكريمات: "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا إِنَّ الْإِنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ"[354] وإنّني لست مثل جناب الشيخ أطلب الجواب جبراً بل بكلّ أدبٍ أرجو جناب الشيخ وبكلّ خضوع ألتمسه أن يتجشّم الصعاب قليلاً ويترجم هذه الآيات السالفة إلى اللغة الفارسيّة في سبيل الله بعد أن أوصل المناظر إلى تلك النقطة حتّى يعرف أهل تلك الحدود درجات عدم المعنى وعدم الروح في ترجمة كلام الطرفين وينتبهوا إلى صحّة أو سقم هذا الإنتقاد الذي تعلّمه جناب الشيخ من غيره وباعه علينا لعلّ نفس جناب الشيخ ينتبه إلى أنّ هذا الإنتقاد بفساد معنى الكلام عن طريق ترجمته هو إنتقاد أُوجد لمقاومة القرآن الشريف. وصار فاقدو البصيرة يتقبّلونه بكلّ بِشْرٍ وسرور وينقلونه كالببّغاء من غير شعور في حين أنّنا برهنّا وأثبتنا أنّ إستحالة ترجمة عبارة من لغة إلى لغة أخرى ترجع إلى عجز المترجم في فنّ الترجمة أو عجز بعض اللغات في ألفاظها وليس ضروريّاً ولا شرطاً واجباً لفصاحة الكلام وبلاغته أن يمكن ترجمته إلى لغة أخرى أو إقتباس الروحانيّة الموجودة في لغة من اللغات من لغة غيرها. كما أنّ نفس هذه الآيات الشريفة التي إلتمسنا من جناب الشيخ ترجمتها هي في اللغة العربيّة في منتهى السلاسة والرقّة والفصاحة والبلاغة وحُسن التنظيم ولكنّ ترجمتها إلى أيّ لغة من اللغات في منتهى الركّة وقبح التركيب وفي هذا كفاية لأرباب الإدراك وبيان للقانون الصحيح في الكتابة والخطابة لدى أهل البنان والبيان.

(الإنتقاد الثاني) الذي جاء به جناب الشيخ هو لماذا لا يقوم هذا الظهور بآثاره الظاهريّة أو بقوّته الباطنيّة على هدايته ولا يهديه إلى طريق البابيّة أو البهائيّة المستقيم؟ وهذا العبد الذي ساح بلاداً واسعة وإختلط بعلماء وفضلاء الملل والأديان وقرأ الكتب الدينيّة والمناظرات العلميّة لدى كلّ مذهب بكلّ دقّة وإمعان لم أشاهد أبداً إنساناً يعتبر نفسه من أهل العلم مهما كان قليل

352 المزمل: 1-3

353 النازعات: 1-6

354 العاديات: 1-6

العلم وفاقد الشعور ويستدلّ بالنفي ويعتبر عدم إيمانه دليلاً على بطلان مدّعي مقام الشارعيّة وهو يشبه إنساناً يقول إنّ موسى عليه السلام لو كان هادياً فلماذا لم يهدي أهل مصر جميعاً؟ أو لماذا لم يهد عيسى عليه السلام علماء اليهود إلى الطريق المستقيم؟ أو إنّ خاتم النبيّين مع آثاره الظاهريّة وقوّته الروحانيّة الباطنيّة لماذا ترك كلّ هذه الأمم إلى يومنا هذا في الضلالة ولم يهد إلى سبيل الإسلام وهو يشبه أيضاً إنساناً يقول لو كان الله هادياً فلماذا لا يهدي الكفّار بقوّته وقدرته الذاتيّة؟ ولو كان وهّاباً مغنياً فلماذا لا يجعل كلّ فقير غنيّاً برأفته ورحمته الإلهيّة؟ وهل هناك في جناب شيخ تفليس ميّزة يمتاز بها عن جناب القسس في باريس وهي موجودة عنده ومفقودة عند ذاك حتّى يتحتّم بها أن يهديه الجمال الأقدس الأبهى بقوّته الباطنيّة إلى الطريقة البهائيّة؟ ولكن ليس من ضير في أن يترك خاتم النبيّن عليه السلام ذلك القسّ مدّة ألف وثلثمائة سنة في الضلال. ومن العجب أنّ حضرة شيخ الإسلام مع قوّة قريحته وشدّة عارضه وسلامة ذوقه وحسن إحتجاجه في إعتباره إنحطاط الأمّة الإسلاميّة في القضايا العلميّة والصناعيّة من معاصي البابيّة وفي إعتباره عدم إيمانه دليلاً على بطلان أمر الداعي إلى الله لماذا لا يوسّع بحث أدلّته وبراهينه ويستدلّ مثلاً بضياء النهار وبظلمة الليل وبسواد الزنوج وبياض الأوروبيّين وبسكون الأحجار وبجريان الأنهار وببرودة الماء وبحرارة النار وبكثيرٍ غيرها على صحّة أقواله وتكذيب أمر الله؟ لأنّ مجال الانتقادات الباردة غير الواردة وسيعٌ وميدان الاعتراضات غير المترابطة فسيح. نعم إنّ الآية الكريمة "إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " هي السبب في إختصاص البعض من الناس بالهداية وإنّ الحديث: "إِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ خَرَجَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ مَنْ يَرَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهِ" يوضح سبب خروج جماعة عن هذا الأمر الأعظم ولكنّ العيب هنا أنّ انساناً لو يعرض في حضور جناب الشيخ سبب هذا التوقّف والتردّد ويشوّقه خالصاً لوجه الله على تلاوة القرآن الشريف بدقّة وإمعان وينبّهه بكلّ أدب بالشواهد وبالأمثال دأب أصحاب المقال وقدماء الرجال تراه يغضب ويقول لماذا صارت البابيّة تنصحنا ولماذا تتكلّم بالشواهد الأدبيّة ولماذا تقسم اليمين تجاه شدّة إنكار المنكرين أو مفتريات المفترين؟ ولم ينتبه إلى أنّ البهائي المسكين الذي يرى أخاه على حافّة الهاوية وقد أحاطت به وهو غافل ذاهل سيول البلايا العاجلة كالأمم القديمة والملل العتيقة لا حيلة له غير النصيحة الخالصة المؤكّدة بالقسم والإيمان: "والنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ " ولو ينظر الإنسان البصير إلى الكتب المقدّسة من التوراة والإنجيل والقرآن ليشاهد في جميعها مواعظ ونصائح وقصصاً وحكايات وحلفاً ويميناً ولكنّ

ما ورد في القرآن المجيد من القسم واليمين وتكرار قصص الماضين ونصح وإنذار المتكبّرين لم يرد شبهه أبداً في أيّ كتاب آخر من كتب المتقدّمين والمتأخّرين ولهذا فإنّ حضرة المناظر إذا أقسم احياناً في غضون كلامه أو نصح أو إستشهد بالشواهد والأمثال فيجب على جناب الشيخ أن يعفو عنه لأنّه إقتدى بالقرآن ومشى في طريق السلف الصالحين.

(إن كان رفضاً حبّ آل محمّد فليشهد الثّقلان أنّي رافضي).

3. في بيان أنّ من الغرائب أن يقرأ جناب الشيخ كتاب الإيقان ثم يعتبر هذا الأمر الأعظم مذهباً من المذاهب الإسلاميّة والأغرب من ذلك أن ينحو باللائمة على الوجود المبارك المحاط ببلايا لا تحصى بأنّه يعيش في عكاء في اللهو والملذات:

(ومن الغرائب) التي تدل دلالة واضحة على مقدار مدارك جناب الشيخ أنّه بالرغم من زعمه قراءته كتاب الإيقان وفهمه له ظنّ أنّ هذا الأمر الأعظم مذهب من المذاهب الإسلاميّة مثل الزيديّة أو الاسم اعيليّة أو الكيسانيّة وأمثالها. فيُفهم من هذا جيداً أنّه لم يفهم كتاب الإيقان الشريف فحسب بل لا يعرف الفرق بين الأديان والمذاهب لأنّه لو كان يعرف أنّ هناك ثلاثة أشياء تميّز الأديان عن بعضها وهي تعدّد الشارعين وتعدّد الكتب السماويّة واختلاف صور وأركان العبادات الدينيّة لكان يفهم أنّ هذا الأمر الأعظم عبارة عن دين من الأديان الإلهيّة لا مذهب من المذاهب الإسلاميّة وإذا نزل في الإيقان تصديق لرسالة خاتم النبيّين عليه السلام وإعتبر هذا الأمر الأعظم بسبب ذلك التصديق مذهباً من المذاهب الإسلاميّة فيجب إذاً اعتبار الإسلام من المذاهب النصرانية بسبب نزول تصديق عيسى عليه السلام في القرآن المجيد كما يجب إعتبار النصرانيّة مذهباً من المذاهب اليهوديّة بسبب تصديق موسى عليه السلام في الإنجيل الجليل وهكذا تنتهي سلسلة النكوص والقهقرى إلى الدورة الأولى ولا يحتاج خطأ هذا الوهم وإنحطاط هذا النظر إلى زيادة في الشرح والتطويل. وكما بيّنا في تفسير الآية الكريمة: "شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ "[355] أنّ الإنسان الموحّد إذا إعتبر جميع الأنبياء والمرسلين مظاهر حقيقة واحدة وإتّخذ جميع الأديان على حدّ سواء أبواباً لجنّة واحدة في التقدّم والسعادة فإنّه يستطيع أن يفهم هذا الأمر الأعظم هو حقيقة الدين

[355] الشورى: 13

الإسلامي المقدّس التي تجلّت بظهوره الموعود المبارك خالية من شوائب البدع والأهواء المذهبيّة وتحقّقت بظهورها بشارة: "يَظْهَرُ القَائِمُ بِأَمْرٍ جَدِيدٍ وَكِتَابٍ جَدِيدٍ وَقَضَاءٍ جَدِيدٍ مِنَ السَّمَاءِ " وبشارة: "يُقِيمُ الدِّينَ وَيَنْفُخُ الرُّوحَ فِي الإِسْلامِ " وبشارة: "يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلامَ بَعْدَ ذِلَّةٍ وَيُحْيِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ" ولكنّ جناب الشيخ بعيد جدّاً عن منهل التوحيد الحقيقي وعن هذا المشرب العذب كما تشهد كلتا رسالتيه أنّه بعيد جداً عن فهم هذه المسألة الغامضة. ولولا خوف التطويل لكتبنا عبارات الصفحتين (34) و (35) من رسالته المطبوعة حتّى يدرك القارؤون درجات رقّة ذوقه وحسن نظره ويشهدون على آثار إنصافه وعلمه وكيف تصوّر هذا الأمر الأعظم مذهباً من المذاهب الإسلاميّة وكيف نحا باللائمة على مسجونٍ محاطٍ وجوده المبارك دائماً بأمواج البلايا الناريّة التي لا تحصى في مدينة عكّاء فوصفه بلهو العيش والملذات

(هُمْ يُحْسِدُونِي عَلَى مَوْتِي فَوَا أَسَفِي حَتَّى عَلَى المَوْتِ لا أَخْلُو مِنَ الحَسَدِ)

4. في بيان الموازين الاربعة وذكر اختلافات الشيخ ومناظره في هذه المسألة المهمة:

ومن المواضيع التي تستلزم دقّة النظر مسألة الموازين الأربعة التي كانت موضوع النزاع بين الشيخ ومناظره ومن أجل معرفة صحّتها وسقمها إرتفعت أعاصير المجادلة وتلاطمت أمواج المخاصمة وجناب الشيخ كما هو معهود عنه وعن أمثاله قد أنزل من غمام الكلام رعود التقريع وبروق التشنيع والزجر والتوبيخ وظنّ نفسه غالباً منصوراً [بِأَوْهَامٍ بَرْقُهَا خُلَّبٌ وَغَمَامُهَا جَهَامٌ] ولو أنّ تقرير هذه المناظرة كان يجب ذكره في المبحث الأوّل من هذا الكتاب ولكنّنا لما لم نجد مجالاً هناك نظراً لتسلسل البحث وإرتباط الكلام ومناسبة الموضوع لذا فإنّنا نذكرها في هذا المقام ونستميح القارئ عذراً.

وإجمال ما دار بين المتناظرين أنّ جناب الشيخ لما كتب في رسالته الأولى: "وإذا كان المقصود بالغلبة والسلطنة هو الغلبة والسلطنة المعنويّة التي تظهر بمرور الأيام وبتجدّد الخلق والأزمان فَوَجَبَ القول بحقيّة ديانة عبدة الأوثان والحال أنّ بطلان هذا الدين أظهر من الشمس وأبين من الأمس" لذا فقد كتب جناب المناظر في جوابه: "إنّ المذاهب الوثنيّة التي وضعها علماء

اليونان والرومان وفلاسفتهم لأغراض سياسيّة ولفوائد علميّة إنّما وضعوها في ظلّ كلمة التوحيد ومعرفة الله التي وضعها الله في كتب الأنبياء ونشرها" ويقصد حضرة المناظر أنّ كلّ دين من الأديان قد شُرّع بوحي إلهي وقد تأسّست جميع الأديان الموجودة على هذا الأساس حيث قام فرد من أفراد الأمّة بإذن الله تعالى وشرّع شريعة وديانة بإذنٍ من الله تعالى بواسطة كتاب نسبه إلى الله تعالى وقد نفذت تلك الديانة بالقوّة السماويّة الغالبة ونظّمت شؤون الأمّة إلى أمدٍ معلوم على العكس من عبادة الأوثان وتعظيم التماثيل التي هي أمور مذهبيّة مخترعة هي إمّا أن تكون صوراً وتماثيل للأنبياء ولرؤساء الأديان وضعوها للذكرى في معابدهم ويعبدونها كما هو موجود في الديانات البوذيّة والبرهميّة وإمّا أن تكون صور وتماثيل لأجرامٍ فلكيّة يضعونها في المعابد متوهّمين الإستفاضة وإكتساب المنافع منها كما هو مسطور في كتب الديانة الصابئيّة. وتستطيعون أن تفهموا من متانة أقوال حضرة المناظر هذه ودقّتها أنّه مطلع على كيفيّة تشريع الاديان الأصليّة وعارف لأسباب إنشقاق المذاهب المختلفة ودوافع دخول البدع والعبادات الباطلة في دين الله. وقد فصّلنا سابقاً كيفيّة إنشقاق المذاهب المختلفة في الأديان الإلهيّة وأوضحنا سبب دخول العبادات الباطلة في العبادات الأصليّة حتّى يفهم كلّ إنسان الفرق بين الدين والمذهب ويميّز الأديان التي تأسّست بوضع إلهيّ وإعتماد على وحي سماوي من المذاهب التي كان سبب نشوئها لأغراض السياسة أو اختلاف الآراء الاجتهادية ولا يشتبه في معرفة ظهور الديانة الجديدة الإلهيّة ويميّزها عن المذاهب المختلفة التي لا تشابهها بأيّ وجهٍ من الوجوه.

وبعد شرح هذه الأقوال كتب المناظر من أجل توجيه جناب الشيخ إلى أصل الدليل في كلّ دين والذي يؤدّي إلى زوال الشكّ وحصول اليقين: "إنّ الموازين التي يتمسّك بها جميع أهل العالم من أجل المعارف والعلوم وإدراك حقائق الفنون أربعة موازين: (الميزان الأوّل) الميزان الحسّي وهذا الميزان مُعترف به اليوم لدى أكثر الفرق وخاصّة فلاسفة أوروبّا أي أنّ المدركات الحسّيّة تامّة في صحّتها ولا كلام في حجّتها.

(الميزان الثاني) الأوّليّة العقليّة والقياسات المنطقيّة التي يُعبّر عنها بالاستدلال ويعتبر الفلاسفة السابقون والمتأخّرون من الحكماء والمشّائين والسفسطائيّين أنّ هذا الميزان موثوق به في المعارف الخاصّة بعوالم الوجوب والإمكان.

(الميزان الثالث) ميزان النقل الذي يتمسّك به علماء الأديان فمثلاً يستدلّ العلماء اليهود بنصوص التوراة ويستدلّ علماء النصارى بعبارات الإنجيل ويستدلّ علماء المسلمين بآيات القرآن والأحاديث.

(الميزان الرابع) الإلهام وهو المستند الوحيد الذي يستند إليه الإشراقيّون والصوفيّون في الأمّة الإسلاميّة ويسمّونه الواردات الغيبيّة ويعبّرون عنه بالكشف والشهود.

وعندما يلاحظ الإنسان بنظر دقيق في هذه الموازين الأربعة يجدها كلّها عليلة مضطربة ولا يمكن الإعتماد عليها أبداً في أمر الدين ومعرفة مظاهر أمر حضرة ربّ العالمين، لأنّه في الوقت الذي ترى فيه حاسّة البصر التي هي أقوى الحواس النقطة الجوالة دائرة وتظنّ السراب ماء وتعتبر الأجرام الكبيرة الفلكيّة صغيرة وتعتبر الأرض المتحرّكة ساكنة والكرات المركزيّة متحرّكة إلى غير ذلك فإنّ مثل هذا الميزان يجوز الخطأ فيه ولا يوجب اليقين القطعي. وكذلك حكم الميزان الثاني وهو عبارة عن الأدلّة العقليّة والقياسات المنطقيّة. ففي الوقت الذي نشاهد فيه الأشياء المدرَكة متّحدة نشاهد الخلاف مستحكماً بين الفلاسفة في كلّ مسألة ولم تؤدّي الدلائل العقليّة إلى زوال الإختلافات العلميّة فإنقطع رجاء إطمئنان القلوب وحصول اليقين بها ولم تصبح قاعدة موثوقة في معرفة المسائل الدينيّة بل كثيراً ما حدث أنّ مسألة أُثبتت خلال سنين طويلة بأدلّة عقليّة ثمّ نُفيت تلك المسألة بنفس الأدلّة العقليّة مثال ذلك حركة الأرض أو سكونها وعدد الأفلاك وتناهي أبعاد العالم أو عدم تناهيها وإثبات الجوهر الفرد أو نفيه إلى أكثر من أمثال ذلك. وكذلك حكم الميزان الثالث ميزان الأدلّة النقليّة لأنّ إدراك المنقول يعتمد على الموازين العقليّة أيضاً وحيث أنّ هذه الموازين مضطربة فالميزان الذي يتعلّق بها يكون مضطرباً أيضاً. وأما الميزان الرابع الذي هو ميزان الإلهام فقد سمّاه العرفاء الواردات القلبيّة وهو ميزان مجهول لا يجوز الإعتماد عليه أبداً ولا يؤدّي إلى القطع واليقين لأنّ الوساوس الشيطانيّة بإعتراف العرفاء هي من الخواطر القلبيّة أيضاً وصاحب هذه الوساوس يعتبرها إلهامات روحيّة ولهذا لم يتّفقوا مشايخ الطرق

وأقطـاب الصـوفيّة في مشـاهدتهم وقـد إبتلـوا تمامـاً بمـا يبتلـى بـه المتمسّـكون بالأدلّـة العقليّـة والمتمسّكون بالأدلّة النقليّة من الإختلافات. وحيث ثبت إختلال الموازين الأربعة يتّضح بعد ذلك سبب حدوث المذاهب المختلفة من قبيل عبادة الأوثان ووضع التماثيل في المعابد وعلّة بطلانها ويتّضح سبب عدم إنطباقها على الأديان الإلهيّة لأنّ مؤسّسي هذه المذاهب الذين كانوا فلاسفة اليونان والرومان والهند والصين وإخترعوا بسبب تمسّكهم بنفس هذه الموازين الباطلة والمدارك الناقصة عبادات مبتدعة وأجازوا وضع الاوثان في المعابد ظنّاً من الإنتفاع منها ولم يخترعوا هذه العبادات بسبب إعتمادهم على الوحي السماوي الذي هو ميزان أهل الله أو بتمسّكهم بالوضع الإلهيّ الذي يتمسّك به ويعتمد عليه عباد الله. لأنّ ميزان أهل الله وما يعتمد عليه العقلاء وأولو الإدراك من عباد الله هو البصيرة القلبيّة والإحساسات الوجدانيّة المعبّر عنها بالعقل الكلّي الإلهيّ وهذا الميزان ميزان حقيقي وإلهيّ ومستفاد من الوحي السماوي الذي أسّسه الأنبياء العظام وكتبهم هي الكتب السماويّة التي تنجّي العالم من تيه الجهل والهوى وتهديه إلى رضوان العلم والهدى وتلك الكتب هي الصحف والتوراة والزبور والإنجيل والقرآن والبيان والإيقان وسائر الآيات المنزلة من قلم الرحمن ولهذا فكلّ ما نزل في هذه الكتب الإلهيّة من أصول الدين وطرق المعرفة لم يتبدّل ولن يتبدّل ولم يُمحَ من العالم ولن يُمحى".

ذاك مختصر عبارات حضرة المناظر فلننظر الآن ماذا كتب جناب الشيخ في رسالته بعد أن ذكر عبارات حضرة المناظر بصورة ناقصة ومقتضبة. فقد كتب في الصفحة (25) من رسالته: "لا شكّ أنّ من ينظر مِن أولي العلم والبصيرة إلى هذا الرجل التافه وإلى كلامه في معارضتنا يحتار في أمره. هل صدرت هذه الخرافات والخيالات منه في حالة النوم أم في حين اليقظة؟ لأنّ بحثنا وإنتقادنا ماذا كان وجوابه ماذا كان؟ فإنّني أقول إنّه لو كان المراد بالغلبة هو مجرّد الغلبة الباطنيّة يستطيع عبدة الأوثان في هذا الزمان الموجودون حتماً في الهند واليابان أن يقولوا إنّ ديننا له آلاف السنين وهو مستمرّ وعددنا أكثر بكثير من عدد النصارى واليهود والمسلمين وليس ذلك إلاّ بسبب قوّة الغلبة الباطنيّة والمعنويّة التي كانت في نفس مؤسّس ديننا النفيس حيث كانت كلماته تزداد تأثيراً يوماً بعد يوم إلى أن وصلت إلى هذه المرحلة. وفي هذه الصورة يلزم الإعتراف بحقيقة المذهب الوثني والحال أنّ بطلان هذه الدين أظهر من الشمس فيجيب على ذلك بإستغراب ويقول: "سبحان الله أنّه لم يلاحظ أنّ المذاهب الوثنيّة ليست بإسلوب وترتيب الأديان الإلهيّة في ترتيبها وفي وحيها وفي أممها فمؤسّسوها هم الفلاسفة القدماء ومؤسّسو الأديان الإلهيّة هم الأنبياء العظام" فأنصفوا هل

لّنّ لهذا الجواب علاقة ونسبة ولو بسيطة بسؤالنا وبحثنا؟ فهل كتبتُ ولو بإشارة في يّّيّ مكان بلّنّ المذاهب الوثنيّيّة بإسلوب وترتيب الأديان الإلهيّة حتّى تقول أنت بأنّها ليست بأسلوب وترتيب الأديان الإلهيّة وهل قلت لّنّ مؤسّسي الأديان الوثنيّيّة هم من الأنبياء العظام حتّى تقول أنت بلّنّ مؤسّسيها هم الفلاسفة الألأ قدمون؟ لّنّ موضوع النزاع يدور حول الغلبة التامّة، فنحن نقول لّنّ المقصود من الغلبة هو الغلبة التامّة التي يجب أن تكون ظاهرة وموجودة في الظاهر والباطن ولت تقول كلاّ لّنّ المقصود هو مجرّد الغلبة المعنويّةِ التي تحصل بمرور الألأيام وبتجدّد د الزمان وأنا أقول لو كانت هذه هي الغلبة فإنّ أصحاب المذاهب الباطلة يستطيعون أيضاً أن يدّد عوا ذلك وخاصّصّة عبدة الألأوثان الذين تزيد مدّد ة دوام دينهم وكثرة عددهم على جميع الموقنين بالأديان الإلهيّة ولت تقول كلاّ لّنّ مؤسّسي أديانهم هم الفلاسفة ولّنّ مؤسّسي أدياننا هم الأنبياء فهذا الجواب عديم المعنى وعديم الإلإ رتباط لا يُضحك القارئ والسامع العاقل فحسب بل يُضحك القرويّيّين وأهل البوادي أيضاً. ولّمّا تقسيمك موازين الإلإ دراك إلى أربعة أقسام وأعتبارك جميع الألأقسام مضطربة وكلّلّ موازين الحس والعقل والنقل والإلإ لهام مختلّلّة معيوبة فمن الحيف أن أحيل زعمك ووهمك هذا على أرباب البصيرة بل أحيله على الألأطفال الألأ ذكياء وهم سوف يسألون جناب المناظر المخادع بكلّلّ بساطة هذا السؤال: "الآن لما إعتبرت ميزان العقل وإدراك الحواس والإلإ لهامات الإلهيّة كلّلّها معيوبة مضطربة إذاً فجنابك بيّّيّ دليل لا يتعلّلّق بالعقل والنقل دخلت ميدان المناظرة؟ وإذا كان ميزان الحس مختلاًّلاًّ وغير معتبر فبأيّيّة واسطة عرفت الشعلة الجوالة هي نقطة لا دائرة أو لّنّ ما يبدو شبيهاً بالماء ليس هو بماء بل سراب؟ ما هو الذي يحملك على قول هذا ولا يحملك على قول ذاك؟ وإذا كان ميزان النقل مختلاًّلاًّ فلماذا تستشهد بزعمك بآيات القرآن والإنجيل؟ أيّيّها المسكين ما معنى كلمة ميزان الله؟ وهل لّنّ أقوال أهل الله لا تدخل في النقل والإلإلهام وإذا وجّه الطفل الذكيّ هذه الألأ سئلة إلى جناب المناظر المخادع ماذا سيكون جوابه عليها؟ مسكين إنّه لا يعرف كيف يخفق بيديه ورجليه ومن شدّد ة إضطراب قلبه وتزلزله حتّى ينجّي نفسه من شراك الخجل والمغلوبيّيّة " (إلى آخر كلام جناب الشيخ عافاه الله).

فالآن لا يرى هذا العبد في جواب جناب الشيخ إلاّ أن يوضح هنا شيئاً عن الديانات البوذيّيّة والبرهميّيّة والصابئيّة ويُبطل وَهْمَهْمَهْمَ هُمُ حين ظنّنّ لّنّ هذه الأديان تأسّست على عبادة الألأ وثان لأنّنا سبق أن شرحنا هذا الموضوع وبرهنّنّا عليه في مكانين ونقلنا أقوال المؤرّخين عن منشأ الديانة الصابئيّة وتلونا لألأ رباب البصائر الآيات الكريمة: "لِكُكُلِّلِّ أُأُمَّةٍةٍ جَجَعَعَلْلْنَنَا

مَمَنْسَسَ كاً"[356] وهي آية تنادي بكلّ صراحة مبدأ جميع الأديان لو كانت تسمع الآذان التي يصدق في حقّها: "وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ "[357] وتُثبت سخافة كلام جناب الشيخ حين كتب: "والحال إنّ بُطلان هذه الدين أظهر من الشمس" لأنّ هذه الآيات المباركة تقول بصراحة إنّ جميع الأمم من دون إستثناء قد شرّع الله جلّ جلاله لها الشرائع والمناسك التي تتنسّك وتعمل بها اليوم. ويشهد التاريخ أنّ العبادات الباطلة كانت تدخل ولا تزال تدخل في الأديان الإلهيّة بواسطة أمثال جناب الشيخ ويا ليت كان لبريد النسيم طريق إلى محضر الشيخ الفهيم لِيَعرض من قِبَلِ هذا العبد قائلاً: "يا أيّها الشيخ الجليل! إنّ هذا الأديان التي تسمّيها باسم الأديان الوثنيّة ليست أدياناً وثنيّة ولم يقم أحد بإيجاد دين وثني وبقي دينه. وأسماء هذه الأديان هي الديانة الصابئيّة والديانة البوذيّة والديانة البرهميّة وقد قام شارعوها كما قام رسول الله عليه السلام بادّعاء الوحي السماوي وتشريع الدين الإسلامي فشرعوا الشرائع الصابئيّة والبوذيّة والبرهميّة بوحي سماوي وبعد ذلك بمرور الزمان وَضَعَ فقهاؤهم الجهلاء صور أولئك الشارعين وتماثيلهم إحتراماً وذكرى لهم وشاعت بين المِلَلّة عبادة هذه الصور التي صارت هي الأوثان فيها وكلمة الوثن (بُت) محرّفة عن (بودا) أوّل شارع إلهيّ ظهر في الأمّة الصينيّة وشرّع الشريعة المعروفة. والآن لا أدري بعد هذه العبارات الواضحة هل تفهم مقصود كلام جناب المناظر البهائي حين كتب: "إنّ المذاهب الوثنيّة ليست بأسلوب وترتيب الأديان الإلهيّة" أو لا تزال بعد لا تستطيع فهمها وبدلاً عن الكلام المعقول تدعو لحمايتك صغار الأطفال وضعاف العقول وتكتب بدلاً عن الدليل والبرهان هجراً وهذياناً؟

أمّا تسميتك أنت والمؤرّخون للبرهميّين والبوذيّين والصابئين باسم "عبدة الأوثان" كتسمية النصارى باسم "عبدة الصليب" فإن كان إحترام الصليب وعبادته يستلزم بطلان الديانة المسيحيّة المقدّسة فإنّ إحترام الصور والتماثيل وعبادتها يستلزم بطلان الديانة الأصليّة البوذيّة والبرهميّة والصابئيّة.

ويقول جناب الشيخ: "إنّ المقصود من الغلبة التي وُعد بها في ظهور القائم الموعود هو الغلبة التامّة الظاهريّة والباطنيّة التي يجب أن تتجلّى في ظهور حضرته لا الغلبة الباطنيّة الروحانيّة التي تحصل بصورة تدريجية كما ظنّ البابيون. لماذا؟ بدليل أنّه لو كان المقصود بها هو الغلبة الباطنيّة التدريجيّة فإنّ الوثنيين الصينيّين واليابانيّين يستطيعون أن يقولوا إنّ هذه الغلبة الباطنيّة التدريجيّة قد ظهرت

---

[356] الحج: 34
[357] فصلت: 44

أيضاً في ديننا". والآن يسأل هذا العبد من أولي الإلا دراك: "إذا كان المقصود بالغلبة هو الغلبة الظاهريّة التدريجيّة كلتيهما أفلا يستطيع الوثنيّون الصينيّون واليابانيّون أن يقولوا إنّ هذا قد حصل في ديننا أيضاً؟ وألا يقول الزردشتيّون إنّ ديننا غلب العالم بالغلبة التامّة الظاهريّة والباطنيّة؟ ففي هذه الحال بماذا سيجيب جناب الشيخ هذه الملل؟ وبأيّ برهان يبرهن إمتياز دينه عن سائر الأديان؟ وقد أوضحنا في المبحث السابق أنّه لا يملك أبداً برهاناً غير ذلك الكلام الفارغ الذي يكرره قائلاً: "والحال إنّ بطلان هذا الدين أظهر من الشمس وأبين من الأمس" وقد فقد جناب الشيخ بحمد الله شعوره وإدراكه إلى درجة لا يستطيع معها أن يفهم بأنّه كما يعتبر بطلان سائر الأديان أوضح من الشمس فكذلك يعتبر أهل تلك الأديان دين جناب الشيخ واضح البطلان: "كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا"[358].

وخلاصة القول حيث أنّنا سبق أن أوفينا هذه المسألة بحثاً ودليلاً فلن نكرّر الكلام في هذا المقام مرّة أخرى ولنترك جناب الشيخ يستدعي لنصرته القرويّين وأهل البوادي ليضحك فلقد صحّ فيه المثل السائر: "وَشَرُّ البَلِيَّةِ مَا يُضْحِكُ" وانطبق عليه قول الله تبارك وتعالى: "فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً"[359].

والآن نتكلّم في الموازين الأربعة التي كانت موضع النزاع بين المتناظرين والتي هاجت حولها أعاصير غضب المتفقّهين ولقد تعجّب جناب الشيخ قائلاً: "هل إنّ حضرة المناظر كان نائماً حين تجرّأ على كتابة هذه الكلمات؟" لو كان حضرة المناظر مستيقظاً لأدرك أنّه يجب أن لا يكتب مسألة غامضة عجزت عقول عظماء الفلاسفة في كلّ عصرٍ عن فهمها في جواب من لا شأن له في العالم. ويجب أن لا يرجو بصيرة الفؤاد التي إختُصّ بها الخاصّة من أصحاب النبيّين والمرسلين بحكم الحديث: "الْمُؤْمِنُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ" ممّن هو بعيد عنهم بمراحل. وقد سبق للبالغين في العالم أن قالوا ما ترجمته: " لما صار شغلك مع الأطفال فأطلق لسان الطفولة معهم". وخلاصة القول إنّ من المستحيلات أن يستطيع إنسان لم يدخل إلى عالمٍ أن ينظر بنظر أهل ذلك العالم ولهذا قال البالغون في وصف هذا النظر وهذا الإدراك: "مَنْ لم يَذُقْ لم يَدْرِ". وبعبارة أخرى يستحيل بيان هذه الحال لغير أهله ومع ذلك فإنّ الإنسان البصير لو يتدبّر في كيفيّة

358 الاعراف: 38
359 التوبة: 82

إيمان الطبقة الألأ ولى من المؤمنين لَلَيستطيع أن يفهم مقصود حضرة المناظر لأنّ بطرس الرسول وسائر حواريّي عيسى عليه السلام وكذلك أمير المؤمنين وزيد بن رواحة وأبو بكر وعمر وسائر الصحابة لم يطلبوا في أوّو ل إيمانهم وإعانهم آية ومعجزة وهي الدليل الحسّسّ ي ولم يؤمنوا بعبارات من التوراة والإنجيل وهي الأدلّة اللفظيّيّة ولم يستدلّوا بالبراهين الفلسفيّيّة والقوانين الحكميّيّة والقياسات المنطقيّيّة على صحّحّة دعوة النبوّة ولم يتمسّسّكوا بالواردات القلبيّيّة والجلسات الصوفيّيّة والمشقّقّات الرياضيّيّة بل عرفوا مظهر أمر الله فقط بنور التقوى والبصيرة القلبيّيّة كمّمّا صرّح بذلك حضرة المناظر وإعترفوا بصدق قوله وبهذه القوّوّة التي هي أعظم قوّوّة في العالم تغلّلّبوا على الأمم والألأ قوام.

ومع لّأنّ دلالة الدليل في جميع الفنون تسقط ما لم يحصل الإلإطمئنان القلبيّيّ ومع ذلك يُيُفهم من مجرى كلام حضرة المناظر بل من صريح عبارته لّأنّ حضرته نّكر قابلية الموازين الألأ ربعة في معرفة مظاهر أمر الله. فلننظر الآن بنظر الإلإنصاف إلى كلّلّ واحد من هذه الموازين الالا ربعة ونزن قابليّيّة كلّلّ منها في معرفة مظاهر أمر الله.

(الميزان الاول) الحواس الظاهريّيّة. وواضح لّأنّ حجّجّ ية هذا الميزان ساقطة لدى أولي العلم نظراً لخطأ الحواس الظاهريّيّة في بعض المواقف لأنّ الميزان الذي يُعترف به هو الميزان الذي لا يخطئ ولكن حيث لّأنّ جناب الشيخ معروف في وسائل المغالطة والمجادلة لهذا نسأل منه هذا السؤال: "ألست أنت الذي تعتقد بلّأنّ الأنبياء عليهم السلام قد أظهروا المعجزات الظاهرة وخوارق العادات الباهرة؟ وألست أنت الذي نّكرتَتَ دلالة الإلإستشهاد وحجّجّية القتل في سبيل الله ووضعتَتَ المقتولين في سبيل الطمع والدناءة في مصاف أصحاب البلايا وأصحاب الشهادة وإعترفت بلّأنّ المعارضين للأنبياء والألأئمّمّة كان لهم منتهى الإيمان والإلإ عتماد على عقائدهم ورفعوا راية التضحية بسبب ثبوت ورسوخ عقائدهم الباطلة؟ وفي هذه الحال شاهد الكفّفّار بإعتقادك معجزات محسوسة ولم تورث تلك المشاهدة إطمئناناً لقلوبهم فأيّيّ طمئنان بقيَيَ لك بالإلإ حساسات الظاهريّيّة والإلإدراكات الحسّسّيّيّة؟ وألم تر عينُيُنُ الكافر وعينُيُنُ المؤمن كلتاهما ذلكم الوجه المنير لخير البشر وألم تسمع أذن المعرض وأذن المقبل كلتاهما نغمة الآيات الإلهيّة؟ ولكن يا لله من هذا الميزان المخالف والمعيار غير المنصف الذي كانت كفّفّة واحدة منه في السماء وكانت الكفّفّة الألأ خرى على الأرض وكانت تلك تشاهد النور الإلهيّ وكانت هذه بذاتها نفسانيّيّة بحتة وكانت تلك تشاهد الرحمة والنعمة والهداية وكانت هذه بذاتها التفرقة والذلّلّة والضلال وكانت تلك تسمع نغمة طيور العليّيّين وكانت

هذه بذاتها طنطنة لأساطير الأوّلين، فنعم ما قيل ما ترجمته: "لو اعتبرت الحسّ الحيواني سلطاناً لشاهدت البقرة والحمار ربّهما".

(الميزان الثاني) وهو المعبر عنه بالأدلّة العقليّة والقياسات المنطقيّة فإنّ إضطرابه وعدم كفاءته أظهر من الميزان الحسّي وخاصّة في معرفة مظاهر أمر الله وفي الوقت الذي ثبت فيه إختلال هذا الميزان في المعارف الفلكيّة والطبيعيّة وإنكشف فيه بطلان أكثر معتقدات الفلاسفة السابقين فأيّة قيمة بقيت لهذا الميزان؟ ولو ينظر الإنسان في عقائد الفلاسفة اليونانيّين والمصريّين ليفهم مقصود حضرة المناظر في عدم كفاءة البراهين العقليّة لأنّ هؤلاء الفلاسفة العظام الذين بلغ صيتهم وسموّ مقامهم الشرق والغرب وإنتقلت الأدلّة العقليّة والقياسات المنطقيّة بالوراثة منهم إلى فلاسفة المسلمين والنصارى ولم يستطع واحد منهم عند ظهور عيسى وخاتم النبيّين عليهما السلام أن ينجي نفسه من العقائد الوثنيّة السخيفة بواسطة هذه الأدلّة والقياسات أو يفوز بشرف الإيمان بعيسى وخاتم النبيّين عليها السلام بل كان هؤلاء الفلاسفة أقوى مانع دون نفوذ أمر عيسى عليه السلام وقد ألّفوا كتباً كثيرة في ردّ حضرته وفي مقاومة أمر الله حتّى أنّ بولس الرسول في الفقرة الثامنة من الإصحاح الثاني في رسالته إلى الكولسيين قد أوصى المؤمنين قائلاً: "لا يسبيكم أحد بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس" فإتّضح ممّا عرضناه أنّ هذه القياسات المنطقيّة لم تكن أبداً ميزاناً لمعرفة الحقّ ولم تكن سبباً لهداية إنسان.

(الميزان الثالث) وهو الأدلّة النقليّة والمفاهيم الخطابيّة وإختلاله أوضح من سائر الموازين وفضاحته أصرح من كلّها في معرفة الحقائق لأنّ هذه الأدلّة حرمت اليهود مدّة ألف وثمنمائة سنة من معرفة عيسى وخاتم النبيّين عليهما السلام بل كان هذا الميزان المختلّ بالضرورة والعيان سبباً لخسران عامّة أهل الأديان لأنّك لو إستفسرت من اليهود مثلاً لماذا لم تصدّقوا أمر عيسى عليه السلام؟ فمن الواضح أنّهم يجيبونك قائلين إنّ السبب في ذلك هو ظهور خلاف لنصوص التوراة. ولو إستفسرت من المجوس لماذا لم تخضعوا للظهورات المقدّسة موسى وعيسى ومحمّد عليهم السلام؟ فإنّهم يقولون بكلّ وضوح إنّ هذه الظهورات كانت منافية لصحف ابراهيم. وإذا سألت من النصارى لماذا كذّبتم أمر خاتم النبيّين بكلّ وثوق واطمئنان؟ فإنّهم من دون تردّد يقولون إنّ ظهور محمّد ينافي الإنجيل ويخالف النصوص الصريحة في هذا الكتاب الجليل. والسوق الآن سوق

الإسلام والدور دور العلماء الألأ علام فإذا لم ينتبه عقلاء الأمّة المرحومة ولم ينتفعوا من تجارب الأمم المذكورة وتمسّسّ كوا بحبل هذا الميزان الظاهر في الخسران فمعلوم ماذا سيكون ربحهم وإلى أين سينتهي أمرهم. ولمما عُعُلم لّنّ لسباب ضلال الأمم الألأولى هو تمسّسّكها بنفس هذه الأدلّة النقليّيّة تستطيعون أن تفهموا معنى الحديث الشريف الذي ذكرنا سابقاً روايته في مجلّلد الغيبة من كتاب بحار الأنوار عن فضيل بن يسار أنّنّه قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "لِّنَّ قَقَائِمَنَا إِذَا قَقَامَ لِسْتُقْبِلَ مِنْ جُهَّالِ النَّاسِ لَشَدَّ مِمَّا لِسْتَقْبَلَهُ رَسُولُ اللّٰهِ مِنْ جُهَّالِ الْجَاهِلِيَّةِ ". فقلت كيف ذلك قال: "إِنّ رَسُولَ اللّٰهِ أَتَى النَّاسَ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ وَالصُّخُورَ وَالعِيدَانَ وَالْخُشُبَ الْمَنْحُوتَةَ وَإِنَّ قَقَائِمَنَا إِذَا قَقَامَ أَتَى النّاسَ وَكُلُّهُمْ يَتَأَوَّلُ عَلَيْهِ كِتَابَ اللّٰهِ وَيَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِهِ" ثمّ قال: "أَمَا وَاللّٰهِ لَيَدْخُلَنَّ عَلَيْهِمْ عَدْلُهُ جَوْفَ بُيُوتِهِمْ كَمَا يَدْخُلُ الْحَرُّ وَالقَرُّ ".

وهذا يعني لّنّ المعارضين لرسول الله كانوا قوماً لمّيّين ولكنّ المعاندين والمعارضين للقائم الموعود سوف يكونون الفقهاء والعلماء. وواضح لّنّ معارضة الألأميّ الجاهل أسهل من معارضة العالم الفاضل الذي يحرّف حيناً آيات القرآن ويفسّسّرها ضدّ أمره ومرّة يكفّر حضرته بالضروريّات الدينيّيّة وأحياناً يعتبر عدم إيمان الفلاسفة والحكماء دليلاً على بطلان أمره وأحياناً يعتبر خرق الجبال ووصل البحار ألزم من لطاعة أوامره. والألأبدع من كلّ هذا يتّهم حضرته في عين إبتلائه وسجنه وجلوسه في عقر داره باللهو والملذّات ويعتبر بياناته غير مقبولة بسبب مخالفتها لتفسير النصارى والألأ بدع من هذا يأمر حضرته بالسفر إليه والتشرّرّف به ويعتبر نفسه معذوراً عن السفر في طلب الحقّ فإن لم يطعه يأخذ القلم ويكتب الفتوى في ردّه وتكفير أحبائه. فإتّضح ممّا ذكرناه لّنّ ميزان الأدلّة النقليّيّة ميزان مختلّ تاه به عالِمٌ ومعيار ناقص صار في سوق المعارف سببا للضرر وشباكاً لخسران أهل العالم.

(الميزان الرابع) هو الإلهامات الصوفيّيّة والواردات القلبيّيّة وهو في الحقيقة كما وصفه جناب المناظر ميزان مجهول لا لظنّ لّنّ العقلاء في كلّ أمّة يعتمدون عليه في معرفة الأنبياء وفي عرفان الأديان ولا يعقل أبداً أن يعلّق الحقّ جلّ جلاله تأسيس الديانة بآراء أهل الرياضات أو يوكل أحكام العبادات والمعاملات التي يتعلّق بها رقيّ الأمم وإنتظام العالم إلى أوهام الصوفيّيّة وأفكارها. ويا لله

من ميزانٍ يكون أساسه مبنيّاً على الرياضات الشاقّة غير المأثورة والعبادات الباطلة غير المشروعة وتكون نتيجته بطالة الأمّة وكسلها وإنزواؤها وخمولها وواضح عدم أهمّيّة هذا الميزان بحيث لا يحتاج إلى أن نتكلّف الاستدلال ولا يليق من أجله تطويل المقال خاصّة وإنّ كبار المشايخ وأقطاب الطرق الصوفيّة ليسوا متّفقين وكلّ واحد منهم يعتبر أفكاره إلهامات حقيقيّة ويعتبر أفكار سائر المشايخ وساوس شيطانيّة فأيّ إعتبار يبقى بعد ذلك لهذا الميزان وما هو المميّز بين هذه الوساوس الشيطانيّة وتلك الإلهامات الرحمانيّة؟ والآن بعد أن إتّضحت درجات أهمّيّة وإعتبار الموازين الأربعة فلننظر في كلام حضرة شيخ الإسلام الذي كتبه بإسلوب الإستنكار والإستغراب حين كتب: "أيّها المسكين ما معنى كلمة ميزان الله؟" وكتب كذلك: "إذاً فجنابك بأيّ دليل لا يتعلّق بالعقل والنقل دخلت ميدان المناظرة؟" في حين أنّ حضرة المناظر كتب بكلّ صراحة إنّ الميزان الصحيح هو أمر الله الذي ظهر بواسطة مظاهر الأمر مثل موسى وعيسى وخاتم النبيّين والنقطة الأولى والجمال الأقدس الأبهى وصار سبباً في حصول اليقين في أفئدة المصدّقين والمؤمنين فلا إضطراب في هذه الموازين الإلهيّة ولا اختلاف في أصولها ومبانيها فكلّ ما وُزن بهذا الميزان الإلهيّ ورُجّح قُبل. وكلّ ما لم يرجّح كان مردوداً. [يا أولي البصائر النيّرة والقلوب المدركة]! أنّ الحقّ جلّ جلاله يتفضّل في سورة الحديد: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ"[360] فلاحظوا أنّ الله جلّ وعلا بكلّ صراحة يتفضّل أنّنا أنزلنا مع الأنبياء الكتاب والميزان لتكون بذلك إستقامة الأمّة وجناب الشيخ بكلّ وقاحة يكتب: "أيّها المسكين ما معنى كلمة ميزان الله؟" ولكن هل فكّر جناب شيخ الإسلام في يوم من الأيام بأنّ الميزان الذي أرسله الله مع الأنبياء أيّ ميزانٍ كان؟حاشا وكلاّ أن يكون قد فكّر بذلك لأنّه لو إنتبه إلى هذا المعنى لما تجاسر أبداً بكتابة هذه العبارات وممّا لا يخفي على أولي البصيرة أنّ الميزان الذي أنزله الحقّ جلّ جلاله مع الأنبياء لم يكن ميزان الحواس الظاهريّة لأنّ هذه الحواس مخلوقة مع الإنسان لا أنّها نزلت بمجيئ الأنبياء وكذلك لم يكن ذلك الميزان الذي أنزله الحقّ جلّ جلاله مع الأنبياء هو ميزان القياسات المنطقيّة والقوانين العقليّة لأنّ أيّ رسول ظهر لم يصنّف كتاباً في المنطق ولم يعلّم أمّته ترتيب القضايا وأستنتاج النتائج على النحو الذي يعلّمه الفلاسفة وواضح كذلك أنّ المقصود بذلك الميزان الذي أنزله الحقّ مع الأنبياء لم يكن بشارات السابقين وأخبار الأوّلين لأنّ تلك البشارات جاءت مع النبي السابق لا مع النبي اللاحق وكذلك لم يكن المقصود

360 الحديد: 25

بذلك الميزان هو الجلسات الصوفيّة والواردات القلبيّة عند المشايخ لأنّه لم يرد في أيّ ذكر أو أيّة إشارة لهذه الخرافات في كتب الأنبياء ولم ينزل حرفاً أو كلمة على مظاهر أمر الله حول أهمّيّة هذه الأفكار. فأيّ نبيّ ظهر وعلّم أمّته آداب المراقبة وأوكل معرفة حضرته إلى الرياضات الشاقّة؟ فواضح في هذه الحال وضوح الشمس في وسط السماء أنّ المقصود بهذا الميزان الذي أنزله الحقّ مع الأنبياء هو الروح القدس المعبّر عنه بالعقل الإلهيّ والمفسَّر بأمر الله النازل من السماء. ولعمر الله لو كان لي قلم في صلابة الحديد وأصابع بشدّة الفولاذ ولسان أفصح من فصحاء العالم وبيان أبلغ من بلغاء الأمم لما إستطعت أن أصف كما ينبغي وأوضح كيف أنّ المعترضين على الله بعيدين عن المشرب العذب الإلهيّ وكم إنتبذوا عن فهم ظواهر آيات القرآن مكاناً قصيّاً بحيث أنّهم يرون هذه الآيات الصريحة في القرآن ويكتبون هذه الانتقادات الركيكة، فاعتبروا يا اولي الأبصار. وقد كتب جناب الشيخ: "وإذا كان ميزاناً مختلاً فلماذا تستشهد بزعمك بآيات القرآن والإنجيل؟" نعم يا حضرة الشيخ لأنّها منطبقة مع ميزان الله الذي هو ظهور القائم الموعود. ومن الواضح أنّ اليهودي لو يستدلّ بعبارات التوراة على ردّ عيسى عليه السلام فذاك خطأ وعلى العكس من ذلك النصراني الذي يستدلّ في إثبات أمر عيسى عليه السلام بعبارات التوراة فإنّه على صواب لأنّ ميزان الله هو ظهور حضرة المسيح الذي يُثبت قول النصارى لا اليهود. وكذلك لو إستدلّ النصارى في ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعبارات الإنجيل فإنّهم مخطئون. وبالعكس لو إستدلّ المسلمون بعبارات الإنجيل فإنّهم على صواب لأنّ الميزان الصحيح هو ظهور خاتم النبيّين عليه السلام وهو الذي يُثبت قول المسلمين لا النصارى. وكذلك أمر القائم الموعود فالمؤمن بحضرته يستطيع الاستدلال بعبارات التوراة والإنجيل والقرآن ولا يستطيع ذلك المعرض عن حضرته لأنّ ميزان الله الذي هو نفس الظهور يُثبت قول المقبل لا المعرض ويرجّح استدلال المؤمن لا المنكر وهذا الميزان الإلهيّ لم ينقطع أبداً عن العالم ولن ينقطع والمتمسّك به لم يخسر أبداً ولن يخسر [هو العروة الوثقى والحبل الممدود في جميع القرون والأزمان وهو الميزان الذي أخبر الله تعالى عنه بقول: "وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ "].

يا حضرة الشيخ فهمنا أنّك بعيد عن إدراك هذه المسائل ولكن هل لم تقرأ القرآن الشريف أيضاً وهو الذي ينادي بنداء أحاط العالمين: "أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ "[361]؟ وهل أنّ الإيمان والعلم والعرفان يحصل بغير اطمئنان القلب ويقينه؟ وهل تفضّل [ألا بالأدلّة الحسيّة تطمئنّ القلوب"؟] وهل ورد: ألا بالقياسات المنطقيّة تتيقّن النفوس"؟ وهل نزل في أيّة سورة " ألا

[361] الرعد: 28

بالبشارات اللفظيّيّة تستنير الصدور"؟ وهل وردت آية نُصّ فيها: "ألا بالإلا لهامات الصوفيّيّة تستقيم الألأمور"؟ وقد فسّر بعض مفسّسّ ري القرآن الآية المذكورة بنفس القرآن الكريم وإعتبرها الآخر دالّلّة على الألأ ذكار والصلاة والدعاء والتضرّع وفسّسّرها أئمّمّ ة الهدى عليهم السلام بالقائم الموعود وفي كلّلّ حال كانت الموازين الألأ ربعة خارجة عن موضوع هذه الآية. وبهذا يتّضح صِدِق قول حضرة المناظر وصحّحّ ته. وأنت سواءً أدعوت الألأ طفال لمساعدتك أو أجلست القرويّيّين وأهل البوادي في مجلس الضحك والقهقهة فليست لدينا حجّجّ ة ولا دليل غير نفس مظهر أمر الله وكتابه ولا نرى سعادتنا بغير التمسّسّ ك بهذا الحبل الممدود والعروة الوثقى:

﴿وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ﴾

5. في بيان أنّ جناب الشيخ مع أنّه قرأ كتاب الإيقان الشريف فإنّه يظن أنّ مسألة تحريف الكتب المقدّسة أو عدم تحريفها غير مذكورة في كتاب الإيقان:

(ومن الغرائب) التي تدلّ دلالة واضحة على أنّ جناب الشيخ لم يفهم شيئ أبداً من كتاب الإيقان الشريف ولم يدرك حتّى مواضيعه الظاهرة هو أحد انتقادات ه الذي شرحه في رسالته الألأولى وهو: "لماذا خاطب صاحب الإيقان طائفة الشيعة بصورة خاصّصّ ة في هذا الكتاب ومَمَثَلُلُهُ في ذلك مَمَثَلُلُ الذي يقوم عوضاً عن توجيه خطاب عامّ يقول فيه "أيّيّها الناس" تراه يقول "أيّيّها الفرس"؟" وقد أجاب حضرة المناظر على هذا السؤال قائلاً: "لمّا كان كتاب الإيقان نزل جواباً لسائلٍ من السادة أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلّم ومن أعزّة أشراف فارس لهذا نزل الخطاب إليه".

وقد كتب جناب الشيخ في الردّ على حضرة المناظر في الصفحة (45) في رسالته الثانية المطبوعة عبارات هي من حيث اللفظ من أغرب العبارات وكذلك من حيث الموضوع من أعجب الالانتقادات . وحيث قد فات قلمنا ذكْرُها سابقاً لذا نذكرها في هذا المقام حتّى تتّضح درجات علمه وفضله الظاهري كما يتّضح مقدار إطّلاعه على كتاب الإيقان الشريف وهذه عين عباراته في الصفحة (45): "ولنأت الآن إلى سرّ إعتذار المناظر. فمن المعلوم لدى القارئين المحترمين أنّ المستشهد منه[362](وهو الإلإنجيل الشريف) قد نقل صاحب الإيقان فقرة منه وإستشهد بها وفسّسّر

[362] وفي الاصل المشهود له

حسب ما يحبّبه قلبه أخبارَ حضرة المسيح، وجاء بشاهد لذلك من دعاء الندبة. والآن نسأل جناب المناظر: "إنّي سيّد عزيز ومحترم وإنّي شيعي مخلص لأئمّة الهدى لا يعتقد بتحريف المستشهد منه[363] ويعتبره مسلّماً به ويطلب من مولى المناظر شواهد منه في الوقت الذي فيه ينادي القرآن الشريف بأعلى نداء أنّه محرّف؟ إنّ قبول الإنجيل يستلزم رفض القرآن، وفي حالة الرفض هذه لا يبقى الشخص شيعيّاً فحسب بل لا يبقى مسلماً وعلاوة على هذا كما إعترف جناب المناظر يجب أن يُعطى جواب السائل من نفس الكتاب الذي يؤمن به لا من كتاب محرّف. وإني أرثي لحال المناظر فإنّ إحدى عينيه مفتوحة لمشاهدة منافعه الشخصية والعين الأخرى قد عميت عن مشاهدة الحقيقة وفقدت نورها. والواقع لو كان السائل شخصاً محترماً وسليلاً لمحمّد وآل البيت الطاهرين لماذا لم يراع صاحب الإيقان حرمة عقيدته؟ وبدلاً من أن يكون الشاهد والمستشهد منه[364] من القرآن الشريف والأحاديث النبويّة الحنيفة وأحاديث الأئمّة الطاهرين يستشهد من كتاب يظنّه من المسلّمات التي يؤمن بها السائل ويأتي بشاهد له من أقوال غيره. ومثلاً لا يسأل سائل من مولى جناب المناظر ويقول له إنني لا أعترف بالكتاب المستشهد منه[365] فكيف أرضى بالشاهد؟ فماذا سيجيبه؟" انتهى كلام جناب الشيخ عافاه الله.

وجوابنا هو إنّ الإنسان لو يطالع الصفحات (68) إلى (74) من كتاب الإيقان الشريف المطبوع والمنتشر ليدرك مقدار فهم جناب الشيخ ودرايته إدراكاً تامّاً حيث نزلت في تلك الصفحات من كتاب الإيقان الشريف تفسير الآية الكريمة: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ" وبكلّ إيضاح نزل المعنى الحقيقي للتحريف وإتّضح بطلان أوهام جهّال الإسلام الذين ظنّوا أنّ علماء اليهود والنصارى بدّلوا عبارات التوراة المقدّسة والإنجيل الشريف وكتبوا بدلاً عن الكلمات السماويّة الأصليّة عبارات أخرى من أنفسهم. وبكلّ صراحة تفضّل إنّ التحريف غير المحو وإنّ المقصود بالتحريف هو تفسير علماء اليهود آيات التوراة حسب أهوائهم ورغباتهم وتحريفها عن معانيها الأصليّة الصحيحة. وقد نقل هذا العبد في هذا الكتاب عبارتين مباركتين عن أمير المؤمنين عليه السلام صرّح فيهما حضرته بأنّ جهّال الإسلام سوف يحرّفون القرآن الشريف أي أنّهم سوف يفسّرون آيات الكتاب المجيد حسب أهوائهم النفسيّة كما يشاهَد الآن أنّ المعاني الحقيقيّة المقصودة بقيت مجهولة لدى الأمّة حتّى صرنا اليوم

---

[363] وفي الاصل المشهود له
[364] وفي الاصل المشهود له
[365] وفي الاصل المشهود له

نرى أنّ إنساناً لو يفسّر آيات الكتاب تفسيراً غير محرّف فإنّ الأمّة تقوم على معارضته ورفضه ولا يجد له ملجأً ولا مأوى. وخلاصة القول إنّ مسألة تحريف الكتب المقدّسة وبطلان أوهام فقهاء الإسلام قد نزلت بصورة مفصّلة ومشروحة في كتاب الإيقان وتمّت البرهنة فيه على صحّة الكتب السماويّة الموجودة ويتّضح من هذا أنّ قبول الكتب المقدّسة لا يستلزم رفض القرآن الشريف بل إنّ ردّها يؤدّي إلى الجهل بالمعاني الحقيقيّة للقرآن ويدلّ على ضعف الإيمان والإيقان ولكنّ جناب الشيخ مع أنّه قرأ كتاب الإيقان ظنّ أنّ هذه المسألة لم يجر بحثها في ذلك الكتاب الكريم الذي لم يترك شيئاً غير مذكور ولهذا قام بالنيابة عن السيّد المحترم الذي نزل كتاب الإيقان في جواب أسئلته ففرض سؤالاً وبعد فرضه السؤال تحيّر ماذا سيجيب عليه صاحب الإيقان وظنّ نفسه بأنّه لا شكّ لن يستطيع الجواب عليه ونفس هذا العمل يدلّ على مقدار ما فهمه جناب الشيخ من كتاب الإيقان وعلى مقدار نور بصره ونورانيّة بصيرته. ولا نظنّ أنّ كتاب الإيقان المقدّس لو تُلي على رجل أمّيّ فلن يفوته أن يرى مسألة تحريف الكتب المقدّسة مذكورة فيه أو غير مذكورة وواضح أنّ جناب الشيخ لو فهم كتاب الإيقان لبحث في أصل الدليل والبرهان حول عدم تبديل الكتب المقدّسة أي هل إنّ الأدلّة والبراهين التي استدلّ بها الجمال الأقدس الأبهى على عدم تبديل عبارات الكتب السماويّة صحيحة أم لا وهل فيها الدلالة أم لا؟ وكان الأجدر به أن يبحث ذلك من أن يظنّ المسألة متروكة ثم يفترض سؤالاً ويظنّ أنّ ذلك السؤال لا جواب له مطلقاً وبذلك يفرح قلبه: [لِيَبْكِ عَلَى الإِسْلامِ مَنْ كَانَ بَاكِياً] ولكن لا عجب أن يقع ذلك من إنسان بلغت به ضحالة معرفته باللغة إلى درجة أنّه في هذه الأسطر القليلة كتب عبارة: (المشهود له) بدل: (المستشهد منه) وعلينا أن نعذره وإذا قرأ كتاباً سماويّاً ولم يفهم معانيه لأنّه لا يخفي على الواقفين على العلوم الأدبيّة أنّ إنساناً لو استشهد بعبارة من الإنجيل سمّيت تلك العبارة "شاهداً" وسمّي كتاب الإنجيل "مستشهدٌ منه" لا "مشهود له" كما كتب الشيخ ففضح مقدار علمه وجودة إنشائه. نعم لو ورد هذا الخطأ في مكان واحد من رسائل الشيخ لاستطعنا أن نقول إنّ ذلك خطأً من الناسخ لا من المصنّف ولكن ما العمل وقد ورد هذا الخطأ في خمسة أماكن فسدّ علينا باب التأويل من جميع الجهات. ولعمر الله إنّ هذا العبد لا يجب أن يكتب على صفحات الكتب العلميّة شيئاً فيه إهانة لإنسان ولكن ما العمل وجناب الشيخ قد فتح هذا الباب ورفع راية هذا الكفاح في رسالتيه الأولى والثانية "والبادي أظلم". ولو يسكت الإنسان في أمثال هذه المناسبات ولا يكشف دقائق أغراض المغرضين الفاسدة فإنّ أهل العلم ينتقدون ذلك ويحملونه على محمل جهل الكاتب. ولذا

فإنّ هذا العبد يطلب أوّلاً المعذرة والعفو وبعد المعذرة والعفو يعرض في حضور أولي الألباب إنّ جناب الشيخ قد شبّه مناظره بأنّ "إحدى عينيه مفتوحة لمشاهدة منافعه الشخصيّة من الاستدلال بالإنجيل والعين الأخرى قد عميت عن مشاهدة الحقيقة وفقدت نورها لأنّها لم تر التحريف فيه" ويعرض هذا العبد إنّ حضرة المناظر قال بأنّ جميع الكتب السماويّة من دون إستثناء مصونة من التغيير والتبديل بحكم الآية الكريمة: "فَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ"[366] والكلمات جمع مضاف وهي بتصريح جميع علماء الله تعني جميع الكتب السماويّة وقال بأنّ التحريف كما شهد بذلك أمير المؤمنين عليه السلام هو عبارة عن تفسير الكلمات وفقاً للأهواء النفسيّة حتّى يَصدُق ذلك على جميع آيات الكتاب وفقاً للقانون الذي أمر أولو العلم حتّى لا يقال أنّه يقبل آية ويرفض أخرى. أمّا جناب الشيخ الذي شاهد في عدة أماكن الآية: يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ "[367] وما فهمها ولذا حُرم من رؤية الآية: "فَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ"[368] ومَنْ فهمها هلا يَصْدُقُ بحقّه ذلك التشبيه؟ وهلا تصدق بحقه الآية: "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضْ"[369]؟ نعم إنّ الذي يرى في الإيقان الشريف إستدلالاً من الإنجيل المقدّس ثم يُحرم من رؤية الأدلّة التي وردت فيه مباشرة وبدون فاصلة حول صحّة ذاك الكتاب المقدّس هلا يشبه شخصاً ذا عين واحدة؟ وهلا ينطبق عليه المثل المشهور: "الأعْوَرُ يَرَى العَمَا بِعَيْنِهِ"؟ وقد كتب جناب الشيخ: "ومثلاً لو يسأل سائل من مولى جناب المناظر ويقول له إنّني لا أعترف بالكتاب المستشهد منه (أي الإنجيل) فكيف أرضى بالشاهد منه؟ فماذا سيجيبه؟" عافاك الله يا حضرة الشيخ سيجيبه بنفس ذاك الدليل الذي إستُشهِدَ به في القرآن الشريف. أفلم تر الآية الكريمة: "الذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ"[370] أولم تر الآية الكريمة: "يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ"[371] بقوّة بصرك الذي هو بهذه الدرجة بحيث شاهدت مناظرك ذا عين واحدة؟ وإذا جاز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أن يستدلّ بآيات الإنجيل فلماذا لا يجوز ذلك لقائم آل محمّد؟ و إذا كان الإستشهاد بزعمك بكتاب محرّف غير جائز فلماذا لا ينطبق إنتقادك هذا على القرآن الكريم؟ وهل من

[366] الأنعام: 33
[367] النساء: 46
[368] الأنعام: 33
[369] البقرة: 85
[370] الاعراف: 157
[371] الصف: 6

أجل خاطر جناب الشيخ يختلف مظاهر أمر الله في هذه المواضيع؟ وهل الصيف والشتاء بإعتقاده يجتمعان فوق سطح واحد؟ وأعجب من كل هذا إنّ جناب الشيخ مع أنّه يعتبر كتاب الإنجيل بعقيدته الفاسدة محرّفاً ويعتبر الاستدلال به باطلاً فإنّه قد وصفه في عدة مواضع من رسالته المطبوعة بكلمة (الشريف) وبكلمة (المقدّس). وهلا يشمّ الإنسان البصير من هذه الكلمات رائحة التملّق والخداع؟ وهلا يسأل جناب الشيخ الذي سمّى مناظره من دون حقّ منافقاً ومخادعاً هذا السؤال: "يا حضرة الشيخ إن كان الإنجيل بإعتقادك محرّفاً وغير مقبول فلماذا إعتبرته شريفاً ومقدّساً؟ وهل ظننت أنّ هذه تنطلي على أفاضل النصارى أو يُصلح هذا التملّق والرياء الظاهريّان جراحات ألف سنة؟" هيهات هيهات هيهات "ولن يُصلح العطّار ما أفسد الدهر" ولو يسمّي أهل البهاء كتاب الإنجيل شريفاً ومقدّساً فذاك خلو من شوائب النفاق والتملّق والرياء لأنّهم يعتبرون جميع الكتب المقدّسة على الإطلاق مصونة من التغيير والتبديل ويرون كلام الله كلّه من دون إستثناء محفوظاً من المحو والتحريف. أمّا الشخص الذي يعتبره مصحفاً باطلاً ولا يجيز الاستدلال به ومع ذلك يسمّيه شريفاً ومقدّساً فإنّ ذلك منه رياء وخداع ويسمّيه أولو البصائر منافقاً ومرائياً [وليتذكّر هذا الخطاب الجليل حيث قال في الإنجيل: "يا مُرَائِي أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ "].

هذا وإنّ أهل البهاء يعتبرون الكتاب الإلهيّ دليلاً باقياً وحجّة بالغة ويجب على الناس أن يعملوا بأحكامه حتّى الظهور الثاني وهم يحاكمون وفقاً لنصوصه ويستفيضون من ينابيعه حتّى لا تنقطع الحجّة الإلهيّة من بين الخلق ولا ينفصم الحبل الإلهيّ المتين ولا يبقى للإنسان عذر بين يدي الله ولهذا فقط حفظ الحقّ جلّ جلاله الكتاب في كنف حفظه وحرسه وصانه في حمى حفظه وحراسته حتّى إذا أراد مبطل تغييره أو قام معاند على مقاومته فإنّ الحقّ جلّ جلاله يظهر كيده بقوّته الغالبة وهو الذي يحترف كلّ الأديان بقوّته وقهّاريته فيمحوه ويزيله ولا معنى للحقّ إلاّ الباقي الثابت ولا معنى للباطل إلاّ الزاهق الزائل وهذا هو المقصود بالآية الكريمة: "فَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ "[372] وهو المفهوم من الآية التامّة: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "[373] وإذا أراد إنسان أن يفهم فهماً كاملاً مقدار رحمة جناب الشيخ ورأفته وإنصافه وديانته فلينظر فقط إلى أنّ جناب الشيخ من دون أن يعرف من هو ذلك

372 الأنعام: 33
373 الحجر: 9